

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

# مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ

لِلْإِمَامِ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

٥٧١٠ / ١٣١٠ م

مَعَ الْحَوَاشِي الْمُسَمَّاةِ بِالْأَسْمَاءِ التَّارِيخِيَّةِ

مَوَاهِبُ الْجَلِيلِ لِتَجَلِيَّةِ مَدَارِكِ التَّنْزِيلِ

١٤٢٩ هـ

مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ إِلَى سُورَةِ الْفِرْقَانِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ أَحْمَدِ الْمُصْبَاحِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

عُنِيَ بِالتَّقْدِيمِ وَالطَّبْعِ وَالنَّشْرِ

مَجْلِسُ الْبَرَكَاتِ

الْجَامِعَةُ الْأَشْرَفِيَّةُ مُبَارَكُفُورَ عَظْرَةِ

الهِند - رَمْزُ الْبَرِيدِ ٢٧٦٤٠٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير القرآن العظيم

# مَدَارِكُ التَّزْكِيرِ بِرُوحِ حَقِّكَ أَيْقُنِ النَّاوِئِلِ

للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي رحمه الله تعالى

١٣١٠هـ / ١٧١٠م

مع الحواشي المُسمّاة بالاسم التاريخي

## مَوَاهِبُ الْجَلِيلِ لِتَجْلِيَةِ مَدَارِكِ التَّزْكِيرِ

١٤٢٩هـ

من سورة الكهف إلى سورة الفرقان

لفضيلة الشيخ محمد أحمد المصباحي حفظه الله تعالى

رئيس المدرسين بالجامعة الأشرفية بمبارك فور

التعريف بالمصنّف والمدارك و المواهب والمحشي من ص: ٣٤٢ إلى ٣٩١

عُنِيَ بِالطَّبْعِ وَ النَّشْرِ

مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، مبارك فور

أعظم جراه ، الهند - ٢٧٦٤٠٤

✽ الطبعة الأولى : شوال ١٤٣١هـ / سبتمبر ٢٠١٠م ✽ الطبعة الثانية : شعبان ١٤٣٢هـ / يوليو ٢٠١١م

## سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية بصري .....

مواعظ الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

مُعِيْطٌ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ بِالْمَدِيْنَةِ، فَقَالُوا لَهُمْ سَلُوهُمْ  
عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفُوا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ،  
فِيْنَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا  
مَنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَمَخْرَجًا حَتَّى أَتِيَا الْمَدِيْنَةَ، فَسَأَلُوا  
أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ  
وَسَلِمَ، وَوَصَفُوا لَهُمْ أَمْرَهُ وَبَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَالُوا: إِنَّا  
أَهْلُ التَّوْرَةِ وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتَخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا،  
قَالَ: فَقَالُوا لَهُمْ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَيُنَّ  
أَخْبِرُكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَإِلَّا فَرَجَلٌ مَتَقَوِّلٌ،  
تَرَوْنَ فِيهِ رَأْيَكُمْ. سَلُوهُ عَنْ فَتْيَةِ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ  
الْأَوَّلِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؟ فَيُنَّهُمْ قَدْ كَانَ لَهُمْ  
حَدِيثٌ عَجِيْبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ  
مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، مَا كَانَ نَبُوَّهُ؟ وَسَلُوهُ  
عَنْ الرُّوحِ مَا هُوَ؟ فَيُنَّ أَخْبِرُكُمْ بِذَلِكَ فَهُوَ نَبِيٌّ  
فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَخْبِرْكُمْ فَيُنَّهُ رَجُلٌ مَتَقَوِّلٌ فَاصْنَعُوا  
فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ. فَأَقْبَلَ النَّضْرَ وَعَقِبَهُ حَتَّى قَدَمَا  
عَلَى قَرِيْشٍ فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قَرِيْشٍ قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ  
مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَمَرْنَا أَحْبَارَ يَهُودَ أَنْ  
نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ - فَأَخْبِرُوهُمْ بِهَا - فَجَاءَ وَارَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَوَسَلِمَ، فَقَالُوا: يَا  
مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا، فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَوَسَلِمَ: أَخْبِرْكُمْ  
غَدًا عَمَّا سَأَلْتُمْ عَنْهُ - وَلَمْ يَسْتَسْتَنَّ - فَانصَرَفُوا عَنْهُ، وَ  
مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشْرَةَ  
لَيْلَةً، لَا يَحْدُثُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَحِيَاءً، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرَائِيلُ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلَ مَكَّةَ وَقَالُوا: وَعَدْنَا  
مُحَمَّدَ غَدًا، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ قَدْ أَصْبَحْنَا فِيهَا لَا  
يَخْبِرُنَا بِشَيْءٍ عَمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، حَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكْثَ الْوَحْيِ، وَشَقَّ عَلَيْهِ  
مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ،  
فِيهَا مَعَابِتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حِزْنِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَبَرَ مَا سَأَلُوهُ  
عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفَتْيَةِ، وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ، وَقَوْلِ اللَّهِ =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ ○ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ ○  
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ○ تَبْيَانًا  
لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ هَدْيٌ وَفِرْقَانٌ ○ وَعَلَى اللَّهِ وَ  
أَصْحَابِهِ الَّذِينَ سَلَكُوا مَنَاجِحَ الصَّدَقِ وَالْعُرْفَانِ ○  
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَنَشَرَ الدِّينَ بِسَيْفٍ وَ  
سِنَانٍ وَحِجَّةٍ وَبِرَهَانٍ ○ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ○  
أَمَّا بَعْدُ! فَهَذِهِ حَوَاشٍ عَلَى تَفْسِيرِ الْإِمَامِ أَبِي  
الْبُرْكَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيِّ  
(الْمُتَوَفَى ٥٧١٠هـ) الَّذِي سَمَّاهُ "مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَ  
حَقَائِقُ التَّأْوِيلِ" تَقَرَّرَتْ دِرَاسَتُهَا فِي الْمَدَارِسِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ مَدَّ عَهْدَ طَوِيلٍ وَشَعَرَ التَّلَامِيذِ وَالْأَسَاتِذَةِ  
بِالْحَاجَةِ إِلَى شَرْحٍ أَوْ حَاشِيَةٍ تَحُلُّ بِهَا مَعَاقِدَهَا، وَ  
قَدْ كَتَبَ الْعَلَمَاءُ عَبْدِ الْحَقِّ الْإِلَهَ أَبَادِي الْمُهَاجِرِ  
الْمَكِّيِّ حَوَاشِيًّا بَسِيطَةً عَلَيْهَا طُبِعَتْ فِي مَجْلَدَاتٍ  
بِاسْمِ "الْإِكْلِيلِ عَلَى مَدَارِكِ التَّنْزِيلِ" سَنَةَ ١٣٣٠هـ،  
وَنَفَدَتْ، وَ مَجْلِسُ الْبُرْكَاتِ يَهْدَفُ إِلَى إِعَادَةِ  
طَبْعِهَا، مَعَ ذَلِكَ رَأَى عِدَدٌ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ مَسِيسَ  
الْحَاجَةِ إِلَى الزِّيَادَةِ عَلَيْهَا، خَاصَّةً فِيمَا تَقَرَّرَ دَرَسُهُ  
بَيْنَ الْمَدَارِسِ، وَهُوَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ إِلَى خِتَامِ  
سُورَةِ الْفِرْقَانِ. فَبَدَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ مَعَ  
الْعِلْمِ بِقُصُورِ بَضَاعَتِي، وَالْإِعْتِرَافِ بِجَلَالَةِ هَذَا  
الْعَمَلِ، وَ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقَ لِلصَّوَابِ، وَالْحِفْظَ  
مِنَ الْخَطَأِ وَالْخَطَلِ، وَهُوَ الْمَيْسَّرُ لِلصَّعَابِ وَمِنْهُ  
هُدَايَةُ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ. وَ سَمَّيْتُ هَذِهِ الْحَوَاشِيَّ  
بَعْدَ الْإِتِمَامِ بِاسْمِ تَارِيخِي: مَوَاهِبُ الْجَلِيلِ لِتَجْلِيَّةِ  
مَدَارِكِ التَّنْزِيلِ (١٤٢٩هـ) وَ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ تَمَامَ  
النَّفْعِ وَالْقَبُولِ بِمَنَّةٍ وَ كَرَمِهِ.

## سورة الكهف

سبب نزول هذه السورة الكريمة: قال محمد بن  
إسحاق حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ  
بضع وأربعين سنة، عن عكرمة عن ابن عباس  
قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي

و عشر آيات كوفي<sup>(١)</sup>

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن . لقن الله عباده<sup>(٣)</sup> وفقَّههم<sup>(٤)</sup> كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

تبعاً لذلك اختلاف الثمار والنتائج، لكن يلزم لكل ناظر ومفسر أن يذكر من التناسب ما يوافق مغزى الكتاب العزيز، ويزيد الطالب هداية وبصيرة.

والعلامة النسفي تبعاً للرازي والبيضاوي يذكر التناسب كثيراً لكن في عبارات وجيزة وإشارات لطيفة. يطلع عليها ويفرح بها من طالع كتابه بإمعان النظر.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) عند قراءة البصرة آية على قوله تعالى: قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ فعدد الآي عندهم مائة وإحدى عشرة.

(٢) أظهر به أن الإضافة في "عبده" للعهد والمعهود هو السيد الأخص بين عباده وكذا اللام في الكتاب للعهد والمعهود هو أفضل الكتب وأخصها المنزل على أفضل الرسل عليه أفضل الصلوات وأكرم التسليمات.

(٣) حق المتكلم أن يقول: "الحمد لي" لكن نزل هنا الْحَمْدُ لِلَّهِ فذكر المصنف الفائدة في العدول عن التكلم إلى الغيبة، وهي تعليم العباد طريق الحمد على نعمة الإسلام والقرآن، فأنزل الكلام على ألسنتهم بطريق الغيبة ليفهموا ويتلقوا ذلك الحمد ثم يحمدوا على الطريق المحمود المطلوب.

(٤) فعل ماض من التفقيه بمعنى علم وفهم والمجرد من سمع بمعنى أدرك وفهم، ومن كرم أيضاً بمعنى صار فقيهاً ويُنشون من الإفعال بمعنى الحمد والثناء والمجرد من ضرب بمعنى العطف واللّي، وقوله "ما أنزل" عطف على نعمة الإسلام و"ما" موصولة، ومن الكتاب بيانها.

= عز وجل (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) الآية- (ابن كثير)

واعلم أن العلماء اختلفوا في أمر التناسب بين السور والآيات فذهب جمع إلى أن القرآن مغزاه التذكير، وتبيين العقائد والأحكام، وتيسير الفهم وتقريب الأمر بالقصص والأمثال، ولا يلزم التناسب بين سورة وإياته، فنرى أنه قد يذكر العقائد، و يقررها بالدلائل، ثم يذكر فجأة حكماً وعملاً أو قصّة، ثم يأتي بذكر الجنة والنار، ولا تناسب بينها— وذهب أكثر المفسرين إلى أن القرآن سورة وآية منتظمة، بينها تناسب دقيق، وارتباط أنيق، كيف لا وهو كلام الله الجليل الحكيم، وقد أبان هؤلاء المفسرون في كتبهم وجوه التناسب كما نرى في مفاتيح الغيب للإمام الرازي، وصنف بعضهم كتباً مستقلة في مجلدات في بيان التناسب كالبقاعي صاحب نظم الدرر بين الآي والسور.

لكنهم لم يتوافقوا على معنى واحد في بيان التناسب، لأن هذا استخراج، وفهم، يرجع إلى العقول التي فكرت في القرآن، فذهبوا في تفسيرات التناسب إلى عبارات مختلفة، وليس ذلك بعجيب، فإن القرآن يشتمل على علوم كثيرة، ومعان دقيقة، وإشارات لطيفة، والباحث عنها يجد كنوزاً غالية حسب قوة فكره، وصفاء سرّه، ورسوخ علمه. و روى البغوي في شرح السنة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع.

فيمكن اختلاف الأنظار، وجهات الأفكار، و



﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أي شيئاً من العوج<sup>(٥)</sup> والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج، والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة<sup>(٦)</sup> ﴿فَيِّمًا﴾ مستقيماً<sup>(٧)</sup> وانتصابه بمضمر وتقديره: جعله قيماً لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح. أو قيماً على سائر الكتب مصدقاً لها شاهداً بصحتها ﴿لِيُنذِرَ﴾<sup>(٨)</sup> «أنذر» متعد إلى مفعولين كقوله: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا) [النبا: ٤٠] فاقتصر على أحدهما، وأصله لينذر الذين كفروا ﴿بِأَسَاءٍ﴾ عذاباً ﴿شَدِيدًا﴾ وإنما اقتصر على أحد مفعولي «أنذر» لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقتصر عليه ﴿مَنْ لَدُنُّهُ﴾ صادراً من عنده<sup>(٩)</sup> ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأن لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي الجنة،

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أجاب عما يرد أن نفي العوج يغني عن ذكر الاستقامة كما أن إثبات الاستقامة يغني عن نفي العوج فأى فائدة في الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة؟ ذكر أن فائدة الجمع هو التأكيد، وفائدة التأكيد دفع التوهم الفاسد، وهو أن الشيء قد يشاهد مستقيماً لكنه لا يخلو عن أدنى عوج حين التصفح والتفتيش فيزول هذا الوهم إذا جاء النفي عن كل عوج مع إثبات الاستقامة.

(٨) متعلق بأنزل، والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه، والإطلاق عن ذكر المفعول الأول للإيدان بأن ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني، وأن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره، أي أنزل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا به - اه - أبو السعود

قوله: بأن لهم: تعدية بشر و أبشر و بشر إلى المفعول الثاني تكون بالباء. لكن حذف حرف الجار قبل "أن" و "أن" مُطَرِّد أي عام قياسي، فأشار بإظهار الباء إلى الأصل.

(٩) أشار به إلى معنيين، الأول أن الظرف مع متعلقه صفة ثانية لقوله "بأساء"، والثاني أن "لدى" بمعنى "عند" لكنهم فرقوا بينهما بأن لدى يشترط فيه الحضور، وعند لا يشترط ذلك فيه، فلا يقال المال لديك إلا إذا كان حاضراً بقربك، ويقال المال =

(٥) العموم مستفاد من وقوع النكرة تحت النفي، والعوج كالعنب بكسر ففتح في المعاني أي ما يدرك بالبصيرة ولا يدرك بالحواس، والعوج بفتحين في الأعيان أي ما يدرك بالحواس.

(٦) العوج حقيقة توجد في الأجسام والأعيان وإن استعمل في المعاني مجازاً، فإنه الانحراف عن السواء وهنا ورد نفيه للتزليل العزيز فليس المقصود نفي الانحراف عن السواء كالأجسام بل نفي ما يكون كالانحراف الجسماني معني، وهو بالنسبة إلى الكتاب أن يكون فيه اختلاف، ويكون في معانيه تناقض أو يكون شيء منه خارجاً عن الحكمة، فإن هذه الأمور في المعاني كالانحراف و عدم الاستقامة في الأجسام فأبان المصنّف أن المقصود هنا نفي هذه الأمور. و خروج في قوله "خروج شيء من الحكمة" معطوف على الاختلاف أي المراد نفي خروج شيء من القرآن من الحكمة.

(٧) ذكر معنيين لقوله "قيماً". الأول مستقيماً، والثاني قيماً على سائر الكتب أي حفيظاً لها بأن يكون مصدقاً لمعانيها شاهداً بصحتها. و ذكر أنه منصوب بفعل مقدر مع ضمير المفعول الأول وهو "جعله" والحذف يحتاج إلى القرينة فذكر قرينته وهو نفي العوج، فإنه دليل إثبات الاستقامة. ثم

(ويشير) <sup>(١٠)</sup> حمزة وعلي. ﴿مُكِيثِينَ﴾ حال من «هم» في (لهم) ﴿فِيهِ﴾ في الأجر وهو الجنة ﴿أَبَدًا﴾ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿ ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره. ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فإن قلت: <sup>(١١)</sup> إتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل: (ما لهم به من علم) قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته. وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، أو لأنه في نفسه محال. ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ المقلدين <sup>(١٢)</sup> ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أكبرها كلمة! والضمير في (كبرت) يرجع إلى قولهم (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها <sup>(١٣)</sup> ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة لـ (كلمة) تفيد استعظماً لاجترائهم على النطق

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عندك إذا كان حاضرًا و إذا لم يكن حاضرًا بل كان في ملكك أو في خزانتك، والله متعال عن المكان والقرب المكاني فصدور البأس من لدنه معناه صدوره من عنده أي من قبله ومن قدرته و تصرفه وحيطة ملكه، لا أن له مكانًا وبقربه بأس و عذاب يصدر من ذلك المكان.

(١٠) قرأ الأخوان (حمزة و علي الكسائي) بفتح الباء وإسكان الباء الموحدة و ضم الشين مخففةً (يُشْر) و الباقون بضم الباء و فتح الموحدة و كسر الشين مشددة (يُشْر) -هـ- غيث النفع في القراءات السبع لسيددي علي النوري الصفاقسي - ص ٢٢٢ - على هامش سراج القاري للعلامة ابن الفاصح شرح الشاطبية طبعة مصر سنة ١٢٩٣ هـ. قراءة الأخوين من نصر، والباقيين من التفعيل.

(١١) إيضاح السؤال والجواب يسهل بمثال، إذا كان لي أخ ولا تعلمه أنت، فأقول ليس لك به من علم و إذا لم يكن لي أخ فلا أقول ليس لك به من علم، فإن المعدوم لا يتعلق به العلم فلا حاجة إلى نفيه عنه و اتخاذ الولد معدوم و مستحيل فلا يتعلق به العلم فلا محل لنفي العلم به عنهم لكن القرآن قد نفى العلم به عنهم مع استحالته، فأجاب أن تعلق العلم بشيء قد يحتاج إلى وجوده لكن انتفاء العلم لا يحتاج إلى الوجود، بل له طريقان: أحدهما أن يكون الشيء

(١٢) بصيغة اسم المفعول من التقليد، صفة آباءهم، يشير إلى أن الأبناء أخذوا هذا القول عن الآباء بتقليد بحث بدون دليل سمعي أو نظر عقلي.

(١٣) إطلاق الكلمة على الجملة جاء على عرف العرب وقت التنزيل، وهو إطلاق الكلمة على المفرد والمركب المفيد وغيره أما تخصيصها باللفظ الموضوع لمعنى مفرد فعرف حدث بعد التنزيل حين تدوين النحو، ووضع المصطلحات النحوية لكن إطلاقها على المعنى القديم أيضًا لم ينقطع بعد، فإن العرب في زماننا أيضًا يسمون القصيدة أو الخطبة بالكلمة. ١٢



بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر<sup>(١٤)</sup> ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ما يقولون ذلك إلا كذباً هو صفة لمصدر محذوف أي قولاً كذباً ﴿فَلَعَلَّكَ<sup>(١٥)</sup> بَأْخِمْ نَفْسَكَ﴾ قاتل نفسك ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ أي آثار الكفار. شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم ﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عليه: حزن عليه، وتلهف من التفعّل ولهف لهفًا من سمع بمعنى حزن وتحسّر. وتوضيح التمثيل أن الرسول عليه السلام لم يذهب على آثارهم مهلكًا نفسه، لكن لحقه حزن كبير وغم عظيم لما أعرضوا عن دعوته، واختاروا الهلاك في الآخرة على النجاة، فصورته هذه تشابه صورة رجل فارقه أحبته فهو يذهب على آثارهم متساقطًا متحسّرًا، ويهلك نفسه حزنًا عليهم، وأسفًا على فراقهم، ففي الطرفين أمور متعددة أخذت منها صورتان، وشبهت إحدى الصورتين بالأخرى، وجملة المشبه به - وهي التي تشتمل على بخع النفس على آثار الأحياء - جاءت موضع جملة المشبه - وهي أنك بلغت غاية الحزن على إعراضهم عن الإيمان.

ويمكن أن تكون استعارة بخع النفس على الآثار للبلوغ غاية الحزن على الإعراض، فالثاني مشبه، محذوف، والأول مشبه به مذكور صراحة موضع المشبه، وهذه استعارة مصرحة، أي حذف المشبه ووضع المشبه به موضعه تصريحًا، والاستعارة تكون في المفرد، والتمثيل في المركب، فجملة أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، موضع تتردد في أمرك، ولاتقضي قضاء حاسمًا، تمثيل، و"سيفًا بتارًا" في قولك رأيت سيفًا بتارًا إذا أردت به رجلًا مهاجمًا فتاكا استعارة، والبسط في كتب البلاغة، مع ذلك أطنبت هنا ليكون مغنيًا عن الإطالة فيما سيأتي بمواضع كثيرة.

أخرج ابن مردويه في سبب نزول الآية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبا البخخري في نفر =

(١٤) دفع لما يختلج في الصدر أن الكلمة لا تخرج إلا من الأفواه، فأى حاجة إلى وصفها بقوله "تخرج" من أفواههم" وحاصل الجواب أن مثل هذه الصفة قد تنفيذ الاستعظام والاستقباح، كما يقال: هذا قتل شنيع اجترخته يدك، وأيضًا قد تطلق الكلمة على ما أضمرته النفس كما قيل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جَعَلَ اللِّسَانَ عَلَيْهِ دَلِيلًا  
فيمكن أن تحدث نفس أحد بكلمة قبيحة ولكنه يستقيحها ولا يجترئ على التكلم بها لكن من عظيم جراءة هؤلاء، وشنيع شقاوتهم أنهم لم يكتفوا باعتقادها وإضرارها في النفوس بل أخرجوها من الأفواه.

● استعظمه: عدّه عظيمًا، من المنكرات: بيان "ما" في قوله يوسوسه، لا يتمالكون: أي لا يستطيعون، خبر إن، تفوه: تكلم، مأخوذ من الفوه، وهو أصل "فم". يكظمون عليه: أي يحبسونه، ويمتنعون من النطق به.

(١٥) لعل في الأصل للترجي والإشفاق، وقد تكون لترجي المخاطب كما في قوله تعالى: فقولاً له قولاً لينا لعلّه يتذكر أو يخشى، وكثيرًا فسروها بمعنى كي، وقد يقصد بها التشبيه والتمثيل، كما فسروا في قوله تعالى: وَتَخْلُدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ أي كأنكم تخلدون، أي صورة بناء كم المصانع وتشبيدها تشبه صورة من يرجو الخلود، وتفسير المصنف ههنا يشير إلى هذا المعنى.

● بخع نفسه: (من فتح) قتلها غمًا، وبخع بالشاة بالغ في ذبحها ثم استعمل في كل مبالغة في الإهلاك. وما في قوله "ما تداخله" موصولة معطوفة على الضمير المنصوب في "شبهه" ومن الأسف بيان ما تداخله بمعنى دخله، حسرات مفعول له أي بسبب حسرات وأحزان، كما في تفسير قوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ - ٨ - فاطر. وجد

بالقرآن ﴿أَسْفَا﴾ مفعول له أي لفرط الحزن. والأسف: المبالغة في الحزن والغضب ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ أي ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها <sup>(١٧)</sup> ﴿لِنَبْلُوهُمْ <sup>(١٨)</sup> أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها. <sup>(١٩)</sup> ثم زهد في الميل إليها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا﴾ أرضاً ملساء ﴿جُرُزًا﴾ يابساً لانبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة، والمعنى نعيدها بعد عمارتها خراباً بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك. <sup>(٢٠)</sup>

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الأصل الذهب وكمال حسن الشيء، والمراد هنا ما يُعجب الأبصار، و تميل إليه النفوس فكأن قوله "وما يُستحسن منها" عطف تفسيري.

(١٨) أي لنعاملهم معاملة المختبرين، و أي مرفوعة بالابتداء، و أحسن خبرها، و الجملة في محلّ نصب معلقة لفعل البلوى، لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر. (أبو السعود)

(١٩) و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و الحاكم في التاريخ و ابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: تلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية (لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: ليبلوكم أيكم أحسن عقلا، و أورد عن محارم الله، و أسرعكم في طاعة الله. و أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: أشدهم للدنيا ترگا و أخرج عن الثوري قال: أزهدهم في الدنيا. زهد فيه من فتح و سمع و كرم ضد رغب، و التزهيد فيه و عنه ضد الترغيب، و غره: خدعه. و اغتر به: انخدع به.

(٢٠) ملس مَلُوسَة و مَلَسَ مَلَسَة ضد خشن، عشب عَشْبًا و عَشَبَ عَشَابَة المكان: نبت عُشْبِهِ، و العُشْب بضم فسكون: الكأ الرطب وأعشب المكان: أنبت العشب، و أرض عَشْبَة و عشبية و مُعشبة و معشاب: كثيرة العشب.

ووجه ربط هاتين الآيتين بما قبلهما كما ذكره العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادي في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم) أن قوله تعالى (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ) يبعث الرسول عليه السلام على الحذر والاشفاق من =

= من قريش اجتمعوا. وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه و إنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزناً شديداً فأُنزل الله تعالى (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ) الآية.

(١٦) قال الراغب: الأسف الحزن والغضب معاً، و قد يقال لكل منهما على الانفراد، و حقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان على من دونه انتشر فصار غضباً، و متى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً. و لذلك سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن الحزن والغضب فقال: مخرجهما واحد، واللفظ مختلف. فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظاً و غضباً، و من نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً و جزعاً. و بهذا النظر قال الشاعر: فحزن كل أخي حزن أخو الغضب.

(١٧) إشارة إلى أن ما يستقدر منه، و ما تنفر منه الطباع ليس مراداً هنا، و إن كان داخلاً تحت قوله (خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) فإن تلك الآية تذكر أن الله خلق كل ما في الأرض لينتفع به الإنسان بواسطة أو بلا واسطة في مطاعمه و مساكنه و مدافعه أو في دينه بأن يستدل به على الصانع أو بأن يعتبر به و يقيس عليه آلام الآخرة و مكارهها و مخاوفها. ولا ضير في دخول بعض المكلفين تحت الزينة كما نصّ عليه القرآن (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فالبنون زينة وهم لابتلاء الآباء، و إن لم يكونوا لابتلاء أنفسهم، فلا حاجة إلى تخصيص "ما على الأرض" بغير المكلفين.

ما يستحسن منها عطف على زخارف الدنيا، و من زخارف، بيان "ما" في ما يصلح، والرُّخْرُف في



ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ<sup>(٢١)</sup> أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف: الغار الواسع في الجبل. والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف<sup>(٢٢)</sup> ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي كانوا آية عجباً من آياتنا وصفاً بالمصدر أو على ذات عجب<sup>(٢٣)</sup> ﴿إِذْ﴾ أي اذكر إذ ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ<sup>(٢٤)</sup> رَحْمَةً﴾ أي رحمة

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

وضع على باب الكهف - وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرقيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم - وقال ابن جريج عن ابن عباس: الرقيم الجبل الذي فيه الكهف - وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس أنه وإد دون فلسطين قريب من أيلة، وفيه أقوال أخر. ورجح بعض المصنفين أن الرقيم اسم قرية خرجوا منها، و كان بلداً معروفاً وفي التوراة مذكور باسم "راقيم" وهو قريب من أيلة و كان عاصمة ملكهم، ثم لما غلب عليه الروم سمّوه "بطرا" ونسي الاسم الأول حتى ذهبت العرب في تعيين الرقيم إلى معاني أخر لكن التوراة حفظت اسمه الأول، و بذلك تيسر تعيين بلدهم، والقصة وقعت بعد ميلاد المسيح بنحو مائة سنة وأكثر.

(٢٣) آية موصوف مقدر و عجباً مصدر وصف به مبالغة والحمل بالمواطاة. أو هو صفة آية بتقدير ذات، والحمل بالاشتقاق أي كانوا آية ذات عجب. و من آياتنا حال متقدمة، و عجباً مع موصوفه المقدر خبر كانوا.

(٢٤) مِنْ فِي (مِنْ لَدُنْكَ) ابتدائية متعلقة بآتنا، أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني، قدمت عليه لكونه نكرة - ولو تأخرت لكانت صفة له - أي آتنا كائنة من لدنك رحمة. وليس المراد بقوله "من لدنك رحمة" أن له مكانا و من ذلك المكان إيتاء الرحمة. بل المراد آتنا رحمة من خزائن رحمتك بدون تصور مكان له تعالى. و "لدى" قد تستعمل موضع "عند" فيراد بها ما هو أعم من القرب المكاني والقرب من وجه القدرة والملك.

= شدة الوجد على إعراضهم وقوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الإشفاق وقوله تعالى: (إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) لتكميل ما في السابقة من التعليل و حاصل المعنى لا تحزن بما عانيت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب، فإننا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة لها، لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها، و إِنَّا لَمُفْنُونَ (اسم فاعل للجمع من الإفناء) جميع ذلك عن قريب، و مُجَازُونَ لهم بحسب أعمالهم.

(٢١) أم حسبت، الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد إنكار حسابان أمته، و أم منقطعة مقدرة بيل والهزمة عند الجمهور، و بيل وحدها عند غيرهم، و معناها الانتقال من حديث إلى حديث آخر، لا إبطال الأول والإضراب عنه كما هو معنى بل في الأصل، والتقدير بل أحسبت أو بل حسبت -ه- أبو السعود- و وجه المناسبة على ما ذكر المصنف بقوله (و لما ذكر من الآيات الكلية -الخ) أن من عظيم آياتنا تزيين وجه الأرض بصنوف النبات وأنواع من الأشياء دهرًا طويلاً ثم إفناء ذلك كله حين قيام الساعة فقصة أصحاب الكهف ليست بأعجب منها.

(٢٢) الرقيم اسم كلبهم - كما رواه ابن أبي حاتم عن أنس- و أخرج عبد الرزاق وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لا أدري ما الرقيم و سألت كعباً فقال اسم القرية التي خرجوا منها- و أخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جبير أنه لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف و أمرهم ثم

من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿وَهَيَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾<sup>(٢٥)</sup> أي الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿رَشَدًا﴾ حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك «رأيت منك أسداً»<sup>(٢٦)</sup> أو يسر لنا طريق رضاك ﴿فَضَرَيْنَا عَلَيَّ إِذْ أَنَّهُمْ فِي الْكَهْفِ﴾ أي ضربنا عليها حجاباً من النوم يعني أنماهم إنامة ثقيلة<sup>(٢٧)</sup> لاتنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ ذوات عدد فهو صفة لسنين. قال الزجاج: أي تعد عدداً لكثرتها لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عددٌ فأما ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةً﴾ [يوسف: ٢٠] فهي على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير<sup>(٢٨)</sup> ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم من النوم ﴿لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين<sup>(٢٩)</sup> منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وكان الذين قالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم ﴿أَخْطَى لِيَا لَيْثُوا أَمَدًا﴾ غاية. و(أحصى) فعل ماضٍ و (أمدًا) ظرف لـ (أحصى) أو مفعول له، والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي و المبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي «نعلم». والمعنى أيهم ضبط أمداً

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

- (٢٥) أصل التهيئة إحداث هيئة الشيء ثم اتسع فيه أي أصلح ورتب و أتمم لنا من أمرنا (رشداً) إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه، وكلا الجارين (لنا - و - من أمرنا) متعلق بهيى لاختلافهما في المعنى، و تقديم المجرورين على المفعول الصريح (رشداً) لإظهار الاعتناء بهما.
- (٢٦) هذا التفسير بناء على أن من تجريدية، والكلام على طريق التجريد، وهو أن يُنتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة كأنه بلغ إلى مرتبة من الكمال بحيث يوخد منه آخر فالمعنى اجعل أمرنا في غاية الرشده حتى يؤخذ منه الرشده والاهتداء، والتفسير الثالث بناء على أن المطلوب هو رضا المولى سبحانه، والرشده هو إصابة ما يوصل إليه، والتهيئة بمعنى التيسير فيكون المعنى يسر لنا طريق الوصول إلى رضاك حال كونه من أمرنا الذي يهمننا فيكون «من أمرنا» حالاً متقدماً لقوله (رشداً) لكونه نكرة.
- (٢٧) على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الأذان بضرب الحجاب عليها، وقيل الضرب على الأذان كناية عن الإنامة الثقيلة، لأن الصوت و التنبية طريق من طرق إزالة النوم، فسد طريقه يدل على استحكامه.
- (٢٨) «في الكهف» ظرف مكان لضربنا، و «سنين» ظرف زمان له، و«عدداً» صفة سنين بتقدير المضاف أي ذوات، أو عدداً مفعول مطلق لفعل مقدر وهو تُعدُّ، و الجملة صفة سنين، و وصف سنين بذوات عدد أو بالجملة تعد عدداً، لبيان الكثرة كما قال الزجاج، أن القليل يعلم بلا عد، والكثير يحتاج إلى العد، و يورد عليه بدراهم معدودة فإن وصف الدراهم بهذا لبيان القلة، فأبان الفرق بأن الدراهم الكثيرة يجري فيها الوزن لإدراك مقدارها، والقليلة يجري فيها العد فهناك طريق آخر و وصف الدراهم بمعدودة لبيان القلة إطلاق آخر بخلاف وصف نحو سنين بها فإنه لبيان الكثرة - وقال البيضاوي: ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل، فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى.
- (٢٩) اختلفوا في الحزبين فعن مجاهد أنهما من أصحاب الكهف كما فسّر المصنف و عن ابن عباس أنهما أصحاب الكهف والملوك الذين تداولوا المدينة واحداً بعد واحد، و عن الفراء أنهما من المسلمين الذين اختلفوا في مدة لبثهم، وقيل غير ذلك.



لأوقات لبثهم وأحاط علماً بأمد لبثهم؟<sup>(٣٠)</sup> ومن قال: «أحصى» أفعل من الإحصاء وهو العد فقد زل لأن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس.<sup>(٣١)</sup> وإنما قال: «لنعلم» مع أنه تعالى لم يزل عالماً بذلك، لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً، وليكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفارهم. أو المراد لنعلم اختلافهما موجوداً كما علمناه قبل وجوده.<sup>(٣٢)</sup> ﴿مَحْنُ نَقْصٍ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق<sup>(٣٣)</sup>

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

من لوازمه وهو ظهور الأمر، أي بعثناهم ليظهر أي الفريقين ضبط أمد لبثهم، وقوله آخرًا "أو المراد لنعلم اختلافهما موجوداً كما علمناه قبل وجوده" يشير إلى أن علمه تعالى أزلي و يتعلق بالحوادث قبل وقوعها و بعد وقوعها أما قبله فتعلقاً استقبالياً و أما بعده فتعلقاً حالياً، والتعلقات حادثة لكن العلم قديم أزلي. و حاصل المعنى الثاني أنا أيقظناهم ليتعلق علمنا باختلاف الحزبين موجوداً بأنه وقع في الحال و ظهر الأمر كما تعلق به علمنا قبل وجوده بأنه سيقع و يظهر الأمر في الاستقبال. واعلم أنّ الأزمنة من الماضي والحال والمستقبل و كذا الأمكنة القريبة والبعيدة كلها حادثة مخلوقة بعد العدم، لا تكون ظرفاً إلا للحوادث أما ذاته تعالى وصفاته فقديمة موجودة قبل الحوادث و بعدها أزلاً و أبداً. متعالية أن يحيط بها زمان أو مكان، و كل ما يتوهم به ظرفية زمان أو مكان لذاته أو صفة من صفاته فمؤول، والبسط في الكتب الكلامية.

(٣٣) شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى: إذ أوى الفتية الخ - والنبأ الخبر الذي له شأن و خطر، والباء في (بالحق) للملابسة، وهي مع مجرورها إما حال من فاعل نقص أو من مفعوله وهو النبأ، والحق في الأصل بمعنى الموجود الثابت، والصدق مطابقة الخبر للواقع، وفرقوا بينهما بأن الحكم إذا طابق الواقع كان الواقع أيضاً مطابقاً له، فإن المفاعلة من الطرفين، فهو من حيث إنه مطابق (بالكسر) للواقع يسمى صدقاً، و من حيث أنه مطابق (بالفتح) له يسمى حقاً، و قد يطلقان على نفس المطابقة فإنها إذا اعتبرت من جانب الواقع تسمى حقاً، وإذا اعتبرت من جانب الحكم تسمى صدقاً و أكثر ما يستعمل الحق في =

(٣٠) أي الحزبين مبتدأ، أحصى فعل ماض، أمداً مفعوله، [قول المصنف: أمداً ظرف لأحصى أو مفعول له أي مفعول به لأحصى] لما لبثوا حال من "أمداً" قدمت عليه لكونه نكرة و ما مصدرية. والمعنى أيهما ضبط أمد لبثهم، والفعل خير المبتدأ، والجملة قائمة مقام مفعولي لنعلم، و معنى الاستفهام في "أي" علق عنه لنعلم، والتعليق من خصائص أفعال القلوب وهو وجوب إبطال عملها لفظاً دون معنى بسبب وقوعها قبل معنى الاستفهام، و قبل النفي الداخلة على معمولها و قبل لام الابتداء الداخلة على معمولها نحو ما علمت أصديقك شاعر أم كاتب، رأيت ما أخوك بفارس، ظننت لحزنك قاتل نفسك - و على تقدير ظرفية أمداً يكون المعنى أيهما ضبط في المدة أوقات لبثهم.

(٣١) اختاره الزجاج والتبريزي لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) و بناء أفعل التفضيل من غير الثلاثي المجرد عند بعض النحاة جائز مطلقاً وهو ظاهر كلام سيبويه، و ردّه أبو علي و الزمخشري، و في الكشف أن قول الزجاج ليس بذلك المردود، إلا أن ما أثره الزمخشري أحق بالإيثار لفظاً و معنى. (خفاجي) لكن الموافقة للآيات ترجح هنا ما اختاره الزجاج و التبريزي.

(٣٢) قال الخفاجي: العلم كناية عن ظهور أمرهم ليطمئن بازدياد الإيمان قلوب المؤمنين، و تنقطع حجة المنكرين، و علم الله تعالى حيث تعذر إرادة حقيقته في كتابه تعالى جعل كناية عن بعض لوازمه المناسبة لموقعه، والمناسب هنا ما ذكر، و قول المصنف لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم يشير إلى ذلك، أي العلم هنا بمعنى أحد

﴿أَتَمُّ فِتْيَةٍ﴾<sup>(٣٤)</sup> جمع فتى والفتوة<sup>(٣٥)</sup> بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى<sup>(٣٦)</sup> واجتناب المحارم واستعمال المكارم.<sup>(٣٧)</sup> وقيل: الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه بعد الفعل ﴿أَمَّنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَزَقْنَاهُمْ هُدًى﴾<sup>(٣٨)</sup>، يقينا<sup>(٣٨)</sup>، وكانوا من خواص دقيانوس<sup>(٣٩)</sup> قد قذف الله في قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضاً وقالوا: ليخل<sup>(٤٠)</sup> اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الإيمان ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وقويناها<sup>(٤١)</sup> بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مفتخرين<sup>(٤٢)</sup> ﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(٤٣)</sup> ولئن سميانهم آلهة ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ قولاً ذا شطط

مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين، والأصوب أن نفس التصديق يقبل القوة، وهي التي عبر عنها بالزيادة، للفرق النير بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات و آحاد الأمة، وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه أدلة كثيرة. ١٢ أبو السعود، وقد قال الخليل عليه السلام (بلى ولكن ليطمئن قلبي) جواباً عن ربه (أَوَلَمْ تُؤْمِنُ) فالإيمان يقوى ويشتد، والقلب يسكن ويطمئن بمشاهدة ما آمن به غيباً.

(٣٩) دقيانوس بكسر الدال اسم ملك مشرك.

(٤٠) ليخل من خلا يخلو خلوة و خلوا و خلاء، اجتمع معه على خلوة.

(٤١) الربط هو الشد بالحبل، واستعير للتقوية فيه استعارة تصريحية تبعية، والأظهر أن جملة ربطنا على قلوبهم مجاز مركب وتمثيل. شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط- والمعنى قويناهما بالصبر- ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها كما قال الله تعالى. (بَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ) قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكّن وثبت. الغيران جمع غار كغيران جمع نار، جسرناهم من التفعيل بمعنى شجعناهم وجعلناهم مجترئين.

(٤٢) والافتخار يظهر من إضافة الرب إلى ضمير المتكلم في المبتدأ ثم بإضافته إلى السموات والأرض في الخبر كما في قولك نبينا نبي الأنبياء.

(٤٣) للدعاء معان، منها النداء، والسؤال، والاستغاثة، والعبادة، والتسمية، ويناسب المقام معنيين: العبادة، =

= الاعتقادات، و ضده الباطل، والصدق في الأخبار و ضده الكذب. فكأن الاعتقاد يعتبر أصلاً، والواقع يطابقه إذا كان حقاً وفي الأخبار يعتبر الواقع أصلاً، والخير يطابقه إذا كان صدقاً. وقد يطلق أحدهما موضع الآخر، والأمر هنا من الأخبار فالأصل إطلاق الصدق ولذا فسره بالصدق لكن ورود الحق موضع الصدق لا يخلو عن نكتة، وهي إبانة كمال صدق خبره تعالى كأنه هو الأصل.

(٣٤) استئناف مبني على السؤال من قبل المخاطب كأنه قيل: ما نبؤهم؟ والفتية جمع فتى كصبيّة و صبي، والفتى والصبي أصلهما فتوى و صبوى بوزن فَعُول بفتح الفاء، اجتمعت الواو والياء فقلبت الواو ياءً و أدغمت، و كسرت التاء لموافقة الياء كذا في الإكليل والبيضاوي- و يظهر من النظر في لسان العرب أن جمع الفتى "أفتاء" — و "فتية" جمع "فتى" و هو بمعنى السخي والكريم أيضا كما هو بمعنى الشاب والحديث- المصباحي-

(٣٥) بضم الفاء و التاء وتشديد الواو، والندى: الفضل والجود والخير.

(٣٦) منقول عن الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى.

(٣٧) منقول عن غيره من المشايخ و قال القرطبي هذا حسن جداً، لأنه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة.

(٣٨) يشير إلى أن نفس الإيمان بمعنى التصديق لا يقبل الزيادة والنقصان، فالمراد زيادة ثمرات الهدى أو زيادة اليقين، فإن تظاهر الأدلة، و تعاضد الحجج والبراهين



وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط يشط ويشط إذا بعد. ﴿هُؤُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمَنَا﴾ عطف بيان ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ خبر وهو إخبار في معنى الإنكار<sup>(٤٤)</sup> ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة وهو تبكيت<sup>(٤٥)</sup> لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه. ﴿وَإِذْ اعْتزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ نصب عطف على الضمير أي وإذا اعتزلتموهم وإذا اعتزلتم معبوديهم<sup>(٤٦)</sup> ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ استثناء متصل لأنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكة،<sup>(٤٧)</sup> أو منقطع أي وإذا اعتزلتم الكفار والأصنام التي يعبدونها من دون الله، أو هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله ﴿فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ﴾ صيروا إليه أو اجعلوا الكهف مأواكم<sup>(٤٨)</sup> ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ من رزقه<sup>(٤٩)</sup> ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ (مرفقاً) مدني وشامي<sup>(٥٠)</sup> وهو ما يرتفق به أي ينتفع. وإنما قالوا ذلك ثقة

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

- = والتسمية فالمعنى على الأول لن نعبد من دونه إليها، لا استقلالاً، ولا اشتراكاً ويرد عليه قولهم (لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا) ويتوجه السؤال أنهم كيف عبّروا فعل عبادة الغير بالقول الشطط مع أن الفعل والقول مختلفان، وأجيب عنه كما في روح البيان أن فعل العبادة يتضمن القول والاعتقاد، فمن عبد أحداً اعتقده إليها وقال بإلهيته. والمعنى على الثاني "لن نسمي غيره إلهاً" ولئن سميناهم آلهة لقد قلنا قولاً متجاوزاً عن الحد، وتقدير المصنف ولئن سميناهم آلهة يشعر أنه أخذ المعنى الثاني: وحيث لا حاجة إلى السؤال والجواب، والإنكار عن تسمية غيره إلهاً أبلغ من الإنكار عن عبادة غيره فمن لم يرض لغيره باسم الإله لن يرضى له بفعل العبادة، واتخاذ معبوداً— هذا ما ظهر لي من النظر في تقدير المصنف (ولئن سميناهم آلهة).— وشط من ضرب و نصر و (شططاً) صفة القول المقدر بتقدير ذي، أو وصفاً بالمصدر مبالغة. و (إذاً) يدل على الشرط المقدر، و (لقد) يدل على القسم المقدر فالمعنى والله لو دعونا غيره إلهاً لقد قلنا قولاً مفرطاً في الظلم والبعد عن الحق. (٤٤) بقريئة ما بعده، ولأن فائدة الخبر معلومة.
- (٤٥) التبكيت: التقرع والتعنيف، والغلبة بالحجة وفي "لولا" تحضيض على وجه الإنكار والتعجيز.
- (٤٦) فيه إشارة إلى أن "ما" موصولة، أي والذين يعبدونهم.
- (٤٧) أخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني قال: كان قوم الفتية يعبدون الله و يعبدون معه آلهة شتى، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة و لم تعتزل عبادة الله— الدر المنثور— في هذه الصورة تصوير "ما" نافية و في الصورتين الأوليين تصوير موصولة.
- (٤٨) الأول (أي صيروا إليه بمعنى ارجعوا إليه، والتجئوا) أعم يدل على الأمر بالذهاب إليه سواء جعلوه مأوى مستقلاً أو انصرفوا منه بعد هدوء الحال، والثاني أخص يدل على الأمر بالاستقرار هناك، والاحتجاب الدائم عن المشركين المضطهدين لعدم رجاء هدوء الحال.
- (٤٩) التخصيص به لقريئة السباق وقال البيضاوي: يسط لكم الرزق، و يوسع عليكم من رحمته في الدارين. وقال القرطبي: هذا كله دعاء بحسب الدنيا، و على ثقة كانوا من الله في أمر آخرتهم.
- (٥٠) مرفقاً بفتح الميم و كسر الفاء قرأه نافع المدني، و أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (من العشرة) و ابن عامر الشامي، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء.

بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، أو أخبرهم به نبي في عصرهم ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ <sup>(٥١)</sup> تَزُورُ ﴾ بتخفيف الزاي: كوفي، ( تَزُورُ ) شامي، ( تَزَاوِر ) غيرهم. وأصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل، ومنه زاره إذا مال إليه، والزور الميل عن الصدق <sup>(٥٢)</sup> ﴿ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾ <sup>(٥٣)</sup> أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم ﴿ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين <sup>(٥٤)</sup> ﴿ وَإِذَا عَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ﴾ تقطعهم أي تتركهم وتعديل عنهم ﴿ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي جُبُوتٍ مِّنْهُ ﴾ في متسع من الكهف. والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم. وقيل: منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار <sup>(٥٥)</sup> ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله <sup>(٥٦)</sup> يعني أن ما كان في ذلك سمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة. وقيل: باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبدأ، <sup>(٥٧)</sup> ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ مثل ما مر في «سبحان» <sup>(٥٨)</sup>

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

العرض، منفسح: اسم ظرف من الانفساح بمعنى الاتساع والمراد أن المكان متسع. وفي التفسير الأول واسع منفتح أي المكان مكشوف مع الاتساع محل لتعرض الشمس، روح بفتح الراء: الراحة والفرح. والنسيم الريح اللينة.

(٥٦) بين المشار إليه من "ذلك" - وما صنعه الله مبتدأ، و من ازورار الشمس بيان "ما" قرضها مجرور معطوف على "ازورار" طالعة غاربة منصوبتان حالان من الضمير المضاف إليه في "قرضها" آية من آيات الله خبر ما صنعه - وهذا التفسير اختاره الزجاج واستدل عليه بكونه آية خارقة كما ذكر القرآن.

(٥٧) بنات النعش سبعة كواكب في جهة القطب الشمالي، مقناة و مقنوة، مهموز اللام مكان لا تقع عليه الشمس كما في القاموس وغيره.

(٥٨) بيان القراءة في (المهتد) قال هناك: وبالياء يعقوب وسهل، وافقهما أبو عمرو ومدني في الوصل - أي المهتدي بالياء عند أبي عمرو البصري و نافع المدني من السبعة وأبي جعفر المدني من العشرة وصلًا، و=

(٥١) بيان لحالهم بعد ما أووا إلى الكهف، والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب، وليس المراد به الإخبار بوقوع الروية تحقيقاً بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس. (أبو السعود)

(٥٢) تَزَاوُرُ بتخفيف الزاي أي بفتح الزاي مخففة، والف بعدها، و تخفيف الراء - وأصله تتزاور، حذف إحدى التائين كوفي أي عاصم والحمزة والكسائي، تَزَاوُرُ بإسكان الزاي، و تشديد الراء بلا ألف، من الازورار كتحمر شامي أي ابن عامر الشامي تَزَاوُرُ بفتح الزاي مشددة و بعدها الف غيرهم. - إكليل - أصله تتزاور فأبدلت التاء الثانية زاءً ثم ادغمت. الزور بفتحتين: الميل. والزور بالضم بمعنى الكذب.

(٥٣) الذي أووا إليه، والإضافة لأدنى ملابسة.

(٥٤) في البضاوي: وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين. (٥٥) والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله - نهارهم منصوب، مفعول فيه للعامل "في ظل" - منفتح: اسم ظرف من الانفتاح، معرض: اسم ظرف من

وهو ثناء عليهم<sup>(٥٩)</sup> بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية ﴿وَمَنْ يُضِلُّ فَلَئِنْ تَجِدْكَ وَايًّا مُرِيدًا﴾ أي من أضله فلا هادي له.<sup>(٦٠)</sup> ﴿وَتَحْسِبُهُمْ﴾ بفتح السين: شامي وحمزة وعاصم غير الأعشى،<sup>(٦١)</sup> وهو خطاب لكل أحد ﴿أَيْقَاطًا﴾ جمع يقظ ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾<sup>(٦٢)</sup> نيام. قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً<sup>(٦٣)</sup> ﴿وَتَقَلَّبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾ قيل: لهم تقلبتان في السنة.<sup>(٦٤)</sup> وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء<sup>(٦٥)</sup> ﴿وَكَلَّبَهُمْ بِأَيْسَطِ ذِرَاعِيهِ﴾ حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى الماضي<sup>(٦٦)</sup> ﴿بِالْوَيْسِطِ﴾ بالفناء أو بالعتبة ﴿لَوِاطَعَتَ عَلَيْهِمْ﴾ لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم<sup>(٦٧)</sup> ﴿لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ لأعرضت عنهم وهربت منهم ﴿فِرَارًا﴾ منصوب على

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

حاتم. وظاهر القرآن يدل على أن تقليبهم كان كعادة النائمين في كل يوم وليلة.

(٦٦) يشترط لعمل اسم الفاعل أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال، فإن كان "باسط" بمعنى الماضي يمتنع نصب ذراعيه به، لكنه ناصب هنا فعلم أنه بمعنى الحال، وقد يحكى المتكلم أمراً ماضياً بصيغة الحال إحضاراً للصورة الماضية و تصويراً لأمر عجيب كما تقول: خرجت أمس فأرى رجلين يتقاتلان، أحدهما نازع خنجرًا مسمومًا، والآخر أخذ سيفًا مسلولًا، أمنعهما وأنصحهما لكنهما لا يمتنعان ولا يقبلان نصحي. فكذلك "باسط ذراعيه" هنا لحكاية الحال الماضية إحضاراً لصورتها الغريبة في العقول - وإذا كان بمعنى الحال يعمل قطعاً، وعند الكسائي وهشام، وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقاً.

وقوله بالفناء، أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس، ونسبه ابن كثير إلى مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وقتادة أيضاً، وفي القاموس: الوصيد الفناء والعتبة. قال = السدي: والكهف لا يكون له باب ولا عتبة، وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت، والتفسير بالباب أيضاً مروى عن ابن عباس عند ابن جرير وابن المنذر كما في الدر المنثور.

(٦٧) طلع الجبل واطلعه بمعنى علاه، والطلع والطلع: المكان المشرف الذي يُطلع منه، وفي الحديث: =

= عند يعقوب وسهل بن محمد في الحالين. وعند غيرهم (المهتد) بدون الباء وقفاً وصلًا.

(٥٩) مثل هذا الكلام وإن كان عاماً لكن يكون له تناسب وارتباط بموقع ذكره، فيبين المصنف ارتباطه بأمر أصحاب الكهف. والسنية على وزن فعيلة بمعنى الرفيعة من سني يسنى سناءً بابه سمع. (٦٠) أي من يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه فلا هادي له إشارة إلى عدم وجود ناصر هادي له، وليس المعنى أن الطالب المنتبِع لا يجده مع أنه موجود، بل الحق أن الهادي لمن أضله الله خارج عن الإمكان فضلاً عن الوجود.

(٦١) الأعشى هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال. يروي عن أبي بكر شعبة وهو عن عاصم الكوفي، فهو والباقون بكسر السين، وهذا الخطاب أيضاً كالخطاب في قوله (وَ تَرَى الشَّمْسَ) أي لو رأيتهم تحسبهم أيقاظاً يقظ يقظاً من سمع و يقظ يقاظاً من كرم: ضد نام والصفة يقظ ويقظ بضم القاف وكسرهما ويقظان والجمع أيقاظ كذا في القاموس وغيره.

(٦٢) رقود: جمع راقد، ونيام جمع نائم.

(٦٣) قاله الواحدي، وقال الزجاج: لكثرة تقلبهم.

(٦٤) أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وحكى القرطبي روايته عن أبي هريرة.

(٦٥) حكاه الإمام الرازي وروي عن قتادة أنهم كانوا يُقلبون في كل عام مرة، أخرجه عنه ابن أبي

المصدر لأن معنى (وليت منهم) فررت منهم<sup>(٦٨)</sup> ﴿وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ﴾ وبتشديد اللام: حجازي<sup>(٦٩)</sup> للمبالغة ﴿رُعْبًا﴾ تمييز. وبضم العين: شامي وعلي، وهو الخوف الذي يربع الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم.<sup>(٧٠)</sup> وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال: أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لقد قيل لمن هو خير منك «لوليت منهم فراراً» فدخلت جماعة بأمره فأحرقتهم ريح.<sup>(٧١)</sup>

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ وكما<sup>(٧٢)</sup> أنماهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهاراً للقدرة على الإنامة والبعث جميعاً ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ ليسأل بعضهم بعضاً<sup>(٧٣)</sup> ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله به عليهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ رئيسهم ﴿كَمْ لَيْسْتُمْ﴾<sup>(٧٤)</sup> كم مدة لبثكم؟ ﴿قَالُوا لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب

مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ينظروا إلى أظفارهم و شعورهم قال ابن عطية: والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها، لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يُبَلِّ لهم ثوبٌ ولم تُعَيَّرَ صفة، ولم يُنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم اه. وهذا النقد والفصل صحيح ولو تكلف بعض الناس بأجوبة ضعيفة عنه.

(٧١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في الدر المنثور، وفيه: فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم وذكر في الإكليل أن في نسخة من المدارك فأخرجتهم وفي أخرى فأهلكتهم. ١٢ بيان للمشار إليه من "ذلك".

(٧٣) بيان لمعنى التساؤل الذي هو من التفاعل، واللام للسببية لكن نفس التساؤل لم يكن أصل المقصود بل ما يترتب عليه من الاعتبار، والاستدلال، وزيادة اليقين ثم الشكر على إنعام الرب جل وعلا، وأشار إليه المصنف بزيادة (ويتعرفوا حالهم. الخ) (٧٤) كم منصوبة على الظرفية، والمميز محذوف -تقديره كم يوماً- لدلالة الجواب عليه. (الفتوحات الإلهية)

= ولكل حدّ مُطَّلَعٌ أي مَصْعَدٌ يُصْعَدُ إليه من معرفة علمه، وكذا الشرف بفتح الراء: العلو والمكان العالي والمجد، وأشرف الجبل: علاه وأشرف عليه: أطلع من فوق، وذلك الموضع مُشْرِفٌ (كل ذلك من القاموس) فالمعنى لو صعدت إلى جبلهم وعاينتهم من فوقهم وقال المصنف في تفسير قوله تعالى (اطلّع الغيب - ٧٨، مريم) من قولهم: اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه.

(٦٨) قاله الزجاج كما في المفاتيح. (٦٩) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، يعني قرأ نافع و ابن كثير (وَلَمَلَيْتَ) و قرأ أبو جعفر المدني من العشرة (وَلَمَلَيْتَ) بتشديد اللام و إبدال الهمزة ياء- و قرأ السوسي (أبو شعيب صالح بن زياد، راوي أبي عمرو البصري بواسطة اليزيدي) (وَلَمَلَيْتَ) بتخفيف اللام و إبدال الهمزة ياء، وَقَفًا و وصلًا، و حمزة وَقَفًا فقط. و قرأ الباقون (وَلَمَلَيْتَ) بتخفيف اللام والهمزة. (من الإكليل وغيره.)

(٧٠) نسب القول الثاني القرطبي إلى المهدي، والنحاس والزجاج والقشيري ثم قال: وهذا بعيد لأنهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض: لبثنا يوماً أو بعض يوم. ودل هذا على أن شعورهم و أظفارهم كانت بحالها، إلا أن يقال: إنما قالوا ذلك قبل أن



﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ بِكُمْ بِمَدَّةٍ لِبَشَرِكُمْ أَنْكَارَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْضِهِمْ كَانَهُمْ قَدْ عَلِمُوا بِالْأَدْلَةِ أَوْ بِالْإِهَامِ أَنْ الْمَدَّةَ مِثْلَ مَطْوَالَةٍ وَأَنَّ مَقْدَارَهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. وَرُوي أَنَّهُمْ دَخَلُوا الْكَهْفَ غَدْوَةً وَكَانَ انْتِبَاهُهُمْ بَعْدَ الزَّوَالِ فَظَنُوا أَنَّهُمْ فِي يَوْمِهِمْ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى طُولِ أَظْفَارِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ قَالُوا ذَلِكَ <sup>(٧٥)</sup>: وَقَدْ اسْتَدَلَّ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى أَنَّ الصَّحِيحَ: أَنَّ عَدَدَهُمْ سَبْعَةٌ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ فِي الْآيَةِ: (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ) وَهَذَا وَاحِدٌ، وَقَالُوا فِي جَوَابِهِ (لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) وَهُوَ جَمْعٌ وَأَقْلَهُ ثَلَاثَةٌ، ثُمَّ قَالَ: (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) وَهَذَا قَوْلُ جَمْعٍ آخَرِينَ فَصَارُوا سَبْعَةً ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ كَأَنَّهُمْ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِذَلِكَ لَا طَرِيقَ لَكُمْ إِلَى عِلْمِهِ فَخَذُوا فِي شَيْءٍ آخَرَ مِمَّا يَهْمِكُمْ فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ أَي يَمْلِيخًا ﴿بِوَرَقِكُمْ﴾ هِيَ الْفِضَّةُ مَضْرُوبَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَضْرُوبَةٍ، وَبِسُكُونِ الرَّاءِ: أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةٌ وَأَبُو بَكْرٍ ﴿هُدًى إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ هِيَ طَرَسُوسٌ <sup>(٧٦)</sup> وَحَمَلَهُمُ الْوَرَقَ عِنْدَ فِرَارِهِمْ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ حَمَلَ النِّفْقَةِ وَمَا يَصْلِحُ لِلْمَسَافِرِ هُوَ رَأْيُ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ دُونَ الْمُتَكَلِّينَ عَلَى الْإِتْفَاقَاتِ وَعَلَى مَا فِي أَوْعِيَةِ الْقَوْمِ مِنَ النِّفَقَاتِ. <sup>(٧٧)</sup>

وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول: ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ أَي أَهْلَهَا فَحَذَفَ كَمَا فِي (وَاسْئَلِ الْقُرْيَةَ) [يوسف: ٨٢] و«أَي» مَبْتَدَأُ وَخَبْرُهُ ﴿أَزَلَى﴾ أَحَلَّ وَأَطِيبَ أَوْ أَكْثَرَ وَأَرْخَصَ <sup>(٧٨)</sup> ﴿طَعَامًا﴾ تَمْيِيزٌ ﴿فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وَلِيَتَكَلَّفَ اللَّطْفَ فِيمَا يَبَاسِرُهُ مِنْ أَمْرِ الْمَبَايَعَةِ حَتَّى لَا يَغْبِنَ أَوْ فِي أَمْرِ التَّخْفِي حَتَّى لَا يَعْرِفَ ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ وَلَا يَفْعَلَنَّ مَا يُوْدِي إِلَى

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ليس ذلك طريق الذين يتكلمون على الاتفاقات و على النفقات التي هي في أوعية الناس، الحنين بمعنى الاشتياق من ضرب، والهميان بكسر الهاء كيس الدراهم يُشَدُّ في الوسط. جَمَعَ فِي قَوْلِهِ شَدَّ الهميان أي أخذ الدراهم والنفقة مع التوكل على الرحمن. فَعَلِمَ أَنَّ حَمَلَ الدَّرَاهِمِ وَالنِّفْقَةَ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ بَلْ يَجْتَمِعُ بِهِ.

(٧٨) زكا بمعنى طاب و طهر، و بمعنى نما و كثر و منه زكا الزرع قال الشاعر: قباثلنا سبع و انتم ثلاثة، و السبع أزكى من ثلاث و أطيب، و الأول أي الأحل الأطيب هو اللائق بحالهم، و أخرج سعيد بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله (أزكى طعامًا) قال : أحل ذبيحة، و كانوا يذبحون للطواغيت. و أخرج ابن أبي شيبة و ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر، لأنهم كانوا يذبحون الخنازير.

قوله: بمدّة لبشركم - أشار به إلى أن "ما" مصدرية، و المدّة مقدّرة قبلها.

(٧٥) تقدم الكلام عليه، و أنهم بعثوا على الحالة التي ناموا عليها.

(٧٦) طَرَسُوسُ بفتح الطاء و الراء كَحَلَزُونِ بِلِدِ إِسْلَامِي مَخْصَبٌ وَ اسْمُهُ أَفْسُوسٌ مِنْ قَبْلِ بَضْمِ الْهَمْزَةِ وَ سُكُونِ الْفَاءِ. قَامُوسٌ وَ إِكْلِيلٌ.

(٧٧) حاصله أن حمل الزاد و النفقة لا ينافي التوكل. و الاعتماد على أن يوجد الطعام و الشراب و المال اتفاقًا، أو ربط الطمع بأن يجد حاجته من المسافرين و غيرهم ليس من داب المتوكلين، حمل النفقة اسم أن، و ما يصلح معطوف على النفقة، و التوكل و الانتكال من التفعّل و الافتعال بمعنى الثقة و الاعتماد - على ما في أوعية عطف على (على الاتفاقات) و من النفقات بيان ما، و أوعية جمع و عاء ما يُوعى فيه الشيء أي يجمع و يحفظ أي

الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه.<sup>(٧٩)</sup> والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ راجع إلى الأهل المقدر في (أيها) ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يطلعوا عليكم ﴿يَرْجِعُوكُمْ﴾ يقتلوكم أخبث القتلة<sup>(٨٠)</sup> ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ بالإكراه، والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم<sup>(٨١)</sup> ﴿وَكُنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾ (إذا) يدل على الشرط أي ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم أبداً. وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنماهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم<sup>(٨٢)</sup> ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي الذين أطلعناهم على حالهم ﴿أَنْ وَعَدَ اللَّهُ﴾ وهو البعث ﴿حَقٌّ﴾ كائن لأن حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ﴾ متعلق بـ (أعثرنا) أي أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت ﴿فَقَالُوا﴾<sup>(٨٣)</sup> حين توفي الله أصحاب الكهف ﴿أَبْنَاءُ عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربثهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة<sup>(٨٤)</sup> ﴿رَبِّهِمْ أَعْلَمُ يَوْمَ﴾ من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: (ربهم أعلم بهم) أو من كلام الله عز وجل رداً لقول الخائضين في حديثهم<sup>(٨٥)</sup>

## مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

- (٧٩) دفع لما يتوهم أن الذهاب إلى المدينة منهم، وهو أيضاً يخاف على نفسه بصورة الوقوف عليه وعليهم فلا يتصور منه الإخبار بهم فكيف نهوه مؤكداً عن الإخبار فأجاب أن الإسناد إليه بطريق التسبب.
- (٨٠) والرجم أي الإهلاك بالحجارة أخبث أنواع القتل، والقتلة بزنة فعلة بكسر الفاء للنوع.
- (٨١) عاد أو أعاده في دينه يصح إذا كان فيه من قبل، فخرج عنه ثم رجع إليه، لكن أصحاب الكهف لم يكونوا من قبل على مذهب الشرك فكيف قالوا أو يعيدوكم؟ أجاب المصنف عنه أن العود له معنى آخر وهو الصيرورة، فالمعنى يصيروكم و يدخلوكم في ملتهم.
- (٨٢) بيان للمشار إليه من (ذلك)، والمراد أنهم تكلفوا الإخفاء، لكن الله أراد الإظهار ليستدلوا بحالهم
- على صحة البعث.
- (٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون نبني عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا. ١٢. الجمل على الجلالين.
- (٨٤) تطرق إليه: سار إليه، واتخذ إليه طريقاً، أصل الضن البخل من ضرب و سمع بفتح الضاد في المصدر و كسرهاء، و بمعنى الاختصاص والاحتفاظ مجازاً لأن الباخل بشيء يمسه و يحتفظ به، وقول المصنف ومحافظة عليها عطف تفسير، الحظيرة أصلها من المنع وهو ما يحاط به الشيء و يُمنع، كالحجرة الممنوعة بالحيطان.
- (٨٥) التناقل من التفاعل أي نقلوا الكلام فيما بينهم، و خاض الماء: دخله وخاض في الحديث: أفاض فيه أي ناقش و وقع فيه.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ﴾ على باب الكهف<sup>(٨٦)</sup> ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم. رُوي<sup>(٨٧)</sup> أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك<sup>(٨٨)</sup> وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطرده. فأنطقه الله تعالى فقال: ما تريدون مني إني أحب أعباء الله فناموا وأنا أحرسكم. وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم، وقبل أن يبعثهم الله ملكَ مدينتهم رجل صالح مؤمن، وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق، فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذ حظيرة لغنمه. ولما دخل المدينة من بعثه لابتياح الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس انهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث. ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرأهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً. ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعًا كَذِبًا﴾ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسًا كَذِبًا رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَأْمِنُهُمْ كَذِبًا﴾ الضمير في ((سيقولون)) لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين، وأهل الكتاب

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

(٨٦) لاعلى أنفسهم، فإن بناء المسجد على قبور الصالحين والصلاة عليها أو إليها منهي عنه في صريح الأحاديث، أما بناء المساجد بقربهم والاستبراك بمواضعهم فلا مانع منه بل هو مما استحسسه أهل الإسلام قديماً وحديثاً، وقد ذكره القرآن وقره ولم ينكر عليه وما ذكره القرآن من طريق الأمم السابقة الصالحة ولم ينكر عليه ولم يرد خلافه في شرعنا فهو دليل جوازه. والوهابية غالون في الدين، فيستدلون على حرمة المساجد بقرب الصالحين بالأحاديث التي وردت في النهي عن اتخاذ القبور مساجد وعن الصلاة والجلوس عليها. ولا يكادون يفقهون فرقاً في المسجد بقرب الصلحاء، وفي المسجد على قبور الصلحاء. والله الهادي.

(٨٧) القصة مأخوذة من عدة روايات، ذكر بعضها محمد بن اسحاق صاحب المغازي، و أخرج بعضها عبد الرزاق و ابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله تعالى عنه، و أخرج بعضها ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله تعالى عنه كما في الدر المنثور وغيره.

(٨٨) أرادته عليه: حملة عليه و فتية مفعول أراد. توعد: هدد و خوف. فناموا صيغة الجمع المخاطب، فعل أمر. المسح بكسر الميم والجمع أمساح و مسح، ما يُلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد، والبلاس يُقعد عليه الرماد بفتح الراء، معروف، رُعيان بضم الراء جمع الراعي.

سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخبرهم فأنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم، وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم. ويروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد: وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقال العاقب: وكان نسطوريا<sup>(٨٩)</sup> كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. فحقق الله قول المسلمين. وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل. وعن علي رضي الله عنه: هم سبعة نفر أسماءهم: يملبخا ومكشلينا ومثليينا. هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير. وسين الاستقبال<sup>(٩٠)</sup> وإن دخل في الأول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك: «قد أكرم وأنعم» تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً، أو أريد بـ «يفعل» معنى الاستقبال الذي هو صالح له «ثلاثة» خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة، وكذلك «خمسة» و «سبعة» و «رابعهم كلبهم» جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لـ «ثلاثة» وكذلك «سادسهم كلبهم» و «ثامنهم كلبهم» «رجماً بالغيب» رمية بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله: (ويقذفون بالغيب) [سبأ: ٥٣] أي

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة و ثلاثة موصوف والجملة رابعهم كلبهم صفة وإعراب خمسة سادسهم كلبهم كذلك. وقوله رجماً بالغيب يتعلق بالقولين الأولين (٣) والثالثة تفارق الأولين بدخول الواو بين سبعة و صفتها (ثامنهم كلبهم) فبين أن هذه الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، و لتحقيق هذا القول، والدليل الآخر على صحته انفصاله عن (رجماً بالغيب) (٤) و حقق معنى الرجم بالغيب بأن الرجم بمعنى الرمي والقذف، والغيب مصدر بمعنى الغائب والأمر الخفي والرمي بالأمر الخفي هو الإتيان به والقول بدون تثبيت، أو هو بمعنى الظن بالغيب و أصل الرجم رمي الحجارة استعير لرمي القول بدون تأكيد بجامع الوقوع في موضع صائب أو خاطئ، ثم ذكر قولاً آخر أن هذه الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب، والضماير في الأفعال الثلاثة لهم. وهذا منقول عن عطاء كما في أبي السعود.

(٨٩) ذكر المصنف في سورة مريم تحت تفسير قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع، ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم. وهم يعقوب، و نسطور، و ملكان. فقال يعقوب: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، وقال نسطور: كان ابن الله، أظهره ماشاء، ثم رفعه إليه، وقال الثالث: كذبوا، كان عبداً مخلوقاً نبياً. فتبع كل واحد منهم قوم أه. وفي القاموس: نُسْطُورِيَةٌ بالضم و تفتح.

(٩٠) ذكر المصنف هنا سبب نزول الآية، و ما جرى بعد ذلك بين المؤمنين و أهل الكتاب، ثم فصل ما يتعلق بالجملة الثلاثة (١) سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (٢) ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب (٣) ويقولون سبعة و ثامنهم كلبهم — فذكر (١) أن سين الاستقبال وإن كانت داخلة في الأول لكن الآخرين أيضاً تحتها (٢) و ثلاثة خبر



يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل: «ظنا» بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين. والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة النكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في قولك «جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف» وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف. والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: (سبعة وثامنهم كلبهم) قالوه عن ثبات علم و لم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله: (رجماً بالغيب) و أتبع القول الثالث قوله: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله: (سبعة وثامنهم كلبهم) ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من ذلك القليل.<sup>(٩١)</sup>

وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في «سيقولون» على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين ﴿فَلَا تَبَارَ فِيهِمْ﴾ فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيف ما عنده<sup>(٩٢)</sup> ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءُ﴾ لأجل شيء تعزم عليه<sup>(٩٣)</sup> ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾ الشيء ﴿عَدَاةً﴾ أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(٩٤)</sup> أن تقوله بأن يأذن ذلك

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مشقته و أصله: تكلف دخول المشقة و تعنت الرجل و عليه في السؤال: سأله على جهة التلبس عليه، جاءه متعنتاً أي طالباً زلته، درهم زيف و زيف ما فيه غش، و زيفه جعله مغشوشاً أو أظهر غشه و رداءه و منه استعير للكلام، زيف كلامه: أظهر فساده. من القاموس وغيره.

(٩٣) أظهر به أن اللام للتعليل لا للتبليغ.  
(٩٤) (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ذكر فيه وجهين: الأول أن المعنى لا تقولن ذلك في وقت من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه، فالمستثنى مفرغ و لفظ الوقت مقدر قبل أن، =

(٩١) أخرجه عنه الطبراني في الأوسط بسند صحيح و عبد الرزاق، و الفريابي، و ابن سعد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم من طرق قال: أنا من القليل كانوا سبعة، و في الطبراني ذكر أسمائهم أيضاً. و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أنا من القليل، كانوا سبعة. الدر المنثور.

(٩٢) العنت بفتح الحين: الفساد، والإثم، والهلاك، و دخول المشقة على الإنسان عنت عنتاً من سمع: وقع في أمر شاق، و منه قوله تعالى: ودوا ما عنتهم - و عزيز عليه ما عنتهم، عنته شدد عليه و ألزمه ما يصعب أداءه و تحمله، و تعنته: أدخل عليه الأذى، و طلب زلته و



وحُكي أنه بلغ المنصور أن أباحنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة: هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالإيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا<sup>(٩٧)</sup> فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده. أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في البعث على الاهتمام بها، أو صل صلاة نسيتها إذا ذكرت، أو إذا نسيت شيئاً فاذكره ليذكرك المنسي ﴿وَقُلْ عَلَيَّ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا﴾ يعني إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، واذكر ربك عند نسيانه أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة. «أن يهديني»، «إن ترني»، «أن يؤتيني»، «أن تعلمني». مكى في الحالين، ووافقه أبو عمرو ومدني في الوصل.<sup>(٩٨)</sup>

﴿وَكَيْفَؤُا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على أذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله: (فضربنا على أذانهم في الكهف سنين عدداً) وسنين عطف بيان لثلاثمائة. ثلاثمائة سنين بالإضافة: حمزة وعلي، على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله: (بالأخسرين أعمالاً)<sup>(٩٩)</sup> [الكهف: ١٠٣] ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي تسع سنين للدلالة ما قبله عليه (تسعاً) مفعول به لأن «زاد» تقتضي مفعولين ف«ازداد» يقتضي مفعولاً واحداً<sup>(١٠٠)</sup> ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَيْفُؤُا﴾ أي هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الآية ٢٤ - والثاني في الآية ٣٩ - والثالث في الآية ٤٠ - والرابع في الآية ٦٦ - لكن إثبات الياء وصلاً في (إن ترني) ليس قراءة نافع مطلقاً بل قراءة أحد راوييه وهو قالون كما في غيث النفع وغيره من كتب القراءة وقراءة ورش عن نافع في هذا موافق للباقيين، وهو حذف الياء وصلاً ووقفاً.

(٩٩) الأصل في تمييز المائة أن يكون واحداً، وقراءة الباقيين بتنوين مائة.

(١٠٠) وهذه السنون الثلاث مائة عند أهل الكتاب شمسية، وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين. ١٢ جلالين - لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وتُثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية. ١٢ صاوي - أنكر عليه الإمام الرازي بعدم توافق الحساب، ووجب أن زيادة التسع على وجه التقريب، فإن الزائد تحقيقاً تسع سنين وثلاث وسبعون يوماً، و تسع ساعات وثمان وأربعون دقيقة، وهذا الزائد على التسع لم يبلغ نصف سنة، بل ولا فصلاً من =

= ذلك لم يتقرر إقرار، ولا طلاق، ولا عتاق، ولم يعلم صدق، ولا كذب. اه

قال الشيخ أحمد الصاوي المالكي هنا: ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالّ مضلّ، وربما أده ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. اه (٩٧) مثلاً يقولوا: والله أنت إمامنا وطاعتك واجبة علينا ثم يقولوا بعد الخروج عن المجلس إن شاء الله أو يحملهم الأمير أن يقولوا إن خرجنا عليك وأيينا طاعتك فعبيدنا أحرار، ونساؤنا طوالق، فقالوا ذلك وزادوا بعد الذهاب عن المجلس "إن شاء الله".

(٩٨) أن يهديني، إن ترني، أن يؤتيني، أن تعلمني بإثبات الياء وقفاً ووصلاً في قراءة ابن كثير المكى ويعقوب الحضرمي من العشرة، وإثبات الياء وصلاً فقط في قراءة أبي عمرو البصري، و نافع المدني، وأبي جعفر المدني من العشرة، الأول في هذه

لبشهم والحق ما أخبرك به، أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب و(قل الله أعلم) رد عليهم،<sup>(١٠١)</sup> والجمهور على أن هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم كذا مدة<sup>(١٠٢)</sup> ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السماوات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها<sup>(١٠٣)</sup> ﴿أَبْصَرِيهِ وَأَسْمِعْهُ﴾ أي وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمعهم لكل مسموع<sup>(١٠٤)</sup> ﴿مَا لَهُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض<sup>(١٠٥)</sup> ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَرِيٍّ﴾ من متول لأمرهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ في قضائه ﴿أَحَدًا﴾ منهم، ولا تشرك على النهي. شامي.

كانوا يقولون له أتت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له<sup>(١٠٦)</sup> ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ أي من القرآن ولا تسمع لما يهزون<sup>(١٠٧)</sup> به من طلب التبديل فإنه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي لا يقدر أحد على تبديلها أو تغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده ﴿وَكُنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

- = فصولها فلم يعبأ به - والسنة الشمسية ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وخمس ساعات وتسع وأربعون دقيقة على مقتضى الرصد الايل خاني، والسنة القمرية ثلاث مائة وأربعة وخمسون يوماً وثمان ساعات وثمان وأربعون دقيقة، والتفاوت بينهما عشرة أيام وإحدى وعشرون ساعة ودقيقة واحدة. وعلى هذا كل ثلاث وثلاثين سنة إلا أربعة أيام تزيد سنة قمرية. (محمد أحمد المصباحي)
- (١٠١) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة. الدر المنثور.
- (١٠٢) قال الطبري: إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الإعتار عليهم إلى مدة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بعضهم: إنهم لبثوا ثلث مائة سنين وتسع سنين، فأخبر الله تعالى نبيه أن هذه المدة في كونهم نياماً، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر، فأمر الله تعالى أن يرذ علم ذلك إليه. قال ابن عطية: فقله على هذا (لبثوا) الأول في نوم الكهف و(لبثوا) الثاني يريد بعد الإعتار إلى مدة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. قرطبي.
- (١٠٣) الاختصاص مستفاد من تقديم (له) و من اللام، و أشار بقوله ما غاب الخ أن المصدر بمعنى اسم الفاعل، وهو عام لكل ما خفي من الأعيان وأحوالها.
- (١٠٤) وهما (أي صيغتا التعجب له تعالى) على جهة المجاز، لأن التعجب استعظام أمر خفي سببه، والله لا يخفى عليه شيء، والمراد الإخبار بأنه تعالى
- لا يغيب عن بصره و سمعه شيء، فالكلام من قبل استعمال الإنشاء في الخبر اه. جلالين والجمل. وذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين - إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف، وصغير وكبير، وخفي وجلي اه. بياضوي.
- (١٠٥) المدلول عليهم بذكرهما.
- (١٠٦) وجه المناسبة أن اليهود دلت المشركين على الأسئلة الثلاثة، وقالت إن أجاب صاحبكم عنها فهو نبي، ومنها خبر أصحاب الكهف، فلما كان الإخبار بالغيب دليل النبوة، وقد أخبر عنه ثبت أنه نبي صادق، والإيمان به واجب، مع ذلك إن لم يؤمنوا و سألوا تعنتاً أن يأتيهم بقرآن غير هذا، أو اقترحوا تكبراً أن يطرد أصحابه الفقراء فليس على الرسول إلا البلاغ، والمداومة على تلاوة ما أوحى إليه من الكتاب، والصبر على مجالسة من آمن به، و ترك الالتفات إلى من تعاضم واستكبر. وأصر على الكفر متبعاً هواه فقال تعالى واتل ما أوحى - الخ.
- (١٠٧) يهزون من سمع بمعنى يسخرون.
- قوله: على تبديلها أو تغييرها: التبديل هو الإتيان بالبدل و نسخ الأول، والتغيير هو التصرف في الكلام بحيث يتغير معناه كزيادة "إن دخلت الحصن" بعد قوله: "أنت حر" فيصرف الكلام من التنجيز إلى التعليق و يتغير مدلوله.



ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نحّ هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل<sup>(١٠٨)</sup>: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ واحبسها معهم وثبتها ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ دائبين على الدعاء في كل وقت، أو بالغداة لطلب التوفيق والتمسير، والعشي لطلب عفو التقصير، أوهما صلاة الفجر والعصر. «بالغداة» شامي ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ رضا الله ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنُكَ عَنْهُمْ﴾ ولا تتجاوز، عداه إذا جاوزه وعدى بـ «عن» لتضمن «عدا» معنى «نبا» في قولك «نبت عنه عينه»، وفائدة التضمن<sup>(١٠٩)</sup> إعطاء مجموع معينين وذلك أقوى من

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

وهو ساه غافل عما يقال له فأنزل الله (وَلَا تُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ-الآية-) فرجع إلى أصحابه وخلي عن أمية، فوجد سلمان يذكرهم فقال: الحمد لله الذي لم أفارق الدنيا حتى أراني أقواماً من أمتي أمرني أن أصبر نفسي معهم. ١٢ الدر المنثور، ولباب النقل في أسباب النزول للسيوطي.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نزلت (وَلَا تُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) في عيينة بن حصن. قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقد آذاني ربح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلساً معك لا يجامعنا فيه، واجعل لهم مجلساً لا نجتمعهم فيه، فنزلت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في يوم حارّ وعنده سلمان عليه حبة من صوف، فثار منه ربح العرق في الصوف، فقال عيينة: يا محمد إذا أتيناك فأخرج هذا وضربائه من عندك، لا يؤذونا، فإذا خرجنا فانت وهم أعلم. فأنزل الله (وَلَا تُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ) الآية- الدر المنثور.

(١٠٩) التضمن المصطلح: أن يُقصد بلفظ معناه الحقيقي ويُلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه، و يدلّ عليه بذكر صلته نحو "أحمد إليك فلاناً" أي أنهى حمده إليك، فالفعلان مقصودان معاً، قصداً و تبعاً، فتارة يجعل المذكور أصلاً في الكلام، والمحذوف قيماً فيه على أنه حال، كقوله تعالى: وَ لَتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ - أي حامدين - وتارة بعكس ذلك، فيجعل المحذوف أصلاً، والمذكور =

(١٠٨) أخرج ابن جرير عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، و ذووهم فقالوا: يا نبي الله إنك لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء و أرواح جبابهم - يعنون سلمان، و أباذر، وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصفوف، ولم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك و حادثناك، و أخذنا عنك فأنزل الله: (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلمته ولن تجد من دونه ملتحداً - حتى بلغ: إنا أغفنا للظالمين نارا) يتهددهم بالنار.

فقام نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا و معكم الممات، و أخرج ابن مردويه، و أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان عنه إلى قوله يتهددهم بالنار، و أخرج أبو الشيخ عنه آخر الحديث كما في الدر المنثور.

وأخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (وَلَا تُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) قال: نزلت في أمية بن خلف، و ذلك أنه دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمر كرهه الله من طرد الفقراء عنه، و تقريب صناديد أهل مكة فأنزل الله (وَلَا تُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) و أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: حدثنا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تصدى لأمية بن خلف

إعطاء معنى فذَّ<sup>(١١٠)</sup> ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في موضع الحال ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد<sup>(١١١)</sup> ﴿وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾ مجاوزاً عن الحق<sup>(١١٢)</sup> ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي الإسلام أو القرآن، و «الحق» خبر مبتدأ محذوف أي هو ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ أي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك. وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين.<sup>(١١٣)</sup> ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ للكافرين فقيد بالسباق<sup>(١١٤)</sup> كما تركت حقيقة الأمر والتخيير بالسياق وهو قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾، ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهَمُّ سَرَادِقِهَا﴾ شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط،<sup>(١١٥)</sup> أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، أو هو حائط من نار يطيف بهم<sup>(١١٦)</sup> ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا﴾ من العطش ﴿يَغَاثُوا بِبَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ هو دردى الزيت

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أحدهما بل خلقه قادراً على أن يختار بإرادته أحدهما، والجزء على هذه الإرادة والاختيار. (١١٤) في الإكليل: الحُجْرَة بالزاي، أي ما يحجز ويمنع من الوصول إليه من خندق ونحوه. أو بالمهملة، أي الحظيرة التي تجعل حوله، الفسطاط: الخيمة. يُطِيفُ بهم: طاف بالشيء يطوف طَوْفًا وطَوْفًا استدار به، والمطاف موضع الطواف، وطاف يطيف من باب باع [راجع المصباح المنير لليومي مادة طَوْف و طَيْف] وأطافه بالألف واستطاف به كذلك، وأطاف بالشيء: أحاط به. دردي الزيت، هو ما يبقى في أسفله. اه. (١١٥) قال ابن جرير: وذلك فيما قيل حائط من نار، يطيف بهم كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط وأخرج في تفسيره عن ابن عباس قال حائط من نار، وعن معمر عن ابن جرير قال دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي قال الله (ظل ذي ثلاث شعب) وأخرج أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في صفة النار، وابن جرير وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: سرادق النار أربعة جدر، كُثِفَ كل جدار منها أربعين سنة. اه. =

= مفعولاً كما مر في "أحمد إليك فلاناً" أو حالاً كما في "يَوْمُنُونَ بِالْغَيْبِ" أي يعترفون مؤمنين به. (١١٠) فذ بمعنى فرد و واحد، جمعه أذاد و فذوذ. (١١١) لأنه أسند خلق الغفلة في القلب إلى ذاته، والغفلة من فعل العبد. (١١٢) الفرط بضمين: الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحد. قاموس، وفي المفردات للراغب فرس فرط: يسبق الخيل اه. فأخذ منه معنى التقدم والمجازة عن الحد كما في المفاتيح. (١١٣) النجدين أي الطريقين، وفي الأصل: ما أشرف من الأرض. (١١٤) فسر الظلمين بالكافرين مع أن الظلم أعم من الكفر، فبين سبب التخصيص وهو أن التقييد به بقرينة ما سبق أي فمن شاء فليكفر، وقوله فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر يدل أن الإنسان مخير بينهما، لا بأس عليه باختيار أحدهما لكن السياق أي ما يأتي بعده وهو قوله ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ يدل أن التخيير ليس بمراد، وكما إذا قيل للحربي "انزل" كان أماناً له لكن إذا قيل له "انزل إن كنت رجلاً" لم يثبت الأمان، فالسياق هنا دليل على ترك حقيقة التخيير، والإنسان يلزم عليه الإيمان، نعم لم يخلقه الله مجبوراً على

أو ما أذيب من جواهر الأرض<sup>(١١٦)</sup> وفيه تهكم بهم<sup>(١١٧)</sup> ﴿يَشْوَى الْوُجُوهُ﴾ إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته ﴿يُسُّ الشَّرَابُ﴾ ذلك ﴿وَسَاءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَقًا﴾ متكأ من الرفق وهذه لمشكلة قوله: (وحسنت مرتفقا) وإلا فلا ارتفاع لأهل النار.<sup>(١١٨)</sup> وبين جزاء من اختار الإيمان فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ كلام مستأنف بيان للأجر المبهم، ولك أن تجعل «إنا لا نضيع» و «أولئك» خبرين معاً. والمراد من «أحسن منهم عملاً» كقولك: «السمن منوان بدرهم»، أو لأن (من أحسن عملاً) و (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ينتظمهما معنى واحد فأقام من «أحسن» مقام الضمير<sup>(١١٩)</sup>

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

فتقديم المهل للظلمة المستغيثين جعل كتقديم الماء العذب البارد للأبرار المشتاقين تهكماً وإذلاً. (١١٨) (يُسُّ الشَّرَابُ) ذلك أي الماء كالمهل، ذلك بيان للمخصوص بالذم، و (سَاءَتْ) النار - بيان لمرجع الضمير (مرتفقا) تمييز منقول من الفاعل أي قبح مرتفقا، و نصب (مرتفقا) على التمييز، مبالغة وتأكيداً، لأن ذكر الشيء مبهماً ثم مفسراً أوقع في النفس من أن يفسر أولاً، وأصل الارتفاع نصب المرفق تحت الخد، ثم أطلق للاتكاء على المرفق والمخدة، ثم لمطلق الاتكاء والاستراحة، والرفق بالكسر ما استعين به، واللطف والفعل من (ن، س، ك) بمعنى عامله بلطف. والمشكلة في اصطلاح البديع: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً. ورد هنا فيما يأتي و صف الجنة بقوله (حَسُنَتْ مُرْتَقًا) فورد لمقابلته في صفة النار أيضاً (سَاءَتْ مُرْتَقًا) والمراد بسئت هي مرجعاً ومصيراً. أو إطلاق الارتفاع لها على طريق التهكم كما سبق في إطلاق الإغائة بماء كالمهل.

(١١٩) هنا ثلاثة أوجه من الإعراب الأول: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» مبتدأ، «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» خبر والجملة الواقعة خبراً لا بدلها من عائد إلى المبتدأ، فالعائد مقدر، والتقدير من أحسن منهم عملاً، و عملاً تمييز للنسبة المقدره. أو كان أصل الكلام «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ» فوضع «مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» موضع الضمير واستغنى =

= الدر المنشور و جامع البيان للطبري - والكثف جمع كثيف وهو التخين الغليظ اه. مجمع البحار، والمراد ثخن كل منها مسيرة أربعين سنة. (١١٦) أخرج ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما هو بمعنى التفسير الأول و صرح به أبو عبيدة و أخرج ابن جرير عن مجاهد بمعنى القيح والدم، و عن سعيد بن جبيرة الذي قد انتهى حره و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو ماء غليظ مثل دردي الزيت و أخرج أحمد، و عبد بن حميد، والترمذي، و أبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، و ابن حبان و الحاكم و صححه وابن مردويه، والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه - اه - العكر بفتحين: ما غلظ من درنه والفروة بفتح فسكون: جلدة الرأس بشعرها. ثم قال ابن جرير: وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها فمقاربات المعنى. وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره، و أن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت فقد انتهى أيضاً حره.

(١١٧) فإن الإغائة هي النصره و دفع الضرر، والمهل لا يدفع ضرر العطش بل يزيده فهو على طريقة قوله: - و خيل قد دلفت لهم بخيل ❖ تحية بينهم ضرب و جيع جعل الشاعر الضرب الوجيع الذي يجري بين المتحارين كالتحية التي تجري بين المتحابين،

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ «من» للإبتداء، وتنكير أساور وهي جمع أسورة التي هي جمع سوار لإبهام أمرها في الحسن ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ «من» للتبيين ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾ ما رَقَّ من الديباج ﴿وَاسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه أي يجمعون بين النوعين ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ خص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرّتهم ﴿يَعْمَلُونَ فِيهَا النَّوَافِلَ﴾ «وَحَسَنَاتٍ﴾ الجنة والأرائك ﴿مُرْتَفِقًا﴾ متكأ.

﴿وَأَصْرِبُ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾<sup>(١٢٠)</sup> ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل،<sup>(١٢١)</sup> أحدهما كافر اسمه قطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا. وقيل: هما المذكوران في «الصفات» في قوله: (قال قائل منهم إني كان لي قرين) [الصفات: ٥١] ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلها شطرين، فاشتري الكافر أرضاً بألف دينار فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار وأنا اشتري منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به، ثم بنى أخوه داراً بألف فقال: اللهم إني اشتري منك داراً في الجنة بألف فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال: اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحرور، ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف دينار فقال: اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به، ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصديق بماله ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ بستانين من كروم<sup>(١٢٢)</sup> ﴿وَوَحَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين<sup>(١٢٣)</sup>

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

= به عن الرابط لأن من أحسن عملاً بمعنى الذي آمن و عمل صالحاً، فهو في حكم التكرير كما في قوله «الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ» موضع «ما هي» و «أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ» جملة مستأنفة لبيان الأجر المبهم كأن سائلاً سأل ما هو أجرهم فجاء البيان بذكر خمسة أنواع من الثواب، الأول: جنات عدن. الثاني: جري الأنهار تحت مساكنهم. الثالث: تحلية الأساور، الرابع: لباس التحلي وهو الرقيق من الديباج و لباس التستر وهو الغليظ منه. الخامس: الاتكاء على الأرائك. الوجه الثاني «إِنَّا لَا نَضِيعُ» و«أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ» خبران معاً، والوجه الثالث: الخبر «أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ» وما بينهما اعتراض. والأرائك جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة - بفتحيتين - وهي بيت يزين بالثياب و

الستور للعروس.  
(١٢٠) قال القرطبي: هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا، و يستنكف عن مجالسة المؤمنين، وهو متصل بقوله «وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ».

(١٢١) منقول عن عطاء الخراساني - و قطروس بضم الفاء أو القاف كما في شروح الكشاف و بعده طاء و راء و سين مهملات، و بهوذا بذال معجمة أو مهملة بعدها ألف. إكليل.

(١٢٢) العنب هو الثمر، والبستان يتكوّن من الأشجار، فالمراد من الأعناب أشجارها، وهي الكروم واحدها كرم، بفتح فسكون، وقال الراغب: العنب يقال لثمره الكرم، والكرم نفسه - هـ - و على هذا لا حاجة إلى التأويل.

(١٢٣) يؤثره: يختاره، من الإيثار، الدهاقين جمع دهقان بكسر الدال، و في لغة تضم، رئيس القرية، =

في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة. يقال حفوه إذا أطافوا به، وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾ جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة<sup>(١٢٤)</sup> لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق. ﴿ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ ﴾ أعطت حمل على اللفظ لأن لفظ «كلتا» مفرد ولو قيل «آتا» على المعنى لجاز ﴿ أَكَلَهَا ﴾ ثمرها ﴿ وَكَمْ تَطْلُمُ مِنْهُ ﴾ ولم تنقص من أكلها<sup>(١٢٥)</sup> ﴿ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَيْهَا نَهْرًا ﴾ نعتها بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب<sup>(١٢٦)</sup> فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها. ﴿ وَكَانَ لَهُ ﴾ لصاحب الجنتين ﴿ ثَمَرٌ ﴾ أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما. له ثمر وأحيط بثمره<sup>(١٢٧)</sup> بفتح الميم والثاء: عاصم، وبضم الثاء وسكون الميم: أبو عمرو، وبضمهما: غيرهما ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع، يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أنصاراً وحشماً<sup>(١٢٨)</sup> أو أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث.

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾ إحدى جنتيه أو سماهما جنة لاتحاد الحائط، وجنتين للنهر الجاري بينهما ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ ضار لها بالكفر ﴿ قَالَ ﴾<sup>(١٢٩)</sup> ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ أي أن

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

بمعنى أنواع من المال، واختار ابن جرير أنه بمعنى أنواع من الثمار، وثمر بضمّتين جمع ثمار وهو جمع ثمر، وبتحتين أيضاً جمع ثمار أو ثمرة كما في جامع البيان والمفاتيح وقال الراغب: الثمر هو الثمار، وقيل جمعه، ويكنى به عن المال المستفاد وعلى ذلك حمل ابن عباس (وكان له ثمر).

(١٢٨) حشم الرجل بفتحّتين: خاصته الذين يغضبون له من أهل وعبيد أو جيرة والفعل من ض ون مصدره بسكون الأوسط بمعنى أغضب ومن سمع بمعنى غضب و أغضب لازم ومتعدّ والمصدر بفتحّتين وهو بمعنى العيال والقراية أيضاً، ونفر (من ضرب) للقتال أو الأمر: ذهب.

(١٢٩) استيناف جواباً عن سؤال نشأ من الكلام السابق كأن سائلاً سأل: كيف كان ظالماً فأجاب (قال ما أظن - الخ)

= والتاجر، ومن له مال وعقار. مؤزرة: التازير، التغطية والتقوية، والأزر: الإحاطة، والقوة، والظهر. والتقوية، والضعف (ضد). قاموس.

(١٢٤) عِمِر المأل وعِمِر صار عامراً أي كثيراً وافرأ، و معمر: أرض كثيرة الماء والكلاء، والعمارة تطلق للدار، والمنزل، والأرض بمعنى البناء، والسكن، و جعلها عامرة أي أهلة بالسكان، أو مملوئة بالزرع والنبات، فالعمارة هنا كون الأرض متوافرة النبات من الزرع والشجر، والتشابك هو التداخل والاختلاط، والأنيق الحسّن المعجب، والفعل من (س)

(١٢٥) من ظلمه حقه: بخسه ونقصه إياه.

(١٢٦) الشرب بالكسر: الماء، والحظ منه، والمورد، والفعل من سمع بمعنى جرع.

(١٢٧) الآتي في الآية ٤٢ - أخرج ابن جرير عن مجاهد أنه بمعنى الذهب والفضة و عن ابن عباس أنه



تهلك هذه الجنة، شك في بيدودة جنته لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق السنة أحوالهم بذلك ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ كائنة (١٣٠) ﴿ وَكَيْنَ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ إقسام منه (١٣١) على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا إهداء لكرامته عليه ومكانته عنده (١٣٢) «منقلباً» تمييز أي مرجعاً وعاقبة ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقاً له ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ أي خلقك من نطفة ﴿ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ عدلك وكمالك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. جعله كافراً بالله لشكه في البعث. (١٣٣) ﴿ لَكِنَّا ﴾ بالألف في الوصل: شامي، الباقون بغير ألف، وبالألف في الوقف اتفاق، وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن سكنت ﴿ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر «أنا» والراجع منها إليه ياء الضمير، وهو استدراك لقوله: «أكفرت» قال لأخيه أنت كافر بالله لكنني مؤمن موحد كما تقول: زيد غائب لكن عمراً حاضر، وفيه حذف أي أقول هو الله بدليل عطف ﴿ وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ وكولاً ﴿ وَهَلَا ﴾ ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ «ما» موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الشعب، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل، أو مال، أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته وقرأ ﴿ وَوَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ مَالِهِ فَأَعْجَبَهُ فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لم يصب ذلك المال آفة أبداً. وقرأ ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ ﴾ الآية - وأخرجه البيهقي في الشعب عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً. وأخرج ابن مردويه عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من لاجل ولا قوة إلا بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه =

(١٣٠) كان شكه في عين وجود الساعة في الزمان الآتي، لا في صفة من صفاتها، فالقيام بمعنى الكون والوجود. (١٣١) اللام في (لئن) تدل على القسم المقدر، والجواب المؤكد (لأجدن) جواب القسم، وهو يدل على جواب الشرط أيضاً.

(١٣٢) والسبب في وقوع هذه الشبهة أنه تعالى لما أعطاه المال في الدنيا ظن أنه إنما أعطاه ذلك لكونه مستحقاً له، والاستحقاق باقي بعد الموت، فوجب حصول العطاء. والمقدمة الأولى كاذبة، فإن فتح باب الدنيا على الإنسان يكون في أكثر الأمر للاستدراج والتلمية. مفاتيح الغيب.

(١٣٣) والمنكر لأحد من ضروريات الدين كافر بالله، ليس مؤمناً به وكذا الشاك فيه، فإن الشك ينافي الإذعان والإيمان.

(١٣٤) أخرج أبو يعلى، وابن مردويه، والبيهقي في

رزقك الله منها الأمر ما شاء الله، اعترافاً بأنها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله، وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده<sup>(١٣٤)</sup>.

من قرأ ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَبَ مِنْكَ مَالًا﴾ بنصب (أقل) فقد جعل (أنا) فصلاً ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ و«أقل» خبره والجملة مفعولاً ثانياً لـ«ترني»<sup>(١٣٥)</sup> وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله: ﴿وَاعَزُّ نَفَرًا﴾<sup>(١٣٦)</sup>. ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ في الدنيا أو في العقبي ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾<sup>(١٣٧)</sup> عذاباً ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَيُصِصِمُ صَعِيدًا زَلْقًا﴾ أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها<sup>(١٣٨)</sup> ﴿أَوْ يُصِصِمُ مَاءً غَوْرًا﴾ غائراً أي ذاهباً في الأرض<sup>(١٣٩)</sup> ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ فلا يتأتى منك طلبه فضلاً عن الوجود، والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= وسلم ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. الدر المشهور.

(١٣٥) إن ترن - و - إن ترني. ذكر القراءتين تحت قوله تعالى (عسى أن يهدين) وهنا ذكر قراءتين في (أقل) بالرفع عند الكسائي، وبالنصب عند غيره، و أوضح الإعراب على القراءتين. وهو أن يكون ضمير المتكلم - أي الباء المثبتة - عند بعض القراء في قوله ترني، والمحذوفة عند الأكثر مع بقاء الكسرة على نون الوقاية - مفعولاً أو لا للروية، و أقل بالنصب مفعولاً ثانياً، و كلمة أنا صيغة فصل للتأكيد، كما هو معلوم، و أقل بالرفع خبر، والمبتدأ (أنا) والجملة مفعول ثان للروية. ولم أجد قراءة الرفع في (أقل) عند الكسائي في كتب القراءة والتفسير، بل وجدتها لعيسى بن عمر في كتب التفسير، فالرفع ليس من المشهورات، بل من الشواذ، و ذكر الكسائي هنا في المدارك أنه خطأ من قلم الناسخ.

(١٣٦) ذكر قولين في تفسير «نقرأ» في قوله: أنا أكثر منك مالاً و أعزُّ نفراً. الأول الأنصار والحشم، والثاني الأولاد الذكور، و هنا يذكر تأييد القول الثاني بأن الأخ المسلم تكلم على طريق الجواب و قال: إن ترن أنا أقل منك مالاً و ولدًا. فذكر قلة الولد مع قلة المال، فالمقابلة تقتضي أن يكون المذكور في كلام الأخ الكافر كثرة الأولاد مع كثرة المال.

كثرة المال.

(١٣٧) قوله عذاباً في تفسير حسباناً رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و قتادة (جامع البيان ١٦٣/٨) وقال الراغب: إنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه - اه - و في الكشف: الحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب، وقال الزجاج: عذاب حسبان و ذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك فالمراد به المحسوب والمقدر من تخريبها و إبادتها أو عذاب حساب الأعمال السيئة، و قال ابن جرير: والحسبان جمع حسبانة وهي المرامي.

(١٣٨) و أصل معنى الزلق الزلل في المشي لوحل و نحوه، و عبّر بالمصدر عن المزلفة مبالغة، و أطلق مجازاً على ما لا يكون فيه نبات و نحوه، أو كنى عنه (شهاب) و الملاسة والملوسة ضد الخشونة، و الصفة أملس و ملساء كأحمر و حمراء من ك و س. إكليل.

(١٣٩) و التعبير بالمصدر للمبالغة - ذكر صورتين لإبادة البستان. إحداهما الاستئصال بإرسال العذاب عليه عاجلاً و بغتة والأخرى إهلاكه آجلاً و مدرجاً بإذهاب ما هو مادة خصبه و نمائه وهو الماء، و الضمير في قوله ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ راجع إلى الماء، أي إذا أغار الله الماء فليس من قدرتك أن تطلبه فضلاً عن رده و وجدانه.

أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيراً من جنتك، ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك. ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾<sup>(١٤٠)</sup> هو عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ﴿فَأَصْبَحَ﴾ أي الكافر ﴿يَقْلِبُ كَفَيْهِ﴾ يضرب إحداهما على الأخرى ندماً وتحسراً. وإنما صار تقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عُدِي تعديته بـ«على» كأنه قيل: فأصبح يندم<sup>(١٤١)</sup> ﴿عَلَى مَا أَتَقَى فِيهَا﴾ أي في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾<sup>(١٤٢)</sup> يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم ﴿وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لِمَ اشْرِكْتُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾<sup>(١٤٣)</sup> تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني، ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما كان منه ودخولاً في الإيمان.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الأعراف، ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل، و أصله أن من شأن من اشتد ندمه أن يعضّ يده غمّاً، فتصير يده مسقوطةً فيها، لأن فاه وقع فيها، و «سقط» مسند إلى «في أيديهم» وهو من باب الكناية (٧٧/٢) وفي مجمع بحار الأنوار: الظرف نائبه، أي سقط فيها العض، فإن من يندم بعض يده. (٨٥/٣)

(١٤٢) (وهي) أي الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل (خاوية) ساقطة - خوى البيت خواءً من ض: سقط و تهدم، و خوى المكان خواءً فرغ و خلا، والرجل: فرغ جوفه من الطعام، و خوي خيًّا و خويًّا و خاوية من س: المكان، فرغ و خلا (على عروشها) أي دعائمها المصنوعة للكروم، لسقوطها قبل سقوطها — وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع إما لأنها العمدة، وهما من متمماتها — وإما لأن ذكر هلاكها مغني عن ذكر هلاك الباقي، لأنها حيث هلك، وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الأولى — وإما لأن الإنفاق في عمارتها أكثر - أبو السعود.

(١٤٣) يا أصلها للنداء، وهنا مجردة للتنبية (جلالين) أتى من جهة كفره بصيغة المجهول بمعنى أهلك، أي أتاه هلاك أمواله من جهة كفره و طغيانه. قوله (ويجوز أن يكون توبة) عبر بالجواز والاحتمال إشارة إلى أن مجرد الندم على الكفر لا يكون إيماناً — وإن كان الندم على المعصية قد يكون توبة إذا =

(١٤٠) تمت حكاية كلام الأخ المسلم، وأخبر الله سبحانه بعد ذلك أن الله أهلك أموال الكافر كما توقعه المسلم وأذره منه. وفي قوله «أحيط بثمره» استعارة تمثيلية، شبه إهلاك أمواله بإهلاك قوم بجيش عدو أحاط بهم وأوقع بهم بحيث لم ينبج أحد منهم، فيقال أحاط به العدو، ثم يقال «أحيط به» و يراد أهلك، و إن كان هلاكه من غير العدو — ونظيره «أتى عليه» بمعنى أهلكه. أصله أتى عليه العدو مستعليًا بالقهر. وإتيان العدو غالبًا قاهرًا يرذفه و يتبعه الهلاك، فيقال أتى عليه العدو، و يراد به أهلكه، ثم يقال «أتى عليه» بدون ذكر العدو، و يراد به الهلاك مطلقًا.

(١٤١) ذكر المصنف هنا أمرين. الأول أن تقلب الكفين كناية عن الندم والحسرة، والثاني أن قوله «على ما أتقى فيها» ظرف لغو لقوله يقلب كفيه، لأنه صار بمعنى يندم و يتحسر فصح إيراد «على» صلة له. و يعلم منه أنه يجوز في الكناية أن تعدى بصلة المعنى الحقيقي، كما في بنى عليها، و بصلة المعنى الكنائي كما في بنى بها، و ما هنا من الثاني. و ذكر المصنف نظيرين لهذه الكناية، الأول عض الكف كما في قوله تعالى: و يوم يعص الظالم على يديه، (٢٧ - الفرقان) لأن النادم بعض يده، والثاني السقوط في اليد، كما في قوله تعالى: ولما سقط في أيديهم (١٤٩ - الأعراف) قال المصنف في سورة

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ﴾<sup>(١٤٤)</sup> يقدرون على نصرته ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لحكمة ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾<sup>(١٤٥)</sup> (يكن) بالياء (الولاية) بكسر الواو: حمزة وعلي فهي بالفتح النصره والتولي، وبالكسر السلطان والملك، والمعنى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(الولاية) بالكسر لحمزة و علي، (و خلف) و بالتاء في الأول و بفتح الواو في الثاني لغيرهم - و القراءة في الحق بالرفع لأبي عمرو البصري و علي الكسائي، و بالجر لغيرهما - والحق مرفوعاً صفة الولاية، أي الولاية الحق لله وحده، أو خبر مبتدأ محذوف، والمحذوف إما هي فيرجع إلى الولاية، أو هو فيرجع إلى الله، و الحق بالجر صفة لاسم الجلالة، أي الولاية لله الحق جلّ جلاله. القراءة في عقبا مذكورة في الكتاب واضحة.

أما الثاني والثالث فقوله هنالك إشارة إلى ذلك المقام و تلك الحال الشديدة أو إشارة إلى الدار الآخرة كما ذكر فيما بعد. والولاية بالفتح بمعنى النصره، و بمعنى التولي أي الموالاته، والولاية بالكسر بمعنى السلطنة والملك. و في بيان الارتباط ذكر المصنف أربعة معان، اثنين بمعنى النصره الأول النصره المطلقة، والثاني النصره المقيدة بالأولياء، و واحداً بمعنى التولي و الموالاته و واحداً بمعنى الملك و السلطان - نشرحها فيما يلي: في ذلك المقام، و تلك الحال النصره لله وحده، أي لا يقدر عليها غيره كما تقرر فيما سبق، والحصر مستفاد من تقديم الظرف، و تعريف المسند إليه، و لام الاختصاص مع اسم الجلالة. و هذا تقرير و تأكيد لقوله و لم تكن له فئة ينصرونه - الآية -

هنالك السلطان و الملك لله، لا يُغلب. مجهول، بيان للسلطان و الملك أي سلطانه قاهر لا يغلبه ولا يقهره أحد. في مثل تلك الحال الشديدة يُتولى الله، و يؤمن به كل مضطر، أي حين اضطراره يظهر موالاته الله سبحانه و يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً، و قبل ذلك لم يعتقد الله رباً له. فهذه كلمة قالها مضطراً، جزعاً مما دهاه أي أتاه و أصابه بغته من شوم =

= عزم على أن لا يعود، و كان الندم عليها من حيث كونها معصية كما هو المتبادر، صرح به في المواقف - لأن الإيمان لا يكفي فيه ذلك، مع أن ندمه عليه ليس من حيث هو كفر بل بسبب هلاك جنتيه، و أيضاً لا بد فيه من توبته مما كفر به، و هو إنكار البعث، والآية فيما بعد ظاهرة في أنه لم يتب من كفره (عناية القاضي) والحاصل أن القول بالإيمان يحتاج إلى دليل واضح، والظاهر يقتضي خلافه.

(١٤٤) الفئة: الفرقة من الناس، من فأوئ راسه إذا شققته - فأصله فؤؤ، وهو ناقص مهموز العين، حذف الآخر والحقت التاء، فوزنه فعة، والمناسبة مع الأصل أن الفرقة شقة و قطعة من الناس، أو هي من فاء بمعنى رجع فهو أجوف مهموز اللام، حذف العين فوزنه فلة لأن الفرقة يرجع إليها (بيضاوي و خفاجي) والنصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر فالمعنى لم تكن له فرقة تدفع عذاب الله عنها، والمراد بالنصر لازمه وهو قدرة النصر، كما فسره المصنف بقوله يقدرون على نصرته، فإنه لو أبقى على ظاهره لفهم منه وقوع النصر من الله تعالى، فإنك إذا قلت لم ينصر زيداً أحد دون بكر فهم منه في العرف أن بكرًا وحده نصر زيداً. فالمراد لم تكن له فئة تقدر على دفع ضرره، و ردّ عقابه تعالى سوى الله القدير الذي يفعل ما يشاء لمن يشاء، ولا يحول حول قدرته و تنفيذ إرادته أحد، ولا يقتدر عليه فرد ولا جماعة.

(١٤٥) ذكر المصنف هنا أموراً - الأول القراءات في (لم تكن) و (الولاية) و (الحق) و (عقبا) الثاني تعيين المشار إليه في (هنالك) و معاني الولاية، و إعراب الحق على القراءتين الثالث وجه الارتباط بإرادة كل معنى من معاني الولاية. أما الأول فالقراءة في (لم يكن) بالياء و في

هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصره لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله: (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أو هنالك السلطان والملك لله لا يُغلب، أو في مثل تلك الحالة الشديدة يُتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله: (يَلِيْتَنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) كلمة ألجىء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها. أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله: (فعسى ربي أن يوتيّن خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء) ويؤيده قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عِقَابًا﴾ أي لأوليائه، أو «هنالك» إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) [غافر: ١٦] «الحق» بالرفع: أبو عمرو وعلي صفة لـ (الولاية) أو خير مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق. غيرهما بالجر صفة لله. و «عقبا» بسكون القاف: عاصم وحمزة، وبضمهما: غيرهما، وفي الشواذ «عقبى» على وزن «فعلى» وكلها بمعنى العاقبة. ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(١٤٦)</sup> أي هي كماء أنزلناه ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ فالتفت

مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

حجارة الدنيا، و قلة بقاء ها. و الكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على فقراء المؤمنين فقال: واضرب لهم أي لهؤلاء المفتخرين بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين ثم ذكر المثل فقال كماء والمبتدأ مقدر، أي هي أي الحياة الدنيا أو هو أي المثل، و في عامة نسخ المدارك هو، و كذا في البيضاوي، والمشبه به الصورة المنتزعة من الجملة، لا الماء وحده، ولا كيفيته الخاصة. والهيئة المنتزعة اختلاط النبات بالماء النازل، والتفافه و اخضراره، ثم يبسه، و تكسره و تفتته حتى تطيره الريح، و تبثه في أنحاء الأرض، و حاصل هذه الهيئة الحسن والنضارة أمداً قليلاً ثم الزوال والفناء سريعاً. كذلك الحياة الدنيا، ولما بين تعالي سرعة انقضاء الدنيا ذكر أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، ليفهم العاقل أن هذا الجزء من ذلك الكل، فهو أيضاً سريع الفناء، فليس من شأن العاقل أن يفتخر به، أو يفرح بسببه، ثم ذكر تعالي أن ما يأتيه هولاء الفقراء من أعمال طاعة الله تبقى عند الله دائماً، والباقي خير من الفاني، والأمل المعقود به من الثواب والجزاء خير من الآمال الكاذبة المعقودة =

= كفره، و لولا ذلك لم يقلها. والإلجاء بمعنى الإلجاء، ودهى يدهى دهيًا أصابه أمر عظيم ومنه الداهية المصيبة العظيمة. ﴿٤٥﴾ هنالك الولاية أي النصره الخاصة لله - ينصر فيها أوليائه ه - الخ ﴿٥٥﴾ هنالك أي في تلك الدار الآخرة الولاية أي السلطان والملك لله، كقوله لمن الملك اليوم. و كذلك الولاية بمعنى النصره و الموالاة أيضاً لله وحده يوم القيامة قال الخازن: يعني أنهم يتولونه يومئذ، و يتبرؤن مما كانوا يعبدون من دونه في الدنيا - اه - هذا التفسير باعتبار معنى الموالاة. ولا شك أن النصره المطلقة، والنصره الخاصه بالأولياء أيضاً لله وحده يومئذ. والكلام على تقدير الإشارة إلى الدار الآخرة يكون مبتدأ - مع ارتباط و اتصال بالقصة المذكورة - إفادة لمعنى عام هام، وهو أن الدار الباقية هي الآخرة، و هنالك السلطنة القاهرة، والنصره الباهرة، و الموالاة العامه لله وحده، لا تظهر لغيره صورة أيضاً، فينبغي للعاقل أن يترك الكفر والطغيان، و يستعد لذلك اليوم بالإيمان به. (١٤٦) اعلم أن المقصود: اضرب مثلاً آخر يدل على

بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً أو أثر في النبات الماء فاختلف به حتى روى<sup>(١٤٧)</sup> ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً﴾ يابساً متكسراً<sup>(١٤٨)</sup> الواحدة هشيمة ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ تنسفه وتطيره. «الريح» حمزة وعلي ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مُقْتَدِرًا﴾ قادراً. شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك و الإفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن.<sup>(١٤٩)</sup> ﴿الْهَالِكُ وَالْبُتُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا زاد القبر وعدة العقبي ﴿وَالْبَقِيَّةُ الضَّلِيلَةُ﴾ أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، أو الصلوات الخمس، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر<sup>(١٥٠)</sup> ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ جزاء

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوة إلا بالله.  
عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بزيادة لا حول.  
عند سعيد بن منصور، وأحمد، وأبي يعلى، وابن جرير وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه وابن مردويه.  
وعن النعمان بن بشير مرفوعاً عند سعيد بن منصور وأحمد وابن مردويه بلفظ: ألا وإن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر من الباقيات الصالحات.  
وعن أبي هريرة مرفوعاً عند النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني في الصغير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي.  
وعن أبي الدرداء مرفوعاً عند الطبراني، وابن شاهين في الترغيب في الذكر، وابن مردويه وعن أنس بن مالك مرفوعاً عند ابن مردويه وأحمد، وعن علي، وعن ابن عباس مرفوعاً عند ابن مردويه.  
وعن عائشة مرفوعاً عند ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه. وعن سعد بن جنادة مرفوعاً عند الطبراني— والروايات في هذا المعنى كثيرة، مرفوعة، وموقوفة.  
**(الثاني)** الصلوات الخمس. رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً. وكذا رواه ابن جرير عن سعيد بن جبيرة، وعمر بن شرحبيل، وإبراهيم، وأبي ميسرة.  
**(الثالث)** الكلام الطيب رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.  
**(الرابع)** جميع أعمال الحسنات.

= بالأموال والأولاد وسائر متاع الدنيا، وهذه ليس لها ثبات ودوام، فكيف بما عُقدَ بها من الآمال.  
(١٤٧) قوله: فالتفت بسببه وتكاثف، إشارة إلى أن الباء في قوله (فاختلف به) سببية، والالتفاف اجتماع بعض ببعض، والتكاثف: الغلظة والكثرة والتجمع، وقوله ثانياً أو أثر في النبات الماء فاختلف به حتى روي - اه - يشير إلى أن الباء صلة الاختلاط، أي اختلط الماء بالنبات، والنبات بالماء حتى تنعم و اخضر، روي بكسر الواو بمعنى شرب و شبع من س، و روي الشجر: تنعم و اخضر.  
(١٤٨) قال البيضاوي: مهشوماً مكسوراً، والهشم من ض بمعنى الكسر، قال في الكشف: والهشيم ما تهشم وتحطم. الواحدة هشيمة. قوله: (تذروه) في الأصل واوي، ويائي، وبمعناه من التفعيل والإفعال ذرت الريح التراب: أطارته وفرقته، و نسف من ضرب بمعنى القلع والتفريق، نسف الحَبَّ: نفضه و ذراه و نسفت الريح التراب: قلعته وفرقته.  
(١٤٩) المشبه حال الدنيا، والمشبه به حال النبات ووجه الشبه تعقب الهلاك و الفناء بعد النضارة والبهجة وقوله ثم يهيج أي يصير يابساً قال المجد في القاموس: هاج يهيج هيجاً، وهيجاناً، وهياجاً بالكسر: ثار - كاهتاج و تهيج - وأثار. والنبت: يبس.  
(١٥٠) جمع الأقوال المروية في تفسير (الباقيات الصالحات) مع تبين الراجح، و تلخيص الأقوال فيما يلي:  
(الأول) هي سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر و في بعض الروايات بزيادة لا حول ولا

﴿وَأَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ لأنه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة يعني أن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ﴾<sup>(١٥١)</sup> واذكر يوم ﴿تُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ (تُسَيِّرُ الْجِبَالَ) مكِّي وشامي وأبو عمرو أي

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

صالحات - ٥١ -

وكذا ورد عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه مرفوعاً بلفظ: من الباقيات الصالحات. و عليه يُحْمَلُ غيره من الأخبار والآثار، لأن عموم اللفظ يقتضي عموم المعنى، ونظير ذلك تفسير النعيم في قوله تعالى (ثُمَّ لَتُسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) بالماء الحارّ في الشتاء و نحوه. من البديهي الضروري أن التخصيص ليس بمعني، بل المقصود التفهيم بذكر مثال أو فرد من أفراد النعيم. و نظائره كثيرة في الماثور من التفاسير. محمد أحمد المصباحي.

(١٥١) لما بيّن خسارة الدنيا، و شرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة و أهواله. و فيه ردّ على أغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الأموال والأولاد على فقراء المسلمين - (مفاتيح الغيب و غرائب القرآن للنيسابوري)

والناصب في يوم "اذكر" أو "قلنا" المقدر قبل لقد جئتمونا كما سيأتي، و فسر التسيير على وجهين (١) قلع الجبال من أماكنها و تسييرها في الجوّ على هيئاتها كما ينبى عنه قوله تعالى: وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (٨٨ - نمل) (٢) تسيير أجزائها بعد تفتيتها كما في قوله تعالى: وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا (١٠٥ - ١٠٧ طه) و في قوله تعالى: وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (٥ - ٦ واقعة) قال المصنف في تفسير النسف: أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يُذرى الطعام (٦٦/٣) و قال في تفسير البسّ: و فُتَّتْ حَتَّى تَعُودَ كَالسُّوَيْقِ، أو سبقت، من: بَسَّ الغنم إذا ساقها (٢١٤/٤) هباء منبثا أي غبارًا متفرقًا و قوله هنا: يذهب بها كناية عن إهلاك صورتها و إفنائها.

رواه ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه عن ابن عباس في قوله. و الباقيات الصالحات قال: هي ذكر الله. لا إله إلا الله، والله أكبر، و سبحان الله، و الحمد لله، و تبارك الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله، و أستغفر الله، و صلى الله على محمد رسول الله، و الصلاة، و الصيام، و الحج، و الصدقة، و العتق، و الجهاد، و الصلوة، و جميع أعمال الحسنات، و هن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة.

و أخرج ابن المنذر، و ابن أبي شيبة، و ابن أبي حاتم عن قتادة... قال: كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات و في رواية عند ابن أبي حاتم و ابن مردويه عنه بلفظ: كل ما أريد به وجه الله و روى ابن جرير عن ابن زيد قال: الأعمال الصالحة. (جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري. و الدر المنثور للإمام الجلال السيوطي)

قال ابن جرير: و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هن جميع أعمال الخير، كالذي روي عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، و عليها يجازى و يثاب. و إن الله عز ذكره لم يخص من قوله (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) بعضاً دون بعض في كتاب، و لا بخبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي روينا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإن ذلك بخلاف ما ظن. و ذلك أن الخير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنما ورد بأن قول سبحان الله، و الحمد لله، و لا إله إلا الله، و الله أكبر هن من الباقيات الصالحات. و لم يقل هن جميع الباقيات الصالحات، و لا كل الباقيات الصالحات، و جائز أن تكون هذه باقيات صالحات، و غيرها من أعمال البر أيضاً باقيات



تسير في الجو، أو يذهب بها بأن تجعل هباءً منثوراً منبثاً ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ أي الموتى ﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أي فلم نترك. غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل ﴿ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَقَاطًا ﴾ مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحدًا. شبهت حالهم بحال الجند المعروفين على السلطان<sup>(١٥٢)</sup> ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ أي قلنا لهم لقد جئتمونا، وهذا المضمرة يجوز أن يكون عامل النصب في «يوم نسير» ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة، أو جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولاً<sup>(١٥٣)</sup>. وإنما قال: (وحشرناهم) ماضياً بعد «نسير» و«ترى» للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال. كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك<sup>(١٥٤)</sup> ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ مُوعَدُونَ ﴾ وقتاً لإنجاز ما وعدتم على السنة الأنبياء من البعث والنشور أو مكان وعد للمحاسبة<sup>(١٥٥)</sup> ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ ﴾ أي صحف الأعمال<sup>(١٥٦)</sup> ﴿ فَتَرَى الْجُرْمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من الذنوب ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ أي لا يترك شيئاً من المعاصي ﴿ إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ حصرها وضبطها ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم.

﴿ وَادْقَلْنَا لِلْمَلِكَةِ اسْجُدًا وَإِدْمًا ﴾<sup>(١٥٧)</sup>

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عُرَاةٌ غُرُلًا. قلت يا رسول الله! الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض - ه - غُرُلًا أي غير مختونين. (قرطبي ٤١٨/١٠)

(١٥٤) و على هذا تكون الواو للحال بإضمار قد (بيضاوي) و ذو الحال على القراءتين فاعل نسيرو الملفوظ أو القائم مقام المحذوف، و الرابط الواو فقط حينئذ. (خفاجي)

(١٥٥) وبل للخروج من قصة إلى أخرى. (بيضاوي) أي الإضراب فيهما انتقالي لا إبطالي، والمراد بالقصة الأولى جملة "لقد جئتمونا" الخ. (خفاجي)

(١٥٦) و فيه إشارة إلى أن تعريف الكتاب للجنس، والمراد بالجنس فيه الاستغراق. (شهاب)

(١٥٧) تكررت هذه القصة في مواضع من القرآن، وفي الحقيقة ليست بمكررة، لأنها تتضمن عبراً و نصائح، فذكرت في كل محل لفائدة تناسب ذلك =

(١٥٢) قوله مصطفين إشارة إلى أن (صفا) حال بمعنى اسم الفاعل، و قوله ظاهرين الخ مأخوذ من كيفية العرض، و قوله: شبهت حالهم الخ إشارة إلى أن الله ليس له مكان، لكن حشر الخلق يقع بصورة الصفوف حيث يظهر و يرى كل واحد منهم كما يكون إذا عرض الجند على السلطان.

(١٥٣) ذكر صورتين لتوضيح التشبيه، الأول تشبيه البعث والحشر بالخلق والإنشاء، أي تحققت يومئذ قدرة الله على البعث، و تبين ما وعده الله تعالى باللسنة الأنبياء - و الثاني تشبيه حالة حشرهم بحالة ولادتهم في الخلو عن اللباس و المتاع كما قال تعالى: و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة، و تركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم (٩٤ - أنعام) و في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: يحشر الناس يوم القيامة خفاة

سجود تحية أو سجود انقياد<sup>(١٥٨)</sup> ﴿فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وهو مستأنف كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خرج عما أمره ربه به من السجود<sup>(١٥٩)</sup> وهو دليل على أنه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ الهمزة للإنكار والتعجب<sup>(١٦٠)</sup> كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ﴾ وتستبدلونهم بي؟<sup>(١٦١)</sup> ومن ذريته «لاقيس» موسوس الصلاة و«الأعور» صاحب الزنا

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عن الحسن و قتادة ، ورجحه الإمام الرازي (١) لموافقته القرآن (كان من الجن) (٢) و لثبوت الذرية لإبليس، والملائكة ليست فيهم إناث بنص التنزيل، فلا توالد فيهم، ولا ذرية لهم (٣) ولما جاء في صحيح مسلم أن الملائكة خلقوا من النور، والجن من مارج من نار. (٤) و لثبوت عصمة الملائكة، و عصيان إبليس و كفره. والاستثناء في قوله إلا إبليس منقطع. ولا عجب فإنه سائغ كثير في كلام العرب، و وارد في التنزيل العزيز أيضا بمواضع، و إن كان الأصل في الاستثناء هو المتصل. و إبليس كان مأموراً بالسجود. هذا ثابت بالنص نحو قوله تعالى: ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك. هذا مختصر، و تمام الكلام في مواضع من مفاتيح الغيب و غيرها.

(١٥٩) قوله خرج عما أمره ربه. إشارة إلى أصل معنى الفسق. وهو الخروج عن القصد، والميل عن الاستقامة (طبري و بياضوي) قال الراغب: فسق فلان: خرج عن حَجْرِ الشرع، و ذلك من قولهم: فَسَقَ الرَّطْبُ إذا خرج عن قشره. وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب و الكثير. لكن تُعْرِفُ فيما كان كثيراً. وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع و أقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه - الخ -

(١٦٠) التعجب حمل الغير على التعجب فإن الله منزه عن التعجب فمعنى الإنكار لا يصح هذا الفعل ولا يليق بعقل، و معنى التعجب تعجبوا أيها العقلاء من هؤلاء الذين اتخذوا عدوهم ولياً من دوني.

(١٦١) قوله و تستبدلونهم بي - الاستبدال ماخوذ من قوله (من دوني) فإن «دون» معناه المجاوزة. قال البياضوي بعد بيان الاستعارة في دون: ثم اتسع فيه =

= المقام، و كذا كل ما تكرر في القرآن، و مناسبة هذه القصة بهذا المقام التشنيع على المفتخرين على فقراء المسلمين، و تقرير أن الافتخار والتعلّي من صنيع إبليس الذي هو عدوّ مبين لآدم و بنيه ثم التوبيخ والتعجب من أن هؤلاء الكفرة سلكوا مسلك عدوهم، واتبعوا إبليس و ذريته وهو في قوله تعالى: أفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ.

(١٥٨) اختلفوا أن المأمور به كان سجود عبادة لله، و آدم كان قبلة، أو المأمور به سجود تحية لآدم، أو الخضوع والانقياد لآدم بدون انحناء فهذه ثلاثة أقوال. قال المصنف في تفسير سورة البقرة: والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض، و كان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس. و كان سجود التحية جائزاً فيما مضى. ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له "لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا الله تعالى" - اهـ - والأحاديث في النهي عن سجود التحية كثيرة. و للإمام أحمد رضا القادري البريلوي (١٢٧٢هـ - ١٣٤٠هـ) رسالة جلييلة في هذا المبحث سماها "الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية" (١٣٣٧هـ) جمع فيها أربعين حديثاً، و أضاف إليها نحو مائة و خمسين نصّاً من كتب الفقه على حرمة سجود التحية في شريعتنا.

و كذا اختلفوا في أن إبليس كان من الملائكة أو من الجن. مرجع الأول روايات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهي بتقدير صحّة إسناده ليست ماثورة عن الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم فذلك إمّا قوله عن رأي واجتهاد أو ماخوذ من الإسرائيليات. والثاني مروى

و«بتر» صاحب المصائب و«مطوس» صاحب الأراجيف و«داسم» يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى <sup>(١٦٢)</sup> ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أعداء <sup>(١٦٣)</sup> ﴿بئس للظالمين بدلًا﴾ بئس البديل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله <sup>(١٦٤)</sup> ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفي مشاركتهم في الإلهية بقوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الأشياء فأفردوني في العبادة <sup>(١٦٥)</sup> ﴿وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض <sup>(١٦٦)</sup> كقوله: (ولا تقتلوا أنفسكم) [النساء: ٢٩] ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْبُضِيِّينَ﴾ أي وما كنت متخذهم ﴿عَضْدًا﴾

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والمؤنث (قاموس)  
(١٦٤) فاعل بئس هو الضمير المبهم و تمييزه بدلًا، والمخصوص بالذم محذوف وهو إبليس، والظلم هو وضع الشيء في غير محله، و من وضع طاعة إبليس مقام طاعة الله ظالم أي ظالم.

(١٦٥) لما قرّر الله سبحانه أنهم وضعوا طاعة الشياطين مقام طاعة الله، وتركوا طاعة الله ثبت أنهم جعلوا الشياطين آلهتهم - ولا أقل من أنهم اعتقدوا الشياطين شركاء الله في العبادة والألوهية. فردّ الله تعالى عليهم صنيعهم هذا على الطريق البرهاني. وهو أن الإله له الخلق والأمر كله. فمن كان شريكًا في الإلهية يلزم أن يكون شريكًا في الخلق. وليس هؤلاء الشياطين شركاء في الخلق. فإن الله وحده خلق السموات والأرض ولم يُشرك هولاء في خلقها، ولا في خلق أنفسهم، ولم يُشهدهم حين خلقها للمعاونة والمشاورة. فإذا ليسوا شركاء في الخلق فلن يكونوا شركاء في العبادة والألوهية. فما أعجب جهل هولاء الكفرة الذين جعلوا الإلهية أو شركة الإله لمن ليس له نصيب من التخليق، بل ليس له اسم مشاركة و معاونة في التخليق.

وقوله لأعتضد بهم - صيغة المتكلم المفرد من المضارع بمعنى استعين بهم. و أصله من العضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، ثم استعير للناصر والمعين كاليد.  
(١٦٦) من لم يتم خلقه لا يثبت له الشركة والشهود في الخلق، فالمراد أن من تمّ خلقه لم يشهد خلق من هو بصدد التخليق.

= فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ، و تخطّى أمر إلى آخر. قال الله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين - اه - والمجازرة تكون بترك الأول و أخذ الثاني أو بمجرّد المجازرة فحمله على الأول، لأنه أبلغ في الذم، ولدلالة قوله (بدلا) بعده على أنه المراد. ولما لم يكن المقصود حقيقة الاستبدال، بل ترك طاعة الله و أخذ طاعة الشياطين فسره المصنف فيما بعد بقوله لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله - اه - للدلالة على ما هو المقصود أنّ الكافرين تركوا طاعة الله و أطاعوا إبليس وذريته.

(١٦٢) تعيين هذه الأسماء يرجع إلى ما روي عن مجاهد، و في رواية الطبري زلنبور صاحب الأسواق، و ثبر صاحب المصائب (يزين خمش الوجوه و لطم الخدود) والأعور صاحب الزنا و مسوط (كذا في نسخة الطبري والدر المنثور و القرطبي) صاحب الأخبار الكاذبة يأتي بها فيلقبها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلاً و داسم الذي يدخل مع الرجل بيته إذا لم يسلم ولم يذكر الله الخ. و زاد الثعلبي في روايته عن مجاهد أسماء آخر منها لاقيس موسوس الصلاة كما ذكر المصنف.

و في صحيح مسلم أن للصلاة شيطاناً يسمى خنزب، و في جامع الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان. و ما ذكره الإمام مجاهد أيد بعضه القرطبي بأحاديث.

(١٦٣) والعدو كالصديق يطلق على الواحد والجمع

أي أعواناً<sup>(١٦٧)</sup> فوضع «المضلين» موضع الضمير ذمًّا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق فمالكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟ ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾ الله للكفار، وبالنون: حمزة<sup>(١٦٨)</sup> ﴿ نَادُوا ﴾ ادعوا بصوت عالٍ ﴿ شُرَكَاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أنهم فيكم شركائي ليمنعوكم من عذابي،<sup>(١٦٩)</sup> وأراد الجن وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ مهلكاً من وبق يبق وبوقاً إذا هلك، أو مصدر كالموعد أي وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، أو الملائكة وعزيراً وعيسى. والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمداً بعيداً لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان<sup>(١٧٠)</sup> ﴿ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا ﴾ فأيقنوا<sup>(١٧١)</sup> ﴿ أَنَّهُمْ مُوَاعِقُهَا ﴾ .....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بمعنى الوادي قولين، لكن المصنف رحمه الله جمعهما وقال: أي وجعلنا بينهم وادياً - وهو مكان الهلاك - مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، وإذا كان مصدرًا ميميًا بمعنى الهلاك فالمراد: جعلنا بينهم هلاكًا مشتركًا. هذا حين إرادة الجن من الشركاء. وإن كان المراد منه الملائكة وعزيراً وعيسى عليهم السلام فالموبق بمعنى الحائل والبرزخ البعيد. والبعد مستفاد من تكثير موبقاً للتعظيم وعلى كلا المرادين "بينهم" مفعول ثان مع متعلقه، وموبقاً مفعول أول لجعلنا، والجعل بمعنى التصيير، وإن أريد به معنى الفعل أو الإيجاد فموبقاً مفعوله، وبينهم ظرفه.

(١٧١) تفسير الظن بالعلم واليقين هنا رواه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة كما في الدر المنثور وجامع البيان والظن قد يأتي بمعنى اليقين في كلام العرب كما قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَةِ:

فقلت لهم ظنونا بألفي مدجج  
سراتهم، في الفارسي المسرد - أي تيقنوا (قرطبي)  
وقال الرازي: الأقرب أن المعنى أن هؤلاء الكفار يرون النار من مكان بعيد، فيظنون أنهم مواقعوها في تلك الساعة من غير تأخير ومهلة، لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها، كما قال تعالى (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا) - اه - ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن جرير =

(١٦٧) قوله "أعوان" إشارة إلى أن العضد مستعار للمعين، وأفرد لعمومه في سياق النفي، ولذا فسره بالجمع (خفاجي) قوله: فوضع المضلين - الخ - ما ذكر فيما سبق فالأصل الاكتفاء بإعادة الضمير له. فكان الأصل أن يقال: و ما كنت متخذهم عضداً. والعدول عنه إلى (متخذ المضلين) لتصريح صفة الإضلال للشياطين، و ذمهم بهذا الوصف. وهذه الفائدة لا تحصل من الاكتفاء بالضمير.

(١٦٨) يوم نقول بنون الجمع قراءة حمزه، و بياء الغيبة قراءة غيره، معطوف على قوله (و إذ قلنا للملائكة) أي اذكر لهم أحوالهم و أحوال آلهتهم يوم نقول لهم — وقول المصنف: ادعوا بصوت عال. إشارة إلى أن المراد أصل معنى النداء. قال الراغب: النداء رفع الصوت و ظهوره ثم ذكر استعماله في غير هذا المعنى حسب القرائن.

(١٦٩) أنهم فيكم الخ إظهار لمفعول زعمتم، و حرف الموصول مع صلته قائم مقام مفعوليه، و قوله ليمنعوكم، بيان للمراد المفهوم من الأمر بالنداء حين اشتداد الحاجة، و مواجهة العذاب.

(١٧٠) في القاموس: وبق - كوعد، ووجل، وورث - وُوبُقًا، و موبقًا: هلك - كاستوبق - و كمجلس: المهلك، والموعد، والمحبس، و وادٍ في جهنم، وكل شيء حال بين شيئين. و أوبقته: حبسه أو أهلكه - اه - عد المفسرون الموبق بمعنى المهلك و

مخالطوها واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا﴾ عن النار ﴿مَصْرَفًا﴾ معدلاً ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاجون إليه<sup>(١٧٣)</sup> ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ تمييز أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة وممارسة بالباطل يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء<sup>(١٧٣)</sup> ﴿وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ أي سببه<sup>(١٧٤)</sup> وهو الكتاب والرسول ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ «أن» الأولى نصب، والثانية رفع، وقبلها مضاف محذوف تقديره: وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك، أو انتظار أن يأتيهم العذاب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الغراية والحسن كالمثل، ليتلقوه بالقبول، فلم يفعلوا. قوله: (١٧٣) إن فصلتها واحداً بعد واحد. إشارة إلى أن أفعل التفضيل إذا أضيف إلى الجمع أريد التفضيل بالنسبة إلى الجماعة، وإذا أضيف إلى الواحد أريد التفضيل بالنسبة إلى كل واحد من الجماعة كما إذا قلت حامداً أحسن الرفقاء وأحسن رفيق لي، أردت في الأول بالنسبة إلى الجماعة وفي الثاني بالنسبة إلى كل واحد منهم مفضلاً، وقوله خصومة وممارسة بالباطل بياناً لمعنى الجدل، وقوله يعني أن... الخ - إيضاح لمعنى التمييز فإن المنسوب إليه في الأصل هو التمييز كما إذا قلت أبوك أكثر مالاً، أردت أن ماله أكثر من مال غيره. (١٧٤) وإطلاق المسبب على السبب مجاز مرسل، وهذا لأن أصل الهدى لم يحصل لهم. ويجوز أن يقال: أطلق الهدى على الهادي مبالغة كما في صوم وعدل. قوله: (أن الأولى) هي التي في "أن يؤمنوا"، و يستغفروا معطوف على يؤمنوا - وأن بصلتها تكون بمعنى المصدر (نصب) هذا على القول بأن المنع يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه، أو على القول بنزع الخافض. (وهو "من" في هذا المقام) وإفشاء الفعل إلى المجرور بنفسه كما هو عند الفراء و سيبويه، وحذف الجار قبل أن وأن مطرد، وبعد ذلك يقدر الخليل والكسائي (أن) مجرور المحل، والفراء و سيبويه منصوب الحل بنزع الخافض وإيصال الفعل بنفسه قوله (والثانية) هي التي في "أن تأتي" ويأتي معطوف على تأتي. (رفع) لأنها تكون فاعل منع مع مضافها المحذوف، وقد أوضح المصنف كل ذلك بما أظهر من تقدير الكلام.

= عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: إن الكافر يرى جهنم فيظن أنها موافقته من مسيرة أربعين سنة. و رواه عنه الإمام أحمد وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه أيضاً كما في الدر المنثور. قوله مخالطوها واقعون فيها. معنى المخالطة ماخوذ من مفاعلة الوقوع لأنها تقتضيه، والمواقعة ملابسة الشيء بشدة. وقوله واقعون فيها بيان للمراد منه. (١٧٣) اعلم أن أولئك الكفرة لما افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم و أتباعهم، و بين تعالى بالوجوه الكثيرة أن قولهم فاسد، و شبهتهم فاسدة، و ذكر فيه المثليين المتقدمين، قال بعده (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) وهو إشارة إلى ما سبق. التصريف يقتضي التكرير، والأمر كذلك، لأنه تعالى أجاب عن شبهتهم من وجوه كثيرة، ومع تلك الجوابات الشافية والأمثلة المطابقة لا يترك هولاء المجادلة الباطلة فقال: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً. (مفاتيح الغيب) و"من" في (مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) إما زائدة على رأي، أو تقديره مثلاً من كل مثل. ولما كان ظاهره يوهم أنه ذكر في القرآن مثلاً من جنس كل مثل أشار إلى تأويله بأن المراد ما يحتاجون إليه. والمثل بمعنى الشبه والنظير، ثم استعمل لقول غريب ورد في موضع ثم يورد في مواضع كثيرة تشابه الموضوع الأول. ثم اتسع فيه لكل حالة غريبة و صفة بديعة. والمراد هنا إما معناه المشهور، وقد مر من الأمثال مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا - أو كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية إلى الإيمان، التي هي في

أي عذاب الآخرة ﴿قَبْلًا﴾ كوفي أي أنواعاً جمع قبيل. الباقون (قبلاً) أي عياناً. ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يوقف عليه ويستأنف بقوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ هو قولهم للرسول (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) [يس: ١٥] و(لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) [المؤمنون: ٢٤] ونحو ذلك ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة ﴿وَالتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ القرآن ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ «ما» موصولة والراجع من الصلة محذوف أي وما أذروه من العقاب، أو مصدرية أي وإنذارهم ﴿هُزُؤًا﴾ موضع استهزاء ﴿بِسُكُونِ الزَّايِ وَالْهَمْزَةِ: حَمْزَةٌ، وَيَبْدَالِ الْهَمْزَةِ وَوَاوٍ: حَفْصٌ، وَبُضْمِ الزَّايِ وَالْهَمْزَةِ: غَيْرَهُمَا. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ﴾ بالقرآن ولذلك رجع الضمير إليها مذكراً في قوله أن «يفقهوه» ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ﴿وَسَيِّئٌ مَا قَدَّمْتُ يَدًا﴾ عاقبة ما قدمت يدها من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء. ثم علل ﴿إِعْرَاضَهُمْ وَنَسْيَانَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ آيَاتًا﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

هُزًا - بنقل حركة الهمزة إلى الزاي، و حذف الهمزة - حمزةً وَقَفًا (٥) هُزًا ١ - بضم الزاي، والهمزة - الباقون — الاختلاف الأول في الزاي، وهو الإسكان عند حمزة، والضم عند الباقيين. والاختلاف الثاني في آخر الكلمة فهو واو عند حفص، و همزة عند الباقيين وصلًا و وقفًا. و عند حمزة همزة وصلًا فقط و في الوقف عنده حالتان الواو كحفص، و نقل الفتح إلى الزاي و حذف الهمزة - فعند حمزة ثلاث قراءات، إحداها في الوصل، والباقيتان في الوقف - و عند حفص قراءة واحدة، و عند الباقيين قراءة واحدة.

(١٧٨) بيان للمعنى المراد. وأصل أعرض: أظهر عرضه أي ناحيته، وإذا قيل أعرض عني فمعناه ولَّى مُبَدِّيًا عرضه (مفردات) ثم يستعار لعدم القبول، و كذا أبان المراد من نسيان الكفر والمعاصي، أنه لم يتفكر في عاقبتها، ولم ينظر في جزاء الأعمال، لأنه لم يتدبر في القرآن، ولم يمتنع عن إنكار البعث والجزاء، فهو غافل عن عاقبة كفره، و عقاب ذنوبه.

(١٧٩) القول الآتي يفيد التعليل لأنه جواب عن السؤال عن العلة، وقوله مطبوع بمعنى مختوم على قلوبهم، و أن يفقهوه إما مفعول لما دل عليه الكلام - أي منعناهم أن يقفوا على كنهه، أو مفعول له أي =

(١٧٥) قوله كوفي أي عند قراءة الكوفة الثلاثة، الأخوان حمزة و علي الكسائي و عاصم، قُبَلًا بضمين جمع قبيل نحو سيل و سبيل، قِبَلًا بكسر ففتح عند الباقيين أي نافع، و ابن كثير، و أبي عمرو، و ابن عامر و كذا عند يعقوب من العشرة.

(١٧٦) أصل الدحض الزلق يقال دَحَضْتُ رِجْلَهُ أَي زَلَقْتُ، تَدَحَضُ دَحَضًا (ف) و دَحَضْتُ الشَّمْسُ عَنْ كِبِدِ السَّمَاءِ زَالَتْ، و دَحَضْتُ حَجَّتَهُ دُحُوضًا بطلت، و أدحضاها الله أبطلها و مكان دَحَضُ: مزل مزلق.

(١٧٧) فإن الهزة هو السخر، و إنما جعلوه مهزواً به أو موضع استهزاء لا الهزة نفسه لكن السائر الغالب في كلام العرب هو استعمال الهزة في نحو هذا المقام بالتأويل المذكور. أما القراءات في هزوا فقال العلامة علي النوري الصفاقسي في كتابه غيث النفع في القراءات السبع: قرأ حمزة بإسكان الزاي، والباقون بالضم. و حفص بالواو، والباقون بالهمز، إلا أن حمزة في الوقف يبدلها واوًا كحفص، وله أيضًا نقل حركة الهمزة إلى الزاي و حذفها - اه - (ص ٢٢٥) فالقراءات خمس هكذا:

(١) هُزُؤًا - بضم الزاي، والواو - حفص (٢) هُزَّءٌ أ - بإسكان الزاي، والهمزة - حمزة وصلًا (و خلف، في الحالين) (٣-٤) هُزُؤًا - بإسكان الزاي، والواو -

أغطية جمع كنان وهو الغطاء ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً عن استماع الحق وجمع بعد الإفراد حملاً على لفظ من ومعناه<sup>(١٨٠)</sup> ﴿وَأَنْ تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ إلى الإيمان ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾ فلا يكون منهم اهتداء ألبتة ﴿إِذَا﴾ جزاء وجواب<sup>(١٨١)</sup> فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم؟ فقيل: ﴿وَأَنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا﴾ ﴿أَبَدًا﴾ مدة التكليف كلها. ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾<sup>(١٨٢)</sup> البليغ المغفرة ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿لَوْ يَأْخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَل لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلاً مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم بدر ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ منجى ولا ملجأ يقال: وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه<sup>(١٨٣)</sup> ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الْقُرَى﴾ صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس والخبر ﴿أَهْلُكُنْهُمُ﴾ أو (تلك القرى) نصب بإضمار «أهلكننا» على شريطة التفسير، والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود ﴿لَبَّا ظَلَمُوا﴾ مثل ظلم أهل مكة ﴿وَجَعَلْنَا لِيَهْلِكُهُمْ مَوْعِدًا﴾<sup>(١٨٤)</sup> وضرربنا

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

وقع. وليس المراد بالجواب والجزاء معناهما الاصطلاحي حتى يكونا بمعنى واحد. (إكليل) وقول المصنف: فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول - الخ - تفريع على كونها جواباً. وتنبه على أنها جواب لكلام مقدر، وهو قول الرسول مالي لا أدعوهم، والجواب مجموع الشرط والجزاء أي إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً - والمراد بالأبد مدة التكليف لأن كل كافر يؤمن بعد الموت. وهذا الحكم لقوم معينين من الكفار علم الله أنهم يموتون مصرين على الكفر.

(١٨٢) ربك مبتدأ، الغفور خبره، و ذو الرحمة خبر بعد خير، و غفور على زنة فعول للمبالغة و لذا فسره بقوله البليغ المغفرة.

(١٨٣) و بابه ضرب، والمصدر و ألا ، وئبلاً، وؤلاً على أوزان فَعَل و فَعِيل و فُعُول كما في القاموس.

(١٨٤) القراءات - (١) مَهْلِكٌ - بفتح الميم واللام - شعبة (٢) مَهْلِكٌ - بفتح الميم و كسر اللام - حفص (٣) مَهْلِكٌ - بضم الميم وفتح اللام - الباقون - هلك. =

= كراهة أن يفقهوه (أبو السعود) والمراد أنهم لما أعرضوا عن القرآن وأصروا على الكفر سلب الله عن قلوبهم استعداد فهم الحق، و عن آذانهم قوة استماعه، و جعل فيهما ختمًا و صمًا معنويًا.

(١٨٠) الضمائر ترجع إلى من في قوله مَمَّنْ ذَكَرَ الخ. والإفراد في ذكر، و أعرض، و نسي، و يده، والجمع في قلوبهم، و يفقهوا، و آذانهم، فالإفراد موافقة للفظ من، و الجمع مراعاة لمعناه.

(١٨١) إذا جزاء و جواب - كذا في عامة كتب النحو - و للنحاة فيه كلام - فقال الفارسي: إن المراد أنها تارة تكون كذا و تارة كذا. فالأول نحو آتيك غداً فتقول إذن أكرمك، والثاني نحو أن يقول آتيك غداً فتقول إذن أظنك صادقاً. إذ لا جزاء فيها هنا.

وقال الدماميني في شرح التسهيل: الصواب أن يقال كونها جواباً لا ينفك عنها، بخلاف الجزائية، فإنها قد تنفك عنها. و معنى كونها جواباً أنها لا تقع إلا في كلام يجاب به كلام آخر، إما محقق و إما مقدر. و معنى كونها جزاءً أنه يجازى بها أمر



لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته. وافتح الميم وكسر اللام: حفص، وافتحهما: أبوبكر أي لوقت هلاكهم أو لهلاكهم والموعود وقت أو مصدر.

﴿وَأَذِّ﴾ واذكر إذ ﴿قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾<sup>(١٨٥)</sup> هو يوشع بن نون.<sup>(١٨٦)</sup> وإنما قيل «فتاه» لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم ﴿لَا أَلْبَرُحُ﴾ لا أزال<sup>(١٨٧)</sup> وقد حذف الخبر للدلالة الحال

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

استجماع موجبات الشرف التام في حقه ذهب إلى الخضر لطلب العلم، و تواضع له. و ذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر. و أما نفع هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكة إن أخبركم محمد عن هذه القصة فهو نبي وإلا فلا. وهذا ليس بشيء، لأنه لا يلزم من كونه نبياً أن يكون عالماً بجميع القصص والوقائع بدون إعلام من الله تعالى كما أن كون موسى عليه السلام نبياً صادقاً لم يلزم أن يعلم جميع العلوم، و أمره الله تعالى أن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه. فظهر مما ذكرنا أن هذه القصة قصة مستقلة بنفسها و مع ذلك فهي نافعة في تقرير ما هو المقصود في القصتين المتقدمتين. (مفاتيح الغيب، بتلخيص و توضيح)

(١٨٦) كما هو ثابت في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما مرفوعاً. وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام. وقد نبأه الله بعد موت موسى، و قاتل الجبارين، و هو الذي وقفت له الشمس. (جمل) والعرب تسمى الخادم فتى، لأن الغالب استخدام من هو في سن الفتوة (خفاجي)

(١٨٧) قوله لا أزال - أوضح به أن لا أبرح فعل ناقص مع اسمه الذي هو ضمير المتكلم، ثم ذكر أن خبره محذوف، و أصل الكلام لا أزال أسير حتى أبلغ. فحذف الخبر وهو أسير، والحذف لا بد له من قرينة، فنبه أن هنا قرينتين، حالية، و مقالية. أما الحال فهو أنه كان سائراً في السفر فقوله لا أبرح يدل على أن المراد لا أبرح أسير. أما المقال فهو أن بعد ذلك حتى أبلغ، وحتى للغاية، و الغاية تقتضي المغيا. فالغاية مذكورة و هي بلوغ مجمع البحرين، لكن المغيا ليس بـمذكور، فذكر الغاية =

= المجرد من س و ض ، و مهلك بفتح الميم اسم ظرف، أو مصدر ميمي، و بضم الميم أيضاً إمّا اسم ظرف من الإهلاك أو مصدر منه، فإن المصدر الميمي من غير الثلاثي المجرد على وزن اسم الظرف منه قياساً. والموعود أيضاً إمّا مصدر أو ظرف. و جاز في كل من المهلك - على القراءات - والموعود هنا أن يكون زماناً و مصدرًا، لكن إذا كان أحدهما زماناً لا بد من جعل الآخر مصدرًا، لئلا يكون للزمان زمان، و تفسير المصنف (ضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً) إشارة إلى أن الأول مصدر، والثاني اسم زمان، ولم يعكسه لركاكنه. وقال وقتاً معلوماً لأن الموعود لا يكون إلا كذلك وإلا فاسم الزمان مبهم. (خفاجي) و حاصل الآيتين أن الله بليغ المغفرة صاحب الرحمة، يترك كثيراً من أنواع العقاب التي لا تحصى، و يفيض الأرزاق والنعم مع كثرة الذنوب والمعاصي من العباد. و من آثار رحمته ترك العذاب العاجل لكفرة الزمان، و ضرب الأجل المعلوم لمؤاخذتهم، كما أمهل الكفرة السابقين مدة واسعة و ضرب لإهلاكهم وقتاً معلوماً حتى يتوبوا أو تلزمهم الحجة و يذهب العذر، فليحذر المخالفون، و ليرجعوا إلى الطاعة والإيمان عاجلاً ليأمنوا عذابه آجلاً.

(١٨٥) هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى في هذه السورة ، وهي أن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر عليه السلام ليتعلم منه العلم. وهذا وإن كان كلاماً مستقلاً في نفسه إلا أنه يعين على ما هو المقصود في القصتين السابقتين. أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار المفتخرين فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه و عمله، و علو منصبه، و

والكلام عليه، أما الأولى فلأنها كانت حال سفر وأما الثاني فلأن قوله: ﴿حَتَّىٰ آتَيْنَاهُمُ الْبَحْرَيْنِ﴾ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم. وسمي خضراً لأنه أينما يصلي يخضر ما حوله ﴿أَوْ أَمْضَىٰ حَقْبًا﴾ أو أسير زماناً طويلاً قيل ثمانون سنة. <sup>(١٨٨)</sup> رُوي أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط <sup>(١٨٩)</sup> سأل ربه: أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأبي عبادك أفضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأبي عبادك أعلم؟ قال: الذي يتبني علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، <sup>(١٩٠)</sup> فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلي عليه. قال: أعلم منك الخضر. قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند

مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أحقاب وأحقب. وروي ابن جرير تفسيره عن ابن عباس (دهراً) وعن قتادة وابن زيد (زماناً) وعن عبد الله بن عمرو (ثمانين سنة) وعن مجاهد (سبعين خريفاً) وحكي أنه في لغة قيس سنة واختار تفسيره بقوله: أو أسير زماناً ودهراً، وهو واحد، و يجمع كثيره وقليله أحقاب. (جامع البيان) <sup>(١٨٩)</sup> من قوله لما ظهر - إلى هنا مأخوذ مما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه. قال ابن عطية: لم يُعرف أن موسى عليه الصلاة والسلام أنزل قومه مصر، ولا أراه يصح - وفيه نظر - (عناية القاضي) <sup>(١٩٠)</sup> من قوله سأل ربه - إلى هنا فيما أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخطيب، وابن عساكر من طريق هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفاً. وما بعده ملخص مما رواه البخاري ومسلم وغيرهما بطرق وألفاظ مختلفة (جمعها الإمام السيوطي في الدر المنثور) عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. قوله: الذي يتبني الخ - ضمناه معنى يضم، أو تجوز به عنه فلذا عداه يالي. وقوله: عسى. ترجح على لسان العبد. وقوله: عن ردى بفتح الراء وبابه سمع: الهلاك، والمراد عمّا يوقعه في الهلاك. وقوله كيف لي به أي كيف السبيل لي بلقائه، أو كيف يتيسر لي الظفر به. =

= يدل على أن المعنى محذوف، ولا بد أن يكون مناسباً للبلوغ، وهو السير. هذا توضيح كلامه: "و أما الثاني فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة أي محدودة معينة، تستدعي أي تطلب و تقتضي شيئاً هي غاية أي حدّ ونهاية له. فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير الخ".  
قوله: وهو المكان الذي الخ - كما في الحديث المرفوع عند البخاري وغيره، قوله: وهو ملتقى بحر فارس والروم. رواه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، قوله: وسمى خضراً الخ رواه سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن مجاهد. وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً: لأنه صلى على فروة بيضاء فاهترت خضراء وأخرج البخاري وأحمد والترمذي وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتر من خلفه خضراء (الدر المنثور) الفروة هنا وجه الأرض، قاله الخطابي وغيره (قرطبي) والخضر بفتح الخاء وكسر الضاد، والخضر بكسر الخاء وسكون الضاد (قاموس) ودخول اللام عليه للإشارة إلى الوصفية مثل الحسن والحسين. (إكليل) <sup>(١٨٨)</sup> في القاموس: الحقب - بالضم، وبضمين - ثمانون سنة أو أكثر، والدهر، والسنة أو السنون - والجمع:

الصخرة قال: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مکتل فحيث فقدته فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال: وأنى بأرضنا السلام: فعرفه نفسه فقال: ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ مجمع البحرين ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ أي نسي أحدهما وهو يوشع لأنه كان صاحب الزاد دليله (فإنى نسيت الحوت) وهو كقولهم: «نسوا زادهم» وإنما ينساه متعهد الزاد. (١٩١) قيل: كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى. فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أي اتخذ طريقاً له من البر إلى البحر ﴿سَرَبًا﴾ نصب على المصدر (١٩٢) أي سرب فيه سرباً يعني دخل فيه واستربه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله (١٩٣) ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لَفَتْنَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك ﴿قَالَ ارْجِعْ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ هي موضع الموعد ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ ثم اعتذر فقال: ﴿وَمَا أُنْسِينِي﴾ و بضم الهاء: حفص ﴿إِلَّا الشَّيْطَانَ﴾ بإلقاء الخواطر في القلب ﴿أَنْ أذُكَّرَ﴾ بدل من الهاء في «أنسانيه» أي و ما أنساني ذكره إلا الشيطان ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ و هو أن أثره بقي إلى حيث سار (١٩٤) ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُو﴾ نطلب. وبالياء: مكى، (١٩٥) وافقه

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

= و المکتل بكسر الميم و فتح التاء الفوقانية: الزنبيل كما في شرح البخاري (خفاجي) قوله: مسجى بثوبه أي مغطى به و في رواية: تسجى بثوبه أي تغطى و تلفف به، قوله: أنى بأرضنا السلام؟ أي السلام ليس بمعروف هنا. قوله: فعرفه نفسه: من التفعيل أي أخبره بأني موسى بني إسرائيل. (١٩١) فالنسيان وقع من واحد يحتفظ بالزاد و يتفقده حالاً بعد حال، لكنه أسند إلى الجماعة، كذا هنا. قوله: روح الماء الروح بفتح الراء، الراحة ونسيم الريح. (١٩٢) أي هو مفعول مطلق لفعله المقدر، وهو سرب من ن قال الراغب: السرب الذهاب في حدود، والسرب المكان المنحدر. يقال سرب سرباً و سروباً نحو مرراً و مروراً. (مفردات) والسرب من معانيه الطريق أيضاً (قاموس) قول المصنف: استربه من الافتعال أي اتخذ سرباً و طريقاً.

(١٩٣) في الصحيحين وغيرهما مرفوعاً: فانطلقا بقية يومهما و ليلتهما حتى إذا كان من الغد قال - الخ. قوله: ولم يتعب ولا جاع الخ في ذلك الحديث: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، قوله: بدل من الهاء أي بدل الاشتمال - والبدل هو المقصود لذا فسره بما يأتي.

(١٩٤) في الحديث المذكور: و أمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق. قال الخفاجي: و ليس المراد بالطاق الكوة، بل البناء المقوس كالقنطرة، فالسرب كالنفق. لا مقابله كما قيل. و قوله: عجباً إنما صفة لمصدر محذوف أي اتخاذاً عجباً، أو هو ثاني مفعولي اتخذ - والتقدير سبيلاً عجباً والمفعول الأول سبيله - وقيل فيه غير ذلك. (١٩٥) نبغي بإثبات الياء قرأه ابن كثير المكى وصلأ و وقفأ، و نبغ بحذف الياء قرأه عاصم، و حمزة، و ابن =



قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه. ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ﴾ وبفتح الياء: حفص، وكذا ما بعده في هذه السورة ﴿صَبْرًا﴾ أي عن الإنكار والسؤال<sup>(٢٠١)</sup> ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ تمييز، نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبياً<sup>(٢٠٢)</sup> ﴿قَالَ سَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ من الصابرين عن الإنكار والإعراض ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ في محل نصب عطف على (صابراً) أي ستجدني صابراً وغير عاص، أو هو عطف على (ستجدني) ولا محل له ﴿قَالَ فَإِنِ ابْتَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ بفتح اللام وتشديد النون: مدني وشامي، وبسكون اللام وتخفيف النون: غيرهما، والياء ثابتة فيهما إجماعاً<sup>(٢٠٣)</sup> ﴿عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك أن لا تفتاحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك،<sup>(٢٠٤)</sup> وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع. ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها: هما من اللصوص، وقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء فحملوهما بغير نول، فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الصبر. قوله يتولى أموراً، أي يباشرها ويقوم بها. مناكير أي منكرات. لا يتمالك أن يجزع. أي لا يقدر على نفسه، ولا يستطيع منعها من الجزع و فقد الصبر.

(٢٠٣) بفتح اللام و نون التأكيد الثقيلة قرأ نافع و أبو جعفر المدنيان، وابن عامر الشامي، والأصل (لا تسألنني) حذفت نون الوقاية لاجتماع النونات، و كسرت الشديدة للياء، و بسكون اللام و تخفيف النون قرأ غيرهم على أن النون للوقاية. (إكليل)

(٢٠٤) هذه عبارة الكشاف سوى بعض اللفظ، قوله فمن شرط اتباعك خير مقدم، أنك مبتدأ مؤخر، و خبر أن جملة إذا رأيت و جزء إذا محذوف، و قوله أن لا تفتاحني بدل من أنك، وهو المقصود، أي من شرط الاتباع عدم المفاتحة أي عدم الابتداء بالسؤال، و عدم المراجعة فيه أي في ذلك الشيء. حتى أكون أنا الفاتح أي المبتدئ بالذكر والبيان.

= لطلب العلم، و سأل الخضر أن يعلمه، فإذا كان هذا هدى مثل هذا الرسول العظيم، فما أجدر غيره من الخلق أن يجهد في سبيل جمع العلم و طلبه. و أنه عليه السلام تواضع للخضر غاية التواضع حيث عرض عليه مطلوبه بطريق السؤال، و جعل نفسه تابعا و متعلما، و إياه متبوعا و معلما ولم يقل علمني صراحة. (٢٠١) الصبر هو الحبس والإمساك، و يتعدى بعن و على، فالصبر عن شيء حبس النفس و منعها عنه أي الإمساك و الامتناع عنه. و الصبر على شيء حبس النفس عليه، أي الثبات، والقرار عليه. كذا فهمت من الاستعمال و كتب اللغة، والبسط فيها. (٢٠٢) قوله: تمييز، يرفع الإبهام في نسبة الإحاطة إلى المخاطب، أي لم يحط به خيرك. و خير يخبر من باب نصر و علم معناه عرف. قوله: نفى استطاعة الصبر الخ. من وجوه التأكيد تصدير الكلام بأن، و إيراد لن، و إدخالها على الاستطاعة دون نفس الصبر، و تنكير صبرا في سياق النفي أي شيئاً من

بشابه<sup>(٢٠٥)</sup> ثم ﴿ قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ «ليغرق» حمزة وعلي من غرق<sup>(٢٠٦)</sup> ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ أتيت شيئاً عظيماً من أمر الأمر إذا عظم. ﴿ قَالَ ﴾ أي الخضر ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ فلما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة ﴿ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِنِيبَاتِ النَّاسِ ﴾ بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني<sup>(٢٠٧)</sup> أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه على الناسي، أو أراد بالنسيان الترك أي لا تأخذني بما تركت من وصيتك أول مرة<sup>(٢٠٨)</sup> ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسراً من أمري وهو اتباعه إياه أي ولا تعسر عليّ متابعتك ويسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة<sup>(٢٠٩)</sup> ﴿ فَانطَلَقَا ﴾ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ قيل: ضرب برأسه الحائط. وقيل: أضجعه ثم ذبحه بالسكين.<sup>(٢١٠)</sup> وإنما قال: «فقتله» بالفاء وقال: «خرقها» بغير فاء، لأن «خرقها» جعل جزاء للشرط وجعل «قتله» من جملة الشرط معطوفاً عليه والجزاء ﴿ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا ﴾ وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام<sup>(٢١١)</sup> ﴿ زَكِيَّةً ﴾ «زاكية»

#### مواهب المجلد لتجلية مدارك التنزيل

- (٢٠٥) في إحدى روايات البخاري. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول (أي أجرة). عمدت إلى سفينتهم فخرقتها - و في رواية له: فخرقتها، و وتد فيها وتدًا، و في رواية عند عبد بن حميد وغيره: أخرج (أي الخضر) منقاراً له و مطرقة ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها (الدر المنثور، و ابن جرير) قوله: فلما لججوا أي ركبوا اللجة، و لجة البحر حيث لا يدرك قعره، (إكليل من لسان العرب) قوله: مما يلي الماء أي ما يقرب و يتصل بالماء.
- (٢٠٦) ليغرق بالياء مفتوحة، و فتح الراء، و رفع لام أهلها حمزة وعلي من غرق كسمع، و الباقيون بالياء مضمومة و كسر الراء من الإغراق، و نصب لام أهلها (إكليل) قوله: من أمر الأمر بابه سمع - قوله لم يفر على زنة لم يقل من فار يفور فوراً و فوراً و فوراً. جاش، و نبع (قاموس)
- (٢٠٧) أي يجوز أن تكون ما موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية.
- (٢٠٨) لكن عند البخاري وغيره بسند صحيح عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً - اهـ.
- (٢٠٩) رهقه بابه طرب، وأرهقه عسراً: كلّفه إياه، والإغضاء في الأصل تقريب الجفنين، يلزمه عدم النظر إلى بعض الأشياء، فاستعمل بمعنى الحلم و ترك المؤاخذه.
- (٢١٠) في البخاري: قال يعلى قال سعيد: وجد غلاماً يلعبون فأخذ غلاماً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين، و في الصحيحين والترمذي: فأخذ الخضر رأسه بيده، فاقتلعه بيده فقتله و روى ابن جرير أن الخضر مرّ بغلمان يلعبون فأخذ بيده غلاماً ليس فيهم أضوء منه، و أخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمّغه فقتله: قال القرطبي: ولا اختلاف بين هذه الأحوال الثلاثة، فإنه يحتمل أن يكون دمّغه أولاً بالحجر، ثم أضجعه فذبحه، ثم اقتلع رأسه. والله أعلم بما كان من ذلك - اهـ.
- (٢١١) يرد عليه أن الحديث الصحيح خير شاهد على أن الخرق تعقب الركوب فقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعاً: فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى =

حجازي و أبو عمرو<sup>(٢١٢)</sup> و هي الطاهرة من الذنوب ، إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنت أو لأنها صغيرة لم يبلغ الحنث ﴿بَغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي لم تقتل نفساً فيقتص منها. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل.<sup>(٢١٣)</sup> ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ وبضم الكاف حيث كان: مدني وأبو بكر<sup>(٢١٤)</sup> وهو المنكر. وقيل: النكر أقل من الأمر لأن قتل نفس واحدة

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بالغا يقطع الطريق بين قريتين ، وقال الجمهور لم يكن بالغا - اه - وقد جاء فيما رواه عبد بن حميد، و عنه ابن جرير عن أبي بن كعب مرفوعاً: صغير لا ذنب له. وفي كتاب العرائس للثعلبي: إن موسى لما قال للخضر: أقتلت نفساً زكية - الآية - غضب الخضر واقتلع كنف الصبي الأيسر، وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كنفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبداً (قرطبي) وأخرج مسلم وأبو داؤد والترمذي وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً، ولو أدرك لأرهبك لأبويه طغياناً وكفراً. (الدر المنثور) قوله: فيقتص منه أورد عليه أن الصبي لا قصاص عليه. و أجاب عنه الكرمانى في شرح البخاري بأن المراد التنبيه على أنه قتله بغير حق - أو أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي - اه - وقد نقل المحذثون كالبيهقي أنه كان في شرعنا كذلك قبل الهجرة - وقال السبكي: قبل أحد - ثم نسخ، وعلى هذا بنى المصنف رحمه الله قوله فيقتص منه (شهاب) (٢١٣) روى نحوه أبو يعلى (ابن حجر) و رواه الإمام أحمد عن عطاء عن ابن عباس مختصراً، وأخرج ابن أبي شيبة عن يزيد بن جرير بمعناه مفصلاً (الدر المنثور) قوله: نجدة الحروري: أي نجدة بن عامر الحروري الحنفي اه لسان العرب، و أيضاً فيه: حُرُوراء موضع بظاهر الكوفة يُنسب إليه الحرورية من الخوارج. لأنه كان أول اجتماعهم بها و تحكيمهم حين خلفوا علياً رضي الله تعالى عنه. (إكليل) (٢١٤) نكرا بضمين - نافع المدني، و أبو جعفر المدني من العشرة و كذا يعقوب البصري و شعبة عن عاصم، و ابن ذكوان عن ابن عامر و نُكراً بضم فسكون - الباقر.

= سفينتهم فخرقتها - الخ - وقال البيضاوي في وجه تغير النظم: ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاءً، واعتراض موسى عليه السلام مستانفاً، وفي الثانية قتلُه من جملة الشرط، واعتراضه جزاءً، لأن القتل أقيح ، والاعتراض عليه أدخل، فكان جديراً بأن يجعل عمدة الكلام - وذكر أبو السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" وجهاً آخر، حاصله أن الخضر عليه السلام أكد نفي الصبر عن موسى، وعلله بأنه يرتكب أموراً غريبة لا يتمالك الرجل الصالح معها الصبر فالسامع تشوقت نفسه إلى علم ما يرتكب من الغرائب فاعتنى به التنزيل وقصّ أنهما لما ركبا في السفينة خرقها الخضر، مع أن الإنسان يهتم بصيانة مثلها إذا ركبها و ذكر بعد ذلك اعتراض موسى عليه السلام ثم جواب الخضر و وعد موسى المؤكّد، فالسامع تحقق عنده أن الخضر لا محيد له عن ارتكاب الغرائب والخوارق لكن نشأ ترقبه وانصرفت نفسه إلى أن موسى هل يثبت على وعده أم يفقد صبره، فاهتم التنزيل ببيان حال موسى عليه السلام بأن جعل ما وقع منه عمدة و جزاء، و ما وقع من الخضر وضعه بموضع ما يجري عادة و جعله جزء من الشرط فقال: فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس - الآية -

(٢١٢) زاكية بالألف بعد الزاي، و تخفيف الياء اسم فاعل حجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، أي ابن كثير المكي، و نافع المدني، و كذا أبو جعفر المدني - وليس من السبعة بل هو من العشرة - و أبو عمرو البصري - والباقر بتشديد الياء من غير ألف (إكليل) قال القرطبي: اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغا أم لا؟ فقال الكلبي: كان



أهون من إغراق أهل السفينة، أو معناه جئت شيئاً أنكروا من الأول لأن الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ زاد ﴿ لك ﴾ هنا لأن النكر فيه أكثر ﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴿ بعد هذه الكرة أو المسألة ﴾ فَلَا تُصِيبُنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿ أعدرت فيما بيني وبينك في الفراق. و (لدي) بتخفيف النون: مدني وأبو بكر. ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا آتَيْتَ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ هي أنطاكية أو الأبله وهي أبعد أرض الله من السماء ﴿ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا ﴾ استضافا ﴿ فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام: "كانوا أهل قرية لثاماً" وقيل: شر القرى التي تبخل بالقرى ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا ﴾ في القرية ﴿ جِدَارًا ﴾ .....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إنطاكية - بالفتح والكسر، وسكون النون، وكسر الكاف، وفتح الياء المخففة - قاعدة العواصم، وهي ذات أعين و سور عظيم من صخر، داخله خمسة أجبل، دورها اثنا عشر ميلاً. أبله كعتلة موضع بالبصرة أحد جنان الدنيا. (قاموس) (٢١٧) أي طلبا الضيافة فسره به لما يدل عليه قوله فأبوا أن يضيفوهما. قوله عليه السلام في أهل القرية أخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى فأبوا أن يضيفوهما قال: كانوا أهل قرية لثاماً، وهو في مسلم بلفظ: فانطلقا حتى أتيا أهل قرية لثاماً. (تخريج أحاديث الكشاف للعلامة ابن حجر) قوله: شر القرى بضم القاف جمع قرية بالقرى بكسر القاف. قرى يقري (ض) قرى و قرأ الضيف: أضافه والقرى ما يقدم للضيف، أيضاً، وفي صحيح البخاري عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال قلنا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرؤنا فما ترى فيه؟ فقال لنا: إن نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف (كتاب المظالم. باب قصاص المظلوم إذا وجد ماله) ظاهر هذا الحديث أن قرى الضيف واجب، وأن المنزل عليه لو امتنع من الضيافة أخذت منه قهراً. وإليه ذهب الليث مطلقاً، وخصه أحمد بأهل البوادي دون القرى. وقال الجمهور: الضيافة سنة مؤكدة وليست بواجبة. وأجابوا=

(٢١٥) لُدْنِي - بضم الدال وكسر النون مع التخفيف نافع، وأبو جعفر المدنيان، و لُدْنِي بإسكان الدال مع إشمامها الضم شعبة، وله وجه آخر وهو اختلاس ضمة الدال. لُدْنِي بضم الدال وتشديد النون مع الكسر، الباقون. وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم - وصححه - وابن مردويه، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: رحمة الله علينا وعلى موسى - فبدأ بنفسه - لو كان صبر لقصص علينا من خبره، ولكن قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني (الدر المنثور) وروى ابن جرير بطريق حمزة الزيات عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً - مثقلة - اه أي بتشديد النون (جامع البيان للطبري) و رواه بهذا الطريق أبو داؤد، والنسائي، وابن حبان وأصله في مسلم (الكافي الشاف للإمام ابن حجر العسقلاني) (٢١٦) وهنا أقوال أخرى، قال ابن حجر في شرح البخاري: الخلاف هنا كالخلاف في مجمع البحرين، ولا يوثق بشيء منه - اه - أنطاكية أخرجه ابن أبي حاتم بطريق قتادة عن ابن عباس: قال هي أبرقة، قال وحدثني رجل أنها أنطاكية، وأخرج عن محمد بن سيرين قال: أتيا الأبله وهي أبعد أرض الله من السماء - اه -

طوله مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ﴾ يكاد يسقط استعيرت الإرادة للمدانة والمشاركة كما استعير الهم والعزم لذلك<sup>(٢١٨)</sup> ﴿فَأَقَامَهُ﴾ بيده أو مسحه بيده فقام واستوى، أو نقضه وبناه. وكانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزمتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسياً، فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن ﴿قَالَ لَوْ شِئْتُ لَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ اجْرًا﴾ أي لطلبت على عملك جعلاً حتى تستدفع به

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الجائف الذي يغيب فيه القتل) ومن قول الآخر: يريد الرمح صدر أبي براء ❖ ويرغب عن دماء بني عقيل وقال آخر: (حسان بن ثابت) إن دهرًا يلفت شملي بجمل ❖ لزمان يهّم بالإحسان (جمل بضم الجيم وسكون الميم اسم امرأة) وقال آخر: في مهمه فلقّت بها هاماتها ❖ فلق الفؤس إذا أردن نصولاً أي ثبوتاً في الأرض، من قولهم نصل السيف إذا ثبت في الرمية، فشبه وقع السيوف على رؤسهم بوقع الفؤس في الأرض - الخ - قوله فأقامه بيده - كما في رواية البخاري بطريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب مرفوعاً - أو مسحه بيده فقام واستوى - كما في روايته بطريق ابن جريج عن يعلى عن سعيد - أو نقضه وبناه - كما رواه ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: هدمه ثم قعد بينيه - اه - قال القرطبي: قال سعيد بن جبير مسحه بيده وأقامه فقام، وهذا القول هو الصحيح وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل والأولياء. وفي بعض الأخبار: إن سُمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعاً بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمس مائة ذراع، وعرضه خمسون ذراعاً فأقامه الخضر عليه السلام أي سواه بيده فاستقام. قاله الثعلبي في كتاب العرائس - اه - قال الشهاب: وعدم استحقاق الأجر مع حصول الغرض غير مسلم، ولا يضره سهولته على الفاعل - اه -

قوله لزمتهما الحاجة الخ: لَزَّ (ن) لَزًّا ولَزَزًا و لَزَّازًا، الشيء بالشيء: شدّه وألصقه به، والشيء بالشيء: لَصَقَ، ولَزّه إلى كذا: اضطره إليه - أي ألجأهما الاحتياج إلى السؤال، قوله جعلاً: أي أجرة.

= عن حديث الباب بأجوبة: أحدها حملة على المضطرين. وثانيها أن ذلك كان في أول الإسلام، وكانت المواساة واجبة فلما فتحت الفتوح نسخ ذلك. ويدل على نسخه قوله عليه السلام في حديث أبي شريح عند مسلم في حق الضيف "و جازتته يوم و ليلة" و الجائزة تفضل، لا واجبة. و ثالثها أنه مخصوص بالعمال المبعوثين بقبض الصدقات من جهة الإمام و كان على المبعوث إليهم إنزالهم في مقابلة عملهم الذي يتولونه لأنه لا قيام لهم إلا بذلك. (حاشية البخاري عن الفتح والعمدة والكرمانى) والحاصل أن النزول إذا لم يجد بدًّا حلّ له السؤال، و وجب على المنزول عليه قرأه. و كان حال موسى والخضر عليهما السلام حال اضطرار، و لذا طلبا الضيافة، و ذم أهل القرية بعدم الإجابة. قوله: طوله مائة ذراع، قال وهب بن منبه:

طوله مائة ذراع في السماء (قرطبي) (٢١٨) قوله للمدانة والمشاركة، المدانة من المفاعلة مجردها من الدنو بمعنى المقاربة وكذا المشاركة، قال القرطبي: أي قرب أن يسقط، وهذا مجاز و توسع وقد فسره في الحديث بقوله "مائل" فكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن، وهو مذهب الجمهور - وجميع الأفعال التي حقها أن تكون للحجّي الناطق متى أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنما هي استعارة، أي لو كان مكانهما إنسان لكان ممثلاً لذلك الفعل، وهذا في كلام العرب و أشعارها كثير فمن ذلك قول الأعشى:

أ تتهون ولا ينهى ذوي شطط  
كالطعن يذهب فيه الزيت والقتل  
فأضاف النهي إلى الطعن. (الشطط: الجور والظلم، يقول لا ينهى الظالم عن ظلمه إلا الطعن

الضرورة. «لتخذت»<sup>(٢١٩)</sup> بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال: بصري، ويأظهارها: مكّي، وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال: حفص، وبتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام الذال في التاء: غيرهم. والتاء في «تخذ» أصل كما في «تبع»، و«اتخذ» افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء.

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ هذا إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل هذا فراق بيني وبينك، وقد قرئ به فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به ﴿ سَأَتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾<sup>(٢٢٠)</sup> أمّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِسَكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ قيل: كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمني وخمسة يعملون في البحر<sup>(٢٢١)</sup> ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيِبَهَا ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وَكَانَ وَّرَاءَهُمْ قَلْبٌ ﴾ أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندي ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ أي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصباً وإن كانت معيبة تركها، وهو مصدر أو مفعول له.<sup>(٢٢٢)</sup> فإن قلت: قوله: (فأردت أن أعيبها) مسبب عن خوف الغصب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عن مدافعة خطب غبّر عنهم بمساكين، إذ هم في حالة يُشفق عليهم بسببها، وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة أو خطب: مسكين. (قرطبي)  
(٢٢١) نسبه القرطبي إلى كعب الأحبار وغيره، قوله: أجعلها ذات عيب عاب الشيء بمعنى نسبه إلى العيب ومنه الحديث "ما عاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طعاماً قط" و بمعنى صيره ذا عيب ومنه هذه الآية. قوله: أمامهم: يؤيده ما في البخاري وغيره أن ابن عباس قرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً. قوله: وهو جلندي قاله السهيلي وهو بضم الجيم، وفتح اللام، و سكون النون، و فتح الدال المهملة ثم ألف مقصورة (خفاجي) واسم أبيه كركر على وزن مَرْمَر. و روى ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم ذلك الملك هُدَد بن بُدَد، وهو في رواية البخاري، وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن إسحق، وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة (ابن كثير)  
(٢٢٢) قوله: وهو مصدر أو مفعول له: أي غصباً مفعول مطلق لقوله يأخذ لأن الغصب نوع من الأخذ، أو مفعول له بيان لعلة الأخذ.

(٢١٩) في غيث النفع: قرأ المكّي والبصري بتخفيف التاء الأولى، وكسر الخاء من غير ألف وصل، والباقون بألف وصل و تشديد التاء، و فتح الخاء. ولم يدغم الذال في التاء المكّي و حفص، و أدغمه الباقيون - اه - فالقراء ات أربع (١) لَتَّخَذْتُ - البصري (٢) لَتَّخَذْتُ - المكّي (٣) لَتَّخَذْتُ - حفص (٤) لَتَّخَذْتُ - الباقيون. قوله: والتاء في تخذ أصل - الخ - هذا عند البصريين. و من خالفهم فيه يقول: المدة العارضة تبدل تاء أيضاً، ولكثرة استعماله هنا أجروه مجرى الأصلي، و قالوا: "تخذ" ثلاثياً جرياً عليه. (خفاجي)  
قوله: والأصل هذا فراق وقد قرئ به أي في الشواذ، قرأه ابن أبي عبلة كما في الكشاف.  
(٢٢٠) التأويل: رجع الشيء إلي ماله، و المراد به ههنا المأل والعاقبة، إذ هو المنبأ به، دون التأويل، وهو - أي المأل - خلاص السفينة من اليد العادية، و خلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن، و استخراج اليتيمين للكنز (أبو السعود)  
قوله: فكانت لمساكين: قد قيل إنهم كانوا تجاراً، ولكن من حيث هم مسافرون على قَلْبٍ (أي على شرف هلاك أو خوف) في لُجَّة بحر، و بحال ضعف

عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب. قلت: المراد به التأخير وإنما قدم للعناية.

﴿وَأَمَّا الْعُلْمُ﴾ وكان اسمه الحسين<sup>(٢٢٣)</sup> ﴿فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾<sup>(٢٢٤)</sup> فحفظنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوبه وسوء صنيعه ويلحق بهما شراً وبلاء، أو يعديهما بدائه ويضلها بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر. وإنما خشي الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعته على سر أمره وإن كان من قول الله تعالى، فمعنى (فخشينا) فعلنا إن عاش أن يصير سبباً لكفر والديه ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ (يبدلها ربهما) مدني وأبو عمرو<sup>(٢٢٥)</sup> ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ طهارة ونقاء من الذنوب ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ رحمة وعطفا، و (زكاة) و (رحما) تمييز. روي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبياً أو سبعين نبياً أو أبدلها ابناً مؤمناً مثلها (رُحْمًا) شامي وهما لغتان ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾ .....

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(قرطبي) أما احتمال أن يكون من كلام الله فمرجعه إلى ما ذكر الإمام ابن جرير في تفسيره قائلاً: وهي في مصحف عبد الله بن مسعود فخاف ربك أن يرهقهما طغياناً وكفراً. ثم قال: والخشية والخوف توجّههما العرب إلى معنى الظن، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء، وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى قوله خشينا في هذا الموضع كرهنا لأن الله لا يخشى. اهـ.

(٢٢٥) قرأ أبو عمرو البصري و نافع من السبعة و أبو جعفر المدني من العشرة من التبديل، والباقون من الإبدال، و الفعل مضارع معروف على القراءة - قوله: رحماً بضمين قرأه ابن عامر الشامي، و بضم فسكون، قرأه الباقر. قال القرطبي: و عن ابن جبير و ابن جريج أنهما بدلاً جارية، قال الكلبي فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً، فهدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم. قال قتادة: ولدت اثني عشر نبياً. و عن ابن جريج أيضاً أن أم الغلام يوم قتل كانت حاملاً بغلام مسلم و كان المقتول كافراً. و عن ابن عباس فولدت جارية ولدت نبياً، و في رواية أبدلها الله به جارية ولدت سبعين نبياً، و قاله جعفر بن محمد عن أبيه. قال علماؤنا: وهذا بعيد، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم - اهـ.

قوله: قدم للعناية، أي للاهتمام ببيان أني ما أردت إلا جعلها معيبة، لا خرقها لإغراق أهلها كما أنكرت علي بنسبته إلي.

(٢٢٣) قوله: اسمه الحسين، كذا في الكشاف، و في البخاري: اسمه جيسور، قال القرطبي: و هكذا قيده في الجامع (أي جامع البخاري) من رواية يزيد المروزي، و في غير هذه الرواية جيسور، بالحاء، و عندي في حاشية الكتاب رواية ثالثة: وهي جيسون - اهـ - و فيما عندي من نسخة صحيح البخاري: رواية رابعة جيسور - بالجيم والنون. محمد أحمد المصباحي.

(٢٢٤) أرهقه الأمر: كلفه إياه، وحمله ذلك. و ذكر المصنف لإرهاقهما الطغيان و الكفر معنيين، المعنى الأول راجع إلى أن الكفر بمعنى كفران النعمة، و فاعل الطغيان و الكفران ذلك الولد، فحصل أنا خشينا أن يحتمل الولد طغيانه و كفرانه والديه، و يوقعهما في الشر و البلاء. والمعنى الثاني راجع إلى أن الكفر بمعنى الإنكار و جحود الحق، و فاعل الطغيان و الكفر ذاك الوالدان، فحصل أنا خشينا أن يوقعهما الولد في الكفر و الطغيان، و يجعل داءه متعدياً إليهما. فيصيرا مرتدين بسببه.

قوله: وهو من كلام الخضر - الخ - وهو الذي يشهد له سياق الكلام، وهو قول كثير من المفسرين

أصرم وصريم<sup>(٢٢٦)</sup> ﴿يَبْمِينِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هي القرية المذكورة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ أي لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله. أو مال مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والأول أظهر. وعن قتادة: أحل الكنز لمن قبلنا وحرّم علينا، وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا.<sup>(٢٢٧)</sup>

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ قيل: جدّهما السابع<sup>(٢٢٨)</sup> ﴿صَالِحًا﴾ ممن يصحّبني. وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: بم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما. قال: فأبي وجدي خير منه ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي اللحم ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً﴾ مفعول له أو مصدر منصوب بـ «أراد ربك» لأنه في معنى رحمهما<sup>(٢٢٩)</sup> ﴿مَنْ رَزَقْتَهُ وَمَا فَعَلْتَهُ﴾ وما فعلت ما رأيت ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ عن اجتهادي وإنما فعلته

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

على أدائه ما وجب فيه. وفي العناية شرح الهداية: المال المستخرج من الأرض ثلاثة: الكنز، والمعدن، والركاز. (فالكنز) اسم لما دفنه بنو آدم (والمعدن) اسم لما خلق الله تعالى في الأرض يوم خلقت الأرض (والركاز) اسم لهما جميعاً - هـ - و في المعدن والكنز الخمس كما في الغنائم، وتفصيل الصور والأحكام مذكور في الفقه. نعم حرمة الغنيمة على من قبلنا وحلتها لنا منصوصتان في الحديث. كانوا يجمعون الغنائم وتأتي نار من السماء فتأكلها.

(٢٢٨) قاله جعفر بن محمد، رواه عنه ابن جرير وقال القرطبي: ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دية - هـ - أي الأذنى.

وأخرج ابن مردويه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده، وولد ولده، وأهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم. (الدر المنثور)

(٢٢٩) وأورد عليه أنه إذا كان مصدر أراد ربك بمعنى رحم كانت الرحمة من الرب لا محالة، فأبي فائدة في ذكر قوله «من ربك» وكذا إذا كان مفعولاً له. فأما على تقدير «فعلت ما فعلت رحمة من ربك» فهو منصوب بنزع الخافض، أي برحمة ربك أو هو مفعول له بتقدير إرادة أو رجاء رحمة ربك. (خفاجي) قوله تعالى: «و ما فعلته» الهاء عائدة إلى الأمور الثلاثة، وتذكير الضمير. بتأويل المذكور أو «ما=

(٢٢٦) قوله: صريم، مصغراً بالصاد المهملة (خفاجي) قوله: لوح من ذهب - الخ - أخرجه ابن أبي حاتم و ابن مردويه والبخاري عن أبي ذر مرفوعاً، قال: إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مُصَمَّت (الذي لا خوف فيه) مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصّب، وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك، وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل، لا إله إلا الله محمد رسول الله - وفي إسناده بشر بن المنذر يقال له قاضي المصيصه، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي في حديثه وهم (ابن كثير) و لفظ المصنف في المكتوب في الذهب رواه ابن جرير عن الحسن البصري وفيه روايات أخر، وقال عكرمة وقتادة وغير واحد: وكان تحتها مال مدفون لهما، وهو ظاهر السياق، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى. وما ذكر السلف من كونه مكتوباً فيه، وورد به الحديث المتقدم لا ينافي أنه كان مالا، لأنهم ذكروا أنه كان لوحاً من ذهب. وفيه مال جزيل. أكثر ما زادوا أنه كان مودعاً فيه علم، وهو حكم ومواعظ، والله أعلم. (ابن كثير)

(٢٢٧) لم أجد مأخذ قوله في حرمة الكنز، وإن أراد به مالا لم تؤد زكاته فله دليل في القرآن والسنة، لكن أي دليل على حلة هذا المال لمن قبلنا؟ ولا يظهر هذا المراد من قوله وكان تحتها كنز لهما، بل الظاهر هو المال المدفون، والنص على صلاح الأب دليل

بأمر الله. والهاء تعود إلى الكل أو إلى الجدار ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأجوبة الثلاثة ﴿تَأْوِيلٌ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ حذف التاء تخفيفاً.

وقد زل أقدام أقوام من الضلال<sup>(٢٣٠)</sup> في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي حيث قالوا: أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولي. والجواب أن الخضر نبي وإن لم يكن كما زعم البعض، فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام. على أن أهل الكتاب يقولون: إن موسى هذا ليس موسى بن عمران إنما هو موسى بن ماثان، ومن المحال أن يكون الولي ولياً بإيمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي، ولا غضاضة في طلب موسى العلم لأن الزيادة في العلم مطلوبة. وإنما ذكر أولاً (فأردت) لأنه إفساد في الظاهر وهو فعله، وثالثاً (فأراد ربك) لأنه إنعام محض وغير مقدور البشر، وثانياً (فأردنا) لأنه إفساد من حيث الفعل إنعام من حيث التبديل. وقال الزجاج: معنى فأردنا فأراد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير.<sup>(٢٣١)</sup> ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي اليهود على جهة الامتحان، أو أبو جهل

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

لحكمة عالية. ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى. لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه وتعالى (مفاتيح الغيب)

**تنبيه:** قال ابن كثير في تفسيره: ذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر بلياً بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. قالوا و كان يكنى أبا العباس و يلقب بالخضر، و كان من أبناء الملوك. ذكره النووي في تهذيب الأسماء - اه - وقال علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي الشافعي المعروف بالخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل: اختلف العلماء في أن الخضر أحي أم ميت فقيل: إنه حي وهو قول الأكثرين من العلماء، وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة. والحكايات في رويته والاجتماع به، ووجوده في المواضع الشريفة و مواطن الخير أكثر من أن تحصر. وقيل إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم. و ذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله سبحانه وتعالى (و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة: "أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة لا يبق ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد." ولو كان الخضر حيّاً لكان لا يعيش بعده. اه =

= رأيت" أو الضمير عائد إلى الأخير أي أمر الجدار. (ما لم تستطع) أصله ما لم تستطع يجوز حذف التاء تخفيفاً في استطاع و يستطيع. والتأويل رجوع الشيء إلى مآله.

(٢٣٠) قوله من الضلال، جمع ضال. قوله لا غضاضة أي لا منقصة. غض منه: وضع ونقص من قدره (ن) و أكثر العلماء على أن موسى المذكور في الآية هو موسى بن عمران صاحب التوراة والمعجزات، وفي الصحيحين وغيرهما عن سعيد بن جبير أنه ذكر عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً قاصّاً بالكوفة يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل فقال كذب عدو الله - الحديث - واحتجّ الأكثرون على صحة قولهم بأن موسى حيث أطلق في القرآن أريد به موسى بن عمران، فلو كان المراد ههنا شخصاً آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور. والمنكرون تمسكوا بأن موسى بن عمران قد خصّه الله تعالى بالمعجزات الظاهرة التي لم يتفق لمن قبله مثلها، فيبعد أن يומר بالتعلم والاستفادة، و أجاب عنه المصنف بأن لا منقصة فيه - الخ -

(٢٣١) قال الإمام: لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه فقال أردت أن أعيبها، ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة، فلم يقدم على هذا القتل إلا

وأشياءه ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ هو الإسكندر الذي ملك الدنيا. (٢٣٢) قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أحاديث الكشاف) لكن كتب التاريخ لا تثبت سعة ملكهم جميع الدنيا، بل تذكرها محدودة في ممالك وأقطار خاصة. والمفسرون من الصحابة والتابعين كانوا يأخذون كثيراً من القصص والأقوال من الذين أسلموا من أهل الكتاب، والكتب السابقة تطرق إليها التحريف والتبديل، فسرى الخطأ والغلط في أقوال المفسرين من هذا الطريق.

وكذا اختلفوا في أنه كان نبياً أو ملكاً من الملائكة أو عبداً صالحاً آتاه الله الملك والسعة في البلاد، الأول أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، والثاني أخرجه ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير، وفيه أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والثالث أخرجه ابن مردويه عن سالم بن أبي الجعد قال سئل علي عن ذي القرنين: أن نبي هو؟ فقال سمعت نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: هو عبد ناصح الله فنصحه، وأخرج ابن أبي حاتم عن الأحوص بن حكيم عن أبيه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال: هو ملك مسح الأرض بالإحسان، وهو الراجح.

أما وجه تلقيبه بذي القرنين فقد ذكر المصنف فيه عشرة أقوال:

الأول عن علي رضي الله تعالى عنه. أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه من طريق أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب عن ذي القرنين. الخ.

الثاني يدعوه إلى التوحيد الخ. قريب من الأول رواه أبو الشيخ في العظمة عن أبي الورداء عن علي رضي الله تعالى عنه.

الثالث المروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. قال ابن حجر في كتابه "الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف" لم أجده مرفوعاً، وإنما رواه الدار قطني في الموتلف من رواية عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري قال: إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها، و قرن الشمس من مطلعها. اهـ. وذكره في الدر المنثور =

= وأجيب عن الاستدلال بالآية بأن المراد من الخلد الدوام الأبدي، والقائلون بوجوده اليوم لا يقولون بتأبيده بل منهم من يقول إنه يقاتل الدجال ويموت، ومنهم من يقول إنه يموت زمان رفع القرآن، ومنهم من يقول إنه يموت في آخر الزمان. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما. قال القرطبي: والصحيح أنه حي. و جعل نص الحديث قابلاً للتخصيص. يقول كما لم يتناول العموم عيسى عليه السلام، فإنه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه، ولا يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام، وليس مشاهداً للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضاً فمثل هذا العموم لا يتناوله. قال: والألف واللام في قوله (على الأرض) للعهد لا للجنس، وهي أرض العرب، بدليل تصرفهم فيها وإليها غالباً، دون أرض ياجوج و ماجوج، وأقصى جزر الهند والسند مما لا يقرع السمع اسمه، ولا يعلم علمه. ولا جواب عن الدجال. اهـ. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي)

(٢٣٢) اختلف المفسرون في تعيين ذي القرنين ووجه تلقيبه اختلافاً كثيراً. و رجع الإمام الرازي أنه الإسكندر بن فيلبوس اليوناني. ثم قال: إلا أن فيه إشكالاً قوياً، وهو أنه كان تلميذ أرسطو طاليس الحكيم، وكان على مذهبه، فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطو طاليس حق و صدق، وذلك مما لا سبيل إليه. ذكر ابن كثير أن الإسكندر الذي كان من الروم و بنى الإسكندرية هو الإسكندر الثاني، وكان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاث مائة سنة. فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل عليه السلام كما ذكره الأزرق وغيره أنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام، و قرب إلى الله قرباناً. وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من أخباره في كتاب البداية و النهاية بما فيه كفاية.

وقول المصنف ملكها مؤمنان و كافران. أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد (تخريج



وسليمان، وكافران: نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود. وقيل: كان عبداً صالحاً ملكه الله

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

و كانت هذه الرويا وإخبار دانيال عليه السلام بزمن بُخت نصر الذي أباد البيت المقدس، واسترق بني إسرائيل. و يذكر المؤرخون أن دولة إيران انقسمت في سنة ٦٢٢ قبل المسيح إلى قسمين: قسم شمال المغرب يسمى ماهات (ميديا) وقسم المغرب يسمى فارس. ملكهما رجل صالح حرر بني إسرائيل وعمر بيت المقدس. وهذا الملك الصالح يسميه أهل يونان "سائرس" وأهل فارس "گورش" والعرب "كيخسرو" واليهود "خورس". و يذكر المؤرخون أنه سافر إلى الجهات الثلاث التي ذكرها القرآن — أما سفره إلى مغرب الشمس فسيبه أن دولة تسمى "ليديا" كانت في هذه الجهة، و ملكها الذي يسمى "كرويسس" نقض عهود الصلح التي تمت بين أبيه وبين جد خورس، و هجم على إيران، فسافر خورس نحو هذا العدو فهزمه، و تسيطر على "ليديا" و جاوزها حتى بلغ شط البحر. و ساحل البحر يتشكل من مجموعة خلج صغيرة ماؤها كدر، فرأى الشمس كأنها تغرب في عين حمئة - ولم يظلم المفتوحين بل عاملهم بالعمى — أما سفره إلى مطلع الشمس فسيبه أن بعض القبائل الساكنة في الصحارى أشعلوا نار الفتنة، فسافر نحوهم لإطفائها، و سخر قبائل بلخ و باختر. و أمام ذلك كانت سلسلة الجبال الشامخة فتوقف سفره على تلك الصحارى — أما سفره إلى السدين فيذكر المؤرخون أن خورس سافر إلى جبال "كاكيشيا" و هنا سلسلتنا جبال متناوحتان بين البحر الأسود، و بحر الخزر، و كان بين الجبال طريق يأتي منها القبائل الغير المتحضرة، و تهجم على الناس، و تورث الفساد والهلاك. فطلبوا من خورس أن يبني سداً. فقيل طلبهم و بنى سداً منيعاً. و هنا سدود عديدة لكن سد خورس يمتاز بأنه مبني من زبر الحديد الملقى عليها النحاس المذاب. وهو واقع بين جبل قفقاز بمقرب بلد يسمى "دربند" - قال: و يأجوج و مأجوج من تلك القبائل الوحشية، ليست لهم خلقة تخالف خلقة عامة الناس كما تزعج الروايات الإسرائيلية - ه - مختصراً.

= عن الزهري بتخريج ابن عبد الحكم في فتوح مصر، و أخرج نحوه ابن المنذر و أبو الشيخ عن أبي العالية. الرابع أخرجه الشيرازي في الألقاب عن قتادة، قال: إنما سمي ذا القرنين، لأنه كان له عقيصتان - ه - (أي ضفيران)

السادس والتاسع: أخرج أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و أبو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه أنه سئل عن ذي القرنين، فقال لم يوح إليه و كان ملكاً، قيل: فلم سمي ذا القرنين؟ فقال: اختلف فيه أهل الكتاب، فقال بعضهم ملك الروم و فارس، وقال بعضهم: إنه كان في رأسه شبه القرنين، أما الخامس والسابع والثامن والعاشر فقد حكاه المفسرون كالزمخشري والرازي وغيرهما، ولم أجدها مأثورة، و حكوا غيرها أيضاً.

نقلت سابقاً ما كتب الإمام الرازي و ابن كثير في تعيين ذي القرنين. و أوردوا على قول ابن كثير أن كتب التاريخ لا تذكر مثل هذا الملك العظيم بزمن إبراهيم عليه السلام سوى نمرود. و لو كان مثل هذا الملك في عصر نمرود أو بعده لذكره القرآن، و لكان معروفاً مشهوراً في الكتب.

ولذا عدل عن هذين القولين بعض المصنفين واستمد بالتوراة و كتب التاريخ، و قال: سؤال المشركين عن ذي القرنين وقع بتعليم اليهود. و هذا يدل على أن اليهود كان عندهم العلم بمثل هذا الملك. و كان ملقباً عندهم بذي القرنين، فوجب الفحص عن ذكره في كتبهم. فوجدنا ذكره في كتاب دانيال في الباب الثامن أن النبي دانيال يذكر روياء أنه رفع بصره فرأى بقرب النهر كبشاً قائماً له قرنان. ثم ذكر أن جبريل عليه السلام أخبر عن تعبیر تلك الرويا. أن الكبش الذي له قرنان هو ملك فارس و ماهات. و ذكر له صفات و أحوالاً حسنة من إنجاء بني إسرائيل عن بخت نصر، و تعمير بيت المقدس، و غير ذلك. فظهر بهذا التعبير أن الملك شبه بالكبش، و دولته ماهات (ميديا) و فارس شبهتها بالقرنين، و لتلك الرويا المباركة تلقب الملك بذي القرنين.

الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه. وقيل: نبياً. وقيل: ملكاً من الملائكة. وعن علي رضي الله عنه أنه قال: ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعته الله، فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعته الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه. قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونهم فيحبيه الله تعالى. وقال عليه السلام: «سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا» يعني جانبها شرقاً وغرباً. وقيل: كان له قرنان أي ضفيريان، أو انقرض في وقته قرنان من الناس، أو لأنه ملك الروم وفارس أو الترك والروم، أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين، أو كان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من ذي القرنين ﴿وَذَكِّرْهُ﴾.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ جعلنا له فيها مكانة واعتلاء<sup>(٢٣٣)</sup> ﴿وَأَنْبِئْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أرادته من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿سَبَبًا﴾ طريقاً موصلاً إليه ﴿فَأَتَّبَعَهُ سَبَبًا﴾ والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فأتبع سبباً، وأراد بلوغ السدين فأتبع سبباً. (فأتبع سبباً) (ثم أتبع) كوفي وشامي الباكون: بوصل الألف وتشديد التاء. عن الأصمعي: أتبع لحق واتبع اقتضى وإن لم يلحق ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع<sup>(٢٣٤)</sup> قال صلى الله عليه وسلم: «بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين» ﴿وَجَدَهَا تَقْرُبُ فِي عَيْنِ حِمَّةٍ﴾ ذات حمأة<sup>(٢٣٥)</sup> من حممت البر إذا صارت فيها الحمأة. «حامية» شامي وكوفي

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٣٣) قوله تعالى: ( إِنَّا مَكَّنَّا ) شروع في الجواب، و يحسن التأكيد في جواب السائل، لرفع شك و تردد يوجد في قلبه. والمكانة بمعنى المنزلة. والاعتلاء: العلو والرفعة أي التمكين في الأرض بمعنى إعطاء المنزلة والعلو في الأرض فلا حاجة إلى تقدير مفعول مكننا. وقوله: أرادته الخ صفة مخصصة لشيء، فإنه لم يوت أسباب كل شيء، و قوله فأراد بلوغ المغرب إشارة إلى أن الفاء في فأتبع سبباً فصيحة، قدره لما يأتي حتى إذا بلغ مغرب الشمس، وكذا التقدير فيما بعد. فأتبع سبباً في موضع ثم أتبع سبباً في موضعين بقطع الهمزة من الإفعال قراءة عاصم، و حمزة، و علي و بوصل الألف و تشديد التاء من الافتعال قراءة الباقيين. والفرق بينهما معنى نقله عن الأصمعي فالأول خاص على قوله لصورة اللحق، والثاني عام لكل

اقتفاء وقع بعده اللحق أم لا. (٢٣٤) أي منتهى العمارة نحو المشرق. فسرها بهذا لأن الشمس أبداً في دوران، وليس لها غروب ولا طلوع إلا في عيون أهل الأرض، إذا جاوزت معمورتهم حتى غابت عنهم قالوا غربت، ثم إذا عادت و ظهرت عليهم قالوا طلعت. والحديث الذي ذكره المصنف بعد هذا في شرب الخضر من عين الحياة و حرمان ذي القرنين عنه لم أجد له مأخذاً حتى الذين قالوا بحياة الخضر لم يذكروا هذا الحديث، مع أنه من أعظم دليل لمذهبهم على تقدير وجوده ولو بطريق ضعيف. و مضمون العبارة مذكور في قصة طويلة أخرجها ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، والظاهر أنه أخذها من علماء أهل الكتاب. (٢٣٥) الحمأة - بفتح فسكون - والحمأ - بفتحتين -

غير حفص بمعنى حارة. عن أبي ذر: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جمل فرأى الشمس حين غابت فقال: «أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حامية». وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية «حامية» فقال: ابن عباس: حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو: كيف تقرأها؟ فقال: كما يقرأ أمير المؤمنين. ثم وجه إلى كعب الأحمبار كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما، ولاتنافي فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعاً ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ عند تلك العين ﴿قَوْمًا﴾ عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر وكانوا كفاراً ﴿قُلْنَا يَا الْقَوْمِ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنَادُونَ وَمِمَّا أُرْسِلُوا بِهَذَا الذَّنْبِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ مُنَادُونَ﴾ ﴿٢٣٦﴾ إن كان نبياً فقد أوحى الله إليه

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عليه وسلم جالساً - الحديث -  
أما حديث ابن عباس ففي الدر المنثور أخرجه عبد الرزاق ، و سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وفي القصة زيادة. و إذ ثبت تواتر القرائتين ثبت اجتماع الوصفين لتلك العين. والمراد أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب، و لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط ، وهي في الحقيقة تغرب وراء البحر (مفاتيح الغيب) (٢٣٦) قال أبو السعود ما ملخصه أنهم كانوا كفاراً فخيره الله تعالى بين أن يعذبهم بالقتل من أول الأمر، وأن يدعوهم إلى الإيمان، فأجاب ذو القرنين لذلك النبي، أو لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى أمره تعالى، مختاراً للشق الأخير أما من ظلم نفسه و لم يقبل دعوتي، و أصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل، و أما من آمن بموجب دعوتي - الخ - وقيل خير بين القتل والأسر، والجواب من باب الأسلوب الحكيم. لأن الظاهر التخيير بينهما وهم كفار. فقال أما الكافر فيراعى في حقه قوة الإسلام، و أما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب. و يجوز أن تكون (إما و إما) للتوزيع دون التخيير أي وليكن شأنك معهم إما التعذيب، و إما الإحسان، فالأول لمن بقي على حاله، والثاني لمن تاب. و قوله تعالى (إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنَادُونَ) أي أمرًا ذا حسن، على حذف المضاف =

= الطين الأسود المُنْتِنُ - حَمَاتُ البير (من ف) أخرجت حماتها، و أحماتُ البير جعلت فيها حَمًا (مفردات) و حمى الماء كَفَرِحَ خالطته الحَمَاءُ فَكِدِرَ (قاموس) فما في التنزيل حَمِيَّةٌ بكسر الميم على زنة فرحة ، و ما في التفسير ذات حَمَاءَ بسكون الميم، و كذا قوله إذا صارت فيها الحمأة، و حمئت البير بكسر الميم من باب سَمِعَ. و هنا قراءتان (حامية) ابن عامر، حمزة، علي، شعبة (حَمِيَّة) نافع، ابن كثير، أبو عمرو، حفص. أما حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه ففي تخريج أحاديث الكشاف للعلامة ابن حجر: كذا في نسخ الكشاف على جمل، والذي في كتب الحديث "على حمار" ولم يصرح فيه بالإرداف عن أبي داؤد والحاكم من طريق الحكم بن عيينة عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على حمار، والشمس عند غروبها فقال: هل تدري أين تغرب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تغرب في عين حامية. زاد الحاكم: غير مهموزة. و رواه ابن أبي شيبة، و أحمد، و أبو يعلى، و البزار و زاد "و تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش، فإذا كان خروجها أذن الله لها، و إذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فيقول: اطلعي من حيث غربت. فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها" و قال: تفرد به سفيان بن حسين عن الحاكم، و رواه الجماعة عن إبراهيم التيمي، و هو في الصحيحين دون قوله (تغرب في عين حامية) و أوله كنت مع النبي صلى الله تعالى

بهذا وإلا فقد أوحى إلى نبي فأمره النبي به، أو كان إلهاماً خيراً بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم وبين أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا، أو التعذيب القتل وإتخاذ الحسن الأسر لأنه بالنظر إلى القتل إحسان. ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ في القيامة يعني أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين. ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي عمل ما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ فله جزاء الفعل الحسنى التي هي كلمة الشهادة. (جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ) كوفي غير أبي بكر أي فله الفعلة الحسنى جزاء<sup>(٢٣٧)</sup> ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي ذا يسر أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك ﴿ثُمَّ أَتَّبَعْنَا سَبَبًا﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴿هَمَّ الزَّنَجِ﴾<sup>(٢٣٨)</sup> ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ من دون الشمس ﴿سِتْرًا﴾ أي أبنية. عن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم، أو الستر اللباس. عن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيماً لأمره ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا كَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات وأسباب الملك ﴿خُبْرًا﴾ نصب على المصدر لأن في «أحطنا» معنى خبرنا، أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها، أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم ﴿ثُمَّ أَتَّبَعْنَا سَبَبًا﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أو على طريقة إطلاق المصدر على موصوفه مبالغة. و محل أن مع صلته إما الرفع على الابتداء، أو الخبرية. و إما نصب على المفعولية. أي إما تعذيبك واقع، أو إما أمرك تعذيبك أو إما تفعل تعذيبك. وهكذا الحال في الالتخاذ. (إرشاد العقل السليم)

(٢٣٧) فله جزاء الحسنى - برفع جزاء، و إضافته إلى الحسنى - قرأه نافع، و ابن كثير، و أبو عمرو، و ابن عامر، و شعبة - فله جزائين الحسنى - بنصب جزاء و تنوينه - قرأه حمزة، و الكسائي، و حفص - و تقدير الكلام فله الحسنى جزاءً. له خبر مقدم، و الحسنى مبتدأ مؤخر، و جزاءً تمييز أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة، قدم على المبتدأ اعتناء به، أو منصوب بمضمر أي نجى بها جزاء و الجملة حالية أو معترضة بين المبتدأ و الخبر المتقدم عليه. و يجوز غير ذلك.

(٢٣٨) الزنج - بفتح الزاي، و يكسر، جبل من السودان، واحد هم زنجي (قاموس) و تفسير أولئك القوم بالزنج مروى عن قتادة، أخرجه عبد الرزاق، و ابن أبي حاتم. و السرب بفتح الحين: جحر الوحشي، و الحفير تحت الأرض. ذكر في نفي الستر قولين، خلو أرضهم عن البناء الساتر، و خلو أبدانهم عن اللباس الساتر. و ذكر في إعراب كذلك ثلاثة وجوه: (١) مبتدأ مقدر و خير أي أمر ذي القرنين في بسطة الملك و رفعة المكان كما وصفناه. و هذه الجملة لإظهار عظمة أمره، و قوله وقد أحطنا - الآية - تكميل لذلك، كأنه لعظمته لا يحيط البشر بما لديه (٢) كذلك صفة لمصدر محذوف وهو بلوغاً، و التقدير بلغ مطلع الشمس بلوغاً مثل ذلك. (٣) كذلك صفة ثانية لقوم، و التقدير تطلع على قوم مثل ذلك - الخ -

السَّيِّئِينَ ﴿٢٣٩﴾ بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما. (السَّيِّئِينَ) و (سدًا) مكي وأبو عمرو وحفص (السَّيِّئِينَ) و (سدًا) حمزة وعلي، وبضمهما: غيرهم. قيل: ما كان مسدوداً خلقته فهو مضموم، وما كان من عمل العباد فهو مفتوح. وانتصب (بين) على أنه مفعول به لـ (بلغ) كما انجر بالإضافة في (هذا فراق بيني وبينك) وكما ارتفع في (لقد تقطع بينكم) [الأنعام: ٩٤] لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ هم الترك ﴿لَا يَكَادُونَ يَقْتَهُونَ قَوْلًا﴾ أي لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها. (يُفْقَهُونَ) حمزة وعلي أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة. (٢٤٠)

﴿قَالُوا يَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، وهمزهما عاصم فقط. وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل والديلم ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل كانوا يأكلون الناس. وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد

#### مواليد الملل لتجلية مدارك التنزيل

فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج) وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلف بالتراب فخلقوا من ذلك. فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء. وهذا قول غريب جداً، لا دليل عليه، لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة. والله أعلم. وفي مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (ولد نوح ثلاثة: سام أبو العرب، وحام أبو السودان، و يافث أبو الترك) قال بعض العلماء: هؤلاء من نسل يافث أبي الترك. وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أنراً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين وبنائه السد، وكيفية ما جرى له، وفيه طول و غرابة و نكارة في أشكالهم و صفاتهم و طولهم و قصر بعضهم و أذنانهم. و روى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها - والله أعلم. (٢٤١) قال ابن حجر: (أخرج ابن عدي، والطبراني في =

(٢٣٩) ذكر سفره الثالث، وهو كما ذكر المؤرخون إلى جهة الشمال، وهذا المكان في جبال قفقاز (كاكيشيا) والقراءات في السدين، و سدًا ثلاث (١) بفتح السين في الموضوعين ابن كثير المكي و أبو عمرو البصري و حفص (٢) بالضم في السدين وبالفتح في سدًا حمزة وعلي (٣) بالضم فيهما الباقر: نافع، وابن عامر، و شعبة. قال الراغب: السد والسُد. قيل هما واحد، وقيل السُد (بالضم) ما كان خلقته، والسُد (بالفتح) ما كان صنعة، و أصل السد مصدرُ سددهُ - اه - سدّ الإناء (ن) نقيض فتحه، سدّ الثلثة: ردمها و أصلحها والسد: الجبل، والحاجز (قاموس) -

(٢٤٠) الفقه: الفهم والإفهام من الإفعال: الإفهام. قراءة الأخوين حمزة وعلي من الإفعال، وغيرهما من المجرد. يأجوج ومأجوج بالهمزة في الكلمتين قراءة عاصم وبالألف الخالصة قراءة الباقرين.

قال ابن كثير: يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين (إنّ الله تعالى يقول: يا آدم فيقول لبيك و سعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول و ما بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسع مائة و تسعة و تسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة،

حمل السلاح. <sup>(٢٤١)</sup> وقيل: هم على صنفين طوال مفروطو الطول وقصار مفروطو القصر ﴿فَعَلَّ جَعَلَ لَكَ خُرْجًا﴾ (خراجا) حمزة وعلي أي جعلاً نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال <sup>(٢٤٢)</sup> ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾. ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ بالإدغام وبفكه مكي ﴿فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي ما جعلني فيه مكيماً من كثرة المال واليسار خير مما تبدلون لي من الخراج فلا حاجة لي إليه ﴿فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ﴾ بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ جداراً وحاجراً حصيناً موثقاً والردم أكبر من السد <sup>(٢٤٣)</sup> ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة. قيل: حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي، فاختلط والتصق ببعضه ببعض وصار جلدًا وصلداً، وقيل: بعدما بين السدين مائة فرسخ ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بفتحتين جانبي الجبلين لأنها يتصادفان أي يتقابلان. (الصدفين) مكي وبصري وشامي.

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إشارة إلى أن الخرج والخراج بمعنى واحد، وقال الراغب: الخرج أعم من الخراج، و جعل الخرج بإزاء الدخّل، و الخراج مختص في الغالب بالضرية على الأرض، وقيل: العبد يؤدي خرجه - أي غلته، والرعية تؤدي إلى الأمير الخراج - اهـ -  
مكني: بفتح النون الأولى، وكسر الثانية قراءة ابن كثير. مكني - بإدغام النون الأولى في الثانية - قراءة الباقيين -  
قوله: بفعلة و صناع: الأول جمع فاعل، ككاتب و كتبه، وهو من يفعل فعلاماً، و يختص في الاستعمال بمن يعمل بأجرة و نحوها في البناء. (خفاجي) والثاني جمع صانع كقارئ وقراء.  
(٢٤٣) الردم بابه ضرب قال الراغب الردم سدّ الثلثة بالحجارة، وقال ابن جرير: الردم: حاجز الحائط والسد، إلا أنه أمتع منه وأشد، قوله: حاجراً حصيناً موثقاً أي مانعاً شديداً محكماً. قوله قطع الحديد بكسر القاف وفتح الطاء جمع قطع، قوله المنافيخ جمع منفاخ آلة النفخ في النار قوله التصق: اتصل و اشتبك قوله جلدًا صلداً، أي شديداً صلباً. جلدًا جلادة (ك) صار ذا صلابة، صلدت الأرض صلوداً (ض) صلبت. قوله فرسخ. الفرسخ ثلاثة أميال، والميل بالكسر عند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون إصبغاً (إلكيل)

= الأوسط، وابن مردويه، والتعلبي وغيرهم من رواية يحيى بن سعيد عن محمد بن إسحق، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة قال: سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح — قال ابن عدي: هذا موضوع، و محمد بن إسحق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاش. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه، فلم يصب فإن له طريقاً أخرى، ففي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود مرفوعاً (إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً) وفي النسائي عن عمرو بن أوس عن أبيه، رفعه (إن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً) وفي المستدرک عن عبد الله بن عمرو، رفعه (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً) - تخريج أحاديث الكشف -  
(٢٤٢) خراجاً - بفتح الخاء - قراءة حمزة وعلي، خرجا قراءة الباقيين، قوله جعلاً نخرجه الخ - الجعل بضم الجيم أجر العامل، وقوله نخرجه بيان للمناسبة، النول والنوال كلاهما بفتح النون بمعنى العطاء -

(الصُّدْفَيْنِ) أبو بكر ﴿ قَالَ انْفُخُوا ﴾ أي قال ذو القرنين للعملة: انفخوا في الحديد ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ ﴾ أي المنفوخ فيه وهو الحديد ﴿ نَارًا ﴾ كالنار ﴿ قَالَ أَتُونِي ﴾ أعطوني ﴿ أَفْرَغُ ﴾ أصب ﴿ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴾ نحاساً مذاباً لأنه يقطر وهو منصوب بـ «أفرغ» وتقديره أتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. (قَالَ أَتُونِي) بوصل الألف: حمزة وإذا ابتداء كسر الألف أي جيئوني. ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا ﴾ بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء ﴿ أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ أن يعلوا السد ﴿ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته<sup>(٢٤٤)</sup> ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي ﴾ أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي<sup>(٢٤٥)</sup> ﴿ جَعَلَهُ ﴾ أي السد ﴿ دَكَّاءَ ﴾ أي مذكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك. (دكاء) كوفي أي أرضاً مستوية ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ آخر قول ذي القرنين ﴿ وَتَرَكْنَا ﴾ وجعلنا ﴿ بَعْضَهُمْ ﴾ بعض الخلق ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ﴾ يختلط ﴿ فِي بَعْضٍ ﴾ أي يطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى،<sup>(٢٤٦)</sup> ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يمججون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

شاهق لا يستطاع، ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم، و كانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالاً وعجائب. اهـ.

(٢٤٥) قوله فإذا دنا مجيء يوم القيامة، أراد بالوعد الموعود وهو يوم القيامة، و أراد بالمجيء قرب المجيء لأن اندكاك السد و خروج يأجوج و مأجوج يقع قبل يوم القيامة كما هو مذكور في الأحاديث، و شارف بمعنى قارب قوله دكاً - قرأه نافع، و ابن كثير، و أبو عمرو، و ابن عامر - على أنه مصدر ذلك الحائط (ن) بمعنى هدمه حتى سواه بالأرض و قرأ الكوفيون (عاصم، و حمزة، و علي) دكاً على أنه بزنة فعلاء. وهذا يقتضي موصوفاً مونثاً ففسره بأرض مستوية - والدك بمعنى المفعول ففسره بقوله مذكوكاً.

(٢٤٦) أخرج ابن أبي شيبة، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم من طريق هارون بن عنترة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: الجن والإنس يمجج بعضهم في بعض - و أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: ذلك حين يخرجون على الناس - قال ابن كثير: أي يوم يدك هذا السد و يخرج هولاء فيمججون في الناس و يفسدون على الناس أموالهم و يتلفون أشيائهم - اهـ - والأحاديث في خروج يأجوج و مأجوج و=

قوله (١) الصُّدْفَيْنِ - بفتح الصاد والدال - قرأه حفص، و نافع، و حمزة، و علي (٢) الصُّدْفَيْنِ - بضمهما - قرأه ابن كثير، و أبو عمرو، و ابن عامر (٣) الصُّدْفَيْنِ - بضم الصاد و سكون الدال - قرأه شعبة - قال البيضاوي: وكلها لغات من الصُّدْفِ (ض، ن) وهو المِئَلُ، لأن كلا منهما منعزل عن الآخر، ومنه التصادف للتقابل - اهـ - قوله للعملة. هو جمع عامل، وهذا بيان للقائل والمقول له و إيضاح للقول. قوله كالنار إشارة إلى أنه تشبيه بليغ، فإن الحديد لا يكون عين النار قوله أتوني من الإيتاء وهو الإعطاء قراءة غير حمزة. قال أتوني من الإيتان و الهمزة للوصل قراءة حمزة بمعنى المجيء، والحضور.

(٢٤٤) قال الراغب: النقب في الحائط والجلد كالنقب في الخشب. قال ابن كثير: وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمراءه، و جهز معه جيشاً سرية، لينظروا إلى السد، و يعاينوه و ينعتوه له إذا رجعوا، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد، و من ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه و رأوا بنائه من الحديد و من النحاس، و ذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً، و عليه أقفال عظيمة، و رأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك، و أن عنده حرساً من الملوك المتاخمة له، و أنه عال منيف

البلاد. ورؤي أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة ﴿فَمِعَنَّهُمْ﴾ أي جمع الخلائق للثواب والعقاب ﴿جَمْعًا﴾ تأكيد ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ وأظهرنا لها لهم فرأوها وشاهدوها ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ عن آياتي التي ينظر إليها أو عن القرآن فأذكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع.

﴿أَحْسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أي أفطن الكفار اتخاذهم عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ما ظنوا. وقيل: «أن» بصلتها<sup>(٢٤٨)</sup> سد مسد مفعولي (أفحسب) و (عبادي أولياء) مفعولا (أن يتخذوا) وهذا أوجه يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ هو ما يقام للنزول وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (أعمالاً) تمييز. وإنما

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

معانيه، (وانظر البيضاوي وحاشية الخفاجي) قوله: كأنهم أصميت أسماعهم أي أبطلت و أزيلت قواهم السامعة، من قولهم "أصميت الصيد" إذا رميته فقتلته وأنت تراه (إكليل) وعماهم و صممهم البالغ كناية عن شديد إعراضهم عن الحق، و نفورهم عن القبول والالتفات إليه. (٢٤٨) أظهر الإعراب أولاً أن ثاني مفعولي حسب محذوف، وهو (نافعهم) و بئس ما ظنوا مستفاد من أن الهمزة للإنكار والذم، و عبادي، أولياء مفعولا أن يتخذوا، و أن يتخذوا أول مفعولي حسب، والإعراب الثاني هو أن أن المصدرية بصلتها "يتخذوا" ناب مناب مفعولي حسب، والهمزة للإنكار. أي لا يتحقق لهم الاتخاذ، و عبادي منزهون عن ولايتهم بالمرّة، ولا يكونون لهم أولياء. وهذا أوجه و أحسن من الأول لنفي تحقق الاتخاذ، والأول ينفي نفع الاتخاذ. قوله للكافرين أي هيأناها للكافرين المعهودين ، عدل عن الإضمار ذمهم ، و إشعاراً بأن ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسانهم الباطل قوله "نزلاً" أي كطعام ضيافة يقدم للضيف، و فيه تهكم و تنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما =

= إفسادهم في الأرض كثيرة. قوله: نغفا في أقفائهم. النغف، بفتحتين و غين معجمة: اللؤد الذي يكون في أنوف الإبل و الغنم، الواحدة نغفة بفتحتين أيضا. والقفا مقصوراً مؤخر العنق يذكر و يؤنث، والجمع قفّي بالضم و أقفاء و أقفية، وهو على غير قياس، لأنه جمع الممدود كأكسية (مختار الصحاح) لكن في القاموس "قد يمد" فيجوز أن يكون جمعا للممدود.

(٢٤٧) في الكشف: عن آياتي التي يُنظر إليها فأذكر بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمل معانيه و تبصرها. اه. وهذا يدل على أن في عبارة المدارك خطأ في النسخ، و هو زيادة (أو عن القرآن) أولاً، و زيادة هاء الضمير في فأذكره. و عبارة الكشف واضحة، فإنه بين مناسبة غطاء العين بالذكر، فإن الذكر يُسمع و يقتضي أن يقال كانت أسماعهم مسدودة عن ذكري فأوضح أن المراد بالأعين إما العيون الحسية، والمراد بالذكر الآيات المشاهدة التي تؤدي إلى ذكر الله جل و علا، فأريد السبب بذكر المسبب، و إما البصائر القلبية والمراد بالذكر القرآن، والمعنى أن عيون قلوبهم كانت في غطاء عن القرآن و تأمل



جمع والقياس أن يكون مفرداً لتنوع الأهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ﴾ ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً ﴿فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار﴾<sup>(٢٤٩)</sup> ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هي عطف بيان لجزاؤهم ﴿يَا كُفْرُوا وَاتَّخِذُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ هُزُوًا﴾ أي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسوله. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ حال ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾<sup>(٢٥٠)</sup> تحولا إلى غيرها رضا بما أعطوا. يقال: حال من مكانه حولا أي لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيتهم، وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح مائل الطرف إلى أرفع منه،

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ما مرّ من جعل جهنم للكافرين نزلاً، فإنه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم (جنات الفردوس) أخرج البخاري و مسلم و ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة و أعلى الجنة، و فوقه عرش الرحمن، و منه تفرج أنهار الجنة.

(٢٥٠) قوله : حِوَلًا - بكسر الحاء وفتح الواو - مصدر كالصغر - بمعنى التحول و الانتقال. وصف الجنات بأنها نُزُلٌ و ضيافة للمؤمنين الصالحين، و بأنها دار الخلود، لا كدار الضيافة في الدنيا، و بأنها جامعة لكل ما يتمنون، و لا يكون منزل أعز و أرفع منها حتى يرغبوا في التحول إليه، فنفي رغبة التحول عن الجنان إثبات لكونها جامعة لكل ما يشتهي الإنسان و يتمناه، و بيان لأنها دار لا يتصور منزل أجمع لأغراضهم منها. وهذا البيان بطريق اللزوم و الكناية كما أوضح المصنف بقوله أي لا مزيد عليها حتى - الخ - أي إذا تصوّر الإنسان موضعاً أجمع لأغراضه و أمانيه من منزله نازعته نفسه إلى التحول من منزله و الوصول إلى ذلك الأجمع، كما يوجد في الدنيا، فإنه في أي نعيم كان لكن بصره يطمح و يرتفع إلى أعلى منه، و طرفه يمتد، و قلبه يميل إلى أروح منه، و هذا النزاع النفسي و الميل القلبي ينتفي في الجنة و لا يشتهي الإنسان أن ينتقل منها لعلمه بأن مكاناً ليس أجمع لأمانيته ممّا هو فيه. فإن كل نعيم يتصوره و يتمناه متهيأ له في الجنة، و ليس في مبلغ تصوره مكان أروح و أجمل منها.

= تستحقّ دونه قوله وهم أهل الكتاب أو الرهبان - الأول مروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أخرجه عبد الرزاق و البخاري و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و الحاكم و ابن مردويه، و الثاني مروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. أخرجه ابن المنذر و ابن أبي حاتم (الدر المنثور) (٢٤٩) قوله تعالى (أولئك الذين كفروا) كلام مستأنف من جنبه تعالى مسوق لتكميل تعريف الأخرسين، و تبين سبب خسرانهم و ضلال سعيهم، و تعيينهم، أي أولئك الموصوفون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المذكور (الذين كفروا بآيات ربهم) أي بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلاً و نقلاً، (و لقائه) أي بالبعث و ما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه (فحبطت) لذلك (أعمالهم) المعهودة حبوفاً كلياً (أبو السعود) قوله فلا يكون لهم عندنا - الخ - أي المراد نفي القدر و الوزن رأساً، لأن مداره الأعمال الصالحة، و قد حبطت بالمرّة - و أخرج البخاري و مسلم و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، و قال: : اقرأوا إن شئتم "فلا نقيم لهم يوم القيمة وزناً".

قوله تعالى (إن الذين آمنوا) بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة إثر بيان مآلهم بطريق الوعيد - قوله (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى و وعده. و فيه إيحاء إلى أن أثر الرحمة يصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية، بخلاف

أو المراد نفي التحول وتأکید الخلود.

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ ﴾<sup>(٢٥١)</sup> أي ماء البحر ﴿ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ قال أبو عبيدة: المداد: ما يكتب به أي لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر الجنس ﴿ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ ﴾ بمثل البحر ﴿ مَدَدًا ﴾ لنفد أيضاً والكلمات غير نافذة. و (مدداً) تمييز نحو «لي مثله رجلاً» والمدد مثل المداد وهو ما يمد به. (ينفد) حمزة وعلي، وقيل: قال حيي بن أخطب: في كتابكم (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) [البقرة: ٢٦٩] ثم تقرؤون (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) [الإسراء: ٨٥] فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَوَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾<sup>(٢٥٢)</sup> فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

كثيراً) من سورة البقرة، والبقرة من أوائل ما نزل بالمدينة، و سورة الكهف مكية. فلا يمكن أن يكون ما نزل بالمدينة سبباً لما نزل قبله بمكة. وقال مقاتل: هي مكية إلا أولها إلى (جرراً) وقوله تعالى (إن الذين آمنوا) إلى آخرها فمدني وهذا القول خلاف ما هو المشهور والمختار، أن السورة كلها مكية.

(٢٥٢) لما بين الله تعالى كمال كلامه أمر نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسلك سبيل التواضع، وهو أن حاله مقصور على البشرية، إلا أنه امتاز بنعت الإحياء إليه، وكفى به بوئنا ومباينة (النيسابوري) وقال الشيخ إسماعيل الحقي في روح البيان: قل ما أنا إلا آدمي مثلكم في الصورة، و مساويكم في بعض الصفات البشرية، ولكن الله من علي من بينكم بالنبوة والرسالة.

ذكر المصنف معينين للقاء الرب (١) القدوم عليه، وهذا مما يجب الإيمان به، و لا محيد لأحد عن الحضور أمام أحكم الحاكمين، و كل مومن يستيقن به، والرجاء ليس من اليقين بل هو ظن المنافع و كذا الخوف هو ظن المضار، فاعتبر حذف المضاف وهو الحسن إذا كان الرجاء بمعنى الأمل، والسوء، إذا كان بمعنى الخوف فإن حسن القدوم، أو سوء الحضور ليس من اليقينيات (٢) اللقاء بمعنى الروية، و روية جمال الله ليس بمتيقن لكل أحد، فالرجاء على حقيقة معناه، أي من كان يتوقع روية ربه فعليه الاستعداد له بخالص العمل الصالح.

قوله أو المراد نفي التحول وتأکید الخلود - قيل في وجه التأكيد أن المؤمن يُعطى كل ما يطلبه في الجنة، فإن طلب الانتقال منها تحوّل عنها ولم يخلد فيها، لكنه لا يشتبه التحوّل عنها فيخلد فيها، وفيه إيدان بأن الخلود لا يورثهم مللاً.

(٢٥١) قال الإمام في وجه المناسبة: اعلم أنه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل والبيّنات، وشرح أقاصيص الأولين نبه على كمال حال القرآن فقال (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي) و تقرير الكلام أن البحار كيفما فرضت في الاتساع والعظمة فهي متناهية، و معلومات الله غير متناهية، والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي.

قوله المدد مثل المداد - الخ - من مدّ الجيش زاده و قوّاه، و سمى الحبر مداداً لكونه زيادة في الدواة.

قوله قال حيي بن أخطب - الخ - قال السيوطي: أخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فنزلت (و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً). وقال اليهود أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً فنزلت (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي) - الآية - (لباب النقول في أسباب النزول) و ما ذكره المصنف حكاية الزمخشري في الكشف، و ينقضه أن الآية (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً

رضاً وقبول، أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القдом عليه. وقيل: رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته ﴿فَلْيَعْبُدْ عَبْدًا صَالِحًا﴾ خالصاً لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره. وعن يحيى بن معاذ: هو ما لا يستحي منه ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ هو نهى عن الشرك أو عن الرياء. قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر قال: «الرياء».

قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال، ومن قرأ (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) إلى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألاً من مضجعه إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه، وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألاً من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ».

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إسناده ابن لهيعة (تخريج أحاديث الكشاف) حديث من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام - الخ - أخرجه ابن مردويه، والضياء في المختارة عن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعاً (الدر المنثور) حديث من قرأ إنما أنا بشر مثلكم عند مضجعه: رواه ابن مردويه من حديث أبي بن كعب (غير الوجه الذي رفعه موضوع) - تخريج أحاديث الكشاف - (سحر السادس عشر من رمضان عام ١٤٢٤ هـ المصادف ١٢ / نوفمبر ٢٠٠٣ م ليلة الأربعاء ٤٥-٠٢ سحرًا)

حديث اتقوا الشرك الأصغر: أخرجه ابن مردويه من طريق اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بهذا. ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبي، وأبو قاسم الطلحي في الترغيب. وفي الباب عن محمود بن لبيد. و رفعه (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء) أخرجه أحمد والدارقطني. في غرائب مالك، والبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن أبي عمرو بن قتادة عنه. وعن شداد بن أوس قال (كننا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشرك الأصغر) أخرجه الطبراني، وابن مردويه وفي



## سورة مريم مكية، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية مدني و شامي

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ كَهَيْصَ ٱلَّذِي ﴾<sup>(١)</sup> قال السدي: هو اسم الله الأعظم، وقيل: هو اسم للسورة. قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء، ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب، وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، وحمزة بعكسه، وغيرهم بفتحهما ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾ خبر مبتدأ أي هذا ذكر ﴿ عَبْدَهُ ﴾ مفعول الرحمة ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ بالقصر: حمزة وعلي وحفص وهو بدل من (عبده) ﴿ إِذْ ﴾ ظرف للرحمة ﴿ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

## سورة مريم

(١) قد فصل المصنف الأقوال في أوائل السور في أول سورة البقرة، و ذكر هناك أن الجمهور قالوا بأنها أسماء السور، وما ذكر هنا من قول السدي هو مروى عن ابن عباس أيضاً كما في الدر المنثور، ولا قطع بأحد من الأقوال، والأسلم ما روي عن الخلفاء الراشدين وغيرهم أنها أسرار بين الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال في مفاتيح الغيب: إن حروف المعجم على نوعين ثنائي، و ثلاثي (فنجو باء، تاء، ثا ثنائي و دال، و ذال، كاف ثلاثية) و قد جرت عادة العرب بإمالة الثنائيات (فيقولون بے، تے، ثے) و بتفخيم الثلاثيات، و في الزاي اعتيد الأمران لأنه قد يلحق آخره ياء، و قد لا يلحق فيصير ثنائياً. ولا ريب أن التفخيم أصل، و الإمالة فرع عليه، فمن قرأ بإمالة الهاء والياء معاً فعلى العادة، و من قرأ بتفخيمهما جميعاً فعلى الأصل، و من قرأ بإمالة إحداهما فلرعاية الجانيين - اه بتلخيص -

(القراءات) (١) قرأ علي الكسائي ويحيى بن آدم الراوي عن شعبة عن عاصم بكسر الهاء والياء أي بإماتهما (٢) و نافع بين الفتح و الكسر وإلى الفتح أقرب، يعني أنه أمال الألف يجعلها بين مخرج الألف و مخرج الياء على السواء، لا بأن جعل إمالتها نحو الياء أكثر (شيخ زاده، و إكليل) - لكن ذكر في غيث النفع وغيره من كتب القراءة أن إمالة الهاء و الياء قراءة شعبة و علي، و يظهر من عبارة المصنف أن إماتهما ليست قراءة شعبة بل قراءة أحد رواته

يحيى. و تقليل الإمالة نسبة المصنف إلى نافع و هذا يدل أنه قراءة راوييه ورش و قالون كليهما، لكن ذكره في غيث النفع لورش فقط، ثم قال: و ذكر الشاطبي الإمالة لقالون فيهما، و للسوسي في الياء خروج منه عن طريقه، فلا يُقرأ به من طريقه، و قد نبه علي ذلك المحقق وغيره، و في جامع البيان للداني ما يدل عليه - انتهى - (٣) و أبو عمرو بكسر الهاء أي بإمالة الهاء محضة، و فتح الياء أي تفخيمه (٤) و حمزة بعكسه أي بتفخيم الهاء و إمالة الياء محضة و هذه قراءة ابن عامر الشامي أيضاً كما في غيث النفع (٥) الباقرن (حفص، و قالون، و ابن كثير المكي) بفتحهما أي بتفخيم الهاء والياء - و التفخيم قد يطلق بمقابلة الإمالة فيراد به الإشباع، و قد يطلق بمقابلة التريق كما في الراء، و اللام فيراد به التغليظ، و قد يطلق على إمالة الألف نحو مخرج الواو كما يعرفه أهل الأداء، في نحو الصلاة و الزكاة. (خفاجي)

(زكريا) بالقصر بلا همز قرأه حمزة و علي و حفص (زكرياء) بالمد و الهمزة المفتوحة قرأه الباقرن.

(الإعراب) هذا مبتدأ مقدر، ذكر رحمة ربك خبر عبده مفعول الرحمة زكريا بدل من عبده، وهو مبدل منه إذ ظرف للرحمة، و الجملة بعده مضاف إليه، و المضاف مع المضاف إليه ظرف زمان للرحمة. قال تفسير للنداء، و الجمل بعده مقولات. (التفسير) أصل النداء رفع الصوت و ظهوره، و قد يقال لمجرد الصوت، بل لكل ما يدل على شيء و إن لم يكن صوتاً كما حققه الراغب (خفاجي) و وصف =

الصفاء، أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة ﴿قَالَ رَبِّ﴾ هذا تفسير الدعاء وأصله «يا ربي» فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصاراً ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضعف. وخص العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن<sup>(١)</sup> ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ تمييز أي فشا في رأسي الشيب. واشتعلت النار إذا تفرقت في التهابها وصارت شعلاً، فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار.<sup>(٢)</sup> ولا ترى كلاماً أفصح من هذا، ألا ترى أن أصل الكلام يا رب قد شخت إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما، وأقوى منه «ضعف بدني» و«شاب رأسي» ففيه مزيد التقرير للتفصيل، وأقوى منه «وهنت عظام بدني»، ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية فهي أبلغ منه، وأقوى منه «أنا وهنت عظام بدني»، وأقوى منه «إني وهنت عظام بدني»، وأقوى منه .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله قد شخت - بكسر الشين من باب ضرب - صرث شيخاً. في مختار الصحاح: قد شاخ الرجل يشيخ شيخوخةً وشيخاً أيضاً بفتح الياء. وقوله ولا ترى كلاماً أفصح من هذا الخ - إيضاح ما وجد ههنا من أرفع مراتب البلاغة فالمقصود بيان بلوغه سنًا ييأس فيها الإنسان من الولد، ويكفي لهذا المعنى قوله قد شخت. (١) وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير والتفصيل. لاشتماله على الكناية التي هي أبلغ من التصريح لكونها كدعوى الشيء ببينته. فإنك إذا قلت: فلان قد ضعف بدنه، وشاب رأسه، ومن ضعف بدنه وشاب رأسه فقد شاخ ثبت أن فلاناً قد شاخ. فهذا الكلام يفصل حال الشيخوخة، و يقررها ويؤكدها بطريق الدليل — و بعد هذا الإجمال فصل بلاغة الجملتين وارتقاءهما منفردتين فذكر ارتقاء «ضعف بدني» أولاً، وهو كما يأتي:

(٢) وهنت عظام بدني — «ضعف بدني» صريح في نسبة الضعف إلى البدن، و«وهنت عظام بدني» صريح في نسبة الضعف إلى عظام البدن. و يفهم منه ضعف البدن بطريق الكناية فإن ضعف العظام يلزمه ضعف البدن. (٣) أنا وهنت عظام بدني، أقوى منه - لتكرار إسناد الوهن، ففي الجملة الصغرى أسند =

= النداء بالخفاء يدل على أن النداء هنا بدون رفع الصوت. والحكمة في إخفاء الدعاء امتثال الأمر و موافقته وهو قوله تعالى: ادعوا ربكم تضرعاً وخفية، و بعده عن الرياء، و قربه إلى الإخلاص أو لم يكن دعاء الولد جديراً بالإعلان لوقوعه في زمان الكبر.

(٢) ذكر هنا سبب تخصيص العظم بوصف الوهن، وسبب إفراد العظم. فحاصل الأول أنه يدل على ضعف غيره بطريق الكناية، وهي أبلغ من التصريح. والدلالة عليه بوجهين: الأول كون العظم عماد البدن، فإذا ضعف العماد ضعف ما سواه، والثاني: كون العظم أشد ما في البدن، فإذا ضعف الأشد ضعف غيره البتة. أما سبب الإفراد فهو للدلالة على معنى الجنس، والفرق بين جنس الواحد، و جنس الجمع يتضح مما سيأتي - قوله عمود البدن، العمود ما يوضع عليه البناء والخباء (خفاجي) قوله تداعى أي آذن بالسقوط (إكليل)

(٣) فشا (ن) فشا وفشا، انتشر و ذاع. شاب (ض) شيباً: ايض شعره، الشواظ والشواظ: لهب لا دخان فيه. ظاهر كلامه أن فيه استعارتين مبنيتين على تشبيهين: أولاهما تصريحية تبعية في اشتعل بتشبيه انتشار الشيب باشتعال النار. والثانية مكنية بتشبيه الشيب في بياضه و إنارته باللهب. والكناية إليه بذكر الاشتعال.

«إني وهنت العظام من بدني» ففيه سلوك طريقي الإجمال والتفصيل، وأقوى منه «إني وهنت العظام مني» ففيه ترك توسيط البدن، وأقوى منه «إني وهنت العظام مني» لشمول الوهن العظام فرداً فرداً باعتبار ترك جمع العظم إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد، ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي إلى أبلغ وهي الاستعارة فحصل «اشتعل شيب رأسي»، وأبلغ منه «اشتعل رأسي شيباً» لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس إذ وزان «اشتعل شيب رأسي» «واشتعل رأسي شيباً»، وزان «اشتعل النار في بيتي» و «اشتعل بيتي ناراً» والفرق نير، ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز، وأبلغ منه «واشتعل الرأس مني شيباً» لما مر، وأبلغ منه .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

البياض بجامع التفرق والشمول. و تشبيه الشيب بلهب النار، والرمز إليه بذكر الاشتعال. وليس شيء منهما في «شاب رأسي» (٣) اشتعل رأسي شيباً - يفوق الجملة الثانية بوجهين: الأول أوضحه بمثال. وهو اشتعل النار في بيتي، واشتعل بيتي ناراً فالأول يصح باشتعال النار في ناحية من البيت. والثاني لا يصح إلا إذا اشتملت النار البيت كله حتى يرى الناظر أن البيت هو يشتعل بسبب النار. فكذا اشتعل شيب رأسي يصح إذا كان الشيب انتشر في جزء من الرأس واشتعل رأسي شيباً لا يصح إلا إذا اشتمل الشيب جميع الرأس، و فشا في كل جزء منه. فهذا أبلغ منه جلياً. وقوله نير بمعنى جلي، واضح.

والوجه الثاني هو طريق الإجمال ثم التفصيل، الذي يوجد في كل تمييز. فإنك إذا قلت «فاق أخي» تشوق السامع إلى العلم بوجه التفوق، فإذا قلت «علمًا» سكن قلبه بإدراك تفصيل ما أجملت وأبهمته أولاً. فكذا «اشتعل رأسي» مجمل مبهم لا يعلم السامع منه وجه الاشتعال و«شيباً» يرفع ذلك الإبهام، والبيان بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس كما عرفت فهذا أبلغ من الأول من هذه الجهة أيضاً. (٤) اشتعل الرأس مني شيباً — وهذا كما مر في «إني وهنت عظام بدني» و «إني وهنت العظام من بدني» ففي «اشتعل رأسي» بيان صاحب الرأس من أول الأمر وفي «اشتعل الرأس» صاحب الرأس مبهم، وقوله «مني» يزيل ذلك الإبهام. فهنا أيضاً سلوك =

= «وهنت» إلى عظام البدن ثم أسندت الجملة كلها إلى أنا - و تقديم المسند إليه لا يخلو عن تقوية الحكم. (٤) إني وهنت عظام بدني - يشتمل مع تكرار الإسناد و تقوية الحكم على تحقيق مضمون الجملة لزيادة «إن» - (٥) إني وهنت العظام — يشتمل على التكرار، والتقوية، والتحقيق لكن فيه إجمال لعدم إظهار من له العظام، فيتشوق السامع إلى العلم به — وقوله «من بدني» يفصل المراد، و يُشبع تشوق السامع. وهذا أبلغ من الإظهار أول دفعة، لأن الكلام إذا ألقى إلى السامع بعد ترقب و اشتياق كان أوقع في النفس. (٦) إني وهنت العظام مني - يشتمل على جميع ما في الكلام الأول مع حذف لفظ البدن، و من المعلوم أن العظام لا تكون إلا في البدن ففيه إيجاز (٧) إني وهنت العظام مني - هذا يمتاز من الأول باشماله على العظم مفرداً، وأوضح مزيته بأن «وهنت العظام» يدل على شمول الضعف كل عظم. و «وهنت العظام» يدل على ضعف جماعة العظام، وهذا يصح إذا كانت بعض العظام واهنة، و بعضها لم يُصبها الوهن. فالعدول من الجمع إلى الأفراد دليل على أمر أقوى لا يحصل من ذكر الجمع.

ثم ذكر ارتقاء مراتب البلاغة في الجملة الثانية أي شاب رأسي. (١) فالصريح - مع الكناية عن الكبير - شاب رأسي و ليس فيه مجاز، لا في الطرفين، ولا في الإسناد (٢) واشتعل شيب رأسي — يشتمل على المجاز، وهي استعارة الاشتعال لانتشار

«واشتعل الرأس شيباً» ففيه اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا بقرينة العطف على (وهن العظم) ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول أي بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيداً به غير شقي فيه<sup>(٤)</sup>. يقال: سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها. وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقت حاجته وقضى حاجته. ﴿وَلَيْتِي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ هم عصبته إخوته وبنو عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقباً صالحاً من صلبه يقتدي به في إحياء الدين ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي، وبالقصر وفتح الياء كـ «هداي»: مكى. وهذا الظرف لا يتعلق بـ «خفت» لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف، أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي ﴿وَكَانَتْ أُمَّرَأَتِي عَاقِرًا﴾ عقيماً لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ اختراعاً منك بلا سبب لأن امرأتي لا تصلح للولادة ﴿وَلِيًّا لَّي﴾ ابنا يلي أمرك بعدي. ﴿يُرِثْنِي وَرِثٌ﴾ برفعهما صفة لـ «ولياً» أي هب لي ولداً وارثاً مني العلم ومن آل يعقوب النبوة،<sup>(٥)</sup> ومعنى وراثة النبوة أنه يصلح لأن يوحى إليه ولم يرد أن نفس النبوة

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

١٥١ هـ. (الأعلام للزركلي ووفيات الأعيان) قوله بعد موتي، إشارة إلى أن وراء بمعنى «بعد» مجازاً، وأصل معناها خلف أو قدام. قوله بالقصر أي من ورائي، قرأه ابن كثير المكي وهذه رواية عنه والأخرى بالمد وفتح الياء (ورائي) قوله: خفت فعل الموالي، إيضاح للمتعلق المحذوف وقوله: خفت الذين يلون الأمر، بيان لمعنى الولاية فيه، الذي تعلق به الظرف باعتباره، فإنه يكفي فيه وجود معنى الفعل في الجملة، بل رائحته، ولا يشترط فيه أن يكون دالاً على الحدث كاسم الفاعل والمفعول حتى يتكلف له (خفاجي)

(٥) اختلف المفسرون في معنى وراثته فروى ابن جرير عن أبي صالح في تفسيره: يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وروي عن مجاهد قال: وكان وراثته علماً وروي عن الحسن قال: نبوته وعلمه، ورجح الثاني القرطبي، وأيده ابن كثير بوجوه (الأول) أن النبي أعظم منزلة وأجل قدرًا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده، (الثاني) أنه لم يذكر أنه كان ذا مال، بل في صحيح البخاري أنه كان نجارًا يأكل من عمل يده في النجارة. ومثل هذا لا يجمع مالا، ولا سيما الأنبياء فإنهم كانوا أزهدي شيء في الدنيا =

= طريقي الإجمال والتفصيل. (٥) واشتعل الرأس شيباً — ففيه إيجاز لحذف «مني» والمحذوف معلوم بقرينة العطف على «وهن العظم مني» — عبارة المصنف من قوله ولا ترى كلاماً، إلى هنا ليست في الكشف، وأخذها من مفتاح العلوم للسكاكي. و فصلت هذا المقام كثيراً لطلب بعض التلاميذ مزيد التفصيل، ولعلي وفيت بمراده.

(٤) إشارة إلى أن الشقاوة هنا بمعنى الخيبة، كما أوضحه فيما بعد بالاستعمال. وهذا توسل منه عليه الصلاة والسلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال، فإن الرب الكريم بعد ما عود عبده بالإجابة دهرًا طويلًا لا يكاد يخيبه أبدًا لا سيما عند اضطراره وشدته افتقاره. (أبو السعود)

قوله وعن بعضهم: هو معن بن زائدة بن عبد الله (كما ذكره الخفاجي) من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعباسي. وكان في الأول مكرماً ينتقل في الولايات، وحدث منه في الثاني صنعة حفظها له المنصور، وأكرمه وآله اليمن ثم سجستان وفيها اغتيل عام

تورث. وبجزمهما: أبو عمرو وعلي علي أنه جواب للدعاء يقال: ورثته وورثت منه ﴿ مِنْ أَلِ يَعْقُوبَ ﴾ يعقوب بن إسحاق ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مرضياً مرضاه أو راضياً عنك وبحكمك فأجاب الله تعالى دعاءه وقال: ﴿ يَزُكِّرُنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ تولى الله تسميته تشریفاً له. (نبشرك) بالتخفيف: حمزة ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ لم يسم أحد بيحيى قبله وهذا دليل على أن الاسم الغريب جدير بالأثرة. وقيل: مثلاً وشبيها ولم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهجم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ وعجوز وأنه كان حضوراً. فلما بشرته الملائكة به ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف أنه بأي طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان شابين ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (١) أي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية «عتياً» و«صلياً» و«جثياً» و«بكياً» بكسر الأوائل: حمزة وعلي وحفص إلا في «بكياً». ﴿ قَالَ كَذَلِكَ ﴾ الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ أو

#### مواليد المليل لتجلية مدارك التنزيل

النساء مع القدرة حصراً لنفسه أي منعاً لها من الشهوات اه. النسفي في آل عمران. قوله فلما بشرته الملائكة - دليله ما في آل عمران (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ٥ - فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ٥ (٣٨ - ٣٩) قوله: يحولان أي يُرْدَان.

(٦) قوله عتياً من عتا يعتنو، وأصله عتوؤ، كقعود، فاستنقل توالي الضميتين والواوين، فكسرت التاء فانقلبت الأولى ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم قلبت الثانية أيضاً، لاجتماع الواو والياء و سبق إحداهما بالسكون، وكسرت العين إتباعاً لها لما بعدها. و قرئ بضمها (بيضاوي وأبو السعود) قوله الجساوة، بالجيم والسين المهملة بمعنى اليبس، يقال جسا، وعتا، وعسا بمعنى يبساً شديداً، و ظاهر كلامه في الأساس أنه مخصوص بمفاصل الحيوان (خفاجي) قوله الطعن في السن: الدخول فيها قوله الكاف رفع، أو نصب بقال. (أي قال، الثاني) فالتقدير على الأول الأمر كذلك، وعلى الثاني كذلك قال ربك والمشار إليه مبهم فسرّه ما بعده.

(الثالث) أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا نورث، ما تركنا صدقة و في رواية عند الترمذي بإسناد صحيح "نحن معشر الأنبياء لا نورث".

قوله في قراءة الجزم "على أنه جواب للدعاء" أي في جواب الأمر الذي قصد به الدعاء، و عبر به تأدباً، أو لأنه كذلك في الواقع، وإذا جزم مثله فهو على تقدير شرط أي "إن تهب لي ولياً يرثني" (خفاجي)

قوله مرضياً أو راضياً - رضياً فعيل وهو من المتعدي يحتمل المعنيين، وقد فسر بهما كما في القرطبي. قوله تعالى اسمه يحيى. قال أبو السعود: والأظهر أنه اسم أعجمي، وإن كان عربياً فهو منقول عن الفعل كيعمار ويعيش. اه. قوله نبشرك بالتخفيف. أي بفتح النون وإسكان الباء و ضم الشين مخففة حمزة، والباقون بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة (إكليل) قوله جدير أي لائق بالأثرة بفتحيتين أي بالاختيار والإيثار. قوله مثلاً وشبيهاً، روي هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير و عطاء والأول عن ابن عباس، وقتادة، وعكرمة كما في الدر المنثور قوله لم يهجم بتشديد الميم، هم بالشيء أراده، و بابه رد (مختار الصحاح) قوله حضوراً، هو الذي لا يقرب



نصب بـ «قال» وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي خلق يحيى من كبيرين سهل ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ﴾ أو جدتك من قبل يحيى. (خلقناك) حمزة وعلي ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾ لأن المعدوم ليس بشيء ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۝١٠﴾ علامة أعرف بها حبل امرأتي ﴿قَالَ أَيْتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ لَكَ لَيْالٍ سَوِيًّا ۝١١﴾ حال من ضمير تكلم أي حال كونك سوى الأعضاء واللسان يعني علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم<sup>(٧)</sup>. ودل ذكر الليالي هنا والأيام في «آل عمران» على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن، إذ ذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالي وكذا ذكر الليالي يتناول ما بإزائها من الأيام عرفاً ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْجُبَابِ ۝١٢﴾ من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ۝١٣﴾ أشار بإصبعه ﴿أَنْ سَبِّحُوا ۝١٤﴾ صلوا و«أن» هي المفسرة ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١٥﴾ صلاة الفجر والعصر ﴿يُحْيِي ۝١٦﴾ أي وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ ۝١٧﴾ التوراة ﴿بِقُوَّةٍ ۝١٨﴾ حال أي بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ ۝١٩﴾ الحكمة وهو فهم التوراة والفقه في الدين ﴿صَبِيًّا ۝٢٠﴾ حال. قيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال: ما للعب خلقنا ﴿وَحَنَانًا ۝٢١﴾ شفقة ورحمة لأبويه وغيرهما عطفاً على الحكم ﴿مِنْ لَدُنَّا ۝٢٢﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً ۝٢٣﴾ أي طهارة وصلاحاً فلم يعتمد بذنب ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ۝٢٤﴾ مسلماً مطيعاً. ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ۝٢٥﴾ وباراً بهما لا يعصيهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا ۝٢٦﴾ متكبراً

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله خرّس و بكم: كلاهما بفتحيتين من سمع وهو انعقاد اللسان عن الكلام. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في الآية قال: حبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحداً، وهو في ذلك يسبح ويقرأ التوراة، فإذا أراد كلام الناس لم يستطيع أن يكلمهم. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية. قال: اعتقل لسانه من غير مرض. قوله من المحراب من المصلّى أو من الغرفة (بيضاوي) والمصلّى: محل الصلاة، والغرفة: المحل المرتفع، والمحراب يطلق على كل منهما لغة. و أما المحراب المعروف الآن فهو محدث كما ذكره السيوطي. (خفاجي) وتفسير الإيحاء بالإشارة مروى عن مجاهد، و محمد بن كعب، و سعيد بن جبيرة (در منثور) و أخرج ابن أبي حاتم و الحاكم و صححه عن ابن عباس في تفسير سبّحوا، قال صلوا. و أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: أمرهم بالصلاة بكرة و عشياً. و أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد عن قتادة، قال: البكرة صلاة الفجر، و عشياً صلاة العصر.

قوله واستظهار أي حفظ، يقال استظهر الكتاب إذا حفظه. و أخرج أبو نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله (و آتيناها الحكم صبيّاً) قال: أعطى الفهم و العبادة وهو ابن سبع سنين. قوله ما للعب خلقنا. أخرجه أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساکر، و ابن جرير عن معمر بن راشد قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب - الخ - و أخرجه عبد الرزاق و عبد بن حميد من طريق معمر عن قتادة. قوله من فتاني القبر. مثني فتان مضاف إلى القبر فحذفت النون. و الفتنة البلاء والاختبار، و في التنزيل: و نبلوكم بالشر والخير فتنة (الأنبياء- ٣٥) والمراد الملكان منكر و نكير. قوله ابن عيينة. أخرج عنه ابن جرير يقول: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن. يوم يولد فيرى نفسه خارجاً ممّا كان فيه. و يوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم. و يوم يعث فيرى نفسه في محشر عظيم. قال =

﴿عَصِيًّا﴾<sup>(٨)</sup> عاصياً لربه ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾ أمان من الله له ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشيطان ﴿وَيَوْمَ مَيِّتَ﴾ من فتاني القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾<sup>(٩)</sup> من الفزع الأكبر. قال ابن عيينة: إنها أوحش المواطن. ﴿وَأذْكَرُ﴾ يا محمد ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مَرِيَمَ﴾ أي اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم<sup>(٨)</sup> ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها ﴿إِذْ﴾ بدل من مريم بدل اشتغال إذ الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي اعتزلت ﴿مَكَانًا﴾ ظرف ﴿شَرْقِيًّا﴾<sup>(٩)</sup> أي تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس. وقيل: قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ جعلت بينها وبين أهلها حجاباً يسترها لتغتسل وراءه ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل عليه السلام والإضافة للتشريف، وإنما سمي روحاً لأن الدين يحيا به وبوحيه ﴿نَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ أي فتمثل لها جبريل في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر ﴿سَوِيًّا﴾<sup>(٩)</sup> مستوى الخلق. وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا﴾<sup>(١٠)</sup> أي إن كان يرجى منك أن تتقي الله فإنني عائذة به منك<sup>(٩)</sup>.

﴿قَالَ﴾ جبريل عليه السلام ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾<sup>(١١)</sup> أمنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمي بل هو رسول من استعادت به ﴿لِأَهَبَ لَكَ﴾ بإذن الله تعالى، أو لأكون سبباً في هبة الغلام بالنفخ في الدرع (ليهب لك) أي الله: أبو عمرو ونافع. ﴿عُلْمًا زَكِيًّا﴾<sup>(١٢)</sup> طاهراً

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال: و سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يعث حياً. (٨) زاده ليندفع التوهم أن المراد بأمير الذكر أن يذكرها من تلقاء نفسه، بل المقصود هو الأمر بقراءة ذكرها النازل في الكتاب على الناس. قوله وفيه أن المقصود - الخ - لأن البدل يؤتى لأنه المقصود، والمبدل منه كأنه توطئة وتمهيد له. قوله مشرقة - مثلثة الراء: محل شروق الشمس والقعود فيه شتاء (خفاجي) قوله وضئ الوجه - الوضاء: الحسن والنظافة، وقد وضئ - ككرم - فهو وضئ (قاموس)

قوله جعد الشعر جعد الشعر بضم العين و كسرهما لجمعودة إذا كان فيه التواء و تقبض، فهو جعد، و ذلك خلاف المسترسل هـ. إكليل و تمثل مشتق من المثال - أي تصور - و أصله تكلف أن يكون مثلاً لشيء

(خفاجي) و بشرًا حال من فاعل تمثل، أو تمييز. (٩) قدر معنى الرجاء، لأن متحقق التقوى ليس بمحل الاستعانة، وأشار أن الجزء محذوف دل عليه ما قبل الشرط. قوله أمنها - من التفعيل - أي جعلها بقوله ذلك آمنة غير خائفة. قوله بالنفخ في الدرع أي جيب درعها كما يأتي والدرع: القميص. هنا قرأتان متواترتان ليهب أبو عمرو البصري، و نافع المدني لأهب غيرهما. و كلتاها حجة، والواهب حقيقة هو الله تعالى، و جبريل واسطة و تفسير المصنف بإذن الله تعالى أو لأكون سبباً دليل على أن العبد يقدر على هبة الولد بإذنه تعالى، و على أن إسناد إعطاء الولد إلى العبد المأذون المختار من الله تعالى أو إلى السبب المتوسط سائغ وارد في التنزيل العزيز، ولا مساغ لنسبة الإشراف للمؤمن القائل به فإنه يعتقد =

من الذنوب أو نامياً على الخير والبركة<sup>(١٠)</sup>. ﴿قَالَتْ أُنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غَلْمٌ﴾ ابن ﴿وَلَمْ يَمْسَسْ بَشْرًا﴾ زوج بالنكاح ﴿وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ فاجرة تبغي الرجال أي تطلب الشهوة من أي رجل كان ولا يكون الولد عادة إلا من أحد هذين، والبغي فعول عند المبرد «بغوي» فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت العين إتباعاً ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في «امرأة صبور وشكور» وعند غيره هي «فعليل» ولم تلحقها الهاء لأنها بمعنى «مفعولة» وإن كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبهه به مثل (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [الأعراف: ٥٦] ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿كَذَلِكَ﴾ أي الأمر كما قلت: لم يمسسك رجل نكاحاً أو سفاحاً ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ﴾ أي إعطاء الولد بلا أب عليّ سهل ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ تعليل معلله محذوف أي ولنجعل آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمرة أي لنبين به قدرتنا ولنجعل آية للناس<sup>(١١)</sup> أي عبرة وبرهاناً على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلق عيسى ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مقدراً مسطوراً في اللوح فلما اطمأنت إلى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها<sup>(١٢)</sup> ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي الموهوب وكانت

## مواهب المجليل لتجلية مدارك التنزيل

والسدي - والأقوال في سنن مريم على ابنها وعليتها السلام إذ ذاك حكاها الزمخشري والرازي ولم يذكرها قائلها. قوله والجار والمجرور في موضع الحال. والتقدير فانتبذت ملتبسة به. ذكر الإمام الرازي في مدة الحمل أقوالاً: (الأول) قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها كانت تسعة أشهر بدليل أن الله تعالى ذكر مدائحها في هذا الموضع، فلو كانت عاداتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر. (الثاني) ثمانية أشهر وهو قول عكرمة كما ذكر ابن كثير (الثالث) سبعة أشهر وهو قول عطاء وأبي العالية والضحاك كما ذكر الرازي (الرابع) ستة أشهر (الخامس) ثلاث ساعات ولم يذكر القائلين (السادس) ما رواه ابن جرير عن ابن عباس قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت قال ابن كثير: وهذا غريب. وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً. فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلُةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا) [المؤمنون: ١٢-١٤] فهذه الفاء =

= أن الواهب الحقيقي هو الله تعالى، والعبد يهب بإذنه وإقداره وتوسطه في الأمر. وليس هذا الاعتقاد من الإشراف في شيء بل يجب الإيمان به لوروده في القرآن العزيز.

(١٠) إشارة إلى أنه إما من الزكاة بمعنى الطهارة أو الزكاة بمعنى النماء. قوله فاجرة تبغي الرجال - الخ - إشارة إلى المعنى المراد، وإلى وجه الاشتقاق. قوله لأنها بمعنى مفعولة. والفعيل إذا كان بمعنى المفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث يقال: رجل جريح، و امرأة جريح. قوله قد يشبه به، أي لا تدخل فيه التاء تشبيهاً بالفعيل بمعنى المفعول.

(١١) ومع ذلك يحتاج إلى معلل محذوف أي نفعله لنبين به قدرتنا ولنجعل آية للناس. فإن خلق الإنسان يتصور له أربع صور الأولى بدون ذكر وأنثى، كما تحقق في سيدنا آدم عليه السلام والثانية خلقه من الذكر بدون الأنثى كما تحقق في حواء والثالثة خلقه من الذكر والأنثى كما هو معهود معتاد في سائر بني آدم. وبقيت صورة رابعة أن يكون من أنثى بدون أب. حققها الله تعالى في عيسى عليه السلام، وجعلها آية للناس. (ابن كثير)

(١٢) رواه ابن جرير عن وهب بن منبه، وابن جرير،

سنة ثلاث عشرة سنة أو عشرًا أو عشرين ﴿فَاتَّبَدَتْ بِهٖ﴾ اعتزلت وهو في بطنها، والجار والمجرور في موضع الحال، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نذته. وقيل: ستة أشهر. وقيل: سبعة. وقيل: ثمانية: ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى. وقيل: حملته في ساعة ووضعت في ساعة ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل وذلك لأنها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة<sup>(١٣)</sup>.

﴿فَاجَاءَهَا﴾ جاء بها. وقيل: ألجأها وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءني زيد ﴿الْمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَى جِدْعِ النَّخْلَةِ﴾ أصلها. وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب لأنه خرسة النفساء أي طعامها. ثم ﴿قَالَتْ﴾ جزعاً مما أصابها ﴿يَلِيَّتِي مِثَّ قَبْلَ هَذَا﴾ اليوم (مِثُّ) مدني وكوفي غير أبي بكر، وغيرهم: بالضم. يقال: مات يموت ومات يمات ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر. بفتح النون: حمزة وحفص، بالكسر: غيرهما ومعناها واحد وهو الشيء الذي حقه أن يطرح وينسى لحقارته ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ (مَنْ) أي الذي تحتها ف «من» فاعل وهو جبريل عليه السلام لأنه كان بمكان منخفض عنها، أو عيسى عليه السلام لأنه خاطبها من تحت ذيلها. (من تحتها) مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام، أو جبريل والهاء في «تحتها» للنخلة<sup>(١٤)</sup>. ولشدة ما لقيت سليت بقوله: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

النفساء. (قاموس)  
(١٤) القراءة من تحتها - بفتح الميم ونصب تحت - لابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وشعبة. (من تحتها) بكسر الميم وجر تحت - قراءة الباقيين (نافع، حمزة، علي، حفص) عن ابن عباس هو جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وكذا قال سعيد بن جبيرة، والضحاك، وعمرو بن ميمون، والسدي، وقاتدة أنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أي ناداها من أسفل الوادي - وقال مجاهد هو عيسى بن مريم، وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال الحسن هو ابنها، وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبيرة واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره (ابن كثير) وأيده الإمام بوجوه. (مفاتيح الغيب)

= للتعقيب بحسبها. وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوماً. فالمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن. اه. وذكر ابن كثير أن هذا هو المشهور عند الجمهور.

(١٣) قال ابن كثير: قال وهب بن منبه: ذهبت هاربة، فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق (أي وجع الولادة) وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثلاثة أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم (قلت) وفي أحاديث الإسراء من رواية النسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه، والبيهقي عن شدد بن أوس رضي الله تعالى عنه (مرفوعاً) أن ذلك بيت لحم، وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض، ولا يشك فيه النصارى أنه بيت لحم - اه - قوله خرسة بضم الخاء و سكون الراء: طعام

لا تهتمي بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس و«أن» بمعنى أي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ﴾ بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته أن يقف وقف ﴿سَرِيًّا﴾ نهرًا صغيراً عند الجمهور، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال: هو الجدول. وعن الحسن: سيداً كريماً يعني عيسى عليه السلام. وروي أن خالد بن صفوان قال له: إن العرب تسمي الجدول<sup>(١٥)</sup> سرياً فقال الحسن: صدقت ورجع إلى قوله. وقال: ابن عباس رضي الله عنهما: ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقبل لها: ﴿وَهَزَى﴾ حركي ﴿إِلَيْكَ﴾ إلى نفسك ﴿بِيَدْعِ النَّخْلَةَ﴾ قال أبو علي: الباء زائدة أي هزي جذع النخلة. ﴿تُسْقِطُ عَلَيْكَ﴾ بإدغام التاء الأولى في الثانية: مكى ومدني وشامي وأبو عمرو وعلي وأبو بكر، والأصل تتساقط بإظهار التاءين (وتساقط) بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين: حمزة. و (يساقط) بفتح الياء والقاف وتشديد السين: يعقوب وسهل وحماد ونصير. و (تساقط) حفص من المفاعلة. و (تُسْقِطُ) و (يُسْقِطُ) و (تُسْقِطُ) و (يُسْقِطُ) التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراءات<sup>(١٦)</sup> ﴿رُطْبًا﴾ تمييز أو مفعول به على حسب .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الباقية شواذ - وهي (١) تتساقط بإظهار التائين على الأصل، والأربع الأخيرة (٢) تُسْقِطُ و (٣) يُسْقِطُ، بضم حرف المضارعة من الإفعال و (٤) تَسْقِطُ و (٥) يَسْقِطُ، بفتح حرف المضارعة من نصر (٦) والمشهورة يَسَاقِطُ - ليعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري من العشرة، وسهل بن محمد وحماد بن زياد، يروي عن عاصم، ولنصير بن يوسف النحوي، يروي عن علي الكسائي. و الثلاثة المتواترة (١) تَسَاقِطُ - ابن كثير، نافع، ابن عامر، أبو عمرو، علي، شعبة، وقول المصنف: (بإدغام التاء الأولى في الثانية) فيه تسامح، وينبغي أن يقال: بإدغام التاء الثانية في السين بعد الإبدال. (٢) تَسَاقِطُ - حمزة (٣) تُسَاقِطُ من المفاعلة - حفص. قوله التاء للنخلة والياء للجذع، يعني إذا كانت الصيغة مؤنثة وهي بالتاء فالضمير للنخلة وإذا كان الفعل مذكراً وهو بالياء فالضمير للجذع. وقوله (رطبا) تمييز إذا كان الفعل لازماً - وهو إذا كان من التفاعل أو من المجرد (تَسَاقِطُ، تَسَاقِطُ، يَسَاقِطُ، يَسَاقِطُ، تَسْقِطُ، يَسْقِطُ، في ست قراءات) وإذا كان متعدداً فهو مفعول به، وهو إذا كان من المفاعلة أو الإفعال (تَسَاقِطُ، =

(١٥) أخرجه الطبراني في الصغير، وابن عدي من رواية أبي سنان سعيد بن سنان عن أبي إسحاق عن البراء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال: السري النهر. قال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحاق إلا أبو سنان، رواه عنه معاوية بن يحيى وهو ضعيف. وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي إسحاق عن البراء موقوفاً، وكذا ذكره البخاري تعليقا عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق، ورواه ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل كذلك، وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحاق موقوفاً. وفي الباب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن السري الذي قال الله تعالى لمريم نهر أخرجه الله لتشرب منه. أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن ابن عمر، ورواية عن أيوب بن نهيك، ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة (تخريج أحاديث الكشاف) و كلام خالد بن صفوان مع الحسن أخرجه ابن عساكر (در منثور) قوله أينعت: أدركت ونضجت، والمجرد بمعناه، من ض و ف.

(١٦) ثلاثة من السبعة، و واحدة من العشرة، والخمس

القراءة ﴿جَيِّئًا﴾ طرياً وقالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت. وقيل: ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل<sup>(١٧)</sup> ﴿فَكُلِّي﴾ من الجنى ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من السري ﴿وَقَوِي عَيْنًا﴾ بالولد الرضي و (عينا) تمييز أي طيبني نفساً بعيسى وارفضي عنك ما أحزنك ﴿فَأَمَّا﴾ أصله إن ما فضمت إن الشرطية إلى ما وأدغمت فيها ﴿تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي فإن رأيت آدمياً يسألك عن حالك فقولي إني نذرت للرحمن صمتاً وإمساكاً عن الكلام، وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب. وقيل: صياماً حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامه التزامه<sup>(١٨)</sup>، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخاً فينا. وإنما أمرت أن تنذر السكوت لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرىء به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء، وفيه دليل على أن السكوت عن السفية واجب وما قُدعَ سفية بمثل الإعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض. وإنما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقد تسمى الإشارة كلاماً وقولاً ألا ترى قول الشاعر في وصف القبور: «وتكلمت عن أوجه تبلى

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

يبرى به ساحتها: الساحة: الناحية وفضاء بين دُور الحي (قاموس) و تبرة الساحة كناية عن تنزيه الذات، ورفع الاتهام المنسوب إلى جانب شخص. قوله و ما قُدع - الخ - قُدع (ف) فرسه بالجمام: كبحه - أي جذبه به ليقف ولا يجري. واستعمل بمعنى كَفَّ و منع. و مقابله هنا إطلاق العنان: أي مده و تسهيله ليشتد في الجري. والإعراض: الامتناع و صرف الوجه. و العراض - على زنة قتال - المعارضة والمقاومة يقال عارض الرجل: ناقض كلامه بمثله. - أي لم يُكَبِّحْ لجمٍ سفية بشيء يماثل الإعراض، ولم يُطَلِّقْ عنانه بشيء يماثل المعارضة. هذا معناه اللفظي، والمراد إذا صُرف الوجه عن السفية انكف و لم يجد مساعاً للمناقشة، وليس شيء أمتع و أزجر له من الامتناع والابتعاد عنه رأساً. و إذا اعترض له أحدٌ بالمعارضة والمناقشة انطلق عنانه و امتد في سفاهته وإرخاء لسانه، فالمعارضة أكبر شيء يُرخي عنانه، و يطيل لسانه.

قوله و تكلمت عن أوجه تبلى - ضمير تكلمت للقبور، و تبلى من سمع، بلي الثوب: خُلق و رث. يقول: دلت القبور على وجوه بالية. أي عتيقة متغيرة عن جدتها و جودتها. واستعمل الكلام هنا لدلالة الحال.

= تُسْقِطُ، يُسْقِطُ - في ثلاث قراءات) (١٧) أخرجه سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن المنذر عن الربيع بن خيثم. (در منثور)

(١٨) ذكر في معنى الصوم قولين: (الأول) الصمت والإمساك عن الكلام. روي ذلك عن ابن عباس والضحاك كما في جامع البيان للطبري (الثاني) الصيام الشرعي، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب و كلام الناس رواه ابن جرير عن السُّدِّيِّ و قتادة. فمن التزم الصوم لزم عليه الإمساك عن الكلام مع الإمساك عن الطعام و الشراب في شريعتهم. و توجه على كلا القولين السؤال فكيف أمرت بأن تقول إني نذرت - الخ - و أحيب بأن المراد بالقول الإشارة، وهذا ظاهر لما يأتي أنهم إذ تكلموا مريم "أشارت إليه" ولذا مرّض الجوابين الأخيرين. قوله فصار ذلك منسوخاً فينا. قال أحمد بن علي الرازي الحنفي م ٣٧٠ هـ في أحكام القرآن: وهذا منسوخ بما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه نهى عن صمت يوم إلى الليل - اه - قال ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق من حديث جابر بلفظ "لا صمت يوم إلى الليل" وفيه حزام بن عثمان، وهو ضعيف، و لأبي داؤد من حديث علي مثله (الكافي الشاف) قوله

وقيل: كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أو سوغ لها هذا القدر بالنطق ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ﴿٥٠﴾ آدميا. ﴿ فَأَتَتْ بِهِ ﴾ بعيسى ﴿ قَوْمَهَا ﴾ بعد ما طهرت من نفاسها<sup>(١٩)</sup> ﴿ تَحْمِلُهُ ﴾ حال منها أي أقبلت نحوهم حاملة إياه فلما رأوه معها ﴿ قَالُوا يُمْرِمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ ﴿٥١﴾ بديعاً عجيباً والفري القطع كأنه يقطع العادة ﴿ يَأْخُذُ هُرُونَ ﴾ وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بني إسرائيل، أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أخا همدان أي يا واحداً منهم، أو رجل صالح أو طالح من زمانها شبهوها به في الصلاح أو شتموها به ﴿ مَا كَانَ آيُوكَ ﴾ عمران ﴿ أَمْرًا سَوْءًا ﴾ زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ ﴾ حنة ﴿ بَغِيًّا ﴾ ﴿٥٢﴾ زانية ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ إلى عيسى أن يجيبهم وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها: لا تحزني وأحيلني بالجواب علي. وقيل: أمرها جبريل بذلك. ولما أشارت إليه غضبوا وتعجبوا و ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ ﴾ حدث ووجد<sup>(٢٠)</sup> ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾ المعهود ﴿ صَبِيًّا ﴾ حال ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ ﴿٥٣﴾ ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم، روي أنه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع (إني عبد الله) وفيه رد لقول النصارى ﴿ التَّبِيُّ الْكُتْبُ ﴾ الإنجيل ﴿ وَجَعَلْنِي

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

تحديد الفصل بست مائة سنة. والقول الثاني رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي، والقول الثالث مروى عن مجاهد و قتادة، والرابع عن سعيد بن جبير (ابن جرير، در منثور) قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ذكرناه، وأنها نسبت إلى رجل من قومها. قوله غضبوا. أخرجه ابن جرير عن السدي.

(٢٠) "كان" هنا ليس يراد بها الماضي، لأن كل واحد، قد كان في المههد صبياً (قرطبي) "كان" زائدة أو تامة أو و دائمة أو بمعنى صار (بيضاوي) "كان" ههنا بمعنى حصل ووجد، وهذا هو الأقرب في تأويل هذا اللفظ و إن كان الناس قد ذكروا وجوهاً آخر (مفاتيح الغيب) قوله: في المههد، وهو ما يُمهَّد للصبي من مضجعه، سمي بالمصدر (النسفي، آل عمران) مهَّد الفراش (مهَّدًا) بسطه، ووطأه، وبابه قطع (مختار الصحاح) أخرج ابن جرير، وابن المنذر من طريق ابن جريج قال بلغني عن ابن عباس قال: المههد مضجع الصبي في رضاعه (در منثور)

قوله روي أنه أشار بسبابته. قال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع إصبعه السبابة فوق منكبه وهو =

(١٩) قوله بعد ما طهرت. أخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس في قوله ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ قال: بعد أربعين يوماً، بعد ما تعافت من نفاسها.

قوله يَأْخُذُ هَارُونَ. ذكر أربعة أقوال. يؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد و ابن جرير و مسلم، و الترمذي، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و ابن حبان، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أهل نجران فقالوا: أ رأيت ما تقرأون؟ يا أخت هارون، و موسى قبل عيسى بكذا و كذا. قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم. و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن ابن سيرين قال: نبت أن كعباً قال: إن قوله ﴿ يَأْخُذُ هُرُونَ ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: كذبت، فقال يا أم المؤمنين! إن كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فهو أعلم و أخبر، و إلا فإنني أجد بينهما ست مائة سنة، فسكتت (در منثور) قال ابن كثير: وفي هذا التاريخ نظر - اه - أي

نَبِيًّا<sup>(٢١)</sup> ﴿ روي عن الحسن أنه كان في المهد نبياً وكلامه معجزته<sup>(٢١)</sup> . وقيل: معناه أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد.

﴿ وَجَعَلَنِي مُبْرَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ نفعاً حيث كنت أو معلماً للخير ﴿ وَأَوْصِنِي ﴾ وأمرني ﴿ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ إن ملكت مالا. وقيل: صدقة الفطر أو تطهير البدن، ويحتمل وأوصاني بأن أمركم بالصلاة والزكاة ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ نصب على الظرف أي مدة حياتي ﴿ وَبِرَّ آبَائِي ﴾ عطفاً على «مباركاً» أي باراً بها أكرمها وأعظمها ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا ﴾ متكبراً ﴿ شَقِيًّا ﴾ عاقباً ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ﴾ «يوم» ظرف والعامل فيه الخبر وهو «علي» ﴿ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ أي ذلك السلام الموجه إلي يحيي في المواطن الثلاثة موجه إلي إن كان حرف التعريف للعهد، وإن كان للجنس<sup>(٢٢)</sup> فالمعنى وجنس السلام علي، وفيه تعريض باللعنة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله (قال إني عبد الله آتاني الكتاب) الآية قال: قضى فيما قضى أن أكون كذلك.

قوله و جعلني مباركاً أينما كنت - قال مجاهد، و عمرو بن قيس، و الثوري و جعلني معلماً للخير، وفي رواية عن مجاهد نفاعاً، (ابن كثير) و نقل في الدر المنثور عن أبي هريرة مرفوعاً (جَعَلَنِي نَفَاعًا لِلنَّاسِ أَيْنَ اتَّجِهْتُ) و عن ابن مسعود مرفوعاً قال: معلماً و مؤدباً و أخرج ابن جرير بسنده عن وهيب بن الورد مولى بني مخزوم، قال: لقي عالم عالماً هو فوّه في العلم فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من علمي؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، و قد اجتمع الفقهاء على قول الله (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) وقيل ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان.

قال ابن جرير: و في الزكاة معنيان: أحدهما زكاة الأموال أن يؤديها، والآخر تطهير الجسد من دنس الذنوب - اه - و رجح الثاني بقوله: لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله و سلامه عليه أنه كان لا يدخر شيئاً لغد، فتجب عليه زكاة المال، إلا أن تكون الزكاة التي فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته، فيكون ذلك وجهاً صحيحاً.

(٢٢) قال البيضاوي: و التعريف للعهد، والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإنه لما جعل =

= يقول إني عبد الله - الآية - (ابن كثير) قوله و فيه رد لقول النصارى. قال الإمام: إن الذي اشتدت إليه الحاجة في ذلك الوقت هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام، ثم إن عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك، و إنما نص على إثبات عبودية نفسه، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن الأم. فلهذا أول ما تكلمت إنما تكلمت بها. والتكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة و أما التكلم بإزالة التهمة عن الأم لا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى، فكان الاشتغال بذلك أولى - (مفاتيح الغيب)

(٢١) نقل القرطبي: قيل آتاه في تلك الحالة الكتاب، و فهمه و علمه، و آتاه النبوة كما علم آدم الأسماء كلها، وكان يصوم و يصلي ثم قال وهذا في غاية الضعف، روي أن عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفولته بهذه الآية، ثم عاد إلى حالة الأطفال و لم يُنقل أنه دام نطقه، ولا أنه كان يصلي وهو ابن يوم أو شهر، ولو كان يدوم نطقه و تسيحه و وعظه وصلاته في صغره من وقت الولادة لكان مثله ممّا لا ينكتم، وهذا كله مما يدل على فساد القول الأول. و في الدر المنثور: أخرج عبد الرزاق، و ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن عكرمة في



على أعداء مريم وابنها لأنه إذا قال: وجنس السلام على، فقد عرض بأن ضده عليكم إذ المقام مقام منكرة وعناد فكان مئة لمثل هذا التعريض.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ﴿عَيْسَى﴾ خبره ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نعته أو خبر ثان أي ذلك الذي قال: إني كذا وكذا عيسى ابن مريم لا كما قالت النصراني: إنه إله أو ابن الله ﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾<sup>(٢٣)</sup> كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله، وقيل له: كلمة الله لأنه ولد بقوله: "كن" بلا واسطة أب. وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من عيسى. ونصبه شامي وعاصم على المدح أو على المصدر أي أقول قول الحق هو ابن مريم وليس بإله كما يدعونه ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون من المرية الشك أو يختلفون من المراء، فقالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصراني: ابن الله وثالث ثلاثة.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾ ما ينبغي له ﴿أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ جيء بـ «من» لتأكيد النفي ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ نزه ذاته عن اتخاذ الولد ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بالنصب

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قولاً. قال الأصمعي: سألتني شعبة عن هذا. فقلت مئنة أي علامة لذلك وخليق لذلك (لسان العرب) فتحصل لهذا اللفظ من مواضع استعماله و تفسير علماء اللغة معان (١) العلامة (٢) الوقت (٣) الخلق والجدير (٤) المظنة والمحل، وهنا يصح المعين الأخيران أي جدير لمثل هذا التعريض، أو محل لمثل هذا التعريض قال الإمام الرازي هنا ناقلاً لمعنى كلام الكشاف: وكان المقام مقام اللجاج والعناد، و"يليق به" مثل هذا التعريض - اهـ.

(٢٣) قول الحق - بالنصب، ابن عامر وعاصم - قول الحق - بالرفع - الباقر - (والإعراب) على قراءة الرفع:

(١) أنه خبر ثان أو ثالث، أي ذلك عيسى كلمة الله (٢) أو خبر مبتدأ محذوف. أي هو كلمة الله، والضمير عائد إلى عيسى ويجوز أن يعود إلى الكلام السابق، والقول يكون مصدرًا، والحق بمعنى الصدق، أي هو قول الصدق. أي قولنا في عيسى أنه ابن مريم قول الصدق. وإضافة القول إلى الحق للبيان. (٣) أو بدل من عيسى. أي ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله. (والإعراب) على قراءة النصب - النصب على المدح. أي أمدح كلمة الله، أو أعني كلمة الله، أو النصب على أنه مصدر أي مفعول مطلق للمقدر، أي أقول قول الحق - وعلى هذا =

= جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالى (والسلام على من اتبع الهدى) فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى - اه - و جعل الأول غير الأظهر لأن هذا الكلام منقطع عن ذلك وجودًا، و سردها فيكون معهودًا غير سابق لفظًا ومعنى، ولم يجعله غير صحيح لجواز أن يكتفى في العهد به بذكره في الحكاية. (خفاجي)

قوله منكرة أي الإنكار على وجه المعارضة، قوله عناد هو مخالفة الحق مع عرفانه قوله مئنة - بفتح الميم وكسر الهمزة وتشديد النون. إنه لمئنة من كذا أي خليق، و أتاه على مئنة ذلك، أي حينه، وقال دكين: "مئنة من قلت النفوس" أي مكان من هلاك النفوس، وهذا المعنى على أنه بمنزلة مظنة (بمعنى الموضوع، أي محل يُظن وجوده فيه) والمئنة: العلامة، وفي حديث ابن مسعود: إن طول الصلاة و قصر الخطبة مئنة من فقه الرجل، أي أن ذلك مما يُعرف به فقه الرجل. قال ابن الأثير: و حقيقتها أنها مفعلة من معنى "إن" التي للتحقيق والتأكيد، غير مشتقة من لفظها، لأن الحروف لا يشتق منها، وإنما ضمنت حروفها دلالة على أن معناها فيها. قال: ولو قيل إنها اشتقت من لفظها بعد ما جعلت اسمًا لكان

شامي<sup>(٢٤)</sup> أي كما قال لعيسى: كن فكان من غير أب ومن كان متصفاً بهذا كان منزهاً أن يشبه الحيوان الوالد ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بالكسر شامي وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى يعني كما أنا عبده فأنتم عبيده، علي وعليكم أن نعبد. ومن فتح عطف على (بالصلاة) أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربي وربكم، أو علقه بما بعده أي لأن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴿هَذَا﴾ الذي ذكرت ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق: نسطورية ويعقوبية وملكانية ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس، وذلك أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم: يعقوب ونسطور وملكان. فقال يعقوب: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء. وقال: نسطور كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه. وقال الثالث: كذبوا كان عبداً مخلوقاً نبياً فتبع كل واحد منهم قوم<sup>(٢٥)</sup> ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق ﴿مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر، أو من مكان الشهادة أو وقتها، أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيماً لفضاعة ما شهدوا به في عيسى<sup>(٢٦)</sup> ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أيضاً لإضافة بيانية، والحق بمعنى الصدق. (٢٥) أخرج نحوه ابن جرير عن قتادة، وفيه زيادة (٢٤) والباقون فيكون بالرفع. بالنصب على أنه جواب الأمر، حملاً على صورة اللفظ، وإن كان معناه الخير، إذ ليس معناه تعليق مدلول مدخول الفاء بمدلول صيغة الأمر، الذي يقتضيه سببية ما قبل الفاء لما بعدها اللازمة لجواب الأمر بالفاء (كما في زُرني فأكرمك، أي لتكن منك زيارة فأكرم مني، ما قبل الفاء هو الزيارة، وما بعد الفاء هو الإكرام، والزيارة، سبب للإكرام. وهذه السببية لا توجد في "كن فيكون") إذ لا معني لقولنا "ليكن منك كونٌ فكونٌ" (فالنصب هنا حملاً على صورة اللفظ) و من رفع اعتبر المعنى دون الصورة، فالرفع على الاستيناف، أي فهو يكون، أو على العطف على قوله "يقول" — حاشية مولانا عبد الحكيم السيالكوتي على تفسير البيضاوي، سورة البقرة — قوله من فتح — أي قرأ "أن" — وهم نافع، وابن كثير، وأبو عمرو.

(٢٥) أخرج نحوه ابن جرير عن قتادة، وفيه زيادة "الإسرائيلية" التي قالت: هو ثالث ثلاثة، الله إله، وهو إله، وأمه إله.

(٢٦) فسر قوله تعالى "من مشهد يوم عظيم" بعدة تفسيرات، نظراً إلى ما يحتمله لفظ "مشهد" من المعاني، فهو إما مصدر ميمي أو اسم ظرف مأخوذ من شهد بمعنى حضر أو أدى الشهادة. والمراد من اليوم العظيم إما يوم القيامة أو يوم حضورهم واجتماعهم للمشاورة في أمر المسيح عليه السلام فالتفسيرات الأربع الأولى بالنظر إلى أنه يوم القيامة، والخامس بالنظر إلى يوم المشاورة والتفصيل كما يلي:

(١) هلاك و خسار لهم من حضور يوم القيامة. فمشهد مصدر بمعنى الحضور والمعنى من حضورهم في يوم القيامة و يجوز إرادة الظرف أي موضع حضورهم أو وقت حضورهم في ذلك اليوم. فهذا التفسير يتضمّن ثلاثة معانٍ. والمراد من حضورهم اليوم حضورهم ما فيه من هول الحساب والجزاء، و يجوز =

الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعمياً في الدنيا. قال قتادة: إن عموا ووصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم و «بهم» مرفوع المحل على الفاعلية «كأكرم بزيد» فمعناه كرم زيد جداً ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ اليَوْمَ﴾ أقيم الظاهر مقام المضمرة أي لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر وهو اعتقادهم عيسى إلهاً معبوداً مع ظهور آثار الحدث فيه إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم. ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ خوفهم ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يوم القيامة لأنه يقع فيه الندم على مافات، وفي الحديث «إذا رأوا منازلهم في الجنة أن لو آمنوا»<sup>(٢٧)</sup> ﴿إِذْ﴾ بدل من «يوم الحسرة» أو ظرف للحسرة وهو مصدر ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

جمعوا المعنيين: أضروا بأنفسهم، ووضعوا العبادة في غير محلها، وهذا شرك مبين، ولا ظلم أكبر من الإشراك. قوله إشعاراً بأن لا ظلم - الخ - علة لقوله أقيم الظاهر مقام المضمرة.

(٢٧) أخرج ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار وهو يوم الحسرة، فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا، فيقال لهم لو آمنتم وعملت صالِحاً كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة، فتأخذهم الحسرة، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال: لولا أن من الله عليكم، وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة (باب صفة أهل الجنة والنار) و أخرج سعيد بن منصور، وأحمد و عبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه (و ابن جرير) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيُشرفون وينظرون و=

= أن يكون الشهود بمعنى المشاهدة كما في «أشهدوا خلقهم» على ما في المفردات، والمعنى من مشاهدتهم هول الحساب والجزاء في ذلك اليوم و على هذا يحتمل هذا التفسير معنيين لكلمة مشهد.

(٢) من شهادة ذلك اليوم - ناظر إلى معنى الشهادة، والمراد من شهادة اليوم شهادة الملائكة والأنبياء، وأعضاء الكفار عليهم في ذلك اليوم، وإضافة المصدر إلى الوقت بطريق التجوز كما في «مكر الليل والنهار».

(٣-٤) ناظران إلى معنى الشهادة، واللفظ ظرف مكان أو زمان، أي موضع الشهادة أو وقت الشهادة في ذلك اليوم - الشاهدون هم الملائكة والأنبياء والجوارح.

(٥) ناظر إلى معنى الحضور و إلى أن المراد باليوم يوم اجتماعهم كما أوضح المصنف. و فطع الأمر فطاعة من كرم: اشتدت شناعته و جاوز المقدار في ذلك. (قاموس)

قوله لا يوصف بالتعجب، لأن صدوره من الله محال، إذ هو كيفية نفسانية تنشأ عن استعظام ما لا يدري سببه، ولذا قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب (خفاجي) قوله يُجدي أي ينفع من الجدوى بمعنى الفائدة. قوله أقيم الظاهر مقام المضمرة، أي كان الأصل إيراد الضمير لتقدم ذكرهم، لكن أقيم الظالمون مقام الضمير. إشعاراً بأنهم الكاملون في الظلم ولا ظلم أشد من ظلمهم، فإن الظلم إنما هو الإضرار بشيء أو وضع شيء في غير محله وهولاء

والنار ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ هنا عن الاهتمام لذلك المقام ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون به «وهم» «وهم» حالان أي وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرُكُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء ﴿وَالْيَنَّا يُرْجَعُونَ﴾ بضم الياء وفتح الجيم. وفتح الياء: يعقوب أي يردون فيجازون جزاءً وفاقا. ﴿وَأَذْكُرُ﴾ لقومك ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿يُرْهِمُهُ﴾ قصته مع أبيه ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ بغير همز<sup>(٢٨)</sup> وهمزة نافع. قيل: الصادق المستقيم في الأفعال والصديق المستقيم في الأحوال، فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أي كان مصدقاً لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبياً في نفسه،<sup>(٢٩)</sup> وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين إبراهيم وبين ما هو بدل منه وهو: ﴿إِذْ

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الوارث و تصرفه بعد المورث كذا يبقى الله و تصرفه بعد هلاك الأرض و من عليها، و قوله "إنا نحن" للتأكيد والتخصيص، فلا يُرى إذ ذاك التصرف لأحد لا حقيقة ولا صورة، والملك بالكسر: اختصاص عين المملوك بالمالك بحيث له التصرف فيه والاستقلال بمنافعه، والملك بالضم: التصرف في المملكة بالأمر والنهي (خفاجي) والهلك كالفعل الهلاك (إكليل) قوله فتح الياء أي و كسر الجيم يرجعون يعقوب بن إسحق الحضرمي، وهو من العشرة، و سائر العشرة يرجعون على المبني للمفعول. والرجوع إليه كناية عن غايته وهو الجزاء حسب العمل كما أشار إليه المصنف. (٢٨) قوله بغير همز: قال النحويون أصله الهمز فترك همزه، وقال بعض العلماء: هو من النبوة أي الرفعة، و سمي نبياً لرفعة محلّه عن سائر الناس (مفردات للإمام الراغب) (٢٩) عبارة الكشاف بعد ذلك: أو كان بليغاً في الصدق، لأن ملاك أمر النبوة الصدق، و مصدق الله بآياته و معجزاته حرّي أن يكون كذلك - اه - و في الكشف: المبالغة فيه تشمل المبالغة كما وكيفا، فحمله أولاً على الأول بقوله "والمراد فرط صدقه، و كثره ما صدق به" والعطف تفسيري، لأن من صدق كثيراً يكون كثير الصدق في تصديقه، و حملة ثانياً على الثاني بقوله "أو كان بليغاً في الصدق" (مثلاً بأن صدق بقوله و اعتقاده، و حقق صدقه بفعله كما ذكر الراغب أحد الأقوال في معاني الصديق - ١٢) ولك =

يقولون: نعم! هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرفون و ينظرون و يقولون: نعم هذا الموت. و كلهم قد رآه. فيؤمر به فيذبح، فيقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، و يا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ و أشار بيده و قال "أهل الدنيا في غفلة" (در منثور) قال العلامة ابن حجر: و أخرجنا عن ابن عمر نحوه، دون قراءة الآية، و في الباب عن أبي هريرة عند ابن حبان، و الحاكم، والنسائي، و أخرجه البخاري دون ذكر الذبح (كما نقلت عنه) و أخرجه أبو يعلى و البزار من حديث أنس، و في آخره "فيأمن هولاء، و ينقطع رجاء هولاء" (الكافي الشاف) قوله تصادر الفريقان: أي صدر كل من موقف الحساب إلى مقرّه، فإما إلى الجنة، و إما إلى النار (خفاجي) و في الأصل الصدور ضد الورود فالورود نزول العطشان على الماء والصدور رجوعه عنه. قوله حالان، و ذوالحال ضمير المفعول في أنذرهم، قال البيضاوي: فيكون حالاً متضمنة للتعليل - اه - أي أنذرهم لأنهم في حالة يحتاجون فيها للإندار، وهي الغفلة، والكفر (خفاجي) قوله نتفرد - الخ - إشارة إلى قوله تعالى: لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ، لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، و ذكر وراثه الله الأرض و من عليها بطريق الاستعارة لا الحقيقة، أي كما يبقى

قَالَ ﴿ وَجَازٌ أَنْ يَتَعَلَّقَ «إِذْ» بِ«كَانَ» أَوْ بِ«صَدِيقًا نَبِيًّا» أَي كَانَ جَامِعًا لِخَصَائِصِ الصَّدِيقِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ حِينَ خَاطَبَ أَبَاهُ بِتِلْكَ الْمُخَاطَبَاتِ وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ الرَّسُولِ إِيَّاهُ وَقِصَّتَهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ يَتْلُو ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَيُبَلِّغُهُ إِيَّاهُمْ كَقَوْلِهِ: (وَآتُلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) [الشعراء: ٦٩] وَإِلَّا فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ ذَاكِرُهُ وَمُورِدُهُ فِي تَنْزِيلِهِ<sup>(٣٠)</sup> ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ بِكَسْرِ التَّاءِ وَفَتْحِهَا ابْنُ عَامِرٍ وَالتَّاءُ عَوْضٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ وَلَا يُقَالُ يَا أَبَتِي لِثَلَاثَةٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الْعَوْضِ وَالْمَعْوِضِ مِنْهُ ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ الْمَفْعُولُ فِيهِمَا مَنْسِيٌّ غَيْرُ مَنْوِيٍّ<sup>(٣١)</sup> وَيَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ أَي لَا يَسْمَعُ شَيْئًا وَلَا يَبْصُرُ شَيْئًا ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ أَي شَيْئًا مِنَ الْإِغْنَاءِ وَأَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ مِنْ قَوْلِكَ أَغْنَى عَنِّي وَجَهَكَ أَي بَعْدَ ﴿يَأْتِي إِيَّايَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ الْوَحْيِ أَوْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ «مَا» فِي (مَا لَا يَسْمَعُ) وَ (مَا لَمْ يَأْتِكَ) يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُوصُولَةً أَوْ مُوصُوفَةً ﴿فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ﴾ أَرَشِدُكَ ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ مُسْتَقِيمًا ﴿يَأْتِي لَاتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ لَا تَطْعُهُ فِيمَا سِوَى عِبَادَةِ الصَّنَمِ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ عَاصِيًا. ﴿يَأْتِي إِيَّايَ أَخَافُ﴾ قِيلَ أَعْلَمُ ﴿أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِنَ الرَّحْمَنِ

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إِنْ كُنْتُمْ مَقْلَدِينَ فَقَلِّدُوهُ فِي تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَ عِبَادَتِهَا، وَإِنْ كُنْتُمْ مُسْتَدَلِّينَ فَانظُرُوا فِي الدَّلَائِلِ الَّتِي ذَكَرَهَا عَلَى أَبِيهِ. (نيسابوري)

(٣١) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ قَوْلُهُ لَا يَغْنِي - فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: مَا يَغْنِي عَنْكَ هَذَا أَي مَا يَجْزِي عَنْكَ وَ مَا يَنْفَعُكَ - اه - وَ أَغْنَى عَنْهُ عَنَاءُ فَلَانٍ: نَابَ عَنْهُ، وَأَجْزَأُ عَنْهُ مُجْزَأُهُ. وَ يَشْهَدُ لِلْمَعْنَى الثَّانِي قَوْلُ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي صَحِيفَةٍ لَمَنْ أَتَى بِهَا: أَغْنَى عَنَّا أَي أَصْرَفَهَا وَ كُفَّهَا، وَ يُقَالُ: أَغْنَى عَنِّي شَرَّكَ أَي أَصْرَفَهُ وَ كُفَّهُ، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ. يَقُولُ: يَكْفِيهِ شُغْلُ نَفْسِهِ عَنْ شُغْلِ غَيْرِهِ. (مجمع البحار و لسان العرب) قَوْلُهُ مُوصُولَةٌ أَوْ مُوصُوفَةٌ الْمَوْصُولَةُ تَكُونُ مَعْرِفَةً بِمَعْنَى الَّذِي، وَالْمَوْصُوفَةُ تَكُونُ نَكْرَةً بِمَعْنَى شَيْءٍ قَوْلُهُ: سَوَّلَ التَّسْوِيلَ: تَحْسِينُ الشَّيْءِ وَ تَزْيِينُهُ وَ تَحْبِيبُهُ إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَفْعَلَهُ أَوْ يَقُولَهُ (مجمع البحار) وَ عِبَارَةُ الرَّاعِبِ: تَزْيِينُ النَّفْسِ لِمَا تَحْرُسُ عَلَيْهِ وَ تَصْوِيرُ الْقَبِيحِ مِنْهُ بِصُورَةِ الْحَسَنِ - اه - وَ هَذَا يُوضِحُ أَنَّ التَّسْوِيلَ مَحَلُّهُ الشَّرُّ وَالْقَبِيحُ، قَوْلُهُ «أَخَافُ» =

= أَنْ تَجْعَلَهُ جَامِعًا لِلْقَسْمَيْنِ لِكَوْنِهِ مَقَامَ الْمَدْحِ وَ الْمُبَالِغَةِ. أَمَّا جَعْلُهُ فِي الْأَوَّلِ رَاجِعًا إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا فِي «قَطَّعْتَ الْحِبَالَ» عَلَى مَا فِي بَعْضِ الْحَوَاشِي فَمِنْ الْأَغْلَاطِ - اه - (خفاجي) وَلَمَّا ثَبِتَ أَنْ كُلَّ نَبِيٍّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا، وَلَا يَجِبُ فِي كُلِّ صَدِيقٍ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا ظَهَرَ بِهَذَا قَرَبَ مَرْتَبَةِ الصَّدِيقِ مِنْ مَرْتَبَةِ النَّبِيِّ، فَلهَذَا انْتَقَلَ مِنْ ذِكْرِ كَوْنِهِ صَدِيقًا إِلَى ذِكْرِ كَوْنِهِ نَبِيًّا (جمل)

(٣٠) قَالَ الْإِمَامُ: أَعْلَمُ أَنَّ الْغُرُضَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ بَيَانُ التَّوْحِيدِ وَ النُّبُوَّةِ وَ الْحَشْرِ، وَ الْمُنْكَرُونَ لِلتَّوْحِيدِ هُمُ الَّذِينَ أَثْبَتُوا مَعْبُودًا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَ هُوَ لِأَنَّ فَرِيقَانِ: مِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَ مَعْبُودًا غَيْرَ اللَّهِ حَيًّا عَاقِلًا فَاهِمًّا، وَ هُمُ النَّصَارَى. وَ مِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَ مَعْبُودًا غَيْرَ اللَّهِ جَمَادًا، لَيْسَ بِحَيٍّ وَلَا عَاقِلٍ وَلَا فَاهِمٍ. وَ هُمُ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ. وَ الْفَرِيقَانِ وَ إِنْ اشْتَرَكَا فِي الضَّلَالِ إِلَّا أَنَّ ضَلَالَةَ الْفَرِيقِ الثَّانِي أَعْظَمُ. فَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى ضَلَالَةَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ تَكَلَّمَ فِي ضَلَالَةِ الْفَرِيقِ الثَّانِي فَقَالَ (وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ) وَ هُوَ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ (ذَكَرَ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا) (مفاتيح) وَ إِنَّمَا بَدَأَ بِقِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ كَانَ أَبَا الْعَرَبِ، وَ كَانُوا مُقَرَّرِينَ بَعْلُو شَانَهُ، وَ كَمَالُ دِينِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ

فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٣٢﴾ قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر ففي الحديث: «أوحى إلى إبراهيم أنك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار»<sup>(٣٢)</sup> فطلب منه أولاً العلة في خطئه طلب مُنَبِّه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه، لأن من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الأنبياء كان محكوماً عليه بالغي المبين فكيف بمن يعبد حجراً أو شجراً لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيئات عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضي له حاجة؟ ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إن معي شيئاً من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه، ثم ثلث بنهيته

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والتنبيه والإيقاظ على بلوغه النهاية و مجاوزة الحد في الغي يتضح بقوله تعبد ما لا يسمع - الخ - فإن ما كان عارياً عن السمع والبصر والنفع والدفع لا يليق أن يميل إليه النفس، فكيف يليق بالعبادة، فإنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام، والإنعام العام، وهو الخالق الرازق المحي المميت المعاقب المثيب قوله لا يسمع ذكر عابده ولا يرى - الخ - ناظر إلى قوله "ما لا يسمع ولا يبصر" وقوله ولا يدفع..... ولا يقضى..... ناظر إلى قوله "ولا يغنى عنك شيئاً" دفع البلاء بالنظر إلى معنى الكف والمنع، وقضاء الحاجة بالنظر إلى معنى الكفاية والإجزاء. قوله مترفقاً به متلطفاً: من الرفق واللطف أي اللين و حسن المعاملة. قوله فلم يسم، من الوسم وهو العلامة، والمراد لم يصفه، وهو مجاز مشهور بهذا المعنى، وإنما لم يصفه - مع أنه كذلك - تأدباً ورفقاً. ولم يدع العلم الفائق تواضعاً، ولأنه أقرب إلى القبول، وذلك بقوله "جاءني من العلم" أي بعضه (خفاجي) قوله هب أمر من وهب والمعنى احسب، وسلم ولا يستعمل منه في هذا المعنى إلا الأمر. قوله أنجك، الكاف ضمير المفعول المخاطب والفعل مضارع مجزوم لكونه جواباً للأمر، من الإنجاء أو التنجية قوله تتيه من تاه في الأرض يتيه تيتها وتيتها: ذهب متحيراً قوله ثم ثلث بنهيته - الخ - دفع لما يختلج أن أباه لم يعبد الشيطان فكيف حكم عليه بعبادته ونهاه عنها،

= قيل : أعلم - قاله الفراء، والأكثر على أنه محمول على ظاهره لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن جازماً بموت أبيه على الكفر وإلا لم يشتغل بنصحه (نيسابوري) قوله قريناً في النار تليه و يليك. دفع لإيراد، وهو أن الإنسان يكون ولياً للشيطان أولاً، ثم يمسه العذاب ثانياً، وهنا ذكر العذاب أولاً، ورتب عليه الولاية ثانياً، فدفعه بأن المراد بكونه ولياً له، مقارنته في العذاب، وهذا مترتب على مس العذاب، وقوله تليه و يليك إشارة إلى وجه الدلالة بأن "وليّاً" من الولي وهو القرب والاتصال، فإذا كان مقارباً له في النار، كان قريناً له فيها. قوله المجاملة أي المعاملة بالجميل (مختار الصحاح)

(٣٢) تمامه: فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشي، وأسكنه حظيرة القدس، وأدنيه من جواربي. (الكشاف) رواه الطبراني في الأوسط، و ابن عدي ، والحكيم الترمذي، في النوادر من حديث أبي هريرة. وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، وهما ضعيفان (الكافي الشاف)

قوله منبه اسم فاعل من التنبيه وهو الإعلام والإيقاظ، تماذى في الأمر: بلغ فيه المدى، والمدى: الغاية والمنتهى. وموقظ اسم فاعل من الإيقاظ، والإفراط مجاوزة الحد، وتناهى الشيء: بلغ نهايته. و طلب العلة ظاهر بقوله: لم أي لأي شيء ولأي سبب

عما كان عليه بأن الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك فأنت عابده في الحقيقة، ثم رَّبَّ بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وأن العذاب لاصق به بل قال: أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال: إني أخاف أن يصيبك نفيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدر كل نصيحة بقوله: (يا أبت) توسلاً إليه واستعطافاً وإشعاراً بوجوب احترام الأب وإن كان كافراً.

فثم ﴿قَالَ﴾ آزر توبيخاً: ﴿أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْئِ يَا بُرْهِيمَ﴾ أي أترغب عن عبادتها فناده باسمه ولم يقابل (يا أبت) بـ«يا بني» وقدم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده ﴿لَيْنٌ لَّمْ تَنْتَهَ﴾ عن شتم الأصنام ﴿لَا رُحْمَكَ﴾ لأقتلنك بالرجام<sup>(٣٣)</sup> أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك ﴿وَأَهْجُرُنِي﴾ عطف على محذوف يدل عليه (لأرجمنك) تقديره فاحذرنني واهجرني ﴿مَلِيًّا﴾ ظرف أي زماناً طويلاً من الملاوة ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ سلام توديع ومتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾ سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن يهديك للإسلام ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ملطفاً بعموم النعم أو رحيماً أو مكرماً

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله الذي جميع النعم منه، إشارة إلى معنى الرحمن. قوله أوقعك خبر "أن" في قوله أن الشيطان الذي، قوله بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال. "سوء العاقبة" مفعول التخويف، و"ما يجره" معطوف عليه، "ما هو فيه" فاعل يجز "من التبعة والوبال" بيان "ما" الأولى، و"ما هو فيه" مبهم أي من الكفر والإشراك. والتبعة بفتح التاء، وكسر الباء: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر، إلا أن استعماله في الشر أكثر، يقال "لهذا الفعل تبعه" أي لحوق شر وضر فقولته والوبال كالتفسير للتبعة. والمعنى خوفه رابعاً سوء العاقبة والوبال الذي يجره إليه الكفر الذي هو فيه. قوله نفيان: ما يتطاير من الماء عن الرشاء، قوله جعل ولاية الشيطان أكبر - يوخذ هذا من السياق و تفريعه على مس العذاب، مع ذكر الخوف، وهو توقع المكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما في المفردات.

(٣٣) قوله بالرجام أي الحجارة جمع الرجمة والرجم بفتح الراء وضمها و سكون الجيم. وأصل الرجم هو الرمي بالرجام، ويستعار للرمي بالظن، والتوهم، وللشتم والطرده

(مفردات) قوله لأشتمنك مروى عن ابن عباس، والسدي، وابن جريج والضحاك وغيرهم (ابن كثير) قوله الملاوة، بتثنية الميم: البرهة من الدهر (فاموس) قوله سأسأل الله - الخ - قد ثبت بالقطع أن الله لا يغفر أن يشرك به، والنبي يعلم أن المشرك لا يستأهل المغفرة، فاستغفاره للكافر بمعنى أن يطلب المغفرة له مع كفره - لا يتصور منه، و معناه الصحيح هو سؤال أن يجعله أهلاً للمغفرة بأن يهديه للإسلام، و قد جاء في القرآن (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (التوبة: ١١٤) قال المصنف: و معنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم، أو سؤاله إعطاء الإسلام الذي به يُغفر له - اه - قوله حفيًا - في مختار الصحاح: حفي به - بالكسر - خفاوة - بفتح الحاء - فهو حفي. أي بالغ في إكرامه، و إطفاه والعناية بأمره. و (الحفي) أيضاً، المستقصي في السؤال. ومن الأول قوله تعالى: إنه كان بي حفيًا. و من الثاني قوله تعالى: كأنك حفي عنها - اه - =

والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة.

﴿وَأَعْتَزَلْتُمْ﴾ أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي ما تعبدون من أصنامكم<sup>(٣٤)</sup> ﴿وَادْعُوا﴾ وأعبدوا ﴿رَبِّي﴾ ثم قال تواضعا وهضمًا للنفس ومعرضاً بشقاوتهم بدعاء آلهتهم ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ أي كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فلما اعتزل الكفار وعبوديتهم ﴿وَهَيَّا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلة ليستأنس بهما ﴿وَكُلًّا﴾ كل واحد منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولاداً مؤمنين أنبياء ﴿وَهَيَّا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ هي المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسناً وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم في الصلوات، وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية ﴿عَلِيًّا﴾ ربيعاً مشهوراً. ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ﴾<sup>(٣٥)</sup> إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴿كوفي: غير المفضل، أي أخلصه الله واصطفاه، و «مخلصاً» بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة بأصل الفطرة، ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبى الذي ينبىء عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع<sup>(٣٦)</sup> ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ دعوانه وكلمناه ليلة الجمعة ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ هو

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

= قوله ملطفا اسم فاعل من الإفعال. أطفه بكذا: بره به. (٣٤) بين أن الدعاء هنا بمعنى العبادة، والدليل عليه ما بعده ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ قوله كما شقيتم - الخ - إشارة إلى أن فيه تعريضا للكفار بخيبتهم و شقاوتهم بعبادة الأصنام، وقوله عسى أن لا أكون - تواضع منه. قوله المال والولد، روي ذلك عن الكلبي، وعن الحسن هي النبوة، والأظهر أنها عامة في ذلك كل خير ديني و دنيوي (نيسابوري) قال ابن جرير: وإنما وصف الله اللسان الذي جعل لهم بالعلو، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم - اه - قال العلماء ما خسر على الله أحد، فإن إبراهيم لما ترك أباه الكافر وقومه فرارا بدينه عوضه الله أولاداً مؤمنين أنبياء و سمّاه الله أبا المؤمنين (ملة أئبكم إبراهيم) و تل ولده للجبين، ففداه الله بذبح عظيم، وأسلم نفسه لرب العلمين فجعل النار عليه برداً و سلاماً، و أشفق على هذه الأمة فقال: وابعث فيهم رسولاً. فأشركه الله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس، و عادى كل الخلق حين قال: فإنهم عدو لي إلا رب العلمين. فلا جرم اتخذه

الله خليلاً. (مفاتيح الغيب و غرائب القرآن) (٣٥) قفى قصة إبراهيم بقصة موسى عليهما السلام لأنه تلوّه في الشرف (نيسابوري) - (القراءة) مخلصاً - بفتح اللام على زنة اسم المفعول - قرأه عاصم، و حمزة، و علي غير المفضل بن محمد، يروي عن عاصم. مخلصاً بكسر ها على زنة اسم الفاعل قرأه الباقون، و أوضح المصنف معناهما. و يبين أن المعنيين ثابتان له عليه السلام. وهو من أولي العزم الخمسة من الرسل نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و خاتم الأنبياء عليه و عليهم صلوات الله و سلامه. (٣٦) قد يتوجه هنا سؤال. وهو أن كل رسول نبي، فأى حاجة إلى قوله "نبياً" بعد قوله "رسولاً" و أجابوا عنه بوجه. و يظهر لي أنّ الرسول والنبي ليس بينهما العموم والخصوص مطلقاً بل بينهما عموم من وجه. لأن الرسل يكونون من الناس و من الملائكة. كما في القرآن (الله يصطفي من الملائكة رسلاً و من الناس - الحج - ٧٥) والنبي لا يكون إلا من الناس كما تقرّر =



جبل بين مصر ومدين ﴿الْأَيْمَنُ﴾ من اليمين أي من ناحية اليمين، والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لأن الجبل لا يمين له، والمعنى أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ تقريب منزلة ومكانة لا منزل ومكان<sup>(٣٧)</sup> ﴿نَمِيًّا﴾ حال أي مناجياً كنديم بمعنى منادم. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ من أجل رحمتنا له وتروّفنا عليه ﴿أَخَاهُ﴾ مفعول ﴿هُرُونَ﴾ بدل منه ﴿نَبِيًّا﴾ حال أي وهبنا له نبوة أخيه وإلا فهارون كان أكبر سنّاً منه.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ هو ابن إبراهيم في الأصح<sup>(٣٨)</sup> ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ وافية. وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد، وناهيك أنه وعد من نفسه

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) وقوله: (وَ مَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ) (فَالْقَبْهَا فَاذَاهِي حِيَّةٌ تَسْعَى) وما بعد ذلك، كله دليل واضح أن المناجاة، وإعطاء معجزتين وقعا في الأرض وبذلك الوادي المقدس طوى، فالوجه أنهم أخذوا رواية رفعه فوق السموات وسماعه صريف الأقلام، وكتابة التوراة من أحبار أهل الكتاب، وعلينا أن نعرضها على القرآن والسنة المرفوعة فإن لم تصادم يجوز قبولها، وإلا لا. والعجب من ابن كثير أنه لم يلمّ بمعنى تقريب التشريف شيئاً وسرد تلك الروايات بدون شيء من التنبيه عليها. قوله كان أكبر سنّاً منه. رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

(٣٨) قوله في الأصح. بل هذا هو الصحيح، ولا يليق بالالتفات ما قيل: إنه إسماعيل بن حزقييل، بعثه الله إلى قومه، فسلكوا جلدة رأسه، فخيره الله تعالى فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه ورضي بثوابه، وفوّض أمرهم إليه في عفوهِ وعقوبته كما حكى القرطبي. فإنه لو كان غير إسماعيل بن إبراهيم لميزه القرآن بوصف، ولوجد اسمه في كتاب يوثق به، من البين أنه ماخوذ من الإسرائيليين الذين يحاولون الغصّ من قدر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لكونه أبا العرب و أبا نبينا عليه الصلاة والسلام. قوله فانتظره سنة. أخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري في قصة، قال: بلغني. قوله ناهيك بمعنى يكفيك أصله من النهي، كأن الأمر الذي يذكر بعد هذا اللفظ ينهى عن طلب غيره لزيادة وضوحه.

= في محله - فبعض الرسل ليس بنبي كجبريل، وبعض النبي ليس برسول كإسحق عليه السلام. وبعض النبي رسول. وهم الذين بعثوا إلى قوم بشرية جديدة أو أنزل عليهم كتاب. وعلى هذا لا يستلزم ذكر الرسول ذكر النبوة وذكر وصف النبي بعد وصف الرسول يفيد أنه ليس من الملائكة بل من الناس. وذكر الرسول بعد وصف النبي يفيد أنه جمع إلى مرتبة النبوة مرتبة الرسالة أيضاً. نعم! قد فرقوا بين الرسول والنبي على اصطلاحين متغايرين: أحدهما الرسول هو الذي جمع الكتاب إلى المعجزة، ثانيهما الرسول من كان صاحب شريعة جديدة، قيل ولو بالنسبة إلى المبعوث إليهم (خفاجي) والنبي من كان صاحب معجزة بدون كتاب أو من ليس صاحب شريعة جديدة. وداؤد عليه السلام كان على شريعة موسى عليه السلام، وكان صاحب الزبور. فهو رسول على المصطلح الأول، لا الثاني. وعلى هذا يجوز أن يكون أحد نبيّاً ورسولاً بالمعنى الأول، ولا يكون رسولاً بالمعنى الثاني. وذكر المصنف رحمه الله هذه المصطلحات في سورة الحج تحت قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) وزاد الخفاجي أقوالاً آخر هناك.

(٣٧) روي هنا عن ابن عباس تقريبه المكاني حتى سمع صريف القلم يكتب في اللوح، وصححه الحاكم عن ابن عباس، لكن ليس بمرفوع ونحو ذلك روي عن أبي العالية، وسعيد بن جبير، وميسرة. كل ذلك يأباه سياق ما جاء مفضلاً مبسوطاً في سورة طه (فَلَمَّا أَنْهَا نُودِيَ يَمُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ

الصبر على الذبح فوفى. وقيل لم يعد ربه موعداً إلا أنجزه، وإنما خصه بصدق الوعد وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء تشريفاً له ولأنه المشهور من خصاله ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرهم ﴿نَبِيًّا﴾ مخبراً منذراً ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أمته لأن النبي أبو أمة أو أهل بيته وفيه دليل على أنه لم يدهن غيره ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ يحتمل أنه إنما خصت هاتان العبادتان لأنهما أما العبادات البدنية والمالية ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ قرئ (مرضوا) على الأصل.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو أخنوخ<sup>(٣٩)</sup> أول مرسل بعد آدم عليه السلام، وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل. وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لأنه لو كان «إفعلياً» من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العجمة ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو شرف النبوة والزلفى عند الله. وقيل: معناه رفعته الملائكة إلى السماء

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

صنيع صاحب المدارك هنا أنه حمل الرسول على المعنى العام بمعنى المبعوث إليهم، والنبي على المعنى المصطلح. والله تعالى أعلم. قوله و أهل بيته كذا في ما وجدت من النسخ، لكن يظهر لي أنه "أو" كما ذكر صاحب الكشاف والبيضاوي والرازي وقوله وفيه دليل الخ أيضاً يقتضي أن يكون هذامعنى آخر، فإن عدم المداهنة حين أمره جميع الأمة مع أهل البيت واضح لا يحتاج إلى الاستدلال، نعم إذا أريد أنه كان يأمر أهل بيته يتجه السؤال بأنه كيف كان يعامل غير أهله، و يجب أن من لم يترك أهله من إلزام الأمر لا يترك غيره، ولا يدهنه، والمداهنة: المصانعة واللين، والمحابة في غير حق، والمساهلة في الأمر والنهي (لسان العرب و مجمع البحار و غيرهما) قوله أما العبادات، أصله أمان، مثنى الأم، حذف نون التثنية للإضافة. قوله مرضوا، قراءة شاذة.

(٣٩) قوله أخنوخ - بضم الهمزة وفتحها (خفاجي) قوله لا يصح، لأنه لو كان مشتقاً كان عربياً، وهو أعجمي، لمنع صرفه بالاتفاق، و جريان الاشتقاق في غير العربي مما لم يقل به أحد - اه خفاجي. قوله الزلفى. أي التقرب. ذكر المصنف هنا أقوالاً في تفسير قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ الأول: المراد به رفعة المرتبة والثاني رفعة المنزل والمكان وفيه =

قوله تعالى ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحق، لأنه إنما وصف بالنبوة فقط، و إسماعيل وصف بالنبوة والرسالة، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ - الحديث -" فدل على صحته ما قلناه (ابن كثير) وفي روح البيان: أرسله الله تعالى إلى جرهم، و إلى العماليق، و إلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم عليه السلام. قال في القاموس "جرهم" ك "قنفذ" حي من اليمن تزوج فيهم إسماعيل (نبياً) يخبر عن الله، و كان على شريعة أبيه إبراهيم، ولم يكن له كتاب أنزل إليه بإجماع العلماء، وكذا لوط، و إسحق، و يعقوب عليهم السلام - اه - وهذا مشكل جداً فإن القرآن سماه "رسولاً" و قالوا في تعريف الرسول من كان صاحب شريعة جديدة، أو من أنزل عليه كتاب. و أحد من المعنيين لا يوجد في إسماعيل عليه السلام لكن أجابوا ههنا بزيادة قول ثالث وهو أن الرسول من بعث إلى قوم بشريعة جديدة بالنسبة إليهم، وإن كانت الشريعة غير جديدة في نفسها و إسماعيل عليه السلام كذلك، لأنه بعث إلى جرهم بشريعة أبيه، ولم يعث إبراهيم عليه الصلاة والسلام إليهم (عناية القاضى) و قال الخفاجي: في الفرق بين الرسول والنبي كلمات كثيرة، أكثرها مضطرب - اه - و يرى من

الرابعة، وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها. وعن الحسن: إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وذلك أنه حُب لكثرة عبادته إلى الملائكة فقال: لملك الموت أذقني الموت يهن عليّ ففعل ذلك بإذن الله فحیی وقال: أدخلني النار أزدد رهبة ففعل، ثم قال: أدخلني الجنة أزدد رغبة، ثم قال: اخرج فقال: قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل: بإذني فعل وبإذني دخل فدعه.

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من زكرياء إلى إدريس ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ «من» للبيان لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ «من» للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه ولد سام بن نوح ﴿وَمِمَّنْ ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَأِسْرَائِيلَ﴾ أي ومن ذرية إسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى لأن مريم من ذريته<sup>(٤٠)</sup> ﴿وَمِمَّنْ﴾ يحتمل العطف على «من» الأولى والثانية ﴿هُدَيْنَا﴾ لمحاسن الإسلام ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ من الأنام أو لشرح الشريعة

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

من سيدنا نوح عليهما السلام كما قال ابن جرير بعد التفسير المذكور: ولذلك فرّق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم. لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس فإنه جد نوح - اه - قال ابن كثير هذا هو الأظهر أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام، وقد قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل (نقله القرطبي عن ابن العربي المالكي) أخذًا من حديث الإسراء حيث قال (سيدنا إدريس عليه السلام) في سلامه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم "مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح". ولم يقل "بالولد الصالح" كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام - اه - قال في البداية والنهاية: وهذا لا يدل لأنه قد يكون الراوي حفظه جيدًا، أو لعله قال على سبيل الهضم والتواضع، ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب آدم أبو البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد سيدنا محمد صلوات الله عليهم أجمعين - اه -

قول يحتمل العطف - الخ - فيكون للبيان على التقدير الأول، و للتبعيض على الثاني. قال البيضاوي: في تفسيره: و من جملة من هديناه إلى الحق واجتبتنا للنبوّة والكرامة - اه - قال الخفاجي: إشارة إلى أن من تبعيضية، وأنه معطوف على قوله من ذرية آدم، وأما جعله معطوفًا على قوله من النبيين - أي ممن جمعنا =

= ثلاثة أقوال: الأول رفعه إلى السماء الرابعة، وهذا مروى عن قتادة، ومجاهد، والربيع، وهو مؤيد بأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رآه في السماء الرابعة كما في حديث الصحيحين في الإسراء والثاني: رفعه إلى السماء السادسة أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الثالث رفعه إلى الجنة وهو قول الحسن البصري. وأخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد في الآية، قال: رفع إدريس كما رفع عيسى ولم يمت (الدر المنثور، والبداية والنهاية) وما ذكر المصنف من ذوقه الموت، ووروده النار، ودخوله الجنة أخرج ما يقاربه ويدل عليه ابن أبي حاتم من طريق داود بن هند عن بعض أصحابه. (در منثور)

قوله هو جد أبي نوح. نسب نوح عليه السلام على ما نقل في البداية والنهاية عن علماء النسب: نوح بن لامك، بن متوشلخ بن أخنوخ - وهو إدريس - بن يرد بن مهلايل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام - اه -

(٤٠) تقسيم الأنبياء المذكورين إلى أولاد سيدنا آدم، و إلى أولاد من حمل مع سيدنا نوح، و إلى أولاد إبراهيم، و إلى أولاد إسرائيل عليهم السلام (و تفسيره كما ذكر المصنف مروى عن السدي أخرجه ابن أبي حاتم عنه) يدل على أن سيدنا إدريس أقدم

وكشف الحقيقة ﴿إِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ أي إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف. إن جعلت (الذين) خبراً لـ (أولئك) وإن جعلته صفة له كان خبراً. (يتلى) بالياء: قتيبة لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقي ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ سقطوا على وجوههم رغبة ﴿وَبِكْيَافًا﴾ باكين رهبة جمع باك كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث: «اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا». وعن صالح المري: قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح: هذه القراءة فأين البكاء؟ ويقول في سجود التلاوة سبحان ربي الأعلى ثلاثاً. <sup>(١)</sup> ﴿خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فجاء من بعد هؤلاء المفضلين ﴿خَلَّفَ﴾ أولاد سوء <sup>(٢)</sup> وافتح اللام العقب الخير. عن ابن عباس: هم اليهود ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ تركوا الصلاة المفروضة ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ ملاذ النفوس. وعن علي رضي الله عنه: من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور. وعن قتادة رضي الله عنه: هو في هذه الأمة ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد. وعن ابن عباس وابن مسعود: هو واد في جهنم أعد للمصرين على الزنا وشارب الخمر وأكل الربا والعاق وشاهد الزور. ﴿لَا مَنْ تَابَ﴾ رجع عن كفره ﴿وَأَمَّنَ﴾ بشرطه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بعد إيمانه ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء: مكي وبصري وأبو بكر ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

هو الصحيح (خانية وهندية) وقيل: يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها مثلاً يقول في سجدة هذه الآية: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهتدين الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك (كشاف) (٤٢) قوله أولاد سوء أي خلف بسكون اللام بمعنى أولاد سوء وافتح اللام العقب الخير، قال الخفاجي هو المشهور في اللغة ونقل غير ذلك. قوله ملاذ النفوس، ملاذ جمع ملذ بفتح الميم واللام وتشديد الذال موضع اللذة، قوله من بنى بالموصول والماضي. الشديد أي المحكم، والمنظور هو المركوب الحسن من فرس أو بغل لم يعد للجهاد، بل للتكبر لأنه لحسنه ينظر الناس إليه، والمشهور من الثياب، الفاخر الزاهي لونه، وتسمى الثياب مشتهرة (خفاجي) قوله رجع عن كفره يشير إلى أن المراد من الخلف المذكورين هم الكفرة أو الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات استحالاً.

= له بين النبوة، والهداية، والاجتهاد — لعدم التغير، فخلاص الظاهر، وإن جوزوه - اه - قوله وهو كلام مستأنف. إن جعلت الذين أنعم الله عليهم مع ما بعده خبراً لأولئك تم الكلام من المبتدأ والخبر، وهذا استئناف بياني لمن سأل عن حالهم عند تلاوة آي الرحمن يذكر خشيتهم من الله، و تواضعهم و خشوعهم له، مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب، و كمال النفس، والزلفى من الله تعالى، و حديث "اتلوا القرآن" أخرجه إسحق والبخاري، و أبو يعلى والحارث والبيهقي في الشعب بلفظ "إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا" - الحديث - (تخريج أحاديث الكشاف) و صالح بن بشير المري (بضم الميم و تشديد الراء) يروى عن ثابت والحسن البصري وابن سيرين. (إكليل) (٤١) يقول في سجوده ما يقول في سجود التلاوة

ولا يمتنعونه بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيئاً من الظلم<sup>(٤٣)</sup> ﴿جَدَّتْ﴾ بدل من «الجنة» لأن الجنة تشتمل على جنات عدن لأنها جنس أو نصب على المدح ﴿عَدْنِ﴾ معرفة لأنها علم لمعنى العدن وهو الإقامة أو علم لأرض الجنة لكونها مقام إقامة ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾ أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص<sup>(٤٤)</sup> ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي وعدا وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير الشأن أو ضمير الرحمن ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ أي موعوده وهو الجنة ﴿مَأْتِيًا﴾ أي هم يأتونها ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لُغْوًا﴾ فحشاً أو كذباً أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه، وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ أي لكن يسمعون سلاماً من الملائكة أو من بعضهم على بعض، أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور.<sup>(٤٥)</sup> وقيل: معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة، كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا إذ لا ليل ولا نهار ثم، لأنهم في النور أبداً وإنما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها.<sup>(٤٦)</sup> والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

للاختصاص، وأهل الاختصاص هؤلاء المذكورون. قوله وعدا وهي غائبة. بين فيه أن العائد إلى الموصول في قوله وعد الرحمن محذوف والأصل التي وعدا الرحمن، وقوله بالغيب إما حال عن هذا العائد المحذوف أو حال عن عباده أي وعدا ملتبسة بالغيب أو وعدا عباده ملتبسين بالغيب قوله أي موعوده، الوعد بمعنى المصدر قد سبق فلا يكون مأتياً في المستقبل لذا فسر الوعد بالموعود وماتياً اسم مفعول من أتى على زنة مرمي.

(٤٥) فإن سلام الملائكة أو تحية بعضهم لبعض أو قولاً ذا سلامة ليس من باب اللغو قوله وقيل الخ فعلى هذا الوجه يكون الاستثناء متصلاً.

(٤٦) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قوله «لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» قال: ليس في الجنة ليل ولا شمس ولا قمر، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب و=

(٤٣) يشير أن الظلم له معنيان، نقص الحظ، والإضرار و على الأول شيئاً مفعول به، و على الثاني مفعول مطلق بمعنى لا يظلمون ظلماً، قوله معرفة. عدن بسكون الدال مصدر بمعنى الإقامة، وهو نكرة، فالمضاف إليه أيضاً يكون نكرة، و على تقدير تنكير «جنت عدن» لا يصح إبداله من «الجنة» على قول من قال لا يصح إبدال النكرة غير الموصوفة من المعرفة، ولا يصح كونه موصوفاً للموصول في قوله «التي وعد الرحمن» فاحتاجوا إلى اعتبار «جنت عدن» معرفة، وقالوا عدن معرفة لأنه علم جنس لمعنى العدن، كما أن «برة» بفتح الباء علم لمعنى البر والإحسان، أو هو علم لأرض الجنة. وعلى التقديرين تكون جنت عدن معرفة و يصح الإبدال والوصف بدون نزاع.

(٤٤) وعد الجنة ليس عامّاً لجميع العباد كما يتوهم من ظاهر قوله «عباده» فأبان المصنف أن الإضافة في قوله عباده للعهد، والمعهود هم الذين تابوا و آمنوا و عملوا الصالحات، أو إضافة العباد إلى الرحمن

الله جنته بذلك. وقيل أراد دوام الرزق كما تقول: «أنا عند فلان بكرة وعشياً» تريد الدوام. ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها. (٤٧) وقيل: يرثون المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا لأن الكفر موت حكماً ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ عن الشرك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال: «يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزل (٤٨). ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق والأول أليق هنا يعني أن نزولنا في الأحايين وقتاً غب وقت ليس إلا بأمر الله ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٥٦﴾ أي له ما قدامنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن نتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته، وهو الحافظ للعالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فأني لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل من (ربك) أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السماوات والأرض. ثم قال: لرسوله لما عرفت أنه متصف بهذه الصفات ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ فاثبت على عبادته ﴿وَاصْطِرِّعُوا بِعِبَادَتِهِ﴾ أي اصبر على مكافأة الحسود، لعبادة المعبود، واصبر على المشاق، لأجل عبادة الخلاق، أي لتتمكن من الإتيان بها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ شبيهاً ومثلاً، أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أي إذا صح أن لامعبود توجه إليه العباد العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قال: موحداً (در منشور) (٤٨) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، و عبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في الدلائل. (در منشور) قوله على مَهَلٍ بفتح الهاء وتسكن أي وقتاً بعد وقت، وقوله وقتاً غِبَّ وقت، غِبَّ بمعنى بَعْد، ومنه قولهم غِبَّ السلام و غِبَّ ذَا، ذكره في المصباح، و أهمله في القاموس. (خفاجي) قوله لما عرفت الخ بيان لوجه ترتب قوله "فاعبده" على ما قبله و كذا قوله أي إذا صحَّ أن لا معبود الخ بيان لمناسبة الاستفهامية الإنكارية لما قبلها. قوله مكافأة الحسود كافأ فلاناً: دافعه عنه.

= إغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب (در منشور) وقال الحسن و قتادة و غيرهما: كانت العرب الأنعم فيهم من يتغدى و يتعشى فنزل القرآن على ما في أنفسهم من النعيم. (ابن كثير) (٤٧) يشير إلى أن ذكر الإيراث ليس على الحقيقة بل هو على طريق الاستعارة والتشبيه، فإن المتقي تنقضي أعماله و تبقى ثمرتها كما ينقضي الموروث و يبقى ما له للوارث قوله وقيل يرثون المساكن الخ. مرضه لأنه يدل على أن بعض الجنة موروث، والنظم يدل على أن الجنة كلها موروثه، ولأن الإيراث يبتني على ملك سابق متحقق، لا على ملك مفروض مع أنه لا داعي للفرض هنا. (خفاجي) قوله عن الشرك. أخرج ابن أبي حاتم عن داود بن هند في قوله: "مَنْ كَانَ تَقِيًّا"

فتّ أبي بن خلف عظماً وقال: أنبعث بعدما صرنا كذا؟ فنزل: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثٌّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ ﴾ والعامل في «إذا» ما دل عليه الكلام وهو أبعث أي إذا مامت أبعث وانتصابه بـ(أخرج) ممتنع لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول «اليوم لزيد قائم» ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة، فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد وازمحل معنى الحال. و«ما» في «إذا ما» للتوكيد أيضاً فكأنه قال: «أحقاً إنا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك» على وجه الاستنكار والاستبعاد. وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكراً، ومنه جاء إنكارهم ﴿ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ ۝ ﴾<sup>(٥٠)</sup> خفيف شامي ونافع وعاصم من الذكر، والسائر بتشديد الذال والكاف وأصله يتذكر كقراءة أبي فادغمت التاء في الذال أي أو لا يتدبر، والواو عطفت (لا يذكر) على (يقول) ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى فإن تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود. وأما الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفريق ﴿ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ۝ ﴾ من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

بعد الموت هو المنكر فقدم ما هو محل الإنكار - قوله و إيلاءه أي إتباعه حرف الإنكار بدون فصل، وليه: تبعه من غير فصل و أولاه إياه أتبعه إياه بدون فصل، قوله من قبل، بكسر القاف وفتح الباء أي من جهة أن، الخ وأراد بحرف الإنكار همزة الاستفهام التي جاءت ههنا للإنكار، والظرف (إذا) وقع بعدها متصلاً.

(٥٠) (لا يذكر) من نصر قراءة ابن عامر، و نافع، و عاصم والسائر أي باقي القراء وهم الأربعة: ابن كثير و أبو عمرو، و حمزة، و علي الكسائي يذكّر بتشديد الذال والكاف، و أصله يتذكر وهو أيضاً قراءة لأبي بن كعب، لا يذكّر من الذكر الذي يراد به التفكير، و إظهار الفاعل في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شئون التكوين المنحبة بالقلع عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك العنوان (أبو السعود) همزة الاستفهام ههنا للردّ والإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه يقول، و أصل الكلام هكذا أ يقول ذلك ولا يذكر =

(٤٩) فتّ يفتّ فتاً (ن) وفتت الشيء كسره بالأصابع كسراً صغيرة، ومنه فتّ الخبز في المرق و نحوه. قال القرطبي: الإنسان هنا أبي بن خلف وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال: زعم محمد أنا نبعث بعد الموت، قاله الكلبي، ذكره الواحدي والثعلبي والقشيري، وقال المهدي: نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه، وهو قول ابن عباس (الجامع لأحكام القرآن) و أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله «ويقول الإنسان» الآية قال: قالها العاصي بن وائل. (در منثور)

قوله والعامل في إذا - الخ - ذكر هنا مسائل: (١) إذا ظرف منصوب مضاف إلى ما بعدها، والناصب ليس قوله أخرج، لأنه وارد بعد لام الابتداء في «لسوف» وما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها، فالناصب ما دل عليه الكلام وهو «أبعث». (٢) لام الابتداء..... خلصت ههنا للتوكيد (٣) ما في «إذا ما» للتأكيد. والاستفهام للإنكار والاستبعاد (٤) تقديم الظرف على ذكر البعث لأن ذلك محلّ الإنكار، فإن نفس الإحياء ليس بمنكر، ولكن الإحياء

﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشيء خلافاً للمعتزلة ﴿فَوَرِيكَ لَخَشْرَبُهُمْ﴾ أي الكفار المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيْطِينَ﴾ الواو للعطف وبمعنى «مع» أوقع أي يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووههم يقرون كل كافر مع شيطان في سلسلة. وفي إقسام الله باسمه مضافاً إلى رسوله تفخيم لشأن رسوله ﴿ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّ لَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ حال جمع جاث أي بارك على الركب ووزنه «فعلول» لأن أصله «جثو» كسجود وساجد أي يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ طائفة شاعت أي تبعت غاويًا من الغواة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ جرأة أو فجوراً أي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي أعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم. وقيل: المراد بأشداهم عتياً الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالاً ومضلين. <sup>(٥١)</sup> قال سيبويه: (أيهم) مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو «هو» من «هو أشد» حتى لو جيء به لأعرب بالنصب، وقيل: أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصه، فكما أن حذف المضاف إليه في «من قبل» يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجباً للبناء وموضعها نصب بـ«نزع»، وقال الخليل: هي معربة وهو مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره: لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتياً. ويجوز أن يكون النزع واقعاً على (من كل شيعه) كقوله: (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي لننزعن بعض كل شيعه فكان قائلاً قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتياً، و«على» يتعلق بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بالنار ﴿صَلِيًّا﴾ تمييز أي دخولا <sup>(٥٢)</sup> والباء

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

الإعراب، الأول قول سيبويه ، والثاني قول الخليل والثالث: ويجوز أن يكون النزع واقعاً -الخ على الأول هو مضموم لفظاً، منصوب محلاً، أي لننزعن من كل طائفة تابعة لغاؤ من هو أشد عتواً عند الرحمن، وعلى الثاني هو مرفوع مبتدأ، وعلى الثالث أيهم أشد مبتدأ وخبر، جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، والمفعول قوله «من كل شيعه» أي لننزعن بعض كل شيعه.

(٥٢) قال الراغب: أصل الصلبي لإيقاد النار، ويقال صلي بالنار و بكذا أي بُلي بها و اصطلى بها، و صليتُ الشاة: شويتها وهي مصلية، وقيل صلى النار: =

= أنا أوجدناه من العدم، وفي الإيجاد من العدم أعظم دليل على القدرة على الإحياء بعد الإفناء، قوله على ما بينا أي الإخراج من العدم، وإيجاد ما كان معدوماً - قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها، إذ لا شك أن الإعادة ثانياً أهون من الإيجاد أولاً، ونظيره قوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ - مفاتيح الغيب.

قوله وبمعنى مع أوقع أي أحسن موقعاً وأكثر وقعاً وتأثيراً قوله يعتلون مجهول، من ض و ن عتله: جذبه وجره عنيفاً. (٥١) ذكر المصنف في «أيهم أشد» ثلاثة وجوه من



تتعلق بـ «أولى» ﴿وَأَنَّ مِنْكُمْ﴾ أحد ﴿الْأَوَارِدُهَا﴾ داخلها والمراد النار والورود: الدخول<sup>(٥٣)</sup> عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى: (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) [هود: ٩٨] ولقوله تعالى: (لَوْ كَانَ هُوَ لِآءِ إِلَهَةٍ مَا وَّرَدُوهَا) [الأنبياء: ٩٩] ولقوله: (ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا) إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول لقوله عليه السلام: «الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المؤمنون فينجيهم الله، و يهوي فيها الكفار، (أما معنى الورد فقال:) هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من "مرورهم على الصراط المنصب على متن جهنم" فناج مسلم و مكذس فيها. ثم ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا المعنى. منها حديث حفصة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في بيت حفصة: لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية فقالت حفصة يا رسول الله أليس الله يقول: وإن منكم إلا واردها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمَه: ثم ينجي الله الذين اتقوا (رواه مسلم والإمام أحمد أيضًا، قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب "لو كان الورد عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازمًا") و ذكر أحاديث أخر. أما قوله تعالى: ثُمَّ نُنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا فقال فيه صاحب الكشاف ونقله الرازي واختاره البيضاوي قائلاً: وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليتها، و أن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، و تبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيأتهم، و أوضحه الخفاجي و أجاب عما أورد عليه، وقال الراغب: يقال فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلته اعتداده به ، والوذرة قطعة من اللحم، و تسميتها بذلك لقلته الاعتداد بها نحو قولهم فيما لا يُعتد به "هو لحم على و ضم" (مفردات) وعلى هذا الاستعمال الذي ذكره الراغب لا يكون في قوله "نذر" دليل على الدخول. وكذا الإنجاء والتنجية أصله النجاء وهو الانفصال من الشيء كما في المفردات ، وقد يكون الانفصال ابتداءً كما في قوله تعالى: فأنجيناها و أهلها إلا امرأته. (٨٣- اعراف) و قوله: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ (٥٨ هود) فَلَمَّا جَاءَ

= دخل فيها، و أصلاها غيره (مفردات) (٥٣) ذكر المصنف أقوال المفسرين في معنى الورد الأول الدخول ويدخلها كل بر وفاجر و تكون برداً و سلاماً على المؤمنين كما كانت على إبراهيم. الثاني الدخول لكنه يختص بالكفار الثالث الحضور حول جهنم الرابع المرور على الصراط الممدود على النار الخامس قول مجاهد، و مأخذه الحديث المذكور لكنه لا يدل على أن المؤمن المحموم في الدنيا لا يرد النار في الآخرة. و اختار المصنف الأول كما يظهر من قوله "فيه دليل على دخول الكل لأنه قال: "و نذر" ولم يقل "و ندخل".

ونذكر ههنا ما ذكر ابن جرير الطبري في جامع البيان من الأقوال، و ما اختاره قال: اختلف أهل العلم في معنى الورد الذي ذكره الله في هذا الموضوع، فقال بعضهم (١) الدخول - و أخرج هذا القول بأسانيده عن ابن عباس و خالد بن معدان، و كعب، و أبي ميسرة، و أبي خالد، و عبد الله بن رواحة، و عبد الله بن مسعود (٢) وقال آخرون بل هو المرء عليها - أخرج عن قتادة و عبد الله بن مسعود (٣) و قال آخرون: بل الورد هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين، أخرج عن ابن عباس و عكرمة (٤) وقال آخرون: بل الورد عام لكل مومن و كافر، غير أن ورود المؤمن المرور، و ورود الكافر الدخول. أخرج عن ابن زيد (٥) وقال آخرون ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى و مرض. أخرج عن مجاهد (٦) وقال آخرون: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم. أخرج عن عبد الله بن مسعود و جابر بن عبد الله والحسن البصري و بسر بن سعيد.

ثم قال ابن جرير: و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها

إبراهيم<sup>(٥٤)</sup> وتقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن! فإن نورك أطفأ لهبي<sup>(٥٥)</sup> وقيل: الورد بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس (وَأَنْ مِنْهُمْ) وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات. وعن عبد الله: الورد الحضور لقوله تعالى: (وَلَهَا وَرْدَ مَاءٍ مَدْيَنٍ) [القصص: ٢٣] وقوله: (أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [الأنبياء: ١٠١] وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها. وعن الحسن وقتادة: الورد المرور على الصراط لأن الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار. وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام: «الحمى حظ كل مؤمن من النار»<sup>(٥٦)</sup> وقال رجل من الصحابة لآخر: أيقنت بالورود؟ قال: نعم. قال: وأيقنت بالصدر؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك وفيم التثاقل؟ ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ أي كان ورودهم واجباً كائناً محتوماً والحتم مصدر حتم إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم: «ضرب الأمير»<sup>(٥٧)</sup>. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ وعلي بالتخفيف ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عن الشرك وهم المؤمنون ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ فيه دليل على دخول الكل لأنه قال: «ونذر» ولم يقل وندخل، والمذهب أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة. وقالت: المرجئة الخبيثة: لا يعاقب لأن المعصية لا تضر مع الإسلام عندهم. وقالت المعتزلة: يخلد.

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

= أَمْرُنَا نَجِينَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ. (٦٦ هود) و أمَّا تَمُودٌ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. وَنَجِينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. (١٧، ١٨، فصلت)

(٥٤) رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، قالوا حدثنا سليمان بن حرب، وأخرجه أبو يعلى، والنسائي في الكنى، والبيهقي في الشعب في باب النار، والحكيم في النوادر من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) هذا وإن سلم سنده عن المقال كما في المستدرک و ذيله والمجمع للهيتمي لكن الأحاديث الكثيرة التي تصرح بسلامة الصلحاء من الدخول مع عموم المرور ترجح القول بأن المرور عام والدخول خاص. وقوله تعالى: أولئك عنها مبعدون. (مع قوله) لا يسمعون حسيسها الآية يؤيد معنى إبعادهم عن نفس جهنم، قال المصنف في تفسيره: وهذه مبالغة في الإبعاد عنها أي لا يقربونها حتى لا يسمعوا صوتها و صوت من فيها -ه-

(٥٥) أخرجه الترمذي والطبراني وغيرهما من حديث يعلى بن أمية، لا دلالة فيه على خصوص المطلوب فإن هذا القول يمكن للمار على الصراط أيضاً.

(٥٦) رواه البزار عن عائشة بهذا (الكافي الشاف) قوله قال رجل من الصحابة - الخ - أخرج بمعناه ابن أبي شيبة وابن المبارك عن الحسن البصري. (در منثور)

(٥٧) للدرهم المضروب، ضرب الدرهم: سبكه وطبعه - و دار الضرب: الموضع الذي تضرب فيه الدراهم قوله بالتخفيف ننجي من الإنجاء قرأه الكسائي ويعقوب والباقون ننجي من التنجية. قوله قد يعاقب قد للتقليل لإمكان المغفرة بالشفاعة أو الرحمة بدون عذاب النار لمن شاء الله قوله لا محالة بفتح الميم بمعنى لا بد، أصله من حال بمعنى تحول وانتقل، لا محالة منه أي ليس موضع تحول منه، فتحصل منه معنى القطع واللزوم. أي هو لازم ولا بد منه.

﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ أي القرآن ﴿يَبِينُ﴾ ظاهرات الإعجاز أو حججاً وبراهين<sup>(٥٨)</sup> حال مؤكدة كقوله: (وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا) [البقرة: ٩١] إذ آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ للفقراء ورؤوسهم شعثة وثيابهم خشنة ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن. وبالضم مكى وهو موضع الإقامة والمنزل ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلساً يجتمع القوم فيه<sup>(٥٩)</sup> للمشاورة. ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: إذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ ف «كم» مفعول (أهلكنا) و (من) تبين لإبهامها أي كثيراً من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم ﴿هُمُ أَحْسَنُ﴾ في محل النصب صفة لـ «كم» ألا ترى أنك لو تركت (هم) كان أحسن نصباً على الوصفية ﴿أَثَاثًا﴾ هو متاع البيت أو ما جد من الفرش ﴿وَرِعَاءًا﴾ منظراً وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت و (رِيًّا) بغير همز مشدداً: نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام، أو من الري الذي هو النعمة ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ الكفر ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ جواب (من) لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر أي من

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

موصول وماض والفرش جمع فراش، أي الأثاث هو متاع البيت عاماً جديداً أو عتيقاً أو ما كان جديداً من الفراش. قوله نافع وابن عامر قال سيدي علي النوري الصفاقسي في غيث النفع في القراءات السبع: قرأ قالون، وابن ذكوان بياء مشددة من غير همز، والباقون بياء مخففة قبلها همزة ساكنة - ه - تبين منه أن رياء بتشديد الياء قراءة قالون عن نافع، وقراءة ابن ذكوان عن ابن عامر، أما ورش عن نافع وهشام عن ابن عامر فهما مع الباقيين يقرآن رياء مخففة قبلها همزة ساكنة، قوله من الري بكسر الراء وتشديد الياء اسم من ارتوى الشجر وبمعنى حسن الحال والتنعّم، وقوله النعمة بفتح النون الترفه وحسن الحال. وهذا رد من الله تعالى على قول الكفرة وحاصل شبهتهم أن كل من وجد الدنيا كان حبيب الله، ومن كان حبيب الله لا يوصل إليه غمًا فذكر الله تعالى أنه أهلك من كان أكثر مالاً وجمالاً منهم وذلك دليل على فساد مقدمتهم الأولى أو على فساد المقدمة الأخرى، ثم بين أن مآل الضال إلى الخزي والنكال، وإن طال مدته وكثرت عدته (مفاتيح وغرائب)

(٥٨) لَمَّا رَدَّ عَلَى مَنكَرِي الْبَعثِ وَقَرَّرَ كَيْفِيَةَ الْحَشْرِ قَالَ (و إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ) الْآيَةَ، وَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ عَارَضُوا حِجَّةَ اللَّهِ بِكَلَامِ أَعْوَجَ، فَقَالُوا لَوْ كُنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ وَكُنَّا عَلَى الْبَاطِلِ لَكَانَ حَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا أَطْيَبَ مِنْ حَالِنَا، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعَكْسِ، لِأَنَّ الْحَكِيمَ لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَهِينُ أَوْلِيَاءَهُ وَيُعَزَّزَ أَعْدَائُهُ، هَذَا حَاصِلُ شَبْهَتِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ وَغَرَائِبُ الْقُرْآنِ لِلنَّيْسَابُورِيِّ. بَيْنَةُ أَصْلُهَا مِنْ بَانَ بَيَانًا بِمَعْنَى ظَهَرَ وَاتَّضَحَ، وَبَيْنَةُ بِمَعْنَى الْحِجَّةِ وَالِدَلِيلِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ "بَيْنَةُ لِلْمَدْعِيِّ وَالْيَمِينِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ" فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ (أَي ظَاهِرَاتِ الْإِعْجَازِ) نَظَرًا إِلَى الْأَصْلِ، وَالثَّانِي بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَجَازِ الْمُتَعَارَفِ قَوْلُهُ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ قَبْدًا لِلآيَاتِ فَهِيَ مِنْهُ أَنْ آيَاتِ اللَّهِ قَدْ تَكُونُ غَيْرَ بَيْنَاتٍ. قَوْلُهُ رَجَلُوا مِنَ التَّفْعِيلِ رَجَلَ الشَّعْرُ مَشَطَهُ أَي سَرَّحَهُ بِالْمَشَطِ وَالزِّيَّ بِكَسْرِ الزَّيِّ: الْهَيْئَةُ أَوْ هَيَاةَ الْمَلَابِسِ. شَعْتَةٌ أَي مَغْبَرَةٌ، خَشْنَةٌ أَي غَلِيظَةٌ غَيْرَ لَيِّنَةٍ.

(٥٩) قَوْلُهُ يَجْتَمِعُ الْقَوْمُ أَصْلُهُ مِنْ نَدَا الْقَوْمَ جَمْعَهُمْ وَمِنْهُ النَّادِي، الْمَجْلِسُ كَأَنَّهُ الْجَامِعُ لِلنَّاسِ. قَوْلُهُ مَا جَدَّ

كفر مد له الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغياناً وضلالاً كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُمْنِي لَهْمَ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] وإنما أخرج على لفظ الأمر إيداناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممثل ليقطع معاذير الضلال. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ هي متصلة بقوله (خير مقاماً وأحسن ندياً) وما بينهما اعتراض<sup>(٦٠)</sup> أي لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين ﴿إِنَّمَا الْعَذَابُ﴾ في الدنيا وهو تعذيب المسلمين إياهم بالقتل والأسر ﴿وَأَمَّا السَّاعَةُ﴾ أي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال. فهما بدلان مما يوعدون ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ منزلاً ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أعواناً وأنصاراً أي فحينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكاناً وأضعف جنداً لا خير مقاماً وأحسن ندياً، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم. وجزاز أن تتصل بما يليها، والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصره الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة. وحتى هي التي يحكى بعدها الجمل ألا ترى أن الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله: (إذا رأوا ما يوعدون. فسيعلمون) ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ معطوف على موضع (فليمدد) لوقوعه موضع الخبر تقديره: من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه، ويزيد المهتدين أي المؤمنين هدى ثباتاً على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصُّلْحُ﴾ أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ مما يفتخر به الكفار ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أي مرجعاً وعاقبة تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً). ﴿فَرَعَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ثم وبضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع ههنا وفي الزخرف ونوح حمزة وعلي جمع ولد كأسد في أسد، أو بمعنى الولد كالعرب في العرب. ولما كانت رؤية الأشياء<sup>(٦١)</sup> طريقاً إلى العلم بها وصحة الخبر عنها

## مواضع الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله وحتى هي التي الخ فهي ابتدائية لا جارة ولا عاطفة والابتدائية أيضاً تكون لبيان الغاية، وهنا لبيان غاية المد أو غاية قولهم أي الفريقين خير كما هو لائح من تفصيل المصنف. قوله: ثباتاً على الاهتداء أو يقينا، نفس الهداية والإيمان لا يزيد واليقين مما يقبل الشدة والضعف. قوله: أعمال الآخرة كلها - الخ - سبق الكلام عليه مفصلاً في سورة الكهف.

(٦١) يعني أن رأى هنا بصرية لا علمية، كما ذهب إليه بعض النحاة، وتُجَوِّزُ بها عن المسبب وهو الإخبار، فهو مجاز مرسل، والاستفهام مجاز عن الأمر به، =

قوله معاذير الضلال: معاذير جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة (مجمع البحار) الضلال جمع ضال، أي مد الله أعمارهم لينقطع عذرهم بأننا لو وجدنا المهلة لأمنّا.

(٦٠) ذكر ههنا وجهين في ارتباط (حتى إذا رأوا) بما قبله. الأول أنه مرتبط بقوله خير مقاماً - الخ - والثاني ما يأتي من قوله "و جزاز أن تتصل بما يليها" أي ما يقربها وهو قوله من كان في الضلالة. و تفصيل وجهي الارتباط واضح من بيان المصنف قوله على عكس ما قدروه أي ما فكروه في نفوسهم و حسبوا.

استعملوا أرايت في معنى أخير والفاء أفادت التعقيب كأنه قال: أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك. وقوله (لأوتين) جواب قسم مضمرة ﴿أَطَّلَعَ الْعَيْبَ﴾ من قولهم «اطلع الجبل» إذا ارتقى إلى أعلاه، الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أي أنظر في اللوح المحفوظ فرأى منيته ﴿أَمَّا تَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿١٠١﴾ موثقاً أن يؤتیه ذلك أو العهد كلمة الشهادة. وعن الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنها في العاص بن وائل، فقد روي أن خباب بن الأرت صاغ للعاص بن وائل حلياً فاقتضاه الأجر فقال: إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهباً وفضة فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالاً وولداً حينئذ ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبه على الخطأ أي هو مخطيء فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ <sup>(٦٢)</sup> أي قوله والمراد سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله لأنه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى: (مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ﴿١٨﴾ [ق: ١٨] وهو كقوله: إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة... أي علم وتبين بالانتساب أنني لست بابن لئيمة ﴿وَمُمَدَّلَةٌ مِنَ الْعَذَابِ﴾ نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجترار من المدد، يقال مده وأمده ﴿مَدًّا﴾ أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى ﴿وَوَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي نزوي عنه

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

صلّى الله تعالى عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل بدين فأتوه يتقاضونه، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة. والله لأوتينّ مالاً وولداً، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به. فقال الله (أفرايت الذي كفر بآياتنا) - الآية - (در منشور) (٦٢) لما كانت كتابة الأعمال والأقوال لا تتأخر عن وجودها تأخراً يقتضي أن يقرب بالسين أو سوف كما بينه أوله بأن الفعل أطلق وأريد به ظهوره والعلم به اللازم له إما مجازاً أو كناية كما في البيت المذكور، فإنّ "لم تلدني" جواب "إذا" وهو مستقبل، وعدم الولادة ماض، لوقوعه قبل انتسابه، أي إذا انتسبنا علمت يا فلانة وتبين أنني لست بابن لئيمة، وتمام البيت المذكور: ولم تجدي من أن تقرّي به بدّاً (أي ما كان لك مفر من الإقرار بأنني لست بابن لئيمة) وإنما ذكر الأم دون الأب لأنه يعلم بالطريق الأولى، لأنهم كانوا لا يزوجون غير الأكفاء، أو خصّه لمكان التعريض بأن أم المخاطبة لئيمة (خفاجي) قوله نزوي عنه ما زعم، زوى يزوي زويًا وزيًا الشيء: جمعه وزوى عنه حقه: منعه إياه. أي نقبض عنه و =

= لأن المقصود من نحو قولك: ما فعلت؟ أخبرني، فهو إنشاء تجوز به عن إنشاء آخر كما حققه النحاة (خفاجي) قوله مُنْبِتُهُ واحد المُنْبِي أي ما يتمناه. قوله صاغ حلياً صاغ (ن) الشيء: هبأه على مثال مستقيم، و بمعنى سبك حلياً بفتح الحاء و سكون اللام والجمع حُلِيٍّ و حِلِيٍّ، والحليه بكسر الحاء و سكون اللام، والجمع حُلِيٍّ و أيضاً حُلِيٍّ على غير القياس: ما يزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة الكريمة، والرواية أخرجها الإمام أحمد والبخاري و مسلم والترمذي والطبراني و ابن حبان وغيرهم عن خباب بن الأرت قال: كنت رجلاً قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه منه، فقال: لا والله، لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله، لا أكفر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال و ولد فأعطيتك فأنزل الله (أَفَرَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا - إلى قوله - وَ يَاتِينَا فَرْدًا) و تفسير العهد بالموثق أيضاً مذكور في رواية للبخاري.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، و ابن مردويه عن ابن عباس: أن رجلاً من أصحاب النبي

ما زعم أنه يناله في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد ﴿وَيَاتِينَا فَرْدًا﴾ حال أي بلا مال ولا ولد كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى﴾ (الأنعام: ٩٤) فما يجدي عليه تمنيه وتأليهه. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾ أي اتخذ هؤلاء المشركون أصناماً يعبدونها ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ أي ليعتزوا بالهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصاراً ينقذونهم من العذاب ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عما ظنوا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ الضمير للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون، أو للمشركين أي ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣) ﴿وَيَكُونُونَ﴾ أي المعبودون ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المشركين ﴿ضِدًّا﴾ خصماً لأن الله تعالى ينطقهم فيقولون: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك. والصد يقع على الواحد والجمع أو هو في مقابلة (لهم عزاً) والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضداً لما قصدوه أي يكونون عليهم ذلاً لا لهم عزاً، وإن رجع الضمير في (سيكفرون) (ويكونون) إلى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أي أعداءهم ضداً أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله: ﴿الَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكُفْرِينَ﴾ أي خليناهم وإياهم من أرسلت البعير أطلقته أو سلطانهم عليهم بالإغواء ﴿تَوَزَّهُمْ أَزًّا﴾ تغريهم على المعاصي إغراء والأز والهز أخوان ومعناهما التهييج وشدة الإزعاج. ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّمَا نَعْدُهُمْ عَذَابًا﴾ أي أعمالهم للجزاء وأنفاسهم للنفاء، وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفذ. ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضل من الأنعام ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرُدًّا﴾ عطاشاً لأن من يرد

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المشركون عليهم أي أعداء عليهم و ضداً خبر بعد خبر، أي يكون المشركون ضداً لحالهم السابقة، كفره بالأصنام بعد ما كانوا عبدة لهم.

(٦٤) فسره به على التجوز أو التضمن لتعديته بعلى (خفاجي) تؤزهم أزا- حال من الشياطين أو استيناف وقع جواباً عما نشأ من صدر الكلام، كأنه قيل: ما ذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فليل تؤزهم أي تغريهم و تهيجهم على المعاصي تهيجاً شديداً بأنواع الوسوس والتسويلات (أبو السعود)

قوله ابن السماك هو محمد بن السماك، نسبة إلى بيع السمك و صيده، توفي سنة ثلاث و ثمانين و مائة. قوله ما أسرع ما تنفذ، ما أسرع فعل تعجب، و "ما" =

= نمنعه ما يدعيه الآن، قوله ما يجدي أي ما ينفع قوله تأليه: تألى، واقتلى، و آلى: حلف.

(٦٣) تلخيص الكلام أن ضمير سيكفرون و يكونون إما للآلهة أو للمشركين، و ضداً إما بمعنى الخصم والمخالف أو بمعنى ضد العز وهو الذل والهوان، أو بمعنى ضد الحال السابقة، و كذا عليهم إما صلة ضداً، أو بمعنى الخلاف والعداوة. والكفر هنا بمعناه اللغوي وهو الجحود والإنكار والتفاسير هكذا:

(١) سينكر الآلهة عبادة المشركين، و تكون الآلهة خصماً على المشركين، أو يكونون على المشركين ضد العز أي يكونون ذلاً عليهم لا عزاً لهم.

(٢) سينكر المشركون عبادة الأصنام و يكون

الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء فيسمى به الواردون، فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد. ونصب «يوم» بمضمر أي: يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف أو اذكر يوم نحشر. <sup>(٦٥)</sup> ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلاً لهم، والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء استخفافاً بهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ حال. والواو إن جعل ضميراً فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم علي هذه القسمة، ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتي في «أكلوني البراغيث» والفاعل «مَنْ اتَّخَذَ» لأنه في معنى الجمع ومحل (مَنْ اتَّخَذَ) رفع على البدل من واو (يملكون) أو على الفاعلية، أو نصب على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعته من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم <sup>(٦٦)</sup> ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بأن آمن. في الحديث: «من قال: لا إله إلا الله كان له عند الله عهد». وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم: أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وإنك إن تكلمي إلي نفسي تقربني

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣) لا يملكون أن يشفعوا لأحد إلا الذين استاهلوا الشفاعة، واتصفوا بالإيمان والتقوى.

(٤) لا يملكون الشفاعة إلا الذين اتخذوا الإذن، و أذن لهم الرحمن بالشفاعة.

الشفاعة في الأخيرين مصدر معروف، و «من» بدل أو فاعل والمراد باتخاذ العهد الاتصاف بأهلية الشافعين (وهذا المعنى ذكره البيضاوي) أو حصول الإذن من الرحمن، كما ذكر المصنف أخيراً و البيضاوي أيضاً.

حديث «من قال لا إله إلا الله كان له عند الله عهد. أخرجه الطبراني و ابن مردويه و ابن عساکر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً. ( الدر المنثور ج ١، ص ١٦٢ )

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه رواه الثعلبي بتمامه، و روى ابن مردويه في تفسير الأحزاب أقل منه، و رواه الحاكم من وجه آخر موقوفاً على عبد الله بن مسعود، و في الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر. (الكافي الشاف لابن حجر)

= في ما تنفذ مصدرية أي ما أسرع نفاذها. قوله نوق جمع ناقة، نجائب جمع نجبية كل حيوان فاضل في نوعه وهذا في بعض الآثار المروية عن علي رضي الله تعالى عنه. و عن غيره (در منثور)

(٦٥) ذكر في الكشاف وجهاً ثالثاً، قال: و يجوز أن ينتصب بلا يملكون - اه - أي يوم الحشر والسوق لا يملكون الشفاعة، و اختاره البيضاوي بدون ذكر الأولين. قوله الذي غمرهم برحمته، ماخوذ من اسم الرحمن، تبجيلاً أي تكريماً لهم، مفعول له لقوله ذكر و كذا استخفافاً بهم أي إهانة لهم.

(٦٦) الشفاعة إما مصدر معروف أو مصدر مجهول، و اتخاذ العهد إما كناية عن الإيمان، أو عن الإذن أو عن الاتصاف بصفات الشافعين، و من اتخذ إما بدل عن ضمير لا يملكون أو فاعل أو في محلّ النصب بتقدير الشفاعة. والتفاسير هكذا:

(١) لا يملكون أن يُشفع لهم إلا من آمن، فإنهم يُشفع لهم - «مَنْ» بدل أو فاعل. والشفاعة مصدر مجهول.

(٢) لا يملكون شفاعة أحد إلا شفاعة من آمن - الشفاعة مصدر معروف. و من مفعول بتقدير المضاف.

من الشر وتباعدي من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عهداً توفينيهِ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة» أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ﴾ أي النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله<sup>(٦٧)</sup> ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ﴾ خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات، أو أمر نبيه عليه السلام بأن يقول لهم ذلك؛ والإد العجب أو العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر أثقلني وعظم عليّ أدًا ﴿تَكَادُ السَّمُوتُ﴾ تقرب وبالياء نافع وعليّ ﴿يَتَفَطَّرُنَّ﴾ وبالنون بصري وشامي وحمزة وخلف وأبو بكر. الانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شققه ﴿مِنْهُ﴾ من عظم هذا القول ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ تتخسف وتنفصل أجزاءها ﴿وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ﴾ تسقط ﴿هَدًّا ۗ﴾ كسراً أو قطعاً أو هدماً، والهددة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أي تهد هداً من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أي مهدودة ﴿أَنْ دَعَوْا﴾ لأن سموا ومحله جر بدل من الهاء في (منه) أو نصب مفعول له، علل الخور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن، أو رفع فاعل (هداً) أي هدها دعاؤهم ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ ﴿انبغي﴾ مطاوع بغى إذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد<sup>(٦٨)</sup> وما ينطلب لو طلب مثلاً لأنه محال غير داخل تحت الصحة، وهذا؛

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الولد له تعالى. (٢) مفعول له، لقوله "هداً" وهداً مفعول له لقوله "تخر" فالمعنى تخر الجبال هدماً بسبب دعاء الولد له تعالى أي يقع سقوط الجبال لأجل الهدم، والهدم بسبب دعاء الولد (٣) محله رفع، وهو فاعل "هداً"، وهذا تجوز أي فاعل فعله والتقدير هدها هداً دعاؤهم الولد.

ودعوا ههنا من دعا بمعنى سمي، المتعدي إلى مفعولين، وإنما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعى له ولدًا، أو من دعا بمعنى نسب، الذي مطاوعه ادعى إلى فلان إذا انتسب إليه. (بيضاوي) (٦٨) قوله ما يتأتى له أي ما يصح له، ولا يليق به، قوله و ما ينطلب، انفعال من الطلب أي لا يحصل (خفاجي) قال الإمام الرازي: هو محال، أما الولادة المعروفة فلا مقال في امتناعها، وأما التنبئ فلأن الولد لا بد وأن يكون شبيهاً بالوالد، ولا مشبه لله تعالى، ولأن اتخاذ الولد إنما يكون لأغراض لا تصح في الله. من سروره به، واستعانت به، و ذكر جميل، وكل ذلك لا يليق به. (مفاتيح الغيب)

(٦٧) لما رد الله تعالى على عبدة الأوثان عاد إلى الرد على من أثبت له ولدًا من اليهود والنصارى والعرب القائلين: الملائكة بنات الله، ومنهم من خصها بهؤلاء العرب، لأن الرد على النصارى تقدم أول السورة (مفاتيح و غرائب) يكاد قرأه نافع وعلي تكاد قرأه الباقرن - يتفطرن من التفاعل - قرأه نافع، وابن كثير، وحفص، والكسائي، وأبو جعفر يتفطرن - من الانفعال قرأه الباقرن.

قوله وهو مصدر الخ ذكر في إعراب "هداً" وجوهًا (١) مفعول مطلق لفعل مضارع مجهول أي تهد هداً (٢) مفعول له لقوله تخر أي تسقط الجبال بسبب الهدم، (٣) حال - و يكون المصدر بمعنى اسم المفعول، أي تخر الجبال مهدودة. معنى الهد كما ذكر الكسر أو القطع أو الهدم. (٤) مفعول مطلق لماض معروف فاعله أن دعوا - هذا ما ذكره فيما يأتي - هدها هداً دعاؤهم الولد للرحمن. قوله لأن سموا - ذكر ههنا أيضًا وجوهًا: (١) محله جر، وهو بدل من الهاء في منه، أي يتفطرن من دعاء



لأن اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما. وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان أنه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره،<sup>(٦٩)</sup> لأن أصول النعم وفروعها منه فليتكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ﴾ نكرة موصوفة صفتها ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وخبر (كل) ﴿الَّذِينَ الرَّحْمَنُ﴾ ووحيد (أتى) و (أتيه) حملاً على لفظ (كل) وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أي يأتيه ﴿عَبْدًا﴾ حال أي خاضعاً ذليلاً منقاداً، والمعنى ما كل من في السموات والأرض من الملائكة والناس إلا هو يأتي الله يوم القيامة مقراً بالعبودية، والعبودية والبنوة تتناهيان حتى لو ملك الأب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى فكيف يكون البعض ولداً والبعض عبداً. وقرأ ابن مسعود (آت الرحمن) على أصله قبل الإضافة ﴿لَقَدْ أَحْضَهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي حصرهم بعلمه وأحاط بهم ﴿وَكُلَّهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ أي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مودة في قلوب العباد<sup>(٧٠)</sup> قال الربيع يحبهم ويحببهم إلى الناس وفي الحديث يعطى المؤمن مقةً في قلوب الأبرار ومهابة في قلوب الفجار. وعن قتادة وهرم: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه. وعن كعب: ما يستقر لعبد ثناء في الأرض حتى

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل إني قد أبغضت فلاناً، فينادي في أهل السماء، ثم ينزل له البغضاء في أهل الأرض. (در منشور)

الربيع ابن خثيم - بضم المعجمة وفتح الثاء المثلثة - ابن عائذ بن عبد الله الثوري أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأحبك، مات سنة إحدى وثلث و ستين، هرم بن حيان العبدي - أخرج قوله ابن جرير عن قتادة، و روى عن قتادة أيضاً هذا القول - قال ابن عبد البر: هرم من =

(٦٩) الرحمن هو النعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها (الذي يرحم لا لعوض ولا لغرض) وذلك لا يصدق على غيره لأن من عداه يطلب عوضاً بلطفه وإنعامه، يريد به جزيل ثواب، أو جميل ثناء أو يريد غرضاً في ذلك مثلاً يزيل رقة الجنسية أو حب المال عن القلب، و من عداه ليس منعماً حقيقياً بل هو كالواسطة في ذلك لأن ذات النعم و وجودها، والقدرة على إيصالها، والداعية الباعثة عليه، والتمكّن من الانتفاع بها، والقوى التي بها يحصل الانتفاع إلى غير ذلك، كلها من خلقه، لا يقدر عليها أحد غيره. (بيضاوي بتوضيح يسير)

قوله فقد جعله كبعض خلقه، لأن الولد لا بد أن يكون شبيهاً بالوالد، فمن ادعى له ولداً فقد ادعى أنه يجانس بعض الخلق. فلا يكون رحماناً، لأن الرحمن لا يجانس أحداً من الخلق.

(٧٠) أخرج عبد بن حميد، والبخاري، و مسلم،

يستقر له في السماء.

﴿فَأَمَّا يَسْرُنُهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك حال ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ شداداً في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون في كل لديد أي شق من المرء والجدال جمع الدُّ يراد به أهل مكة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ تخويف لهم وإنذار ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ﴾ أي هل تجد أو ترى أو تعلم والإحساس الإدراك بالحاسة ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتاً خفياً ومنه الركاز أي لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم، والله أعلم .

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ذلك المرور دخول النار مجازاً، كما إذا كان جسر ممدود مبنى فوق قريتك، ومرت على ذلك الجسر، وقابلت قريتك التي تحته تقول: دخلت قريتي، وإذا عبرت قريتك تقول: خرجت من قريتي. وهذا من المجازات السائغة السارية. فلا بأس باعتباره في الحديث المذكور، نظراً للتوفيق بين الآيات والأحاديث. هذا ما ظهر لي، والله تعالى أعلم بالصواب.

(سحر الثاني عشر من رمضان عام ١٤٢٥ هـ المصادف ٢٧ / أكتوبر ٢٠٠٤م ليلة الأربعاء

٣٠-١ سحرا)



= صغار الصحابة، وعده ابن أبي حاتم من كبار التابعين في الزهاد الثمانية، وقال ابن سعد: ثقة له فضل نقله في الإكليل عن الإصابة - قوله ومنه الركاز - أي المال المدفون - قوله فليهن - صيغة الأمر باللام من هان يهون هوناً، خفت وسهل، أي فليكن أمرهم عليك هيناً، خفيفاً، سهلاً. والله تعالى أعلم.

و إذا ثبت من الآية والأحاديث الكثيرة الصريحة عموم المرور على الصراط كلِّ برّ وفاجر، وبعُد المقربين والصالحين من النار... وجب تأويل الحديث المروي باللفظ المذكور، مثل أن يقال: كل أحد يمر على جسر ممدود على النار وأطلق على

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية كوفي<sup>(١)</sup>

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ۝ ﴾

﴿ طه ١ ﴾ فختم الطاء لاستعلائها<sup>(٢)</sup> وأمال الهاء، أبو عمرو، وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر، وفخهما على الأصل غيرهم. وما روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يا رجل فإن صح فظاهر<sup>(٣)</sup> وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ إن جعلت «طه» تعديداً لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ، و (القرآن) ظاهر أوقع موقع المضمرة لأنها قرآن وأن يكون جواباً لها .....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

## سورة طه

الحسين بن محمد بن شنبه الواسطي، صدوق.

(محمد أحمد المصباحي)

وهكذا روي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، ومحمد بن كعب، وأبي مالك، و عطية العوفي، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن أبي عمير أنهم قالوا: يا طه بمعنى يا رجل. (ابن كثير) قوله وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة. قال هناك: (١) الجمهور على أنها أسماء السور. (٢) وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أقسم الله بهذه الحروف (٣) وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إنها اسم الله الأعظم. (٤) وقيل: إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. (٥) وقيل: ورود هذه الأسماء على نمط التعديد كالإيقاظ لمن تحدي بالقرآن، وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم، ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه، ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام إلا لأنه ليس من كلام البشر، وأنه كلام خالق القوى والقدر — وهذا القول من الخلافة بالقبول بمنزل - اه - فالمختار عند المصنف أنها مذكورة على نمط التعديد للإيقاظ والتحدي، وهو مختار صاحب الكشاف والبيضاوي. و آخرين، والأسلم أنها من المتشابه، وهي أسرار بين الله ورسوله كما هو مروي عن الخلفاء الراشدين وجمع من الصحابة والتابعين. رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(١) قال أبو عمرو الداني رحمه الله: هي مائة وثلاثون واثنتان في البصري، وأربع مدني ومكي، وخمس كوفي، وأربعون شامي (عناية القاضي) واختلاف العدد للاختلاف في كون بعض المواضع وقف الآية عند بعض القراء، وعدمه عند آخرين.

(٢) قوله فخم - التفخيم قد يطلق بمقابلة الإمالة فيراد به الإشباع، وهو المراد هنا، وقد يطلق بمقابلة الترقيق كما في الرء، واللام فيراد به التعليل، وقد يطلق على إمالة الألف نحو مخرج الواو كما يعرفه أهل الأداء في نحو الصلاة والزكاة. (خفاجي)

(١) أمال الهاء وحده أبو عمرو، وورش عن نافع و سقط ذكر وورش في الكتاب.

(٢) أمالهما حمزة، وعلي، وخلف، وأبو بكر شعبة (٣) فخهما الباؤون - قالون، و حفص، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب.

(٣) قوله فإن صح فظاهر. صحت روايته إلى ابن عباس. قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسين بن محمد بن شنبه الواسطي، حدثنا أبو أحمد. يعني الزبيري. أنبانا إسرائيل عن سالم الأفيطس، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: طه يا رجل. (ابن كثير)

الزبيري محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي ثقة من رجال الستة، وسالم بن عجلان الأفيطس ثقة من رجال البخاري وأبي داؤد والنسائي وابن ماجه، وسعيد بن جبيرة الأسدي مولاهم، ثقة ثبت فقيه من رجال الستة وكبار التابعين. و شيخ ابن أبي حاتم،

وهي قسم<sup>(٤)</sup> ﴿لِتَشْقَى﴾ لتتعب<sup>(٥)</sup> لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا، أو بقيام الليل فإنه رُوي أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل: أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة ﴿الآتذكرة﴾ استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أو حال ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ لمن يخاف الله أو لمن يتوكل أمره إلى الخشية. ﴿تَنْزِيلًا﴾ بدل من (تَذَكْرَةً) إذا جعل حالاً

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إيمانهم، أو تقدير المضاف أي لتتعب لفرط حزنك على "فوت إيمانهم". قوله ابق على نفسك. صيغة أمر من الإبقاء. وهو مع على يأتي بمعنى الرحم. في لسان العرب: يقال أبقى عليه أبقى إبقاءً إذا رحمته وأشفتت عليه، نهك نهكاً (ف س) المبالغة في كل شيء، و نهكته الحمى: أضعفته، وجهدهته.

أخرج ابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدور قدميه إذا صلى فأنزل الله (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وأخرج ابن مردويه عن علي رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل علي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يَأْتِيهَا الْمُرْتَلِّ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلاً ويضع رجلاً فهبط عليه جبريل فقال: (طه) يعني الأرض بقدميك يا محمد (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) و أنزل (فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) وأخرج البزار بسند حسن عن علي رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) - الدر المنثور في التفسير بالماثور

(٦) ذكر في إعراب (تنزيلاً) وجوهاً (١) هو بدل من تذكرة إذا جعل حالاً، فالمعنى ما أنزلناه إلا مذكراً منزلاً، ولا يكون بدلاً منه إذا كان مستثنى منقطعاً لفساد المعنى، فإن التقدير يكون هكذا: لكن أنزلناه تنزيلاً ممن خلق، وهو لا يفيد. (٢) أن يكون منصوباً بنزل مضمراً، أي نزل تنزيلاً ممن خلق. (٣) أن يكون منصوباً على المدح، أعني تنزيلاً، أو أمدح تنزيلاً. (٤) أن يكون منصوباً بقوله يخشى، لكونه مفعوله، والتقدير مع التوضيح كما ذكر المصنف.

(٤) هذه ثلاثة وجوه على ثلاثة أقوال. (١) إن كان طه تعديلاً لأسماء الحروف كما هو مختار المصنف فقوله (ما أنزلنا) الآية - ابتداء كلام. (٢) إن كان طه اسماً للسورة يحتمل تقدير "هذه طه" و تم الكلام، ثم ما أنزلنا جملة أخرى، ويحتمل أن يكون التقدير طه ما أنزلنا ها عليك لتشقى، و يكون طه مبتدأ، وهذا خبراً، وجاء اسم القرآن موضع ضمير طه على طريق وضع الظاهر موضع المضمرة، وإطلاق القرآن كما يكون على الكل يكون على البعض أيضاً. (٣) إن كان طه مقسماً به كما هو رواية عن ابن عباس فجملة ما أنزلنا جواب القسم والتقدير هكذا: أقسم بطاها ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.

(٥) قال الراغب: الشقاوة خلاف السعادة، والسعادة في الأصل ضربان: سعادة أخروية و سعادة دنيوية، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية، و بدنية، و خارجية كذلك الشقاوة على هذه الأضراب. و في الشقاوة الأخروية قال (فلا يضل ولا يشقى) و في الدنيوية (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) قال بعضهم: قد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيت في كذا، وكل شقاوة تعب، وليس كل تعب شقاوة، فالتعب أعم من الشقاء. اهـ.

وفي مجمع البحار في شرح درك الشقاء: الشقاء الشدة، وابن منظور ذكر في معناه الشدة والعسرة أيضاً منه شاقبته أي صابرته، و شاقبت ذلك الأمر بمعنى عانيته (لسان العرب) فالشقاء: العناء وهو التعب والمشقة. قال الزمخشري: والشقاء يجيء في معنى التعب، ومنه المثل: أشقى من رائض مهيبر. (كشاف) قوله و تحسرك على أن يؤمنوا، كذا في الكشاف، والتحسر هو التلهف أي الحزن والأسى، و ينبغي تضمين معنى الطمع والحرص أي لفرط حسرتك حرصاً على

ويجوز أن ينتصب بـ«نزل» مضمراً أو على المدح أو بـ«يخشى» مفعولاً أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ﴾ «مِنْ» يتعلق بـ(تَنْزِيلًا) صلة له ﴿الْعُلَىٰ﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى ووصف السماوات بالعلي دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها ﴿الرَّحْمَنُ﴾ رفع على المدح أي هو الرحمن ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ خبر مبتدأ محذوف ﴿اسْتَوَىٰ﴾ استولى، عن الزجاج. ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره. وقيل: لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقال استوى فلان على العرش أي ملك وإن لم يقعد على السرير ألبته وهذا كقولك: «يد فلان مبسوطة» أي جواد وإن لم يكن له يد رأساً، والمذهب قول علي رضي الله عنه: الاستواء غير مجهول والتكليف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خبر ومبتدأ ومعطوف ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي ذلك كله ملكه ﴿وَمَا تَحْتِ الثُّرَىٰ﴾ ما تحت سبع الأراضين أو هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة ﴿وَأَنْ تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ﴾ ترفع صوتك ﴿فَأَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما أسرته إلى غيرك ﴿وَأَخْفَىٰ﴾ منه وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسرته في نفسك وما ستسره فيها<sup>(٧)</sup> ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي هو واحد

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

فأجاب أن العرش أعظم المخلوقات، فذكر الولاية عليه ينبه على الولاية على غيره بالطريق الأولى، والجواب الثاني أن العرش اسم لسرير الملك، والاستواء عليه كناية عن ولاية المملكة كلها، وفيه جواب آخر عن أصل المسألة وهو أن الكناية يراد بها لازم معناها، ولا تجب إرادة أصل معناها، بل لا يلزم تحققه وثبوته أيضاً، فالاستواء على السرير لما صار كناية عن الملك يطلق استوى فلان على سرير الملك ويراد به أن فلان صار ملكاً وسلطاناً، وإن لم يجلس على السرير، بل وإن لم يكن السرير أصلاً. فباستواءه تعالى على العرش كني عن كونه سلطان العالم، وما أريد حقيقة الاستواء. فإن حقيقته تختص بالأجسام، وهو منزه عن الجسم ولوازمه. قوله يردف الملك، أي يتبع السلطة والافتقار، ردفاً (ن) تبع.

(٧) الثاني أبلغ من الأول، فإن الإنسان لا يعلم الآن ما سيخفيه في نفسه وما يخطره بياله بعد ذلك الآن إلى آخر حياته، والله يعلم كل ذلك بدون ريب وكسب.

قوله صلة له، أي ظرف لغوله، قوله رفع على المدح ويجوز أن يكون مبتدأ، واللام للعهد والإشارة إلى الموصول، والخبر قوله: (على العرش استوى) وعلى الأول «على العرش استوى» خبر مبتدأ محذوف أي هو. تشبثت المجسمة المشبهة بهذه الآية، وقالوا: هو جالس على العرش. وهذا باطل عقلاً ونقلاً، لأنه منزه عن مشابهة الخلق، وهو قديم، والعرش حادث، وليس هو محلاً ولا حالاً للحوادث كما تقرر في محلّه، وأهل الحق سلكوا هنا مسلكين، الأول الإيمان بالاستواء مع نفي التشبيه ومع تفويض العلم بمعناه وكيفيته إلى الله ورسوله، فإنه من المتشابه الذي لا يعلم القوم ما أراد الله به، والثاني تأويله وفقاً للآيات المحكمات إفحاماً للمبطلّة، وإفهاماً للعقول السافلة، والتأويل هنا أن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق

من غير سيف و دمٍ مهراق

ويتجه السؤال هنا بسبب تخصيص العرش بالذكر مع أن الله مالك الملك كلّ، وحاكم الخلق بأسره

بذاته وإن افرقت عبارات صفاته. رد لقولهم إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الأحسن.

﴿وَهَلْ﴾ أي وقد ﴿أَتَيْكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾<sup>(٨)</sup> خبره<sup>(٨)</sup> قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى. ﴿إِذْ رَأَى﴾ ظرف لمضمراً أي حين رأى ﴿نَارًا﴾ كان كيت وكيت أو مفعول به لا ذكر. روي أن موسى عليه السلام استأذن شعبياً في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلجة، وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدر فصلد زنده فرأى عند ذلك ناراً في زعمه وكان نوراً ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ أقيموا في مكانكم ﴿إِنِّي أَنَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا﴾ والإيناس رؤية شيء يؤنس به ﴿لَعَلِّي أَنبئُكُمْ مِنْهَا﴾ بنى الأمر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به ﴿بِقَبَسٍ﴾ نار مقتبسة في رأس عود أو فتيلة ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ذوي هدى أو قوماً يهدونني الطريق. ومعنى الاستعلاء في (على النار) أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها. ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي النار وجد ناراً بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها، وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحداً. وروي أنه كلما طلبها بعدت عنه فإذا تركها قربت منه فشم ﴿نُودِي﴾ موسى ﴿يُمُوسَى﴾<sup>(٩)</sup> بكسر الهمزة أي نودي فقيل: (يُمُوسَى) أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته، وبالفتح: مكي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

جزماً أنه يأتي بقبس، لأن الإتيان به لم يكن مقطوعاً فقرن بكلامه لفظ "لعل" الدال على الرجاء، لئلا يكون واعداً لما لا يتيقن بوفائه. قوله ذوى هدى أشار أن المصدر بمعنى اسم الفاعل، قوله معنى الاستعلاء الخ وجدت على النار هادياً، أو رأيت على النهر بستاناً، لا يراد هنا حقيقة استعلاء الهادي على النار أو علو البستان على النهر، بل يراد به أن الهادي في مكان عال على النار، وذلك المكان يقربها، وكذلك البستان في مكان قريب يعلو النهر، وهذا مجاز متعارف كثير الاستعمال حتى صار حقيقة عرفية. قوله العوسج: بفتح العين شجرة ذات شوكة، تكون في البوادي، ثمراها بقدر الحمص مع طول - اه - كما لين وإكليل.

(٩) إني بكسر الهمزة، قرأه غير ابن كثير وأبي عمرو، والإعراب ههنا بتقدير قيل أو بإجراء النداء مجرى القول في عدم عمله في الجملة، والتقدير على قراءة أنني بفتح الهمزة نودي بأني، بحذف الجار وهو مطرد مع أن وأن، ونادى يتعدى بالباء.

(٨) قال الإمام: اعلم أنه تعالى لما عظم حال القرآن و حال الرسول فيما كلفه أتبع ذلك بما يقوي قلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام تقوية لقلبه في الإبلاغ، كقوله (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وبدأ بموسى عليه السلام لأن المحنة والفتنة الحاصلة له كانت أعظم، ليسلى قلب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، و يصبره على تحمل المكاره (مفاتيح الغيب)

قوله قفاه أي أتبعه، ليتأسى به: ليقنتدى به، أعباء جمع عبء كحمل وزنا ومعنى، قوله استأذن شعبياً، قصة ذهاب موسى عليه السلام بعد قتل القبطي إلى مدين ولقاءه شعبياً عليه السلام وتزوجه بنته ومكنه هناك ثم رجوعه إلى مصر المذكورة في سورة القصص، قوله في ليلة مظلمة مثلجة أي ذات ظلام وثلج، قوله قدح (ف) حاول إخراج النار من الرُّند، فصلد (ض) صوت ولم يخرج ناراً والرُّند العود الذي يخرج منه النار، قوله بنى الأمر، أي لم يعد

وأبو عمرو أي نودي بأني ﴿ اِنَّا رَبُّكَ ﴾ «أنا» مبتدأ أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإمطة الشبهة. رُوي أنه لما نودي يا موسى قال: مَنْ المتكلم؟ فقال الله عز وجل: (أَنَا رَبُّكَ). فعرف أنه كلام الله عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه. <sup>(١٠)</sup> ﴿ فَاخُلَعْنَا نَعْلَيْكَ ﴾ انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس، <sup>(١١)</sup> أو لأنها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ، <sup>(١٢)</sup> أو لأن الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين، <sup>(١٣)</sup> والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها، <sup>(١٤)</sup> فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي ﴿ اِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ ﴾ المطهر أو المبارك ﴿ طُوِيَ ﴾ حيث كان منون: شامي وكوفي لأنه اسم علم للوادي وهو بدل منه، وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة. <sup>(١٥)</sup> وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين.

﴿ وَاَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ اصطفتك للنبوّة، (وَأَنَا اخْتَرْنَاكَ) حمزة ﴿ فَاسْمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ إليك للذي يوحى أو للوحي، <sup>(١٦)</sup> واللام يتعلق بـ (استمع) أو بـ (اخترتك) ﴿ اِنَّيْ اَنَا اللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

من أجل أنهما من جلد حمار، ولا لنجاستهما، ولا خبير بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله إِنَّكَ بالوادي المقدس بعقبه دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا - اه - وفيما روي عن ابن مسعود مرفوعاً "كان عليه نعلان من جلد حمار غير مذكي" في سنده كلام. (ابن جرير مختصراً)

(١٥) فيجتمع سببان: العلمية والتأنيث، و يكون غير منصرف قوله أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري البصري اللغوي صاحب التصانيف يروي عن المفضل بن محمد عن عاصم رحمهم الله تعالى. (إكليل).

قوله حمزة أنا بفتح الهمزة وتشديد النون، على تقدير ولأنا اخترناك فاستمع، وقيل: بتقدير واعلم أنا اخترناك. (خفاجي)

(١٦) يعني ما موصولة أو مصدرية. قوله واللام - الخ - والتقدير: واخترتك لما يوحى، أو استمع لما يوحى. قوله تعالى اِنَّيْ اَنَا اللهُ. قال البيضاوي: بدل مما يوحى، دال على أنه (أن الوحي) مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم، والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل.

(١٠) قال البيضاوي: وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه، وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة. اه. قال الخفاجي: كما تتلقى الملائكة كلام الله، لا من جارحة، ثم أفاضته الروح بواسطة قوة العقل على القوى النفسية، ورسمته في الحس المشترك بصور ألفاظ مخصوصة، فصار لقوة تصوره كأنه يسمعه من خارج. الخ.

(١١) رواه عبد بن حميد و ابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله تعالى عنه وابن جرير عن الحسن ومجاهد وابن أبي نجیح رضي الله تعالى عنهم.

(١٢) روي ذلك عن علي، والحسن البصري وكعب والزهري رضي الله تعالى عنهم (در منثور)

(١٣) قاله الأصم رحمه الله، الحفوة بكسر الحاء و جُوزَ ضمها هي المشي بدون نعل (خفاجي) وبابه سمع.

(١٤) قال ابن جرير بعد ذكر القولين الأولين: و أولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمر الله تعالى بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان وادياً مقدساً، وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما

وحدني وأطعني ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(١٧)</sup> لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لأنني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء، أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو لتكون لي ذاكرةً غير ناس، أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) [النساء: ١٠٣] وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي، وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها. ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ لا محالة ﴿كَادُ﴾ أريد عن الأخفش<sup>(١٨)</sup> وقيل صلة ﴿أَخْفِيهَا﴾ قيل: هو من الأضداد أي أظهرها أو أسترها عن العباد فلا أقول هي آتية لإرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به ﴿لِتُجْزَى﴾ متعلق بـ (آتِيَةٌ) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ بسعيها من خير أو شر

#### مواهب المجلد لتجلية مدارك التنزيل

أخفيها، والإخبار بإتيانها قطعاً ينافي الإخفاء لذا أولوا قوله أكاد أخفيها فقبل الإخفاء بمعنى إزالة الخفاء، أي بمعنى الإظهار وهو من الأضداد وقيل: المراد إخفاء وقتها المعين لأنها من المغيبات، وكونها من المغيبات يقتضي أن يقال: أخفيها بدون أكاد فقالوا أكاد هنا بمعنى أريد، وهو أحد معانيها كما نقله ابن جنّي في المحتسب عن الأخفش رحمه الله تعالى، و استدلوا عليه بقوله:

كادت وكادت وتلك خير إرادة

لو عاد من لهو الصباية ما مضى

يعني أرادت و أردت لقوله وتلك خير إرادة، وقيل: أكاد صلة أي زائدة هنا (عناية القاضي) قوله: أو أسترها عن العباد فلا أقول الخ أي أقرب أسترها عنهم فلا أخبر إجمالاً بإتيانها لكنني ذكرت للفائدة، فإنهم إذا علموا إتيانها قطعاً وجعلوا وقتها كانوا خائفين عنها كل وقت، ولو لا هذه الحكمة لما أخبرت بها. قوله: تعمية وقتها أي إخفاء وقتها، أصله من العمى وهو ذهاب البصر، قوله على وجل بفتح الجيم: الخوف بابه سمع. قوله من الحكمة بيان "ما" في قوله "ما في الإخبار" وقوله لما أخبرت به جواب لولا. وقوله وهو أنهم إلى قوله في كل وقت بيان الحكمة. قوله لتجزي متعلق بآتية، وما قبله اعتراض، ولا يصح تعلقه بالإخفاء بمعنى الكتم والستر، ويصح إذا كان بمعنى الإظهار.

(١٧) أورد المصنف ههنا ستة معان لقوله "لذكرى" والسابع ذكره بطريق الحكاية والتضعيف لأنه يحوج إلى إضمار لفظ "الصلاة" واللام في السادس وقتية، وفي البواقي سببية. والذكر في الخامس بمعنى التذكر والحفظ بالقلب وفي الباقي بمعنى إظهار الكمالات والمحاسن قولاً. وتوضيح المعاني كما يلي:

١- لتذكرني فيها - بناء على أن الذكر مصدر مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، وهو المخاطب.

٢- لأنني ذكرتها في الكتب، بناء على أن الذكر مضاف إلى الفاعل، والمفعول محذوف، وهي الصلاة. والأمر بها مستفاد مما ذكر في الكتب الإلهية.

(٣) لأن أذكرك بالمدح - الذكر مضاف إلى المتكلم، والمفعول المحذوف هو المخاطب.

(٤) لذكري خاصة، بناء على أن الإضافة للتخصيص، واللام أيضاً تفيد الاختصاص. لا تشوبه أي لا تخلطه من شاب يشوب.

(٥) لتكون لي ذاكرةً غير ناس. بناء على أن الذكر بمعنى التذكر والحفظ بالقلب، والذكر مضاف إلى المفعول، والفاعل المخاطب محذوف.

(٦) لأوقات ذكري. اللام وقتية. والذكر مضاف إلى المفعول، والفاعل عام أو مطروح. قوله وهذا دليل الخ لمجىء أمر الصلاة بعد ذكر التوحيد بدون فصل.

قوله لا محالة أي قطعاً، وهذا مستفاد من تأكيد إن، والجملة الاسمية. (خفاجي)

(١٨) أخبر الله سبحانه أن الساعة آتية، ثم قال أكاد



﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا ﴾ فلا يصرفك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامه<sup>(١)</sup> فالخطاب لموسى والمراد به أمته ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ لا يصدق بها ﴿ وَاتَّبَعَهُ هَوْنَهُ ﴾ في مخالفة أمره ﴿ فَتَرَدَّى ﴾ فتهلك ﴿ وَمَا تِلْكَ يَبِئْسَ يَوْمُ مَوْسَى ﴾<sup>(٢٠)</sup> «ما» مبتدأ و «تلك» خبره وهي بمعنى هذه و «بِئْسَ يَوْمٌ» حال عمل فيها معنى الإشارة أي قارة أو مأخوذة بيمينك. أو ﴿ تِلْكَ ﴾ موصول صلته «بِئْسَ يَوْمٌ» والسؤال للتنبية لتقع المعجزة بها بعد التثبيت، أو للتوطين لثلاثا يهوله انقلابها حية، أو للإيناس ورفع الهيئة للمكالمة. ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ أعتد عليها إذا أعيت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة ﴿ وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَمِي ﴾ أخبط ورق الشجر على غنمي لتأكل ﴿ وَبِئْسَ مَا مَرَّبُ أُخْرَى ﴾<sup>(٢١)</sup> «وَلِي» حفص ﴿ مَرَّبٌ ﴾ جمع مأربة بالحركات الثلاث، وهي الحاجة ﴿ أُخْرَى ﴾ والقياس آخر. وإنما قال .....

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

يجوز أن يكون اسماً موصولاً، والبصريون لا يقولون به إلا في «ذا» في ما ذا. (خفاجي)  
وفائدة السؤال مع أنه تعالى أعلم بكل شيء (١)  
التنبية على أن ما يمينه ليس إلا عصاه لتقع المعجزة بها بعد التثبيت أي التأكد والفحص أنها عصا، (٢)  
التوطين - أي التمهيد وتهيئة قلبه لرويتها حية لثلاثا يهوله أي يُفزع انقلابها حية. (٣) الإيناس أي إحداث الأُنس في قلبه ليذهب خوفه ويستعد لمكالمة ربه. أعينني الأمر: أتعبني وأعجزني وأعيت منه: تعبت، والقطيع: طائفة من الغنم والنعم ونحوه والطفرة بفتح الطاء من ض: الوثوب أو الوثبة مع ارتفاع كوثوب الحائط. والأحسن ههنا المعنى الأعم. أخبط من ض: أي أضرب بها الشجر فيتساقط منه الورق على غنمي اه. و تفسير الخبط بما ذكر مروى عن عكرمة عند ابن أبي شيبة، وابن المنذر، و ابن أبي حاتم (در منشور)  
(٢١) لي بفتح الياء قرأه حفص، والباقون بسكونها. قوله بالحرركات الثلاث أي في الراء.  
قوله والقياس آخر، لأن المأرب جمع فالقياس أن تكون صفتها جمعاً، ووضع المونث الواحدة موضع الجمع بتأويل الجماعة مطرد كثير في كلام العرب. قوله و كذا الكبرى فيما يأتي من قوله (من آياتنا الكبرى) قوله تماشيه أي تمشي معه، رشاء بكسر الراء والجمع أرشية: الحبل عموماً أو حبل الدلو. =

قوله فلا يصدك عنها - صده عن كذا: منعه و صرفه عنه، ولا يمكن للكافر صرف أحد عن الساعة لأنها آتية لا محالة. فقالوا: المراد الصرف عن العمل لها، أو الإيمان بها أو عن إقامة الصلاة فالضمير راجع إلى الصلاة، وهذا أيضاً لا يتصور للأنياء، فإن الكفار لا يتمكنون من صرفهم عن الإيمان والعمل لقوتهم في الإيمان والعمل وعصمتهم من الله عز وجل، فقال: الخطاب لموسى، والمراد أمته. اه. أو الخطاب عام لكل سامع.  
قوله فتردى إما مرفوع بتقدير فأنت تردى أو منصوب في جواب النهي. (خفاجي)  
(٢٠) لما أوحى الله إلى موسى عليه السلام بالتوحيد وإقامة الصلاة و تصديق الساعة أعطاه آيتين باهرتين: قلب العصاحية و خروج اليد بعد ضمها إلى الجنب مشرفة كالشمس، ثم أمره بالتبليغ ودعوة فرعون إلى الإيمان. قوله وهي (أي تلك) بمعنى هذه، لأن المخاطب قريب، وعصاه أيضاً قريبة، لكن وضع البعيد موضع القريب لأنه كان مقبلاً إلى كلام ربه، بعيداً عن الالتفات إلى عصاه. قوله حال عمل فيها معنى الإشارة كما قالوا في «هذا زيد قائماً» عامله معنى الإشارة في ذا أي أشير و في التنزيل (هذا بعلي شيخاً) ولا بد للجار متعلقاً فأظهره بقوله قارة (من قرر بمعنى ثبت) أو مأخوذة أي ما تلك قارة بيمينك أو مأخوذة بيمينك قوله أو تلك موصول الخ. هذا على مذهب الكوفيين الذين يقولون: إن كل اسم إشارة

«أخرى» رداً إلى الجماعة أو لنسق الآي وكذا «الكبرى» ولما ذكر بعضها شكراً أجمل الباقي حياءً من التطويل، أو ليسأل عنها الملك العلام في الإكرام. والمآرب الأخر أنها كانت تماشيه وتحديثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتها دلواً وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب، وكانت تقيه الهوام. والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكراً، ولأنها جواب سؤال آخر لأنه لما قال (هي عَصَاي) قيل له: ما تصنع بها فأخذ يعدد منافعها.

﴿قَالَ لَقَدْ أَخَذَ مَوْسَىٰ ۙ مَا يَصِفُ ۗ﴾ اطرح عصاك لتفزع مما تتكىء عليه فلا تسكن إلا بنا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب ﴿فَأَلْقَاهَا ۗ﴾ فطرحها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۗ﴾ ﴿٢١﴾ تمشي سريعاً قيل: انقلبت ثعباناً يبتلع الصخر والشجر، فلما رآها تبتلع كل شيء خاف. (٢١) وإنما وصفت بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها، أو لأنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. وقيل: كان بين لحييها أربعون ذراعاً. ولما ﴿قَالَ ۗ﴾ له ربه ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۗ﴾ ﴿٢٢﴾ بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها ﴿سُعِيدُهَا ۗ﴾ سردها ﴿سَيَّرْتَهَا الْأُولَىٰ ۗ﴾ ﴿٢٣﴾ تأنيث الأول، والسيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الأصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

تسعى“ وفي الأعراف والشعراء بقوله ”فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين“ وفي النمل والقصص بقوله ”فلما راها تهتت كأنها جان“ والقصة واحدة فتوجه السؤال عن اختلاف البيان وأجيب عنه كما ذكر المصنف. أقول: ويظهر بالتأمل في النظم أن السؤال غير متجه، فإن القرآن لم يقل: فإذا هي جان، أو صارت جاناً بل شبه بها في الاهتزاز، فلم يبق إلا الحية والثعبان، ولا منافاة بينهما، لأن الحية اسم جنس يعم كل نوع و صنف منه، فيصدق على الثعبان أيضاً، نعم يصح قوله أخيراً: إنها كانت في عظم الثعبان و سرعة الجان. قوله بين لحييها: اللحي بفتح اللام وسكون الحاء، والجمع ألح و لحي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان، ومنبت اللحية وهما لحيان. واللحية بكسر اللام و سكون الحاء و الجمع لحي و لحي: شعر الخدين والذقن (قاموس) قوله غريزية نسبة إلى الغريزة: وهي الطبيعة (قاموس)

= يركزها ركن الرمح ونحوه: غرزه في الأرض (ن) نضب: غار و غاب (ن)

قال ابن كثير: وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقليل كانت تضيء له بالليل و تحرس له الغنم إذا نام، و يغرسها فتصير شجرة تظله و غير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفرض منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية، وكذا قول بعضهم: إنها كانت لآدم عليه الصلاة والسلام، و قول الآخر إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة. اهـ.

(٢٢) روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يقاربه معنى.

قوله إنما وصفت الخ. قصة انقلابها حية أول مرة مذكورة هنا أي في سورة طه بقوله ”إذا هي حية

والطريقة. وانتصبت على الظرف أي سنعيدها في طريققتها الأولى أي في حال ما كانت عصا. والمعنى نردها عصاً كما كانت، وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفرغ منها إذا انقلبت حية عند فرعون.

ثم نبه على آية أخرى فقال. ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك تحت العضد وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سمياً جناحين لأنه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران والمعنى أدخلها تحت عضدك ﴿تَخْرُجُ بِيضَاءً﴾ لها شعاع كشعاع الشمس يغطي البصر ﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ برص ﴿آيَةٌ أُخْرَى﴾ لنبوتك، بيضاء وآية حالان معاً ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك: «ابيضت من غير سوء» وجاز أن ينتصب «آيَةٌ» بفعل محذوف يتعلق به الأمر. ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ أي خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى، أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى.

﴿إِذْ هَبَّ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية، ولما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغوي وعرف أنه كلف أمراً عظيماً يحتاج إلى صدر فسيح ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسعه ليحتمل الوحي والمشاق وردية الأخلاق من فرعون وجنده ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون. واشرح لي صدري أكد من اشرح صدري لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل لأنه بقول «اشرح لي ويسر لي» علم أن ثمة مشروحات وميسراً ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر ﴿وَاحْلُلْ﴾ افتح ﴿عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ وكان في لسانه رته<sup>(٢٤)</sup> للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه، وذلك أن

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله: العضد: ما بين المرفق إلى الكتف وفيه خمس لغات على أوزان كنز وفقل وكتف ونُدس وُعُنق -لسان العرب- وذكر المجد كسر العين أيضاً مع سكون الضاد. ولم أجده عند غيره.

(٢٣) قوله جاز أن ينتصب آية بفعل محذوف الخ وهو كما ذكر فيما بعد. أي خذ آية أخرى، قوله خذ... لنريك، فالإراءة علة الأمر بالأخذ والتقدير الآخر فعلنا ذلك لنريك فالإراءة علة الفعل. وأشار بقوله بعض آياتنا إلى أن «من» للتبعيض، وبقوله الكبرى من آياتنا إلى أن «من» للبيان.

قوله جاوز حد العبودية، وأصل الطغيان تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ. (الحاقة - ١١) كذا في البيضاوي.

(٢٤) قوله رته، بضم الراء المهملة، و تشديد المثناة الفوقية: حُبسة ولكنة في اللسان. (خفاجي) قوله في صباه، بالكسر والقصر كما قال في لسان العرب: إذا فتحت الصاد مددت، و إذا كسرت قصرت. الصِّبَا والصَّبَاء: الصِّغْر، قيل الصبي من حين يولد إلى أن يفطم، ويقال على الغلام أيضاً. قوله آسية: امرأة فرعون، قوله طُشْتُ، في القاموس: الطُشْتُ: الطُّسُّ، و حُكِي بالشين المعجمة - اه - والجمع طُساس و طُسوس، قال الجوهري: الطُشْتُ الطُّسُّ بلغة طيء، أبدل من إحدى السنين تاء، للاستئقال، فإذا جمعت أو صغرت رددت السين. (لسان العرب)

موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمه شديدة في صغره فأراد قتله فقالت آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجعلت في طشت ناراً وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصده اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها. (٢٥) وروي أن يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال: إلى أي رب تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها. و (من لساني) صفة لعقدة كأنه قيل: عقدة من عقد لساني، وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكمالها وأكثرهم على ذهاب جميعها ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة. ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ ظهيراً اعتمد عليه من الوزر الثقيل لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته، أو من الوزر الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره، أو معيناً من الموازنة وهي المعاونة ف «وَزِيرًا» مفعول أول لـ «اجْعَلْ» والثاني

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(الإعراب) ذكر هنا وجوهاً في الإعراب (١) وزيراً أول مفعولي اجعل، و من أهلي مفعوله الثاني - وأورد عليه أن شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية منهما، ولو جعلت وزيراً مبتدأ، و من أهلي خبراً له لم يصح إذ لا مسوغ للابتداء بالنكرة، و أجيب أن الجملة دعائية، و النكرة يبتدأ بها فيها كما صرح به النحاة فكذا بعد دخول الناسخ. وقوله «لي» صلة اجعل، تبيين. (٢) لي وزيراً مفعولاه. لي مفعوله الثاني، وزيراً مفعوله الأول، لأن الجملة قبل دخول الناسخ «لي وزير» لي خبر، و وزير مبتدأ، والمبتدأ هو المفعول الأول، والخبر هو المفعول الثاني كما في علمت زيداً فاضلاً، أو علمت فاضلاً زيداً و من أهلي صفة وزيراً. وعلى الإعرابين هارون عطف بيان لوزيراً. (٣) مفعولاه وزيراً و هارون. وإذا عقدنا الجملة الاسمية قلنا: هارون وزير ليكون المبتدأ معرفة، ولأن الوزارة هو اللائق بالإخبار به، والعلم بالإخبار عنه. فالمبتدأ أي هارون هو المفعول الأول، والخبر أي وزير هو المفعول الثاني، ولا بد هنا من نكتة لتقديم الثاني على الأول فذكرها بقوله: وقدم ثانيهما على أولهما عناية (أي اهتماماً) بأمر الوزارة. و «لي» على هذا الإعراب صلة اجعل، أو حال و من أهلي صفة وزيراً، أو متعلق باجعل. وقوله أخي على الوجوه الثلاثة بدل من هارون أو عطف بيان. و تلخيص القول باعتبار المفعولين هكذا (١) اجعل وزيراً، من أهلي (٢) اجعل لي، وزيراً (٣) اجعل وزيراً، هارون.

(٢٥) أخرجه ابن جرير عن السدي.

قوله و أكثرهم على ذهاب جميعها، وهو الحق، و بسط الكلام في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود و عناية القاضي حاشية تفسير البيضاوي للشهاب الخفاجي.

قوله من الوزر بكسر فسكون، بمعنى الحمل الثقيل ينقل به ، فوزير صفة منه بمعنى صاحب وزر أي حامل، لا بمعنى ثقيل قوله أو من الوزر، بفتحيتين، أصل معناه الجبل يتحصن به، ثم استعمل بمعنى الملجأ مطلقاً، و أخذت منه الموازنة بمعنى المعاونة، لأن المعين يلجأ إليه. (خفاجي) في الكشف: الوزر من الوزر. أو من الوزر. أو من الموازنة. وفي البيضاوي: اشتقاق الوزر إما من الوزر. أو من الوزر، ومنه الموازنة. اهـ. فجعل الثالث ماخوذاً من الثاني، و في المدارك أو معيناً من الموازنة. اهـ. يظهر منه أنه ردّد بين ظهيراً اعتمد عليه و بين معيناً، وجعل الأول ماخوذاً من الوزر أو الوزر، والثاني ماخوذاً من الموازنة، و فرّق بين الظهير المعتمد عليه و بين المعين.

فإن المعين عام يصدق معناه بقليل العون و كثيره معاً. والأول ينبئ عن كونه ظهيراً و عماداً، يتوجه إليه الأثقال والمؤن و يكون ملجأ و مرجعاً في الأمور، و هذا المعنى يناسب الوزر والوزر، والمعين يناسب الموازنة بمعنى المعاونة العامة. فالمسئول بالدعاء أن يجعل له ظهيراً معتمداً يتحمل أثقاله و يكون عماداً و ملجأ في الأمور كلها أو أن يجعل له معيناً في أمر الدعوة و إقامة الخير و نحوها.

﴿مِنْ أَهْلِى﴾ أو «لي» «وَزَيْرًا» مفعولاه وقوله: ﴿هُرُونَ﴾ عطف بيان لـ «وَزَيْرًا» وقوله ﴿أَخِي﴾ بدل أو عطف بيان آخر أو «وَزَيْرًا» و «هارون» مفعولاه و قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة ﴿أَشْدُدِيهِ أَزْرِي﴾ قو به<sup>(٢٦)</sup> ظهري وقيل الأزر القوة ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ اجعله شريكى في النبوة والرسالة. «اشدد» و «أشركه» على حكاية النفس شامي على الجواب، والباقون على الدعاء والسؤال ﴿كُنِى سُبْحَكَ﴾ نصلي لك وننزهك تسيحاً كثيراً ﴿وَنَذُرْكَ كَثِيرًا﴾ في الصلوات وخارجها ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَابِصِيرًا﴾ عالماً بأحوالنا فأجابه الله تعالى حيث ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ أعطيت مسؤلك فالسؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز. «سولك» بلا همز: أبو عمرو. ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً﴾ كرة ﴿أُخْرَى﴾ قبل هذه ثم فسرهما فقال ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ إلهاماً أو مناماً حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك.<sup>(٢٧)</sup> و «إِذْ» ظرف لـ «مَنَّا» ثم فسر ما يوحى بقوله ﴿إِنِ اقْذِيبِهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ﴾ و «أَنْ» مفسرة لأن الوحي بمعنى القول ﴿فَاقْذِيبِهِ فِي الْيَمِّ﴾ النيل ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ الجانب وسمي ساحلاً لأن الماء يسحله أي يقشره، والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الإخبار أي يلقيه اليم بالساحل ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوِّي﴾

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

يقتلون فيها الولدان، و خافت عليه أمه خوفاً شديداً فألهمت في سرها كما قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وذلك أن دارها كانت على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً و مهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، و ربطته بجبل عندها، فذهبت مرة لتربط الجبل فانفلت منها و ذهب به البحر فحصل لها من الهم والغم ما ذكره الله عنها في قوله ﴿وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا، إِن كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ وحكم الله تعالى أن لا يربى إلا على فراش فرعون، و يغذى بطعامه و شرابه، و مع محبته و محبة زوجته له ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا﴾ ابن كثير في البقرة و طه والقصاص، ملخصاً.

قوله لأن الوحي بمعنى القول. أن المفسرة مختصة بما هو في معنى القول، فلا تقع بعد صريح القول، ولا بعد ما ليس في معنى القول، والمفسر هنا قوله «ما يوحى» مفعول أوحينا.

(٢٦) قوله قَوَّ أمر من التقوية قوله شامي أشدُّ مضارع مجزوم لكونه جواب الدعاء، صيغة المتكلم الواحد من نصر و أشركه من الإفعال أيضاً مضارع مجزوم صيغة المتكلم الواحد قرأه ابن عامر والباقون أشدُّ و أشركٌ بلفظ فعل الأمر الذي هو للدعاء والسؤال.

قوله فالسؤل الطلبة، بفتح الطاء و كسر اللام : ما طلبته من شيء، و بكسر الطاء و سكون اللام أيضاً بمعناه أي المطلوب. (قاموس ولسان العرب)

(٢٧) رأى فرعون رويًا هالته أن نارًا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل، و يقال تحدث عنده سماره بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة و رفعة، و يكون هلاك مصر على يديه فعند ذلك أمر فرعون بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات و لما أكثر من قتل ذكورهم خافت القبط أن يفنى بنو إسرائيل فلا وجدوا من يقوم بأعمالهم فأمر بقتل الولدان عامًا و تركهم عامًا، فولد هارون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان، و ولد موسى في السنة التي

وَعَدُوْلَهُ ۗ يَعْنِي فِرْعَوْنَ وَالضَّمَائِرَ كُلَّهَا رَاجِعَةً إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَجُوعَ بَعْضِهَا إِلَيْهِ وَبَعْضِهَا إِلَى التَّابُوتِ يَفْضِي إِلَى تَنَاثُرِ النِّظْمِ. وَالْمَقْدُوفُ فِي الْبَحْرِ وَالْمَلْقَى إِلَى السَّاحِلِ وَإِنْ كَانَ هُوَ التَّابُوتَ لَكِنْ مُوسَى فِي جُوفِ التَّابُوتِ.

رُوي أَنهَا جَعَلَتْ فِي التَّابُوتِ قِطْنًا<sup>(٢٨)</sup> مَحْلُوجًا فَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَقَبْرَتَهُ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، وَكَانَ يَشْرَعُ مِنْهُ إِلَى بَسْتَانَ فِرْعَوْنَ نَهْرٍ كَبِيرٍ فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ بَرَكَةٍ مَعَ أَسِيَةٍ إِذَا بِالتَّابُوتِ فَأَمْرٌ بِهِ فَأَخْرَجَ فَفَتَحَ إِذَا بِصَبِيٍّ أَصْبَحَ النَّاسَ وَجْهًا فَأَحْبَبَهُ فِرْعَوْنَ حُبًّا شَدِيدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَّقْنُونَةً﴾ يَتَعَلَقُ «مِنِّي» بِ «أَلْقَيْتُ» يَعْنِي إِنِّي أَحْبَبْتُكَ وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَحْبَبَتْهُ الْقُلُوبُ فَمَا رَأَى أَحَدٌ إِلَّا أَحْبَبَهُ. قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ فِي عَيْنِي مُوسَى مَلَاخَةً مَا رَأَى أَحَدًا إِلَّا أَحْبَبَهُ ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾<sup>(٢٩)</sup> مَعْطُوفٌ عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً لِتَحْبَ وَتُصْنَعَ ﴿عَلَى عَيْنِي﴾ أَي لَتُرَبَّى بِمَرَأَى مِنِّي وَأَصْلُهُ مِنْ صَنَعَ الْفَرَسَ أَي أَحْسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ يَعْنِي أَنَا مَرَاعِيكَ وَمَرَاقِبِكَ كَمَا يَرَاعِي الرَّجُلُ الشَّيْءَ بَعِينَهُ إِذَا اعْتَنَى بِهِ ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بِسُكُونِ اللَّامِ وَالْجَزْمِ: يَزِيدُ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ مِنْهُ. ﴿إِذْ تَمْثِيْلٌ﴾ بَدَلَ مِنْ (إِذْ أَوْحَيْنَا) لِأَنَّ مَشِيَّ أَخْتَهُ كَانَ مِنْهُ عَلَيْهِ ﴿أَخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ رُوي أَنَّ أُمَّهُ مَرِيْمَ جَاءَتْ مُتَعَرِّفَةً خَبْرَهُ فَصَادَفَتْهُمْ يَطْلُبُونَ لَهُ مَرْضِعَةً يَقْبَلُ ثَدْيَهَا وَكَانَ لَا يَقْبَلُ ثَدْيَ امْرَأَةٍ فَقَالَتْ: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَضُمُّهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيرِيْبِهِ وَأَرَادَتْ بِذَلِكَ

#### مَوَاهِبُ الْجَلِيلِ لِتَجْلِيَةِ مَدَارِكِ التَّنْزِيلِ

أَي يَدْخُلُ بَرَكَةٌ بِكُسْرِ الْمَوْحِدَةِ وَ سُكُونِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ: مُسْتَنْقَعُ الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ بِنَاءٍ، وَالْحَوْضُ مَا بُنِيَ مِنْهُ فِي الْأَكْثَرِ قَوْلُهُ فَأَمْرٌ بِهِ أَي بِإِخْرَاجِهِ فِيهِ مَضَافٌ مَقْدَّرٌ، وَ أَصْبَحَ مِنَ الصَّبَاحَةِ (ك) بِالْمَوْحِدَةِ، وَهِيَ الْجَمَالُ. قَوْلُهُ قَتَادَةُ أَخْرَجَهُ عَنْهُ ابْنُ عَسَاكِرَ (دَر مَشُور) (٢٩) قَوْلُهُ لَتُرَبَّى بِمَرَأَى مِنِّي، لَمَّا اسْتَحَالَ مَعْنَى الْعَيْنِ (وَهِى مِنَ الْجَوَارِحِ) لِلَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: هَذَا الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ وَالتَّمثِيلِ، وَ أَوْلُوهُ، قَوْلُهُ: وَ لَتُصْنَعَ، بِسُكُونِ اللَّامِ الْأَمْرُ، وَ جَزْمِ الْآخِرِ، قَرَأَهُ أَبُو جَعْفَرٍ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ الْمَدَنِيُّ، وَهُوَ مِنَ الْعَشْرَةِ. قَوْلُهُ بَدَلَ مِنْ إِذْ أَوْحَيْنَا، وَ يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى أَنْ يَقَعَ فِيهِ فِعْلٌ مَنَاءً، لِأَنَّ مَا لِلْمَبْدَلِ يَكُونُ لِلْبَدَلِ، بَلْ يَكُونُ الْبَدَلُ هُوَ الْمَقْصُودُ، فَقَالَ مَشِيَّ أَخْتَهُ كَانَ مِنْهُ عَلَيْهِ لِتَسْبِيهِ لِقَاءِهِمْ فِي حَالِ طَلْبِهِمُ الظَّرِّ، ثُمَّ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ الرَّجُوعُ إِلَى الْأُمِّ كَمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى (أَنَا رَأَيْتُوهَ الْيَتِيمَ) وَقَالَ الْبِيضَاوِيُّ: طَرَفٌ لِأَلْقَيْتُ أَوْ لَتُصْنَعَ أَوْ بَدَلَ مِنْ إِذْ أَوْحَيْنَا. قَوْلُهُ مُتَعَرِّفَةً أَي طَالِبَةً مَعْرِفَةَ حَالِهِ، تَعَرَّفَ الشَّيْءُ: تَطَلَّبَهُ حَتَّى عَرَفَهُ.

قَوْلُهُ يَقْشِرُهُ (ض، ن) قَشْرًا: أزال قِشْرَهُ، وَ كَشَطَ جِلْدَهُ. قَوْلُهُ وَالضَّمَائِرَ كُلَّهَا الْخ. بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَ تَعَلُّقِ الْفِعْلِ بِالذَّاتِ يَكُونُ قَذْفُ مُوسَى فِي التَّابُوتِ، وَ قَذْفُ التَّابُوتِ فِي الْيَمِّ، وَ الْقَاءُ التَّابُوتِ إِلَى السَّاحِلِ، وَ أَخَذَ التَّابُوتِ أَوْ أَخَذَ مُوسَى، وَ الْعِدَاوَةَ لِمُوسَى. فَالضَّمِيرُ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ يَرْجِعُ إِلَى مُوسَى وَ الثَّلَاثُ وَ الرَّابِعُ إِلَى التَّابُوتِ، وَ الْخَامِسُ مَحْتَمَلٌ لِهَمَا. وَ هَذَا انْتِشَارٌ فِي رَجُوعِ الضَّمَائِرِ، وَ الْأَوَّلَى أَنْ تَرْجِعَ كُلُّهَا إِلَى مُوسَى لَكِنْ يَرُدُّ أَنَّ الْقَذْفَ فِي الْيَمِّ لِلتَّابُوتِ بِالذَّاتِ، وَ كَذَا الْإِلْقَاءُ إِلَى السَّاحِلِ لَهُ بِالذَّاتِ، فَأَجَابَ أَنَّهُمَا وَإِنْ كَانَا لِلتَّابُوتِ ذَاتًا لَكِنَّهُمَا لِمُوسَى أَيْضًا تَبَعًا وَ عَرْضًا، لِأَنَّهُ كَانَ فِي جُوفِ التَّابُوتِ. وَ الْفِعْلُ كَمَا يَسْنَدُ إِلَى مَا هُوَ بِالذَّاتِ، كَذَا يَسْنَدُ إِلَى مَا هُوَ بِالتَّبَعِ وَ بِالْعَرْضِ.

(٢٨) قَوْلُهُ رُوي الخ، هَذَا فِيْمَا رَوَاهُ النِّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَابْنُ جَرِيرٍ وَ غَيْرُهُمَا فِي حَدِيثِ الْفَتَوْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، وَ نَقَلَتْ طَرَفًا مِنْهُ أَوْلًا، قَوْلُهُ مَحْلُوجًا أَي مَنْدُوفًا مُسْتَخْرَجَ الْحَبِّ وَ الْفِعْلُ حَلَجَ حَلَجًا (ض ن) الْقَطْنُ: نَدَفُهُ (ض) قَبْرَتَهُ أَي طَلَّتَهُ بِالْقَارِ- وَهُوَ الرِّفْتُ، لِئَلَّا يَدْخُلَ فِيهِ الْمَاءُ فَيَهْلِكُ، يَشْرَعُ

المرضعة الأم. وتذكير الفعل للفظ «مَنْ»، فقالوا: نعم فجاء بالأم فقبل ثديها وذلك قوله: ﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾ فرددناك ﴿إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ كما وعدناها بقولنا: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ) [القصص: ٧] ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقك. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ قبطياً كافراً<sup>(٣٠)</sup> ﴿فَأَخْبَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ من القود. قيل الغم: القتل بلغة قريش وقيل: اغتم بسبب القتل خوفاً من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) [القصص: ١٦] ونجاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين ﴿وَقَتَلْتَ فَتُونَةَ﴾ ابتليناك ابتلاءً بإيقاعك في المحن وتخليصك منها، والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أي فتناك ضرورياً من الفتن، والفتنة المحنة وكل ما يتلي الله به عباده فتنة. (وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء: ٣٥] ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هي بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر. قال وهب: لبث عند شعيب ثمانياً وعشرين سنة، عشر منها مهر لصفوراء، وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها<sup>(٣١)</sup> حتى ولد له أولاد. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ مِّنْ مَّوْسَىٰ﴾ أي موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾<sup>(٣٢)</sup> اخترتك واصطفيتك لوحبي ورسالتي لتتصرف على

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

نحو يوم، والجمع المراحل (إكليل) قوله وهب بن منبه، من التابعين، كانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم، وسير الملوك توفي بصنعاء اليمن سنة عشر ومائة، وقيل أربع عشرة وقيل: ست عشرة، وعمره تسعون سنة، رضي الله تعالى عنه. (إكليل) قوله صفورا بنت شعيب عليه السلام أنكحها أبوها عليه السلام على أن يكون موسى عليه السلام أجييراً لشعيب عليه السلام ثمانين أو عشر سنوات، وقضى موسى عليه السلام أوفى الأجلين، وأمر التزويج المذكور في سورة القصص ويجوز في شرعنا أيضاً أن يكون مهر المرأة أن يخدم الزوج حُرّاً آخر غير الزوجة، كما في كتب الفروع.

(٣١) فكان قتله القبطي وخروجه إلى مدين وهو ابن ثنتي عشرة سنة لاتفاق المفسرين أن بعثته كانت إذ بلغ أربعين سنة، وهو العمر الذي بُعث فيه الأنبياء. وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى (وقتلته نفساً) قال كعب: وكان إذا ذاك ابن اثنتي عشرة سنة - اه - (٣٢) مثله فيما حوِّله (أعطاه) من الكرامة بمن قرّبه الملك، واستخلصه لنفسه (بيضاوي) الاصطناع =

(٣٠) قصته في سورة القصص، قال تعالى: (وَ دَخَلَ الْمَدْيَنَةَ عَلَىٰ جَبِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَنِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِّنْ شِيعَةِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ وَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ)

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله له: وقتلت نفساً فنجيتك من الغم وفتنتك فتوناً.

قوله القود بفتحيتين: القصاص (قاموس) قوله نبلوكم قال المصنف في سورة الأنبياء: ونبلوكم ونختبركم، سمي ابتلاءً، وإن كان عالمًا بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم، لأنه في صورة الاختبار، بالشر بالفقر والضر والخير الغني والنفعة فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه - اه - قوله مراحل، في المصباح: المرحلة المسافة التي يقطعها المسافر في

إرادتي ومحبتي. قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني أقمت عليهم الحججة وخاطبتهم.

﴿إِذْ هَبْنَا نُبُّكَ وَالْجِبَالَ حُدُودًا لِمَا لَمْ يَكُن لَكَ الْبُلُوكُ وَجِئْنَا بِقُلُوبِ آلِ فِرْعَوْنَ حَرَدًا وَالْأَنْجَارَ حُدُودًا﴾ ﴿٣٣﴾ أي اتخذنا ذكري جناحاً تطيران به<sup>(٣٣)</sup> أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها ﴿إِذْ هَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ كرر لأن الأول مطلق والثاني مقيد ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٣٤﴾ جاوز الحد بادعائه الربوبية ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ﴾ الطفا له في القول<sup>(٣٤)</sup> لما له من حق تربية موسى، أو كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة. أو عداه شباباً لا يهرم بعده وملكاً لا ينزع عنه إلا بالموت، أو هو قوله: (فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۖ) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى<sup>(٣٥)</sup> [النازعات: ١٨، ١٩] فظاهره الاستفهام والمشورة. ﴿لَعَلَّاهُ يَتَذَكَّرُ﴾ أي

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه، كأبي لهب اسمه عبد العزى عرف بكنيته فسماه الله بها - اه - وفي القاموس: كنى زيداً أبا عمرو، وبه كنية بالكسر والضم سماه به ك- أكناه وكناه اه. والجمع كنى، وكنى.

قوله عده: أمر للمخاطبين من الوعد، لا يهرم (س) هرماً وهو أقصى الكبر، تفسير القول اللين بالتكنية مروى عن علي، وابن عباس، وسفيان الثوري (در منثور) و تفسيره بالوعد بالشباب ذكره القرطبي والبيضاوي وصاحب الكشاف وغيره بدون النسبة إلى أحد، والثالث حكاة القرطبي عن ابن مسعود: قوله هل لك إلى أن تزكى. قال المصنف: في سورة النازعات أي هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان، بالطاعة والإيمان، وبتشديد الزاي حجازي (وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ) وأرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فَتَخْشَى) لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا. وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول، ويستنزه بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك في قوله تعالى: فقولا له قولاً لئنا. اه مدارك التنزيل. سورة النازعات.

قوله المشورة، بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو - كمثوبة - وهو الأفصح، ويجوز سكون الشين مع =

= افتعال من الصنع بمعنى الصنعة أي جعله محلاً لإكرامه باختياره وتقريبه منه، بجعله من خواص نفسه وندمائه، فاستعير استعارة تمثيلية من ذلك المعنى المشبه به إلى المشبه وهو جعله نبياً مكرماً كليماً منعماً عليه بجلائل النعم. (خفاجي)

قوله من الونى ونى كفتى، والفعل ونى ونياً ونيناً ونى، ونى، قال الجوهرى: الونى الضعف والفتور والكلال والإعياء. (لسان العرب)

(٣٣) قال في الكشاف: أي لا تنسياني، ولا أزال منكما على ذكر حيث تقلبتما، واتخذنا ذكري جناحاً تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني، معتقدين أن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري - اه - قال الطبري: ولا تضعفا في أن تذكرا فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكر كما إياي يقوي عزائمكما ويثبت أقدامكما - اه -

قوله: أو أريد الخ، فالمعنى ولا تقصراً ولا تفترا في تبليغ الرسالة قوله مطلق أي عن غاية الذهاب، والثاني مقيد بها، فإن الأول لم يذكر معه إلى من يذهب، وفي الثاني ذكر "إلى فرعون".

(٣٤) قوله: الطفا له في القول. لطف به وله، يلطف لطفاً (ن) رفق به. (لسان العرب)

قوله: الكنى قال ابن منظور: الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً والثالث



يتعظ ويتأمل فيذعن للحق ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ أي يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة. وإنما قال: (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) مع علمه أنه لا يتذكر لأن الترجي لهما، أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله.

وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة. وقيل: معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس. وقيل: «لعلَّ» من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر. وقيل: تذكر فرعون وخشي وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لا يقطع أمراً دونه. وتليت عند يحيى بن معاذ فبكي وقال: هذا رفئك بمن يقول أنا إله فكيف بمن قال أنت الإله؟ وهذا رفئك بمن قال أنا ربكم الأعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الأعلى. ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾<sup>(٣٥)</sup> يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أي عجل ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ يجاوز الحد في الإساءة إلينا<sup>(٣٦)</sup> ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ أي حافظكما وناصركما ﴿أَسْمِعُ﴾ أقوالكما ﴿وَأَرَى﴾ أفعالكما. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿فَأْتِيَهُ﴾ أي فرعون ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق ﴿وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾ بتكليف المشاق ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ بحجة على صدق ما ادعيناها، وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي (إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها وهي المجيء بالآي

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

التقييد والتصريح بقولهما «عليك» باب من حسن الأدب، وتحاشر عن التفوه بالعظيمة - اه - ونحوه في تفسير البيضاوي. وفيما فسره به المصنف نوع تكرار، لأن التعجيل بالعقوبة، وتجاوز الحد في الإساءة كشيء واحد، وإن أمكن التفريق بأن المراد بالأول عقوبة خفيفة وبالثاني عقوبة شديدة.

قوله حافظكما وناصركما - أي المعية منه تعالى معية الحفظ والنصرة، لا المعية في المكان، فإنه منزه عن المكان.

قوله هذه الجملة جارية - الخ - الجملة الأولى «إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ» كدعوى مجملة، والثانية «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ» أي قد أتينا ببرهان ومعجزة من ربك كدليل وبينة على تلك الدعوى، وبيان وتفسير لذلك الإجمال، فالثانية بالنسبة إلى الأولى جارية مجرى البيان، والتفسير، والتفصيل.

= فتح الواو، ومعناها المشاورة (خفاجي) قوله فيذعن، أذعن له: خضع وذل، وأقر، وأسرع في الطاعة، و انقاد كذعن كفرح (قاموس) قوله الهلكة بفتح الحاء، الهلاك. قوله جدوى أي الفائدة قوله يحيى بن معاذ الرازي الواعظ نسيح وحده في وقته، له لسان في الرجاء خصوصاً، وكلام في المعرفة، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومأتين. (إكليل)

(٣٥) قال الراغب: فرط إذا تقدم تقدماً بالقصد يفرط، ومنه الفارط إلى الماء أي المتقدم لإصلاح الدلو، يقال فارط وفرط ومنه قوله عليه السلام «أنا فرطكم على الحوض» وقيل في الولد الصغير إذا مات: اللهم اجعله لنا فرطاً. (مفردات)

(٣٦) وفي الكشاف: بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته عليك وقسوة قلبه، وفي المجيء به هكذا على الإطلاق، وعلى سبيل الرمز (أي بدون

فقال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ﴿وَالسَّلْمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ أي سلم من العذاب من أسلم وليس بتحية. وقيل: وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين. ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ﴾ في الدنيا والعقبى ﴿عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ﴾ بالرسول ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان. وهي أرجى أي القرآن<sup>(٣٧)</sup> لأنه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء. فأتياه وأديا الرسالة وقال له ما أمرا به.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّنَا يُمُوسَىٰ﴾ خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل في النبوة وهارون تابعه ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ «خَلَقَهُ» أول مفعولي «أعطى» أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكذا الأنف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها، وقرأ نصير «خَلَقَهُ» صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاء ﴿هُدَىٰ﴾ عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ فما حال الأمم الخالية<sup>(٣٨)</sup> والرّمم البالية، سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ﴿قَالَ﴾ موسى مجيباً ﴿عَلَيْهَا عُنْدَ رَبِّي﴾ مبتدأ وخبر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أي اللوح خبر ثان أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي لا يخطيء شيئاً يقال:

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المفعول الثاني كما فسّر وأوضح المصنّف. قوله يرتفقون به، أي يتفقون به، والارتفاق هو الانتفاع، والمرافق: المنافع قوله المنوطة على زنة مقولة أي المتعلقة وناطة نوطاً: علّقه. قوله وقرأ نصير (على زنة طفيل) بن يوسف النحوي، يروي عن علي الكسائي رحمه الله خلقه بفتح اللام، فعلاً ماضياً. (إكليل)

(٣٨) قوله الخالية أي الماضية، من خلا الزمان: مضى. الرّمم العظام البالية. رَمَّ يَرْمُ رَمًّا ورممة (ن) إصلاح الشيء البالي، ورمّ العظم يرمّ رمّة (ض) بكسر الراء فيهما: بلي فهو رميم. والرّمّة: العظم البالي والجمع رمم ورمام، و بلي الثوب بلياً - بالكسر والقصر - و بلاء - بالفتح والمد: خلق. (مفردات، ولسان العرب و مختار الصحاح) قوله استأثر - في القاموس: استأثر بالشيء، استبدّ به، وخصّ به نفسه.

(٣٧) قوله هي أرجى أي القرآن، روي هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (قرطبي) أي أكثرها رجاءً باعتبار اشتغالها على معنى الرجاء للمؤمنين. قوله فأتياه - الخ - حذف هذا من الكلام لدلالة الباقي عليه، فأظهره أيضاً، وبيانا للارتباط.

قوله أول مفعولي أعطى، والمعطى له هو المفعول الأول، والمعطى مفعول ثان، والخلق في الأصل مصدر، يكون بمعنى الإبداع بدون مثال سبق، و بمعنى التقدير، و يطلق بمعنى المخلوق، كاللفظ بمعنى الملفوظ، والخلق بمعنى المخلوق يراد به الذوات المخلوقة، أو الأشكال والصور المخلوقة، والخلق بضم فسكون، و بضمين يخص بالطبائع والسجاي المخلوقة، والمراد بالخلق المذكور ههنا إما الخليقة أي المخلوقات أو الصورة والشكل، على الأول هو المفعول الأول، و على المعنى الثاني هو

ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطيء في سعادة الناس وشقاوتهم ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ثوابهم وعقابهم. وقيل: لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه. ﴿الَّذِي﴾ مرفوع صفة لـ «رَبِّي» أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾<sup>(٣٩)</sup> كوفي وغيرهم (مهادا) وهما لغتان لما يبسط ويفرش ﴿وَسَلَكَ﴾ أي جعل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهٖ﴾ بالماء. نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتتان.<sup>(٤٠)</sup> وقيل: تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهٖ﴾ وقيل: هذا كلام موسى أي فأخرجنا نحن بالحرث والغرس ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ نَبَاتٍ﴾ هو مصدر سمي به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع ﴿شَقِيًّا﴾ صفة للأزواج أو للنبات<sup>(٤١)</sup> جمع شتيت كمريض ومرضى أي إنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم، ومن نعمة الله تعالى أن أرزقنا تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا تقدر على أكله.

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عليه السلام، والمراد فأخرجنا نحن بالحرث والغرس أزواجاً من نبات شتى.

قال الإمام: واعلم أنه يجب العزم بكونه خبراً لمبتدأ محذوف (أي «الذي جعل» خبر لمبتدأ محذوف «هو» قطعاً) إذ لو حملناه على الوجهين الباقيين لزم كونه من كلام موسى عليه السلام، ولو كان كذلك لفسد النظم بسبب قوله (فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى) لأن قوله بعد ذلك (كلوا وارعوا أنعامكم، إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهي. منها خلقناكم وفيها نعيدكم) لا يليق بموسى عليه السلام. ولا يجوز أن يقال كلام الله ابتداءً من قوله: (فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى) لأن الفاء (في قوله فأخرجنا) يتعلق بما قبله، فلا يجوز جعل هذا كلام الله تعالى وجعل ما قبله كلام موسى عليه السلام. فلم يبق إلا أن يقال إن كلام موسى عليه السلام تم عند قوله (لا يضل ربي ولا ينسى) ثم ابتداءً كلام الله تعالى من قوله (الذي جعل لكم الأرض مهدياً) ويكون التقدير هو الذي جعل لكم الأرض مهدياً. اهـ. فيكون «الذي» خبر مبتدأ محذوف، ويكون الانتقال من الغيبة إلى التكلم التفتاتاً. اهـ. (مفاتيح الغيب بتلخيص كثير)

(٤١) قوله أو للنبات، فإنه يصدق على الجمع أيضاً كما ذكر، ويصح وصفه بالجمع.

(٣٩) قوله كوفي أي قرأ عاصم و حمزة والكسائي - وكذا خلف - مهدياً والباقون مهدياً - قوله هما لغتان كفرش و فراش. قال الراغب: المهد ما تهيب للصبي، والمهد والمهاد: المكان الممهّد الموطأ.

(٤٠) ذكر المصنف هنا ثلاثة وجوه، الوجه الأول: «الذي جعل لكم» - ابتداءً كلام الله عز وجل، وهو خبر مبتدأ محذوف «هو» وتم كلام موسى عند قوله (ولا ينسى) فلا يكون (الذي جعل) صفة لربي أو مدحاً منصوباً، وإلا لزم كونه من كلام موسى عليه السلام، وفي قوله تعالى فأخرجنا به افتتان، و التفتات بنقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للإيدان بأنه سبحانه و تعالى مطاع، تنقاد الأشياء المختلفة لأمره. ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ الْأَنْعَامِ: ٩٩﴾ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) فاطر: ٢٧ ﴿أَمْنُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ نمل: ٦٠.

الوجه الثاني: الذي جعل - إلى قوله - ماءً من كلام موسى عليه السلام ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به.

الوجه الثالث: «فأخرجنا به» أيضاً من كلام موسى

قائلين ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ حال من الضمير في «فَأَخْرَجْنَا» والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في الذي ذكرت ﴿لآيَاتٍ﴾ لدلالات ﴿لِأُولَى النَّهْيِ﴾ لذوي العقول واحدها نهية لأنها تنهى عن المحذور أو ينتهى إليها في الأمور ﴿مِنْهَا﴾ من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي أباكم آدم عليه السلام. وقيل: يعجن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معاً أو لأن النطفة من الأغذية وهي من الأرض ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ إذا متم فدفنتم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر. عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقبلون عليها، وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم، وهي أصلهم الذي منه تفرعوا، وأمهم التي منها ولدوا، وهي كفاتهم إذا ماتوا. ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ﴾ أي فرعون ﴿إِنَّا كَلَّمْنَا﴾ (٤٢) وهي تسع آيات: العصا واليد وخلق البحر

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أخرى وقال (و منها نخرجكم تارة أخرى) - ابن كثير- (٤٢) هنا سوال وجواب ذكرهما الإمام الرازي : فإن قيل: قوله "كلها" يفيد العموم، والله تعالى ما أراه جميع الآيات، لأن من جملة الآيات ما أظهرها على الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا قبل موسى عليه السلام والذين كانوا بعده؟ قلنا: لفظ الكل وإن كان للعموم لكن قد يستعمل في الخصوص عند القرينة كما يقال دخلت السوق فاشترت كل شيء - اه - والله تعالى قد ذكر في غير هذا المقام أنه أرى فرعون تسع آيات بينات، فلم يومن ، وأصر على العتو والاستكبار. ففي سورة الإسراء (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينت. فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يموسي مسحوراً - ١٠١) وفي سورة النمل، قال تعالى: (وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَاتَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ ٥١) الْآ مِنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَأَنَّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٢) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فَبِئْسَ آيَاتُ الْفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٥٤) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ =

قوله "قائلين" قدره ليتضح أن كلوا و ارعوا مقولة القول المقدر، و يكون قائلين مع مقوله حالاً من ضمير المتكلم في "فَأَخْرَجْنَا" قوله آذنين، مبيحين إيدان بأن الأمر في كلوا و ارعوا للإباحة لا للإيجاب. قوله في الذي ذكرت بيان للمشار إليه، و قدره ليعم كل ما ذكر الله تعالى من آيات قدرته و إنعامه، وهو جعل الأرض كالمهد الوثير لسكنهم، و إخراج السبل فيها لتنقلاتهم و تقلباتهم في معاشهم، و إنزال الغيث، و إخراج صنوف النبات به تغذية لهم ولأنعامهم قوله نهية بضم النون كمنية و منى و عرفة و عَرَفَ قوله كفاتهم أي جامعهم و ضامتهم ، قال الراغب: الكفت (ض) القبض والجمع، قال تعالى: ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء و أمواتاً. - مرسلات - ٢٤، ٢٥- أي تجمع الناس أحياء هم و أمواتهم، وقيل معناه تضم الأحياء التي هي الإنسان و الحيوانات والنبات، و الأموات التي هي الجمادات من الأرض والماء وغير ذلك. (مفردات)

و في الحديث الذي في السنن أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر و قال (منها خلقناكم) ثم أخذ أخرى وقال (و فيها نعيدكم) ثم

والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم وبتق الجبل ﴿فَكَذَّبَ﴾ الآيات ﴿وَأَمِي﴾ ﴿قبول الحق﴾ ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿أَجْتَنَّا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحْرِكِ يَمْؤُسَى﴾ فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديدا وقوله: «بسحرك» تعلل والا فأبي ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ فلنعارضك بسحر مثل سحرك ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أي مكان موعد، الضمير في ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾ للموعد. قرأ يزيد بالجزم على جواب الأمر وغيره بالرفع على الوصف للموعد ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا﴾ هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر ﴿سُوَى﴾ بالكسر حجازي وأبو عمرو وعلي وغيرهم بالضم وهو نعت لـ «مكانا» أي منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية. ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء<sup>(٤٣)</sup> وإنما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مُوسَى تَسْعُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال: البد، والعصا، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، و نقص من الثمرات. (الدر المنثور - سورة الإسراء) قوله تعلل أي تكلف علة و حجة لا أصل لها تمويهًا وتلييسًا على غيره (خفاجي) قوله: هو مصدر (أي مصدر ميمي) بمعنى الوعد، اعتبر مصدرًا، لا اسم مكان أو زمان، لأن قوله "لانخلفه" صفة "لموعدا" والإخلاف إنما يتعلق بالوعد، لا بالزمان أو المكان، يقال أخلف وعده لا زمانه و مكانه، وقدر المضاف (أي مكان موعد) ليصح إبدال "مكانًا سوى" منه و جوز أن لا يقدر مضاف، و ينتصب "مكانًا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر أي "عدَّ مكانًا سوى".

قوله يزيد، هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، أحد العشرة. قوله حجازي، إذا اجتمع قراء مكة والمدنية قيل: "حجازي".

(٤٣) قال ابن عباس: و كان يوم الزينة يوم عاشوراء، وقال السدي و قتادة وابن زيد: كان يوم عيدهم، وقال سعيد بن جبير: كان يوم سوقهم. ولا منافاة، و في مثله أهلك الله فرعون و جنوده كما ثبت في الصحيح. (ابن كثير) قوله النيروز، فيعمل بفتح أوله، والنوروز لغة فيه، وهو معرب، اسم لوقت نزول الشمس في أول الحمل، والياء أشهر لفقد فوعول="

= عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾ و هنا دليل أن العصا و اليد معدودتان في الآيات التسع. أما السبع الباقية فقد ذكرها في سورة الأعراف (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين و نقص من الثمرات لعلهم يذكرون - ١٣٠) الأخذ بالسنين أي القحط والجذب، ونقص الثمرات بالعاهات أيتان، والخمس الباقية ما ذكرها في الآية الآتية: (فأرسلنا عليهم الطوفان و الجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفضّلتٍ فاستكبروا و كانوا قومًا مجرمين. ١٣٢) فما ذكر الله تعالى من الآيات التسع في السور المذكورة قرينة أن المراد إراء ته كل هذه الآيات التي خُصّت لإيقاظهم و إلزام الحجة عليهم.

ولا يصح عد فلق البحر و الحجر و نتق الجبل من هذه التسع فإن الأول و إن رآه فرعون لكنّ الأخيرين كانا بعد هلاكه، لبني إسرائيل، وقد كان لهم إنزال المن والسلوى، و تظليل الغمام وغير ذلك مما شاهدوه بعد خروجهم من مصر و بعد غرق فرعون، و أي حاجة إلى عدّ غير ما صرّح القرآن به أن الله أراها فرعون و قومه فلم يؤمنوا فأغرقوا في اليم؟

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: (وَلَقَدْ آتَيْنَا

عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم الزينة ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ أي تجمع. في موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة ﴿صَحَّى﴾ أي وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع اهل الوبر والمدر ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر عن موسى معرضا ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين او اربعمائة أو سبعين ألفا ﴿ثُمَّ آتَى﴾ للموعد ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى﴾ أي للسحرة ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا﴾ لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا ﴿فَيْسَجِّتُكُمْ﴾ كوفي غير أبي بكر يهلككم. ويفتح الياء والحاء غيرهم والسحت والإسحات بمعنى الإعدام وانتصب على جواب النهي ﴿بِعَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ وقد حاب من افتري ﴿فَتَنَازَعُوا﴾ اختلفوا أي السحرة فقال بعضهم: هو ساحر مثلنا وقال بعضهم: ليس هذا بكلام السحرة أي لا تفتروا على الله كذبا - الآية - ﴿أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَآسْرُؤُا النَّجْوَى﴾ أي تشاوروا في السر وقالوا: إن كان ساحرا فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر. والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعني ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا مِنْ لَدُنِّ رَبِّنَا لَسَوْفَ لَنُحْجِّجَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هُمْ إِلَّا كَذِبٌ﴾ (٤٤) (إن هذين لساحران) وهو ظاهر ولكنه مخالف للإمام، وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنجو

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

كانوا سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف حبل و سبعين ألف عصا، وعن محمد بن كعب ثمانين ألفا (الدر المنثور - أعراف) ولعل هذا الاختلاف المتبادل للأخبار الإسرائيلية المختلفة، فأقل ما روي سبعون، وأكثره ثمانون ألف، بينهما بون بعيد. ولعل الأعداد المروية سوى ما ذكر هنا أيضا. قوله والنجوى يكون مصدرا و اسما أي بمعنى المسارة و بمعنى ما أسر من الكلام، والفعل نجا ينجو نجواً و نجوى. قوله لفقوا، التلفيق في الأصل للثوب بأن يضم إحدى شفتيه إلى الأخرى و يخيطنهما، ثم استعمل لضم بعض الكلام إلى بعض تمويها و تلبيسا، لفق الحديث: زخرفه و موهه بالباطل فهو ملقق. (٤٤) قوله قرأ أبو عمرو البصري - القراءات هنا أربعة. (١) إن هذين لساحران - جاء فيه اسم الإشارة للمثنى كما هو طريقه نصبا أي بالياء المفتوح ما قبلها والنون المكسورة بعدها. لكن استشكلت بأنها مخالفة للإمام، والإمام هو المصحف الذي كتب بأمر سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، وكانت عدة مصاحف، أرسلت إلى بلاد الإسلام الكبيرة إذ ذاك، =

= في كلام العرب (خفاجي) قوله على التأويل الأول، وهو أن يكون "موعدا" مصدرا ميميا، و يقدر مضاف أي مكان موعد و على الثاني وهو أن لا يقدر مضاف: فالمستول هو الموعد. قوله أهل الوبر والمدر، أهل الوبر: سكان البوادي، و أهل المدر: سكان القرى و الأمصار، والوبر بفتحتين، صوف الإبل والأرانب و نحوها، والمدر بفتحتين: قطع الطين اليابس، و قيل: الطين العلك (التماسك) الذي لارمل فيه، واحده مدرة، و قول عامر للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: لنا الوبر، ولكم المدر إنما عنى بالمدر المدن أو الحضر لأن مبانيها بالمدر، و عنى بالوبر الأخبية لأن أبنية البادية بالوبر، و في الحديث: أحب إلي من أن يكون لي أهل الوبر والمدر أي أهل البوادي، والمدن والقرى. (لسان العرب) قوله وكانوا اثنين وسبعين الخ - روي في عددهم عن ابن عباس سبعون رجلا و عن ابن جريج: ثلاث مائة من قرم، و ثلاث مائة من العريش، و يشكون في ثلث مائة من الإسكندرية و عن كعب اثنا عشر الفاء، و عن السدي: بضعة و ثلثون ألفا. و عن القاسم بن أبي بزة:

واللغة (إن هذان لساحران) بتخفيف «ان» مثل قولك «إن زيد لمنطلق» واللام هي الفارقة بين «إن» النافية والمخففة من الثقيلة. وقيل: هي بمعنى «ما» واللام بمعنى «إلا» أي ما هذان إلا ساحران دليله قراءة أبي (إن ذان إلا ساحران) وغيرهم (إن هذان لساحران) قيل هي لغة بلحارث بن كعب وختعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالألف أبداً فلم يقبلوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى قال:

إن أباهَا و أبَا أبَاهَا      قد بلغَا في المجد غَايَتَاهَا

وقال الزجاج: إن بمعنى نعم، قال الشاعر:

ويقلن شيبٌ قد علا.....كٌ و قد كبرتَ فقلتُ إنه

أي نعم والهاء للوقف. و (هذان) مبتدأ و (ساحران) خبر مبتدأ محذوف واللام داخله على المبتدأ المحذوف تقديره: هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

اللغة الرائجة هكذا:

إن أباهَا و أبَا أبَاهَا

قد بلغَا في المجد غَايَتَاهَا

عزا صاحب الصحاح هذا البيت لأبي النجم وقال ابن جرير الطبري في تفسيره ناقلاً عن بعض نحاة الكوفة: وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث بن كعب.

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى

مساغاً لناباه الشجاع لصمما

(الشجاع ضرب من الحيات لطيف دقيق، وهو أجراها كما زعموا - لسان العرب) وهذا أجود الأجوبة عن الإشكال، سالم من المقال.

قوله بلحارث أصله بني الحارث، قيل إنها لغة كنانة، خففوا بحذف النون بعد حذف نون الجمع، للإضافة، وحرف العلة لالتقاء الساكنين، وكذلك يفعلون بكل قبيلة يظهر فيها لام التعريف نحو "بلعنبر" فإذا لم تظهر، لم يكن ذلك. (خفاجي)

قوله ختعم اسم قبيلة، وهو ختعم بن أنمار من اليمن. قوله مُراد، أبو قبيلة من اليمن، وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ و كنانة قبيلة من مُضَر، وهو كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر. (لسان العرب) قوله و يقلن شيخ الخ - عزاه القرطبي لعبد الله بن قيس وقيله:

بكرَ العواذِلُ في الصَّبَا... ح يُلَمِّنِي وَ الوُهمَنَّهُ =

= و بقي واحد في المدينة، الرسم في الإمام كما قال في الدر المصون بدون ياء أو ألف 'هذِن' اه. بل بدون النقطة أيضا على الذال أو النون، فإن النقاط على الحروف لم تكن في ذلك العصر، و وضعت فيما بعد كما ذكرته في كتابي تدوين القرآن، لكن من المسلم عند الأئمة والعلماء أن الرسم قد يخالف القياس، والمعتمد حينئذ ما ثبت النطق به تواتراً، وقد ثبت النطق تواتراً في قراءة بالياء "هذين" و في قراءة بالألف "هذان" فلزمت الحجة بالتواتر، و وجبت القراءة بهما.

(٢) إن هذان لساحران، بتخفيف إن، وهذان بالألف والنون المكسورة، قرأه حفص.

(٣) إن هذان لساحران، قرأه ابن كثير. وهذه مثل الثانية لكن فيها تشديد نون "هذان" على خلاف القياس، فرقا بين الأسماء المتمكنة وغيرها.

(٤) إن هذان لساحران - قرأه أبو بكر، و نافع، و حمزة، و علي، و ابن عامر، واستشكلت بإثبات الألف في هذان نصبا، مع أن الإعراب الذي جرت به الألسنة و تقررت به القواعد أن يكون "هذين" نصبا، و دُفع هذا الاشكال بأن ورود هذه القراءة على لغة القبائل التي تثبت الألف في المثنى رفعا ونصبا و جراً، و شواهد ذلك كثيرة في كلام تلك القبائل، و شهيرة عنها، منها ما نقل المصنف. و إعراب البيت على

الموضوع لها وهو الابتداء، وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدأ قال: خالي لأنتَ ومن جريراً خاله... قال: فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو علي. ﴿يُرِيدُنِ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ﴾ بدينكم وشريعتكم ﴿الْمِثْلُ ٥٠﴾ الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل ﴿فَأَجْمَعُوا﴾ فأحكموا أي اجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا. (فَأَجْمَعُوا) أبو عمرو ويعضده<sup>(٥٠)</sup> (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) ﴿كَيْدِكُمْ﴾ هو ما يكاد به ﴿ثُمَّ اتَّوَصَّافًا﴾ مصطفين حال أمروا بأن يأتوا صفاً لأنه أهيب في صدور الرائيين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ٥١﴾ وقد فاز من غلب وهو اعتراض. ﴿قَالُوا﴾ أي السحرة ﴿يُمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾ عصاك أولاً ﴿وَأِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ٥٢﴾ ما معنا. وموضع «أن» مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر، أو رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين، أو الأمر إلقاءك أو إلقاءنا. وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت إليهم بركته وعلم موسى اختيار القائمهم أولاً، حتى ﴿قَالَ بَلْ الْقَوَا﴾ أنتم أولاً لبيروا ما معهم من مكاييد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه، ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بيته للمعتبرين فآلقوا<sup>(٥٦)</sup> ﴿فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ يقال في (إذا) هذه إذا المفاجأة والتحقيق أنها

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مفعولاً منصوباً محلاً، وإن قدرت المبتدأ وهو «الأمر» كانت «أن» خبراً مرفوعاً محلاً. قوله فيدمغه (ف) أصله أصاب دماغه فقتله، والمراد هنا يغلبه ويظلمه (لسان العرب) قوله فتمحقه (ف) أي تمحوه.

(٤٦) قوله فآلقوا إشارة إلى أن الفاء عاطفة على مقدر عُلم مما تقدم، و إذا الفجائية تدل على وقوع ما بعدها بغتة، لأنها تنوب في الدلالة فعل المفاجأة المقدر. فجاء الأمر (س، ف) فجاءً وفجاءةً بالضم والمد، وفجاءه مفاجأة وفجاءه هجم عليه من غير أن يشعر به، وقيل: إذا جائه بغتة من غير تقدم سبب — إذا تضاف إلى الجملة وتكون منصوبة للظرفية لناصر كما تقول آتيك إذا طلعت الشمس أي آتيك وقت طلوع الشمس، وخرجت فإذا السبع واقف، أي خرجت ففاجأته وقت وقوف السبع، هنا إذا الفجائية و ناصبها فعل المفاجأة، والجملة بعدها ابتدائية أي اسمية مركبة من مبتدأ وخبر، وقال أبو حيان قد تليها الجملة الفعلية المصحوبة بقدر كما في قولك: خرجت فإذا قد ضرب رجل أخاك. وتقدير الكلام =

= واعترض على هذا الوجه بوقوع لام التأكيد في الخبر بدون حرف التأكيد في المبتدأ، وبأنه يقتضي كلاماً جاء جوابه بالإيجاب، وتقدير كلام هنا تكلف. قوله خالي لأنت الخ وتامه: ينال العلاء ويكرم الأخوالا قوله المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر. قوله زيف، أي رده وأظهر ضعفه، وأصله من زيف النقود: أظهر زيفها وغشها. قوله أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي.

(٤٥) قوله فاجمعوا، من «جمع» المجرد (ف) بهمزة الوصل التي تسقط في درج الكلام، والباقون فأجمعوا من الإفعال، بهمزة القطع وكسر الميم. قوله يعضده أي يؤيده.

قوله ما يكاد به، أي المصدر ههنا بمعنى الاسم، قوله أهيب من هاب (ض) أي أشد هيبه وإخافة.

قوله وموضع أن الخ أن المصدرية مع ما بعدها تكون بمعنى المصدر، فالمعنى هنا: إما إلقاءك أولاً، أو كوننا أول الملقين، وهذا مفرد لا تتم به الجملة فلزم التقدير، فإن قدرت الفعل وهو «اختر» كانت «أن»



إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها، وخصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير والتقدير: ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيتهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيتهم مخيِّلة إليه السعي ﴿يُخَيِّلُ﴾ وبالتاء: ابن ذكوان ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى موسى ﴿مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَسْعَى﴾ ﴿١٥﴾ رفع بدل اشتمال من الضمير في (يُخَيِّلُ) أي يخيل الملقى.

رُوي أنهم لطحوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيئت ذلك. ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿١٦﴾ أضمر في نفسه خوفاً ظناً منه أنها تقصده للعبة البشرية أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿قُلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١٧﴾ الغالب القاهر. وفي ذكر «إن» و «أنت» وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة. ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفٌ﴾ بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف: حفص و «تَلْقَفٌ»: ابن ذكوان، الباقون

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله "بدل" اشتمال من الضمير في يخيل أي يخيل "الملقى" — يظهر منه أن المصنف جعل "أنها تسعي" بدل اشتمال من ضمير الفعل على القرائتين، مع أن قراءة يُخَيِّلُ (بصيغة المذكر) أسند فيها الفعل إلى "أنها تسعي" وهو نائب فاعله بلا تكلف، ولا حاجة إلى أن يقدر المسند إليه "الملقى" ثم يجعل "أنها تسعي" بدل اشتمال منه. ولذا جعل في الكشاف والبيضاوي "أنها تسعي" بدل اشتمال على قراءة ابن ذكوان فقط لا على القراءتين.

قوله لطحوها من فتح والتفعيل، لطحه بكذا لوثه به يقال لطح ثوبه بالمداد ونحوه، قوله الزئبق بكسر الزاء، و سكون الهمزة، و فتح الباء، الزاوق، (پاره) فارسي معرب، و منهم من يقوله زئبق بكسر الباء، فيلحقه بالزئبر والضئبل. (لسان العرب)

قوله يخالج الخ. أي يعرض لهم و يختلج في خواطرهم شك و شبهة في معجزة العصا. (خفاجي) وهذا أوفق بمنصب النبوة. والجواب بالإخبار المؤكد عدة تأكيدات عن غلبته و علوه يؤيد هذا البيان.

(٤٧) قوله مبالغة بينة - مبتدأ مؤخر لقوله في ذكر إن الخ. وفي البيضاوي: إنك أنت الأعلى، تعليل للنهي، و تقرير لغلبته مؤكداً بالاستيناف، و حرف التحقيق، و تكرير الضمير، و تعريف الخبر، و لفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة، و صيغة التفضيل - اه - فذكر ستة أمور مؤكدة، والاستيناف بياني كأنه قال: لم لا =

= قد يقتضي أن يؤخذ مضمون الجملة بأن يؤخذ مصدر الخبر و يضاف إلى المبتدأ، كما مر في الأمثلة، و أن مع اسمها و خبرها تكون بمعنى المصدر، نحو بلغني أنك قادم معناه بلغني قدومك.

بعد تهديد هذه القواعد نرجع إلى التفسير. قوله تعالى: فإذا حبالهم و عصيتهم ، إذا للمفاجأة بمعنى الوقت، منصوبة بفعل مقدر وهو فاجأ - أي فاجأ موسى وقت كذا. حبالهم و عصيتهم مبتدأ والخبر "يخييل إليه من سحرهم أنها تسعي" والرابط الضمير المنصوب في (أنها) الراجع إلى المبتدأ، و يخيل فعل مبني للمفعول من التخييل و نائب فاعله "أنها تسعي" أن مع اسمها و خبرها تكون بمعنى المصدر أي يخيل إليه سعيها. وعلى قراءة ابن ذكوان الراوي عن ابن عامر الشامي تخيل على صيغة المؤنث، والرابط ضميره العائد إلى المبتدأ وهو نائب فاعله، و أنها تسعي بمعنى سعيها بدل اشتمال من ضميره أي تخيل الحبال والعصي سعيها، أي يخيل سعيها كما في أعجبنني زيد علمه أي أعجبنني علمه.

وتقدير الجملة كلها هكذا: ألقوا حبالهم و عصيتهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعيها أي سعي الحبال والعصي كما ذكر المصنف. و إيقاع المفاجأة على الوقت توسع و مجاز لأن المفاجأ إنما هو الحبال والعصي مخيِّلة أنها تسعي. والمعنى أن موسى فاجأ حبالهم و عصيتهم مخيِّلةً إليه السعي.

«تَلَقَّفُ» ﴿مَا صَنَعُوا﴾ زوراً وافتعلوا أي اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم. ولم يقل عصاك تعظيماً لها أي لا تحتفل بما صنعوا فإن ما في يمينك أعظم منها، أو تحقيراً أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الذي في يمينك فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ﴾ كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر، و «كَيْدٌ» بالرفع على القراءتين و «ما» موصولة أو مصدرية. وإنما وحد «ساحر» ولم يجمع لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد، فلو جمع لخيّل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا يُقْلِحُ السُّحْرُ﴾ أي هذا الجنس ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ أي ما كان فالتقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فلعظم ما رأوا من الآية وقعوا إلى السجود فذلك قوله ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجُودًا﴾ قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين. روي أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤوسهم ثم ﴿قَالُوا أَمْتَابِرَبِّ هُرُونَ وَمُوسَى﴾ وإنما قدم «هارون» هنا وأخر في الشعراء محافظة للفاصلة ولأن الواو لا توجب ترتيباً ﴿قَالَ أَمْتُمُّ﴾<sup>(٤٨)</sup> بغير مد: حفص، وبهمزة ممدودة: بصري وشامي وحجازي، وبهمزتين: غيرهم ﴿لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ﴾ أي لموسى. يقال: آمن له وآمن به ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ لعظيمكم أو لمعلمكم، تقول

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

اسم إن «ما صنعوا» وخبرها كيد. قوله أينما كان. يعني حيث ظرف مكان أريد به التعميم لا التعيين. قوله لعظم ما رأوا. ظرف لغو مقدم لقوله «وقعوا» أي لعظمة الآية التي شاهدوها اندفعوا إلى السجود بسرعة كأن دفعاً دفعهم إليه، ومُلَقِيًا ألقاهم فيه كما قال الأخفش. قوله فما أعجب أمرهم وقوله فما أعظم الفرق، الفعل فيهما للتعجب. قوله روي الخ. أخرجه ابن أبي حاتم

عن سعيد بن جبير وعن الأوزاعي. (در منثور)  
(٤٨) قوله أمتم، بغير مد، أي بهمزة واحدة بعدها ألف: على الخبر حفص، وبهمزة ممدودة أي بهمزتين، الأولى محققة والثانية مسهلة، ثم ألف بصري أي أبو عمرو البصري وشامي أي ابن عامر الشامي وحجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة (بل هو أحد العشرة) وابن كثير المكي وبهمزتين محققتين غيرهم - اه - إكليل. قال في غيث النفع: قرأ قبل (راوي ابن كثير) و حفص (عن عاصم) بهمزة واحدة بعدها ألف على الخبر، =

= أخاف فأجيب بذكر علة النهي بالتأكيدات.  
قوله تعالى تلقف، فيه أربع قراءات ١- تَلَقَّفُ. حفص  
٢- تَلَقَّفُ. ابن ذكوان عن الشامي، ٣- يمينك تَلَقَّفُ  
وصلاً بتشديد التاء. البزي عن ابن كثير. ٤- تَلَقَّفُ  
الباقون (نافع، علي، حمزة، شعبة عن عاصم، هشام  
عن ابن عامر، قنبل عن ابن كثير) ذكرها في غيث  
النفع بالضبط، والبسط، والتفصيل.  
قوله زوراً، أي كذباً وباطلاً، افتعلوا أي اختلقوا وزوراً  
قوله تبتلع، يشير إلى أن التلقف بالفم، فإن التلقف  
التناول باليد أو بالفم، والمراد هنا الثاني. (خفاجي)  
قوله لا تحتفل، ما حفله وما حفل به حفلاً (ض) وما  
احتفل به: ما بالي به (لسان العرب) قوله العويد:  
تصغير العود وهو الخشب. قوله كوفي غير عاصم. أي  
قرأ حمزة والكسائي وخلف (سحر) بكسر السين و  
إسكان الحاء بلا ألف. والباقون (ساحر) بفتح السين  
وبالألف وكسر الحاء، فاعل من سحر (إكليل)  
قوله ما موصولة أو مصدرية والمعنى إن الذي صنعوا  
كيد سحر وساحر أو إن صنعهم كيد سحر وساحر،

أهل مكة للمعلم: أمرني كبيرى ﴿فَلَا قَطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ القطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال، و «من» لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو، ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعني لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف. شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فهذا قال ﴿وَلَا وَصَلَبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ وخص النخل لطول جذوعها ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا﴾ أنا على ترك إيمانكم بي أو رب موسى على ترك الإيمان به. وقيل: يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله: (آمنتكم له) واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله: (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) [التوبة: ٦١] ﴿وَأَبْقَى﴾ أدوم.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ﴾ القاطعة الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ عطف على (ما جاءنا) أي لن نختارك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا، أو قسم وجوابه (لن نُؤْتِرَكَ) مقدم على القسم ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال: ❖ وعليهما مسرودتان قضاهما ❖ أي صنعهما أو احكم ما أنت حاكم ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي في هذه الحياة الدنيا فانصب على الظرف أي إنما تحكم فينا مدة حياتنا. ﴿إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ «ما» موصولة منصوبة بالعطف على (خطيانا) ﴿مِنَ السِّحْرِ﴾ حال من «ما». روي أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا: ما هذا بسحر. الساحر إذا نام بطل سحره فكروهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ ثواباً لمن أطاعه ﴿وَأَبْقَى﴾ عقاباً لمن عصاه وهو رد لقول

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المظروف في ظرفه، لشدة تمكّنه فيه. (خفاجي) قوله مسرودتان، أي درعان مسرودتان، درع مسرودة ومسرودة بالتشديد، فقيل سردها نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، وقيل: السرد الثقب، والمسرودة المثقوبة، وبابه نصر (مختار الصحاح) وسمي سرّداً لأنه يُسردُ فيثقب طرفاً كل حلقة بالمسمار فذلك الحلق (لسان العرب) والبيت لأبي ذؤيب، تمامه: داوُد، أو صنع السوايق تبع. (لسان العرب)

= فتكون على وزن «باركتهم» والباقون بهمزتين على الاستفهام، وحقق الثانية الأخوان (حمزة وعلي) و شعبة (عن عاصم) والباقون بالتسهيل. - الخ - قوله النصب على الحال. والمناسب لقوله: القطع مبتدأ وناشئ الخ أن يكون صفة مصدر أي تقطيعاً كائناً من خلاف، كذا قيل، وفيما اختاره تقليل التقدير. قوله شبه تمكن المصلوب - يعني أنه استعارة تبعية (لجريانها في الحرف) بتشبيهه شدة حاله بدخول

فرعون (وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى). ﴿إِنَّهُ﴾ هو ضمير الشأن ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كافرًا<sup>(٤٩)</sup> ﴿فَإِنَّ لَهُ﴾ للمجرم ﴿جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح بالموت ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة ينتفع بها ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ مات على الإيمان ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعد الإيمان ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جمع العليا ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من (الدرجات) ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله. قيل: هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم. وقيل: خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي﴾<sup>(٥٠)</sup> لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلاً ويأخذ بهم طريق البحر ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾ اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهماً ﴿يَيْسًا﴾ أي يابساً وهو مصدر وصف به يقال: ييس ييساً وييساً ﴿لَا تَخَفْ﴾ حال من الضمير في (فاضرب) أي اضرب لهم طريقاً غير خائف. (لَا تَخَفْ) حمزة على الجواب ﴿دَرْكًا﴾ هو اسم من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ الغرق وعلى قراءة حمزة (ولا تخشى) استئناف أي وأنت لا تخشى أو يكون الألف للإطلاق كما في (وَتَطُّوْنَ بِاللَّهِ الطُّنُونَا) [الأحزاب: ١٠] فخرج بهم موسى من أول

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

كثير و أبو جعفر المدني أحد العشرة) بهمزة وصل ، و بكسر النون من أن وصلأ، للساكنين ، (والباقون بقطع الهمزة مفتوحة، و إسكان النون) غيث النفع. قوله في ماله سهماً أي نصيباً قوله ييس من سمع و من حسب شاذ، ييساً بفتحيتين و يُيساً بضم فسكون كذا في الكشاف وقال : و نحوهما العدم و العدم - اه - و في لسان العرب: يقال: لكل شيء كانت الندوة والرطوبة فيه خلقة فهو ييس فيه يُيس وما كان فيه عَرَضاً قلت: جفّ، و طريق ييس: لا ندوة فيه ولا بلل. اه.

قوله لا تخف بحذف الألف و إسكان الفاء حمزة على الجواب (جواب الأمر) و الباقون بإثبات الألف بعد الخاء، و رفع الفاء - اه - إكليل و غيث النفع.

قوله تعالى: دركاً، الدرّك و الدرّك اللّحاق و الوصول إلى الشيء (لسان العرب)

قوله للإطلاق (أي للإشباع) أي على التقدير الثاني هذه الألف ليست لام الكلمة، وإنما هي ألف إشباع ، أتى بها موافقة للفواصل و رؤس الآي، فهي كالألف في قوله: الرسولا، والسبيلا ، والطنونا- اه - جمل.

(٤٩) قوله كافرًا، فسره به لما ثبت بالآيات والحديث أن العقاب الدائم خاص بمن مات كافرًا، قوله مات على الإيمان، فسره به لأن حال الموت إيماناً و كفرًا هو المعتبر به لجزاء الآخرة، والإيمان بعد الموت بمشاهدة الآيات و ارتفاع الحجب لا يُجدي الكافر شيئاً. قوله بعد الإيمان لأن صالح العمل بدون الإيمان لا ثواب له في الآخرة، والموت على الإيمان مع عمل الصالحات شرط لنيل الدرجات، والإيمان مطلقاً شرط للنجاة ولو بعد عقاب قوله جمع العليا مؤنث الأعلى. قوله دائمين، لأن نفس الخلود عام للمكث الدائم وغير الدائم و خصوص معنى الدوام لمن دخل الجنة ثابت بالقطعيات ، وجدت نصوص كثيرة في خروج بعض المعاقبين من النار، ولم يأت نص في خروج أحد المنعمين من الجنة للعقاب، فإن ثوابها غير منقطع.

(٥٠) قوله تعالى: أسرّ بعبادي. أسرّ أمر للمخاطب من الإسراء وهو السير ليلاً، والتسيير ليلاً، لازم و متعد، و تعديته بنفسه و بالباء أسراه و أسرى به كما يقال أخذ الخطام و أخذ بالخطام والمجرّد سرى يسري سري... سار ليلاً. و منه قرأ أهل الحجاز (نافع وابن

الليل وكانوا سبعين ألفاً وقد استعاروا حليهم فركب فرعون في ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ هو حال أي خرج خلفهم ومعه جنوده ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ﴾ أصابهم من البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشاهم ما لا يعلم كنهه إلا الله عزوجل ﴿وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ عن سبيل الرشاد ﴿وَمَا هَذِي﴾ وما أرشدهم إلى الحق والسداد وهذا رد لقوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. ثم ذكر منته على بني إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي وقلنا يا بني إسرائيل ﴿قَدْ أَجْنَبْنَاكُمْ مِنَ عَدْوِكُمْ﴾ أي فرعون ﴿وَوَعَدْنَاكُمْ﴾ بإيتاء الكتاب ﴿جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعد موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلاً يحضرون معه لنزول التوراة. وإنما نسب إليهم المواعدة لأنها كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم. و(الأيمن) نصب لأنه صفة (جانب) وقرىء بالجر على الجواز ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ﴾ في التيه وقلنا لكم ﴿كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (أنجيتكم) و (واعدتكم) و (رزقتكم) كوفي غير عاصم<sup>(٥١)</sup> ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ ولا تتعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أو لا يظلم بعضكم بعضاً ﴿فَيَجَلَّ عَلَيْكُمُ غَضَبِي﴾ عقوبيتي ﴿وَمَنْ يَجْلُلْ عَلَيْهِ

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله حُلِيَّتِهِمْ. بضم الحاء، وكسر اللام، وتشديد الباء جمع حُلِيٍّ، مثل تُدِيٍّ وتُدِيٍّ، وهو فِعْلٌ، وقد تكسر الحاء لمكان الباء مثل عَصِيٍّ، والحُلِيٍّ: ما تُزَيَّنُ بِهِ مِنْ مَصْبُوغِ المَعْدِنِيَّاتِ أَوْ الحِجَارَةِ. (لسان العرب) وقص أثره (ن) تَبَّعَهُ. (مختار الصحاح)  
قوله تستقل بالمعاني الكثيرة، أي تحمل معاني كثيرة. في القاموس: استقله: حملة ورفع، كقله وأقله، الخ - قوله: كنهه، الكنه: نهاية الشيء، وحقيقته (لسان العرب) السِّدَادُ بفتح السين: الصواب (قاموس)  
وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة، وذلك أن موسى عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر، لا داع ولا مجيب، فغضب فرعون غضباً شديداً، وأرسل في المدائن حاشرين، أي من يجمعون له الجند من بُلدانه ورساتيقه يقول (إنّ هولاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون) ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه ساق في طلبهم، فأتبعوهم مُشْرِقِينَ، أي عند طلوع الشمس (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ) أي نظر كل من

الفريقين إلى الآخر (قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) ووقف موسى ببني إسرائيل. البحر أمامهم و فرعون وراء هم فعند ذلك أوحى الله تعالى إليه. (أن اضرب لهم طريقاً في البحر يبساً) فضرب البحر بعصاه، وقال: انفلق عليّ بإذن الله، فانفلق، فكان كل فرقة كالطود العظيم أي الجبل العظيم، فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابساً كوجه الأرض، فلماذا قال (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف دركاً) أي من فرعون (ولا تخشى) يعني من البحر أن يغرق قومك (ابن كثير) فجاوز بنو إسرائيل البحر، وأتبعهم فرعون بجنوده، فغشاهم من اليم ما غشاهم.

(٥١) قوله كوفي غير عاصم أي قرأ حمزة والكسائي وخلف، بقاء المتكلم من غير ألف في الثلاثة، والباقر بنون العظمة مفتوحة وألف بعدها فيهن، وقرأ وعداكم بغير ألف أبو عمرو البصري، وأبو جعفر، ويعقوب (هذان من العشرة) - إكليل.

عَضِيْبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٥١﴾ هلك أو سقط سقوطاً لا نهوض بعده، وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف الإيمان إلى حفرة من حفر النيران. قرأ عليّ (فِيحْلًا) (ويحلل) والباقون بكسرهما. فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أدائه، والمضموم في معنى النزول ﴿وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ عن الشرك ﴿وَأَمَنَ﴾ وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل ﴿وَمِمَّنْ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ﴿٥٢﴾ ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح. ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ (٥١) أي وأي شيء عجل بك ﴿عَنْ قَوْمِكَ يُمُوسَى﴾ أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى (وَمَا أَعْجَلَكَ) أي وأي شيء أوجب عجلتك استفهام إنكار و«ما» مبتدأ و«أعجلك» الخبر ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

العجلة فقط بل على تقدمه عن القوم وتخليفهم لأن الكلام إذا تقيّد بقيّد، فالقيدهو الذي يكون محلّ النفي أو محطّ الإنكار، في أمثال هذا، وليس الكلام هنا "ما أعجلك" فقط، بل "ما أعجلك عن قومك" فلا يقال: جوابه "هم أولاء على أثري" لا يطابق السؤال. قال أبو السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم":

أي وقلنا له أي شيء أعجلك منفرداً عن قومك؟ وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء، مسوق لإنكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل إغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأموراً باستصحابهم، وإحضارهم معه، لا لإنكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام....، ولذلك أوجب عليه الصلاة والسلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب حيث قال هم أولاء على أثري) يعني أنهم معي، وإنما سبقتهم بخطأ يسيرة، ظننت أنها لا تُخل بالمعية، ولا تقدح في الاستصحاب، فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة أصلاً. وبعد ما ذكر عليه الصلاة والسلام أن تقدمه ليس لأمر منكر ذكر أنه لأمر مرضي حيث قال (و عجلت إليك رب لترضى) عني بمسارعتي إلى الامتثال بأمرك، واعتنائي بالوفاء بعهدك. وزيادة "رَبِّ" لمزيد الضراعة والابتهاج رغبة في قبول العذر - اه -

قوله هلك أو سقط الخ. الأول بالنظر إلى المراد ، والثاني بالنظر إلى أصل معناه، في لسان العرب: هَوَى بالفتح يهوي هَوِيًّا وَهُوِيًّا وَهُوِيَانًا، وانهوى سقط من فوق إلى أسفل - اه - بين المصنف أن معنى السقوط هنا على طريق الاستعارة، ثبات المرء على الإيمان كاستقراره في مكان عال، و دخوله في الكفر كسقوطه في أسفل مكان. فإن المومن له الجنة، والكافر له النار، والجنة في علو، والنار في سفل. فالإيمان يلزمه العلو، والكفر يلزمه السفل. قوله من شرف الإيمان، الشرف محرّكة، العلو، والمكان العالي، والمجد (قاموس) والخفرة: ما يُحفر في الأرض، واحدة الخفر. (لسان العرب)

قوله قرأ علي الكسائي فيحل بضم الحاء، و يحلّل بضم اللام الأولى، والباقون بكسرهما (إكليل) (٥٢) قوله تعالى (وما أعجلك) عجل (س) عَجَلًا وَ عَجَلَةً (بفتحيتين فيهما) أسرع. و عَجَلٌ فَلَانًا وَالْأَمْرُ : سبقه. و أعجَل فلانًا: استحثه على السرعة، و بمعنى سبقه. وكذا عَجَل (لسان العرب)

"ما" الاستفهامية في الأصل للسؤال عن الشيء، وقد تكون للسؤال عن وجهه وسببه، والثاني هو المراد هنا، والسؤال يقع من الله تعالى لكنه ليس لاستدعاء المعرفة من علام الغيوب، بل إما لتعريف غيره، أو لتبكيته أو تنبيهه كما صرح به الراغب في مفرداته. والاستفهام هنا للإنكار، والإنكار هنا ليس على

أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم إلا مسافة يسيرة. ثم ذكر موجب العجلة فقال: ﴿وَعَجَّلْتَ إِلَيْكَ رَبِّ﴾ أي إلى الموعد الذي وعدت ﴿لِتَرْضَى﴾ لتزداد عني رضاً وهذا دليل على جواز الاجتهاد.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ ألقيناهم في فتنة ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة. وقيل: كان عرجاً من كرمان فاتخذ عرجاً واسمه موسى بن ظفر وكان منافقاً ﴿فَرَجَعَ مُوسَى﴾ من مناجاة ربه (٥٣) ﴿إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَانَ أَسْفَاءَ﴾ شديد الغضب أو حزيناً ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملاً ولا وعد أحسن من ذلك ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي مدة مفارقتي إياكم، والعهد الزمان، يقال: طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يُجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب به عليكم الغضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الآيات فأخلفوا مواعده باتخاذ العجل. ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ بفتح الميم: مدني وعاصم، وبضمها: حمزة وعلي، وبكسرهما: غيرهم، أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفنا موعدك ولكننا غلبنا من جهة السامري وكيده ﴿وَلَكِنَّا كُفِّرْنَا بِالْظُلْمِ﴾ بالتشديد: حجازي وشامي وحفص، وبفتح الحاء والميم مع التخفيف: غيرهم ﴿أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أثقالاً من حلي القبط، أو

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

والأسف: المبالغة في الحزن والغضب (لسان العرب) قوله كانت ألف سورة الخ ذكره في الكشاف بقوله: "حكي" لنا أنها كانت ألف سورة - الخ - قوله مدة مفارقتي إياكم. أشار به أن اللام فيه عوض عن المضاف إليه ، والأصل "عهدي" أي عهد مفارقتي إياكم، فهذا المضاف (مفارقة) مقدر. قوله أي أردتم - الخ - من الظاهر أنهم ما أرادوا نفس الغضب، لكنهم أرادوا فعلاً يوجب الغضب، فنسب إليهم إرادة حلول الغضب، لأن مباشرة ما يقتضيه بمنزلة إرادته. وهو من بديع الكلام قوله وعدوه الخ. أوضح به أن في "موعدي" إضافة المصدر إلى المفعول، أي أخلفتم ما وعدتموني قوله خلبنا ورأينا، الواو بمعنى مع قال الخفاجي: ملك الأمر عبارة عن تخليتهم وأنفسهم من غير أمر ورأي آخر، وفسره الطيبي بالقدرة.

قوله عَجَلًا. العالج بوزن العجل: الواحد من كفار العجم والجمع عُلُوج، وأعلاج، وعلجة بوزن عنبه اه. مختار الصحاح. قوله ظفر بفتحيتين علم. اه. إكليل وخفاجي. (٥٣) قوله من مناجاة ربه. بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة (بيضاوي) قوله شديد الغضب أو حزيناً، قال الراجب: الأسف الغضب والحزن معاً، وقد يقال لكل منهما على الانفراد لتقاربهما كما قال: و حُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنُ أَخِي الغضب (خفاجي) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ من طرق عن ابن عباس قوله أسفاً قال: حزيناً. وأخرج أبو الشيخ عن أبي الدرداء قال: الأسف منزلة وراء الغضب، أشد من ذلك، وأخرج عبد بن حميد عن محمد بن كعب قال: الأسف الغضب الشديد (در منشور- الأعراف) أسف (س) أسفاً فهو أسف، و أسفان، و أسف، و أسوف، و أسيف، والجمع أسفاء،

أرادوا بالأوزار<sup>(٥٤)</sup> أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعبلة أن لنا غداً عيداً، فقال السامري: إنما حبس موسى لشؤم حرمتها لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فأحرقوها فخبأ في حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلاً مجوفاً فخار بدخول الريح في مجار منه أشباه العروق. وقيل: نفخ فيه تراباً من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحبي فخار ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحلي في النار أو ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام. ﴿فَأَخْرَجَهُمْ﴾ السامري من الحفرة ﴿عَجْلاً﴾ خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء ﴿جَسَداً﴾ مجسداً ﴿لَهُ خَوَارٌ﴾ صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل ﴿فَقَالُوا﴾ أي السامري وأتباعه ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ فأجاب عامتهم إلا اثني عشر ألفاً ﴿فَنَسِيَ﴾ أي فنسى موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور، أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أي نسي السامري ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر، أو نسي السامري الاستدلال على أن العجل لا يكون إلهاً بدليل قوله ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ الْآيَاتِ﴾ أي أنه لا يرجع ف «أن» مخففة من الثقيلة ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يجيبهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه إلهاً وقيل: إنه ما خار إلا مرة ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لمن عبدوا العجل ﴿هَرُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَقُومُوا إِنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ابتليتكم بالعجل فلا تعبدوه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ﴾ لا العجل ﴿فَأَتَّبَعُونِي﴾ كونوا على ديني الذي هو الحق ﴿وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾ في ترك عبادة العجل ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عَابِدِينَ﴾ أي لن نزال مقيمين على العجل وعبادته ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فننظره هل يعبد كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا.

## مواضع الجليل لتجلية مدارك التنزيل

السهم (قاموس ولسان). قوله مجارٍ، جمع مجرى موضع الجريان، أشباه أمثال.  
قوله العجاجيل جمع عَجُول، وهو ولد البقرة (قاموس) (٥٥) نسي فاعله و مفعوله مبهمان لعدم الذكر الصريح، والمصنف ذكر هنا ثلاثة أقوال، الأول مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في حديث الفتون، و به قال مجاهد، والثاني رواه محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، والثالث ذكره الإمام الرازي في تفسيره، و أرى أنه أخذ و استنباط منه.

(٥٤) قوله أو أرادوا بالأوزار الوزر في الأصل بمعنى النقل، ثم استعمل بمعنى الاثم، و ما يتبع الفعل من الوبال، فالتفسير الأول بالنظر إلى المعنى الأول، والثاني بالنظر إلى الثاني.  
قوله فانصاغت، مطاوع صاغ. في القاموس: صاغ الشيء: هياه على مثال مستقيم فانصاغ. ه.  
قوله مجوفاً أي ذا تجويف، و فراغ في الباطن. في القاموس: المجوف كمخوف: العظيم الجوف، و كمعظم ما فيه تجويف. قوله خار (من نصر) صاح، خواراً، و هو صوت البقر، و الغنم، و الظبي، و



فلما رجع موسى ﴿قَالَ يَهُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ أَرَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ ﴿بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ﴾ ﴿الْأَتَّبِعِينَ﴾ بالياء في الوصل والوقف: مكى، وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل، وغيرهم بلا ياء. أي ما دعاك إلى ألا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي إلى تركه. وقيل: «لا» مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني؟ أو ما منعك أن تتبعني في الغضب لله، وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تبأشر الأمر كما كنت أبأشره أنا لو كنت شاهداً؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ أي الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم. ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضباً وإنكاراً عليه لأن الغيرة في الله ملكته ﴿قَالَ يَبْنُومُ﴾ وبخفض الميم: شامي وكوفي غير حفص، وكان لأبيه وأمه عند الجمهور ولكن ذكر الأم استعطافاً وترقيقاً ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ ثم ذكر عذره فقال ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ﴾ إن قاتلت بعضهم ببعض ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أو خفت أن تقول إن فارقتهم واتبعتك ولحق بي فريق وتبع السامري فريق: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ ولم تحفظ ﴿قَوْلِي﴾

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه. اه. قوله تعالى (يبنوم) قرأ ابن عامر، والأخوان حمزة و علي و أبو بكر هنا وفي الأعراف بكسر الميم و الباقون بفتحها. أما قراءة الفتح ففيها مذهبان : مذهب البصريين أنهما بُنِيا على الفتح لتركبهما كتركب خمسة عشر، فعلى هذا ليس "ابن" مضافاً لأم، بل هو مركب معها، فحركتها حركة بناء، والثاني مذهب الكوفيين وهو أن "ابن" مضاف لأم، و "أم" مضافة لياء المتكلم، و قد قلبت ألفا كما تقلب في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم نحو "يا غلاماً" ثم حُذفت الألف واجتزأ عنها بالفتحة كما اجتزأ عن الياء بالكسرة، و حينئذ فحركة "ابن" حركة إعراب، وهو مضاف لأم، فهي في محلّ خفض بالإضافة. وأما قراءة الكسر فعلى رأي البصريين هو كسر بناء، لأجل ياء المتكلم، بمعنى أنا أضفنا هذا الاسم المركب كله لياء المتكلم فكسر آخره، ثم اجتزأ عن الياء بالكسرة. وعلى رأي الكوفيين يكون الكسر كسر إعراب، وحُذفت الياء مُجْتزأً عنها بالكسرة كما اجتزأ عنها بالفتحة. اه. سمين (الفتوحات الإلهية. سورة الأعراف) قوله استعطافاً أي طلباً للعطف أي الرحم وترقيقاً أي جعله رقيق القلب من رِق له (ض) رحمه ورق قلبه: لطفه ولينته. ولم أجد الرِقُّ بالفاء من باب التفعيل.

قوله بالياء أي ألا تتبعني قرأه ابن كثير المكى و صلا و وقفاً و أبو عمرو و نافع و صلا فقط، و الباقون بلا ياء و صلا و وقفاً.

قوله أي ما دعاك الخ. إن تجعل المضارع بمعنى المصدر فقوله أن لا تتبعني بمعنى عدم الاتباع، أي ما منعك عن عدم اتباعي، وهذا خلاف المقصود، ولذا قالوا لا زائدة كما قالوا في قوله تعالى: (ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك) وقيل لا غير مزيدة بل ما منعك بمعنى "ما دعاك وما حملك" بحمل النقيض على النقيض لوجود التعلق بين المانع عن فعل الشيء وبين الداعي إلى ترك الفعل كما في المفتاح و شروحه. (خفاجي) واختار ابن جرير (في سورة الأعراف) أن منعك مضمّن معنى فعل آخر تقديره: ما أخرجك و ألزمتك واضطرك أن لا تسجد و نحو هذا.

ذكر المصنف في الأمر الذي عذله عليه موسى، و كذا في المراد من تفريق بني إسرائيل معنيين، المعنى الأول (لم لم تاتني ولم تخبرني؟ والتفريق بأن يتبع فريق هارون عليه السلام و فريق آخر السامري) أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، و المعنى الثاني أخرج عن ابن جريج. و أخرج عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معنى (لم ترقب قولي) قال: لم تحفظ قولي - اه - أي ما راعيته. قال ابن جرير هو من

اخلفني في قومي وأصلح. وفيه دليل على جواز الاجتهاد.<sup>(٥٦)</sup> ثم أقبل موسى على السامري منكرًا عليه حيث ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ ما أمرك الذي تخاطب عليه؟<sup>(٥٧)</sup> ﴿يَسَامِرِيُّ﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وبالتالي: حمزة وعلي، وقال الزجاج: بصر علم وأبصر نظر أي علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل. قال موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس الحياة فألقي في نفسي أن أقبض من أثره فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم ﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً﴾ القبضة المرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كـ «ضرب الأمير». وقرىء (فقبضت قبضة) فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي من أثر فرس الرسول وقرىء بها ﴿فَتَبَدَّهَا﴾ فطرحتها في جوف العجل ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ﴾ زينت ﴿لِي نَفْسِي﴾ أن أفعله ففعلته اتباعاً لهواي وهو اعتراف بالخطأ واعتذار.

﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَأَذْهَبْ﴾ من بيننا طريداً ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ ما عشت ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن أراد مخالطتك جاهلاً بحالك ﴿لَا مَسَاسَ﴾ أي لا يمسنني أحد ولا أمسه فممنع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرماً عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته، وإذا اتفق أن يماس أحداً حم الماس والممسوس. وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس ويقال: إن ذلك موجود في أولاده إلى الآن. وقيل: أراد موسى عليه السلام أن يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه ﴿وَأَنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ أي لن يخلفك الله مواعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذاك في الدنيا (لَنْ تُخْلَفَهُ) .....

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: يرحم الله موسى، ليس المعادين كالمخبر، أخيره ربّه تبارك وتعالى أن قومه فتنوا بعده، فلم يلق الألواح، فلما رأهم وعابنهم ألقى الألواح فتكسر منها ما تكسر (الدر المنثور - أعراف) (٥٧) قوله ما أمرك - الخ - فيه بيان معنى الخطب مع الإشارة إلى مأخذه.

قوله على فرس الحياة - حين جاء لهلاك فرعون. هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم (ابن كثير) قوله وقرئ - الخ - في الشواذ. رواه في الدر المنثور عن الحسن وأبي رجاء.

قوله وقرئ بها. حكاها في الكشاف عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

قوله حَم، بضم الحاء: أصابته الحمى يهيم: يذهب على وجهه متحيراً. البرية، بتشديد الراء والياء: الصحراء، نسبت إلى البر. (لسان العرب)

(٥٦) في سورة الأعراف (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بتسماً خلفتموني من بعدي، أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظلمين. قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الرحمين O

وفي قوله "كادوا يقتلونني" دليل على إفراط القوم في حب العجل ومخالفة هارون عليه السلام، وعلى عدم تفريطه عليه السلام في منعهم ودعوتهم إلى الحق، فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام دعا له ولنفسه بالمغفرة والرحمة.

وأخرج الإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن أبي حاتم، وابن حبان والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال

مكي وأبو عمرو. هذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكِ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ﴾ وأصله ظللت فحذف اللام الأولى تخفيفاً ﴿عَاكِفًا﴾ مقيماً ﴿لُحْرِقْتَهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنْسِفْنَهُ﴾ لنذرينه ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباً له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب. ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز أي وسع علمه كل شيء. ومحل الكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ نصب<sup>(٥٨)</sup> أي مثل ما اقتصدنا عليك قصة موسى وفرعون ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من أخبار الأمم الماضية تكثيراً لبياناتك وزيادة في معجزاتك ﴿وَقَدْ آتَيْنَكَ﴾ أي أعطيناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآناً فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه، وهو مشتمل على الأقاويص والأخبار الحقيقية بالتفكر والاعتبار ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به ﴿فَأَنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ عقوبة ثقيلة سماها وزراً<sup>(٥٩)</sup> تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره ويلقى عليه بهره، أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم ﴿خُلْدَيْنِ﴾ حال من الضمير في «يَحْمِلُ» وإنما جمع على المعنى ووجد في «فَأَنَّهُ» حملاً على لفظ من ﴿فِيهِ﴾ في الوزر أي في جزاء الوزر وهو العذاب ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ ساء في حكم بس وفيه ضمير مبهم يفسره «حِمْلًا» وهو تمييز واللام في «لَهُمْ» للبيان كما في (هَيْتَ لَكَ) [يوسف: ٢٣] والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

القيمة حملاً) لأنه ترشيح له. اه. قوله الذي يُنْقِضُ ظهره و يلقى عليه بُهْرَهُ أي الذي يُثْقَلُ ظهره و يُوقَع عليه تتابع نفسه لشدة الثقل. في لسان العرب: أنقض الحِمْْلَ ظهره: أنقله و جعله يُنْقِضُ من ثقله أي يُصَوِّت. والأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحِمْْلُ سُمِعَ له نقيض أي صوت خفي — والبُهْرُ بالضم تتابع النفس من الإعياء، و بالفتح المصدر، بَهْرَهُ الحِمْْلُ يَبْهَرُهُ بَهْرًا أي أوقع عليه البُهْرَ، فانبَهَرَ أي تتابع نفسه، و في الحديث: وقع عليه البُهْرُ، وهو بالضم، ما يعترى الإنسان عند السعي الشديد و العَدُو من النهيغ و تتابع النفس. اه. (والنهيغ هو تواتر النفس من شدة الحركة) قوله هَيْتَ لَكَ. "هيت" فيه عدة لغات، جاءت أربع منها في القراءات المتواترة (١) هَيْتَ بكسر الهاء وسكون الياء و فتح التاء. نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر، و أبو جعفر (٢) هَيْتَ بكسر الهاء، والهمزة الساكنة بعدها، و فتح التاء. هشام عن ابن عامر. =

قوله مكي و أبو عمرو، قراءتهما بالبناء للفاعل و قراءة الباقيين بالبناء للمفعول. قوله خلفاء بضم الخاء وسكون اللام، الاسم من الإخلاف، و هو نقيض الوفاء بالوعد، وجدته خلفاً أي غير مؤفٍ. قوله لنذرينه من دزرت الريح التراب تذرؤه، و تذرِيه ذرؤاً و ذرياً: طَبَّرْتَهُ و منه ذرِي الحَبِّ.

(٥٨) قوله نصب الخ. صفة مصدر محذوف أي نُقِصَ قِصَصًا مثل ما قِصَصْنَا عَلَيْكَ.

قوله الحقيقة، صفة مشبهة من حق أي الجديرة بأن يتدبرها الإنسان، و يتعظ بها.

(٥٩) قوله سماها وزراً، ذكر في تسمية العقوبة وزراً وجهين. على الأول هي استعارة مصرحة، المشبه العقوبة الثقيلة، والمشبه به الوزر أي الحمل الثقيل، فحذف المشبه و وضع المشبه به موضعه، و على الثاني مجاز مرسل لأن الوزر أي الإثم سبب العقاب. فسُمي المسبب باسم السبب، قال الخفاجي: ولا يخفى أن الأول هو المناسب لقوله (و ساء لهم يوم

حملاً وزرهم. ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ﴾ بدل من (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، (ننفخ) أبو عمرو<sup>(٦١)</sup> ﴿فِي الصُّورِ﴾ القرن أو هو جمع صورة أي ننفخ الأرواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة ﴿وَحَشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ حال أي عمياً كما قال: (وَنَحْشُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُبْيًا) [الإسراء: ٩٧] وهذا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق ﴿يَخَافَتُونَ﴾ يتسارون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي يقول بعضهم لبعض سراً لهول ذلك اليوم ﴿إِنْ لَيْتُمْ﴾ ما لبثتم في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ أي عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر، لأن أيام السرور قصار، ولأنها ذهبت عنهم والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء، أو لاستطالتهم الآخرة لأنها أبداً يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة، وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالاً منهم بقوله: ﴿مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَقُولُونَ أَدِيْقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعدلهم قولاً ﴿إِنْ لَيْتُمْ الْيَوْمَ﴾ وهو كقوله: (قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِّينَ) [المؤمنون: ١١٣]. ﴿وَسَلُّوكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة؟<sup>(٦١)</sup> وقيل: لم يستل وتقديره إن سألوك ﴿فَقُلْ﴾ ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَحْرِ قُلْ هُوَ أَدْيٌ) [البقرة: ٢٢٢] وقوله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ) [البقرة: ٢٢٠] (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَبْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) [البقرة: ٢١٩] (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي) [الأعراف: ١٨٧] (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله تعالى: يتخافتون، استيناف بيان ما يأتون و ما يذرون حينئذ، أو حال أخرى من المجرمين. قوله يتسارون، بالراء المشددة من السر قوله: يستقصرون، أي يعدونها قصيرة قليلة. قوله يتقال بتشديد اللام مبنياً للمفعول، أي يعد قليلاً، تفاعل بمعنى الاستفعال. قوله العادين أي الحسب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم. اه. مدارك، سورة المؤمنون - ١١٣ (٦١) أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة فنزلت (و يسئلونك عن الجبال) الآية (لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي) قوله آيات مرساها (أعراف - ١٨٧) آيات: متى، واشتقاقه من "أي" فعلان منه، لأن معناه أي وقت، "مرساها" أي إرساءها، مصدر مثل المدخل بمعنى الإدخال، أو (ظرف زمان) وقت إرسائها أي إثباتها =

= (٣) هيئت بفتح الهاء و سكنون الياء و ضم التاء بناءً على الضم، ابن كثير (٤) هيئت بفتح الهاء و سكنون الياء و فتح التاء، بناء على الفتح. الباقيون. قال المصنف في سورة يوسف: هو اسم لتعال و أقبل، واللام للبيان، كأنه قيل: لك أقول هذا، كما تقول: هلّم لك. اه. (٦٠) قوله ننفخ، بنون العظمة مفتوحة مبنياً للفاعل، مستنداً إلى الأمر به، والنافخ إسرأفيل والباقيون بالياء من تحت، مضمومة و فتح الفاء بالبناء للمفعول، و نائب الفاعل الجار والمجرور بعده قوله بفتح الواو أي صور، كغرفة و عُرف. قوله حدقه بفتحيتين، في المصباح: حَدَقَةُ العين سوادها، والجمع حَدَقٌ و حَدَقَاتٌ مثل قَصَبَةٍ و قَصَبٌ و قَصَبَاتٌ، وربما قيل: حَدَقٌ مثل رَقَبَةٍ و رِقَابٍ - اه- (إكليل). قوله تزرق من سمع، زرق يزرق زرقاً، والزُرْقَةُ خضرة في سواد العين، وقيل: هو أن يتغشى سوادها بياض. (لسان العرب)

رَبِّي) [الإسراء: ٨٥] (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا) [الكهف: ٨٣]: لأنها  
سؤالات تقدمت فوراً جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء.  
﴿يُسْفِهًا رَبِّي نَسْفًا﴾ أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يُدْرَى  
الطعام. وقال الخليل: يقلعها ﴿فَيَدْرُهَا﴾ فيذر مقارها<sup>(٦٢)</sup> أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها  
كقوله: (مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا) [فاطر: ٤٥] ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ مستوية ملساء ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾  
انخفاضاً ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعاً والعيوج بالكسر وإن كان في المعاني كما أن المفتوح في  
الأعيان والأرض عين، ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج  
بوجه ما وإن دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أضاف اليوم إلى وقت  
نسف الجبال أي يوم إذ نسفت وجاز أن يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾  
إلى المحشر أي صوت الداعي وهو إسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها  
العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي إلى عرض الرحمن فيقبلون من كل  
أوب إلى صوبه<sup>(٦٣)</sup> لا يعدلون عنه ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي لا يعوج له مدعو بل يستتون إليه من غير  
انحراف متبعين لصوته ﴿وَوَخَّشَعَتِ﴾ وسكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ هيبة وإجلالاً ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾  
صوتاً خفيفاً لتحريك الشفاه. وقيل: هو من همس الإبل وهو صوت أخفها إذا مشت أي  
لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر. ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ محل من  
رفع على البدل من «الشفاعة» بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= والمعنى متى يرسبها الله - اه - مدارك.  
قوله يجعلها كالرمل. قال الراغب: نَسَفَتِ الرِّيحُ الشَّيْءَ إِذَا قَلَعَتْهُ وَأَزَالَتْهُ وَأَنْسَفَتْهُ، وَأَصْلُ مَعْنَاهُ تَطْرَحَهُ طَرَحَ النَّسَافَةِ، وَهِيَ مَا يَثُورُ مِنْ غَبَارِ الْأَرْضِ. اه. فما ذكره المصنف رحمه الله في تفسيره هنا معناه الحقيقي، و جعله رملاً أو غباراً داخل في معناه. (خفاجي)  
قوله كما يذرى الطعام، ذرا، يذرو، ذرواً، و ذرى يذري ذرياً. و ذرى تذرية الحب: نقاه في الريح و خلصه من ثبته.  
(٦٢) قوله فيذر مقارها: فيترك مواضع قرار الجبال. فالضمير للجبال، و في الكلام مضاف مقدر، قوله مستوية ملساء. عن ابن عباس القاع: الأملس، والصفصف المستوي أخرج الطستى عنه و أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة أنه سئل عن قوله (قَاعًا صَفْصَفًا) لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً) قال: كان ابن عباس يقول: هي الأرض الملساء التي ليس فيها رابية مرتفعة ولا

انخفاض. (الدر المنثور)  
قوله: والعيوج وإن كان الخ. إشارة إلى الفرق بين العوج والعيوج المنقول عن أهل اللغة - كما في الجمهرة - بأنه بالكسر في عدم الاستقامة المعنوية، وهو ما لا يدرك بالعين بل بالبصيرة كعوج الدّين، و بفتح العين فيما يدرك بها كعوج الحائط والعود. ولما كانت الأرض محسوسة، واستقامتها و اعوجاجها يدرك بالبصر فكان ينبغي فتح عينه بحسب الظاهر وجّهه بأنه لما أريد به ما خفي منه حتى احتاج إثباته إلى المساحة الهندسية المدركة بالعقل الحق بما هو عقلي صرف فاطلق عليه ذلك لذلك. الخ. (خفاجي)  
(٦٣) قوله: من كل أوب إلى صوبه، الأوب الجانب، والصوب الناحية. (خفاجي)  
قوله: إلا خفق الأقدام. الخفق، بفتح فسكون: صوت النعل و ما أشبهها من الأصوات. (لسان العرب) قوله: ونقلها معطوف على الأقدام. قوله: محل من رفع على البدل... أو نصب الخ. ذكر الاحتمالين في الكشف، =

أذن له الرحمن أي أذن للشافع في الشفاعة ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي رضي قولاً لأجله بأن يكون المشفوع له مسلماً أو نصب على أنه مفعول (تَنَفَع) ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أي بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير إلى «ما» أو يرجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمحاط به ﴿وَعَنْتَ﴾ خضعت وذلت ومنه قيل للأسير: عان ﴿الْوَجُوهَ﴾ أي أصحابها ﴿لِلَّهِ﴾ الذي لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن ﴿الْقَبُورِ﴾ الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ يئس من رحمة الله ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ من حمل إلى موقف القيامة شركاً<sup>(٦٤)</sup> لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الصالحات الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مصدق بما جاء به محمد عليه السلام، وفيه دليل أنه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة وأن الإيمان شرط قبولها ﴿فَلَا يَخْفُفُ﴾ أي فهو لا يخاف (فلاً يخف) على النهي: مكي ﴿ظُلْمًا﴾ أن يزداد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان العرب ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يجتنبون الشرك ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ﴾ الوعيد أو

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المذكور. قوله: قيل للأسير عان، من عنا يعنو عُتُوًا و عني يعنى عَنَاءً: الحبس في شدة وذل. قال ابن سيده: كل خاضع لحق أو غيره عان. (لسان العرب) (٦٤) تفسير الظلم بالشرك هنا مروى عن قتادة و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخرجه ابن جرير و عبد الرزاق و عبد بن حميد. (جامع البيان والدر المنثور) و تفسير الظلم بالزيادة في السيئات و تفسير الهضم بالنقص من الحسنات في قوله تعالى (فلا يخاف ظلماً و لا هضمًا) مروى عن ابن عباس و قتادة و مجاهد. رواه ابن جرير و غيره. أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد عن قتادة قال (ظلماً) أن يزداد في سيئاته (ولا هضمًا) قال: لا ينقص من حسناته. (الدر المنثور) و أصل الظلم وضع الشيء في غير محله، والميل عن القصد، و منع الحق كذا يوخذ مما فصل في (لسان العرب) وقال الماوردي: الظلم منع جميع الحق و الهضم منع بعضه. اه. وهذا الثاني (منع بعض الحق) يرادف النقص، وهو أصل الهضم كما ذكر المصنف.

= و تبعه البيضاوي والمصنف و نقله الرازي مع ترجيح الثاني بوجه، منها أن الأول يحتاج إلى الإضمار، و تغيير الإعراب، بخلاف الثاني. وقال أبو السعود: غير الماذون يقال في حقه: إنه لا يملك الشفاعة دون أن يقال فيه: لا تنفع شفاعته لإيهامه صدور الشفاعة منه، و قال الإمام: من المعروف أن الشفاعة درجة عظيمة لا تحصل إلا لمن أذن له الرحمن، فذكره من قبيل إيضاح الواضح بخلاف الثاني.

قوله: رضي قولاً لأجله الخ. هذا ناظر إلى المعنى الثاني، وهو أن المراد بمن أذن له هو المشفوع له. أي رضي قول الشافع لأجله و في حقه، و بالنظر إلى المعنى الأول يرجع ضمير "له" إلى الشافع، و يكون المعنى و رضي له أي لمكانته عند الله تعالى قوله.

قوله: فيرجع الضمير إلى ما. والحاصل أن علمه محيط بما بين أيديهم و ما خلفهم ولم يحط به علمهم. و مرجع الضمير "ما" المعطوف عليه و "ما" المعطوف على سبيل البدلية أو الاجتماع مرادًا به

القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ عظة أو شرفاً بإيمانهم به<sup>(٦٥)</sup> وقيل «أو» بمعنى الواو. ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ﴾ ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام، و تنزهه عن مضاهاة الأنام ومشابهة الأجسام ﴿الْمَلِكُ﴾ الذي يحتاج إليه الملوك ﴿الْحَقُّ﴾ المحقق في الألوهية.

ولما ذكر القرآن وإنزاله قال استطراداً: وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأنّ عليك ريثماً يسمعك ويفهمك ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ بقراءته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ بالقرآن ومعانيه. وقيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ أي أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة. يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه،<sup>(٦٦)</sup> فعطف قصة آدم على ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣] والمعنى وأقسم قسماً لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ من قبل وجودهم فخالف إلى ما نهى عنه كما أنهم يخالفون يعني أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد أي النهي والأنبياء عليهم السلام يؤخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قصداً إلى الخلف لأمره أولم يكن آدم من أولي العزم. والوجود بمعنى العلم

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

ففي هذا غضاضة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم. و إنما الظاهر في الآية إما أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله، وإما أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ألا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله عهد إليه فنسي فعوتب، ليكون أشد في التحذير، وأبلغ في العهد إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (تفسير القرطبي) وذكر الإمام الرازي في المناسبة هذا الوجه، والوجه المذكور في الكتاب، ووجوهاً أخر. قوله لم يكن آدم من أولي العزم، أخرجه ابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير. وأخرج ابن جرير وابن منده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: حفظا، وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فوضعت في كفة، وحلم آدم في كفة لرجح حلمه بأحلامهم ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال: حفظا. وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطية=

(٦٥) ذكرهما الطبري في تفسيره. قوله قيل أو بمعنى الواو. مرّضه لأنه عدول عن أصل معناه بدون صارف. قوله مضاهاة، أي المشابهة قوله استطراداً، هو ذكر الكلام على سبيل التبعية - هـ - إكليل. قوله تأنّ أمر للمخاطب من التأنّي وهو من الأناة والأنّي، بمعنى الحلم والوقار و بمعنى التؤدة. أني (س) تأنّي واستأنّي: تثبت، وتأنّي في الأمر: ترفّق و تنظّر أي ألزم الوقار والانتظار على نفسك، ريثماً أي قدرماً، والفعل راث يرث ريثاً: أبطأ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السّدي رحمه الله تعالى قال: كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فأنزل الله (ولا تعجل بالقرآن) الآية. (لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي)

(٦٦) إذا أمره. قوله وأقسم قسماً، القسم المقدر يدل عليه "لقد". قوله عرقهم أي أصلهم. قال ابن عطية: وهذا التأويل ضعيف، وذلك كون آدم مثلاً للكفار الجاحدين بالله، ليس بشيء و آدم إنما عصى بتأويل،

ومفعولاه (له عزمًا) أو بمعنى نقيض العدم أي و عَدَمْنَا له عزمًا و «لَهُ» متعلق بـ «نَجِدُ» ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿لِلْمَلِيكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قيل: هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالقابلة لضرب تعظيم له فيه<sup>(٦٧)</sup> ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبليس كان ملكاً من جنس المستثنى منهم. وقال الحسن: الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السموم. وإنما صح استثناءه منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد الله معهم ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتٌ﴾ جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم لم يسجد، والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله: (فَسَجَدُوا) وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف. ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾ فلا يكون سبباً<sup>(٦٨)</sup> لإخراجكما ﴿فَتَشَقَّقِي﴾ فتتعب في طلب القوت ولم يقل «فتشقى» مراعاة لرؤوس الآي، أو دخلت تبعاً، أو لأن الرجل هو الكافل لنفقة المرأة. وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾ عن الملابس لأنها معدة أبداً فيها ﴿وَأَنَّكَ﴾ بالكسر: نافع وأبو بكر عطفاً على «إن» الأولى، وغيرهما بالفتح عطفاً على «أَلَّا تَجُوعَ» ومحل نصب بـ «إن» وجاز للفصل كما تقول «إن في علمي أنك جالس» ﴿لَا تَطْمَؤُنَّ فِيهَا﴾ لا تعطش لوجود الأشربة فيها ﴿وَلَا تَصْحَىٰ﴾ لا يصيبك حر الشمس إذ ليس فيها شمس فأهلها في ظل ممدود.

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ أي أنهى إليه الوسوسة كأسر إليه ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

السجود أي امتنع عنه فهذا قد علم من قوله (فسجدوا إلا إبليس) فإن الاستثناء يدل على أنه لم يسجد، فليس فيه زيادة فائدة جديدة، وعلى اعتبار الاستيناف وعدم التقدير تحصل فائدة، وهي بيان سبب تركه السجود أي كان تركه إباء أي أنفة واستكباراً. قوله (٦٨) أي إسناد الإخراج إليه مجاز لكونه سبباً. قوله فتتعب، وقد يكون الشقاء بمعنى التعب كما مر بيانه في قوله تعالى (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) قوله معدّة من الإعداد أي مهية. قوله بالكسر نافع وأبو بكر أي إنك بكسر الهمزة، وغيرهما بفتحها أنك، قوله جاز للفصل الخ أي لو قيل: «إن أنك جالس في علمي» لم يجز، ويجوز بفصل «في علمي» بين إن وأن. كذا لو قيل: إن لك أنك لا تطمؤن بفصل «لك» جاز.

= العوفي: قال حفظاً لما أمر به (الدر المنثور) أي لم يتحفظ ممّا نهيته حتى نسي و ذهب عن علم ذلك بترك الاستدلال، قال النحاس: يقال لفلان عزم أي صبر وثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها، ومنه (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الأحقاف - ٣٥ (قرطبي)

(٦٧) والصحيح المعتمد عند الجمهور ما قدمه في سورة البقرة أن المأمور به كان سجود تحية لآدم عليه السلام، وكان مشروعاً في شريعة من قبلنا. وتقدم الكلام في سورة الكهف في أمر إبليس أنه كان جنباً أو ملكاً. قوله والوجه أي الحسن من وجه (ض) فلاناً: صار أوجه منه، ووجه الرجل: صار ذا جاه وقدر، وهذا ممّا كثر استعماله عند الفقهاء وغيرهم الوجه كذا، والأوجه كذا. يريدون الوجه الحسن والأولى كذا. ولعل وجه ترك تقدير المفعول، أنه إذا قدرنا أبي



أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه ولا يموت ﴿وَمَلِكٍ لَا يَمُوتُ﴾ لا يفنى ﴿فَاكَلَا﴾ أي آدم وحواء ﴿مِنْهَا قَبِدَتْ لَهَا سَوَاتِنَهُمَا﴾ عوراتهما ﴿وَطَفِقَا﴾ طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كـ «كاد» في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً إلا أنه للشروع في أول الأمر وكاد للذنوب منه ﴿يُخْصِفُنَّ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي يلزقان الورق بسواتنهما للتستر وهو ورق التين ﴿وَعَصَى أَدْمُرَبَّةً فَعْوَى﴾ ضل عن الرأي. وعن ابن عيسى<sup>(٦٩)</sup> خاب، والحاصل أن العصيان ووقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، وقد يكون عمداً فيكون ذنباً وقد لا يكون عمداً فيكون زلة. ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشداً فكان غياً، لأن الغي خلاف الرشد. وفي التصريح بقوله: (وَعَصَى أَدْمُرَبَّةً فَعْوَى) والعدول عن قوله و«زل آدم» مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف نعت علي النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلاً عن الكبائر. ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ قربه إليه واصطفاه. وقرئ به وأصل الكلمة الجمع يقال جبي إلى كذا

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الزجر، وهو المنع والنهي والانتهاز، بابه نصر قوله كافة أي مانعة، من كفت فلاناً عن كذا (ن) منعه عنه. قوله نعت (ف) أظهرت و شَهْرَتْ، يقال هو ينعى على فلان ذنوبه: يُظْهِرُهَا وَيُشْهَرُهَا. زلته مفعول لنعيت. الغلظة: الشدة. تهاون به: استخف به، وحسبه هيئاً سهلاً أو حقيراً.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي عبد الله المغربي قال: تفكر إبراهيم عليه السلام في شأن آدم قال: يا رب، خلقتك بيدك، ونفخت فيه من روحي، وأسجدت له ملائكتك، ثم بذبت واحد ملأت أفواه الناس حتى يقولوا (و عصى آدم ربه فغوى) فأوحى الله إليه: يا إبراهيم، أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديدة. (الدر المنثور)

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: لا يجوز لأحد منا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم، إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه، أو قول نبيه، فأما أن يتدعى بذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا في آباءنا الأذنين إلبنا، المماتلين لنا، فكيف في آيينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدم، الذي عذره الله سبحانه وتعالى و تاب عليه وغفر له. (قرطبي)

و بسط الكلام في عصمة الأنبياء عليهم السلام في الشفاء، و شروحه، و مختصر جميل منه في مفاتيح الغيب للإمام الرازي في سورة البقرة في قوله تعالى (و أزلهما الشيطان عنها) الآية.

قوله يُلْزِقَانُ أي يُلْصِقَانُ من الإفعال، والمجرد من سمع. (٦٩) قوله ابن عيسى أي القاسم بن عيسى، كان عالماً بال نحو واللغة، حُمل عنه، ومات في ذي الحجة سنة سبعين ومأتين. اهـ. إكليل.

قوله والحاصل. الخ. قد ثبت بالدلائل من العقل والنقل أن الأنبياء معصومون عن الذنب، وقد جاء في القرآن نسبة العصيان والغي إلى سيدنا آدم عليه السلام فلا بدله من توجيهه. وهو أن اجتراح المنهي عنه عمداً ينافي العصمة، وقد ثبت أنه عليه السلام (نَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) فثبت أنه لم يذهب إلى ما نهى عنه عمداً، بل وقع فيه نسياناً فلم يصدر منه ما ينافي العصمة. أما إسناد العصيان إليه في القرآن فالعصيان يعم العمد والنسيان، وقد وقع منه خلاف النهي نسياناً، فأسند إليه العصيان كذا الغي أي العدول عن الصواب قد يكون عمداً كمن يختار طريقاً بعيداً أو مهلكاً متعمداً، وأكثره يكون جهلاً أو سهواً كما يقع الإنسان في طريق بعيد أو مهلك لعدم معرفته أو لنسيانه ويقول ضللت أو غويت و ذكر المصنف أن ما صدر من الفاعل عمداً يكون ذنباً، و ما صدر منه سهواً يكون زلة لكن القرآن لم يقل "زل" بل قال "عصى" فأي فائدة فيه؟ أجاب عنه أن ذلك لتنبية بني آدم وحضهم على النظر والاعتبار.

قوله "في التصريح" خبر مقدم وقوله مزجرة بليغة مبتدأ مؤخر. مزجرة على زنة مفعلة: ما يدعو إلى

فاجتبيته ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾ وهداه إلى الاعتذار والاستغفار. ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني آدم وحواء ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يا ذرية آدم ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كتاب وشريعة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ في العقبى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة<sup>(٧١)</sup> يعني أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله وامتلأ وأمره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ عن القرآن ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾<sup>(٧٢)</sup> ضيقاً وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث.

عن ابن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة، ومع الإعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة: لا يعرض أحدكم عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ﴿وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ عن الحجة. عن ابن عباس: أعمى البصر وهو كقوله: ﴿وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٩٧] وهو الوجه ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك فعلت أنت. ثم فسر فقال: ﴿أَتَتْنَا آيَاتُنَا فَأَنسَيْنَاهَا﴾ وكذلك اليوم ننسى ﴿أَيُّ أُمَّتِكَ﴾ أي مثل ذلك فلما تنظر إليها بعين المعبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المعبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أبو هريرة، أبو صالح، السدي واختار ابن جرير القول الثالث لرجحانه بحديث مرفوع. وفي سنده مقال. لكن له شاهد جيد عند البزار. قال حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فإن له معيشة ضنكاً) قال: عذاب القبر. وأخرجه الحاكم عن أبي سعيد مرفوعاً وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قوله ابن جبير أي سعيد بن جبير الأسدي التابعي، ثقة ثبت فقيه، قتل صبراً بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين. اهـ. إكليل. قوله الشح هو البخل مع حرص، (س ن ض) اهـ. مختار الصحاح. قوله وهو الوجه لموافقته ما بعده (وقد كنت بصيراً) فإنه لم يكن في الدنيا بصيراً بالحجة، بل كان بصير العين فقط. قوله تركتها. يعني المراد بالنسيان هو الترك.

(٧٠) وقال البيضاوي: إلى الثبات على التوبة، والتشبث بأسباب العصمة.

(٧١) أخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم - وصححه - والبيهقي في شعب الإيمان من طرق، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أجاز الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة، ثم قرأ (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. (الدر المنثور) وفي رواية عند ابن جرير: إن الله قد ضمن لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه. الخ.

(٧٢) ذكر ابن جرير في تعيين موضع المعيشة الضنك أقوالاً عن المفسرين، وهي كما يلي: (١) ذلك في جهنم. الحسن، عبد الرحمن ابن زيد، قتادة. (٢) في الدنيا، بالرزق الحرام والكسب الخبيث. عكرمة، قيس بن أبي حازم، الضحاك. (٣) في البرزخ. وهو عذاب القبر، أبو سعيد الخدري،

عمالك ولا نزيل غطاءه عن عينيك. ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ ﴿٧٣﴾ لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبي ختم آيات الوعيد بقوله: (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) أي للحشر على العمى الذي لا يزول أبداً أشد من ضيق العيش المنقضي.

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون<sup>(٧٣)</sup> ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ ﴾ حال من الضمير المجرور في «لهم» ﴿ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴾ يريد أن قريشاً يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ لذوي العقول إذا تفكروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لَكَانَ لِرَأْمَا ﴾ لازماً فاللزام مصدر لزم فوصف به ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ القيامة وهو معطوف على «كلمة»، والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة. ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ فيك ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ وصل<sup>(٧٤)</sup> ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ في موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسييح .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الله تعالى عن النقائص، و بثنائيه على الكمالات، و أكثر المفسرين على أن المراد بهما أداء الصلوات، ثم بعضهم أرادوا بالتسييح قبل الطلوع و قبل الغروب صلاتي الفجر والعصر، و أرادوا بالتسييح في آناء الليل و أطراف النهار التطوع و النوافل في ساعات الليل والنهار، و أكثرهم على أن المراد المكتوبات، لأن الأمر أصله للوجوب و في إرادة التطوع صرفت للأمر عن الظاهر. و يؤيد إرادة المكتوبات تقييد التسييح بهذه الأوقات ، أما التنزيه و الثناء عقداً و فعلاً، قلباً و لساناً فلا يختص بوقت دون وقت، و يؤيدها أيضاً خبر مرفوع في الصحيحين وغيرهما كما سنذكره.

وتسمية الصلاة بالتسييح والحمد لاشتمالها عليهما، وللتنبية على أن الصلاة ليست مجرد تحريك الجوارح واللسان، بل مقصودها تسييح الله عن كل نقص و عيب، وحمده على كل كمال و إنعام ليتوجه العبد بقلبه و قلبه إلى ما هو المقصود منها، و يشغل سره بالإقبال على الله.

والذين فسروا بالصلوات الخمس قالوا: التسييح قبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر، و قبل الغروب الظهر والعصر، لأنهما في النصف الأخير قبل الغروب، و في آناء الليل المغرب والعشاء و تمت الصلوات =

قوله لما توعد (أي أندر و خوف) شرط، والجزاء ختم آيات الوعيد. قوله للحشر على العمى الذي لا يزول، الأولى أن يكون عذاب الآخرة أعم من هذا الوجه الخاص، فإن له شداًئد و آلاماً سوى العمى، و يظهر من نصوص كثيرة أن المعذبين يرون النار و من فيها، و ما فيها من آلات موزية. والقرآن خص الحشر على العمى بيوم القيامة. فيمكن أن ترد إليهم أبصارهم بعد ذلك ليشتمد ألمهم بروية الفاجعات.

(٧٣) قوله زيد بن أحمد بن إسحاق عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري بالنون "أفلم نهّد" يعقوب من العشرة، و رواه روح بن عبد المؤمن البصري، و رؤيس. محمد بن المتوكل البصري، و رواية زيد ليست من العشرة — والهمزة في "أفلم" للإنكار التوبيخي، و الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، و معنى "لم يهد" لم يبين كما أخرجه ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

والمعنى: أعفوا فلم يهد لهم الله كثرة القرون المهلكة. جملة "كم أهلكنا" تكون مفعول "لم يهد" معنى، و في اللفظ "لم يهد" معلق عن المفعول، جار مجرى علم، كما في البيضاوي و عناية القاضي. و أبي السعود.

(٧٤) جاء في الكتب تفسير التسييح والحمد هنا بتنزيه

وأعانك عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ﴿وَمِنْ أُنَائِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ أي وتعهّد أثناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصاً لها بصلاتك. وقد تناول التسييح في آناء الليل صلاة العتمة،<sup>(٧٥)</sup> وفي أطراف النهار صلاة المغرب، وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله: (وَالصَّلَاةُ الْوَسْطَى) [البقرة: ٢٣٨] عند البعض. وإنما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لأمن الإلباس وهو عطف على قبل ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ لعل

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بعض ، و تزدحمون وقت النظر إليه، قال: و يجوز ضم التاء و فتحها على تفاعلون و تفاعلون ، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيمٌ في رويته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم: الظلم. (لسان العرب) قوله تعالى: آناء واحدها إِنِّي بكسر الهمزة وسكون النون، و إِنِّي كِمَعَى و أَنِّي كَجَنَى بفتح الأول، وقال الأخفش واحدها إِنُو كَفَنُو يقال: مضى إنيان من الليل و إنيان. (لسان العرب)

(٧٥) قوله صلاة العتمة، بفتحات، صلاة العشاء.

قوله عند البعض، يتعلق بصلاة الفجر فإنها الصلاة الوسطى عند الإمام الشافعي، في قوله تعالى (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) محتجاً بقوله تعالى "و قوموا لله قانتين" والقنوت عنده في صلاة الصبح، و قد روي عن بعض الصحابة والتابعين، لكن ثبت بالأحاديث الصحاح المرفوعة أنها صلاة العصر، وهي نصوص لا تحتل غير ذلك، و قد أكدها أحاديث أخر جاءت في المحافظة على العصر والوعيد بحبط العمل، والتشبيه بمن هلك أهله و ماله لمن ترك العصر، فاختارها الأئمة أبو حنيفة و صاحباه، و أحمد بن حنبل، وابن حبيب المالكي. و جعله القاضي الماوردي الشافعي مذهب الإمام الشافعي لقوله رضي الله تعالى عنه "إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي" كما ذكره ابن كثير و بسط الأقوال والأحاديث في تفسيره.

قوله تعالى: لعلك ترضى، قال الشيخ أحمد الصاوي المالكي في حاشيته على تفسير الجلالين: وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المُشعر بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم حبيب رب العالمين، و أفضل الخلق أجمعين، حيث قال له ربه "لعلك ترضى" ولم يقل: =

= الخمس هنا، فقالوا المراد بالتسييح في أطراف النهار الفجر والمغرب، وقال النيسابوري: الفجر والعصر لا المغرب. اه. و ذكرهما (الفجر والمغرب، أو الفجر والعصر) على التكرار عناية بشانهما، و بعضهم فسّر قبل الغروب بالعصر خاصّة، و فسّر أطراف النهار بالظهر خاصّة لوقوعها في آخر النصف الأول، و أول النصف الآخر، و استبعد لعدم صدق الأطراف على وقتها الخاص، و إن التقى عند ذلك الطرفان لكنها تقع بعد انقضاء الطرف الأول، و بداية الطرف الثاني فهي في طرف واحد، لا في الأطراف والمصنّف خصّ العتمة أي العشاء بالتسييح في آناء الليل، و أدخل المغرب في التسييح أطراف النهار، و جعل التكرار لصلاة الفجر فقط تبعاً للكشاف.

وأخرج الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، و أبو داؤد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، و ابن حبان، و ابن مردويه عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر" لا تضامون" في رويته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا" ثم قرأ (و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) (ابن كثير، در منثور)

قوله عليه السلام "لا تضامون" قرئ على ثلاث صيغ (١) لا تَضَامُونَ، بتشديد الميم مبنياً للفاعل، (٢) لا تَضَامُونَ، بتشديد الميم، مبنياً للمفعول (٣) لا تَضَامُونَ، بتخفيف الميم مبنياً للمفعول، من الضيم. قال ابن الأثير يُروى هذا الحديث بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى

للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك. و(تُرضى) علي وأبو بكر أي يرضيك ربك. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي نظر عينيك<sup>(٧٦)</sup> ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثم يغض الطرف. ولقد شدد المتقون في وجوب غص البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن: لا تنظروا إلى دققة هماليح الفسقة، ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب. وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير والفعل واقع على (منهم) كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناساً منهم ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها وانتصب على الدم أو على إبداله من محل به أو على إبداله من (أزواج) على تقدير ذوي زهرة ﴿لِنَقْتَنَّهُمْ فِيهَا﴾ لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقًا رِيبًا﴾ ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي ﴿خَيْرًا وَأَبْقَى﴾ مما رزقوا ﴿وَأَمْرًا هَلْكَ﴾ أمتك أو أهل بيتك ﴿بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ أنت داوم عليها ﴿لَأَنْسَلِكَ رِزْقًا﴾ أي لانسالك أن ترزق نفسك ولاهلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم فلا تهتم

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الدواب في سرعة ترددها مثل الطقطة، والهاليح واحدها هملاج وهو من البراذين، والبرذون: ما كان من غير نتاج العراب (لسان العرب) قوله النظارة مشدداً: القوم ينظرون إلى شيء - اه - مختار الصحاح، والزنة، للمبالغة قوله مُغْرٍ من الإغراء أغرى الإنسان وغيره بالشيء: حرّضه عليه. قال المتنبّي: ازورهم وسواد الليل يشفع لي: و أنتني و بياض الصبح يُغري بي. وأغري به مبنياً للمفعول: أولع به. و في التنزيل: (لنغرينك بهم) أحزاب. ٦٠ قوله أصنافاً من الكفرة، فسر أزواجاً على وجهين: أزواجاً مفعول متعنا، "منهم" صفتها، و من للبيان. أزواجاً حال من الضمير في "به" و من في "منهم" للتبعيض فمعناه بعضهم، وهو مفعول متعنا. أي لا تطيلن النظر إلى الذي متعنا به حال كونه أزواجاً و أصنافاً بعضهم. و "ناساً منهم" عطف تفسير. قوله وهو أصناف تصوير للحالية. قوله والفعل واقع على "منهم" أي منهم بتقدير بعضهم مفعول متعنا. قوله أو على إبداله من محل "به" - منصوب محلاً لكونه معمول الفعل. قوله أو على إبداله من أزواجاً - هذا بتقدير أن يكون المراد بالأزواج أصناف الكفرة.

= "لعلّي أرضى عنك" ونحو ذلك، و من هنا قوله عليه الصلاة والسلام: و جعلت قرّة عيني في الصلاة، وقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. فصلاته صلى الله تعالى عليه وسلم مامور بها ليرضى هو، لا ليكفر الله عنه سيئاته، ولا ليرضى عليه، و حينئذ فلا كلفة عليه فيها، لأن فيها شهوده لربه الذي هو قرّة عينه، و للعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام - اه - قال تعالى: و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين - الآية - عدم ثقلها على العارفين لأنهم في مشاهدة ربهم و مناجاته، و أنى الثقل مع هذه اللذة الحبيبة المطلوبة. (٧٦) أي نظر عينيك. إشارة إلى تقدير مضاف، أو تجوز في النسبة، فإن العين لا تمد، بل نظرها يطول أو يقصر. قوله وفيه الخ. فإن النهي عن تطويل النظر يشير إلى أن النظر مبادهة و فجأة ليس بمنهي، فإن العبد لم يقصده، ولم يكن هذا استحساناً و إعجاباً بالمنظور إليه. قوله عُدد، جمع عُدة بالضم: ما أعددتّه لحوادث الدهر من المال والسلاح، والاستعداد أيضاً (مختار الصحاح) والمراد هنا الأول قوله دَقْدَقَةُ هماليح. الدققة حكاية أصوات حوافر

لأمر الرزق وفرغ بالك لأمر الآخرة لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله. وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ: (ولا تمدن عينيك). الآية، ثم ينادي الصلاة، الصلاة رحمكم الله. وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله. وعن مالك بن دينار مثله. وفي بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين.<sup>(٧٧)</sup>

﴿وَقَالُوا﴾ أي الكافرون ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ (أو لم تأتهم) مدني وحفص وبصري<sup>(٧٨)</sup> ﴿بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي الكتب المتقدمة يعني أنهم اقترحوا على عاداتهم في التعنت آية على النبوة فقبل لهم: أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل الرسول أو القرآن ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ﴾ بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء ﴿إِنِّيكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ﴾ بنزول العذاب ﴿وَنُحْزَى﴾ في العقبى ﴿قُلْ كُلُّ﴾ أي كل واحد منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ منتظر للعاقبة وبما يؤول إليه أمرنا وأمركم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أنتم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاءت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَابُ﴾ مبتدأ وخبر ومحلهما نصب<sup>(٧٩)</sup> ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾ إلى النعيم المقيم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يقرأ أهل الجنة<sup>(٨٠)</sup> إلا سورة طه ويس» والله أعلم بالصواب.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: كل قرآن يوضع على أهل الجنة فلا يقرأون منه شيئاً إلا طه ويس، فإنهم يقرأون بهما في الجنة (در مشور) ولفظ المصنف، أخرجه الثعلبي من رواية زياد عن الحسن مرسلاً، (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للعلامة ابن حجر العسقلاني) (تم سحر التاسع والعشرين من رمضان المبارك عام ١٤٢٥ هـ المصادف ١٣ / نوفمبر ٢٠٠٤ م ليلة الأربعاء، الساعة الثالثة ونصف سحرًا)



قوله خصاصة أي شدة الحاجة والفقر. قوله في بعض المسانيد. رواه البيهقي والطبري. (خفاجي) أثر عروة أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره. (٧٧) قوله بحذف المضافين. فإن نفس العاقبة يواجهها كل إنسان، ويصح بدون المضاف الثاني لكن قدره لموافقة قوله في آية أخرى: العاقبة للمتقين - أعراف ١٢٨ - هود ٤٩.

(٧٨) والباقون: أولم يأتهم، بالياء.

(٧٩) قوله محلها نصب، لكونها مفعولاً "ستعلمون" معني، وإن حُلِّقَ عن العمل لفظًا.

(٨٠) قوله: لا يقرأ أهل الجنة. أخرجه ابن مردويه عن أبي

سورة الأنبياء مكية<sup>(١)</sup> وهي مائة واثنان عشرة آية كوفي وإحدى عشرة آية مدني وبصري<sup>(٢)</sup>

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ اقْتَرَبَ ﴾ دنا ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ اللام صلة لاقترب<sup>(٣)</sup>. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالناس المشركون لأن ما يتلوه من صفات المشركين ﴿ حِسَابُهُمْ ﴾ وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة، وإنما وصفه بالاقتراب لقله ما بقي بالإضافة إلى ما مضى ولأن كل آت قريب ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ عن حسابهم وعمما يفعل بهم ثم ﴿ مُعْرَضُونَ ﴾ عن التأهب لذلك اليوم فالاقتراب عام والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين، فرب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

### سورة الأنبياء

(١) قوله مكية استثني منها في الإتقان (أ فلا يرون أنا نأتي الأرض نقصها من أطرافها). الآية.

(٢) منشأ هذا الاختلاف اختلاف الكوفيين وغيرهم في قوله (قال أفتعبدون من دون الله - إلى قوله - تعقلون) فالكوفيون يعدونه آيتين، الأولى إلى قوله "ولا يضركم" والثانية أولها "أف لكم - إلى - تعقلون - اهـ. جمل.

(٣) قوله صلة لاقترب أي متعلق به، ظرف لغوله قوله وقت محاسبة الله إياهم ومجازاته - الخ - قدر الوقت لأن القرب والبعد لا يعقل إلا في الزمان والمكان، والقرب المكاني ههنا ممتنع، فتعين القرب الزماني (مفاتيح الغيب) هذا باعتبار الأصل، وإسناد القرب والبعد إلى غيرهما يكون تبعاً باعتبار وقوعه فيهما، وأشار بقوله "محاسبة الله إياهم" إلى أن الحساب مصدر مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، و عطف عليه "المجازاة" لأنها المرادة من الحساب، وبها التخويف والإنذار.

قوله و إنما وصفه بالاقتراب. لما كان دون وقوعها زمان طويل جداً أشاروا إلى تأويله بأنه قرب نسبي بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، فإن الباقي منها قليل، وإذا كان لأمر أجل مقدر ومضى أكثره قيل: اقترب الأجل، ولا يقال هذا إذا انقضى الأجل وبقي الأكثر. وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم "بعثت أنا والساعة كهاتين" مشيراً إلى إصبعين من يده الكريمة. وحاصل التأويل الثاني أن ما هو متحقق الوقوع ولو بعد حين، بمنزلة المترقب القريب، فإنه يُدرك لا محالة، والبعيد ما انقرض ومضى، لفوت

إدراكه وحصوله، ولذا قال الشاعر:

فلا زال ما تهواه أقرب من غد

ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

قوله تعالى وهم في غفلة، التنوين للتعظيم، أي في غفلة تامة. "في غفلة" و "معروضون" خبران للضمير، و حيث كانت الغفلة أمراً جبلياً لهم، جعل الخبر الأول ظرفاً مثنياً عن الاستقرار، بخلاف الإعراض، والجملة حال من الناس، وقد جُوز كون الظرف حالاً من المستكنّ في "معروضون" أي "وهم ثابتين في غفلة عظيمة معروضون" مع تكرير التنبيه والإيقاظ، و صار الإعراض كالصفة الثابتة لهم، فأخبر عنه بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت.

قوله التأهب، هو الاستعداد، والأهبة: الغدة.

قوله فالاقتراب عام. هذا التفسير بناء على أن المراد من "الناس" كلهم، وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بناء على أن إسناد الفعل إلى الجنس قد يكون باعتبار بعض أفراده. و دليل تخصيص الناس بالكفار ما ذكره بقوله "لأن ما يتلوه من صفات المشركين". و على إرادة الناس كلهم يحتاج ما بعده أيضاً إلى التأويل بنحو أن يقال: أريد بلفظ الناس الجميع و بضمائره في "ما يأتيهم" وفي ما بعده بعض أفراد الناس بطريق الاستخدام، أو يقال: تم الكلام إلى قوله معروضون، ثم ابتداء من قوله "ما يأتيهم" بيان حال الكفار، و وُضع الضمير بدون سبق ذكرهم للاستغناء عنه بما يلي من صفاتهم التي لا يذهب الذهن معها إلى غيرهم.

غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه، ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفتيق إلا برؤية المولى، والأول إنما يفتيق في عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل أن تنبه، وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بقاء رب العالمين ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ شيء من القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾<sup>(٤)</sup> في التنزيل إتيانه، مبتدأة تلاوته، قريب عهده باستماعهم، والمراد به الحروف المنظومة. ولا خلاف في حدوثها ﴿إِلَّا أَسْمَعُوهُ﴾ من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوها ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون به. ﴿لَاهِيَةً﴾ حال من ضمير يلعبون أو (وهم يلعبون) و«لاهيية» حالان من الضمير في استمعوه.<sup>(٥)</sup> ومن قرأ «لاهيية» بالرفع يكون خبراً بعد خبر لقوله: «وهم» وارتفعت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بـ«لاهيية» وهي من لها عنه إذا ذهل وغفل، والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها، ومنها. قال أبو بكر الوراق: القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها ﴿وَأَسْرُوا﴾ وبالغوا في إخفاء ﴿النَّجْوَى﴾ وهي اسم من التناجي. ثم أبدل .....

#### مواهب المجلد لتجلية مدارك التنزيل

ينتج شيئاً (لفوات شرط للإنتاج وهو كلية الكبرى) فظهر أن الذي ظنوه قاطعاً لا يفيد ظناً ضعيفاً فضلاً عن القطع. (مفاتيح الغيب) حاصل هذا الجواب أن الذكر إطلاقه لا يختص بالقرآن والوحي المتلو، بل يطلق على كل كلام فيه عظة و نصح بل و على ما فيه تسبيح و تحميد، فتخصيصه بالقرآن، والقول بحدوثه ليس بصائب. والدليل عليه ليس بقائم.

(٥) حاصله أنهما حالان متداخلتان أو مترادفتان. فالأول بأن يكون «وهم يلعبون» حالاً من ضمير الفاعل في استمعوه، ويكون «لاهيية» حالاً من ضمير «يلعبون» والثاني بأن يكونا حالين من ضمير استمعوا. قوله من قرأ لاهية بالرفع، هو ابن أبي عتبة، والقراءة شاذة. قوله من لها عنه لهوا ولهي لهيها ولهيها كدعا ورضي قوله عما يراد بها من المجازاة و عما يراد منها من الإيمان والطاعة قوله أبو بكر محمد بن عمر الحكيم، الوراق نسبة إلى بيع الوراق، أصله من ترمذ، و أقام بلخ، لقي أحمد بن خضرويه، و صحب محمد بن عمر البلخي، له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات. (إكليل) قوله وبالغوا في إخفاء النجوى، جواب عما يقال من أن النجوى اسم من التناجي، فلا تكون إلا خفية، فما =

(٤) استدلت المعتزلة بهذه الآية و بما في سورة الشعراء (و ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين.) على حدوث القرآن. و أجيب بوجهين: الأول أن المراد «محدث تنزيه» و لا يلزم من حدوث التنزيل، والتلاوة، والاستماع حدوث المنزل والمتلو والمسموع فإنه قديم و هذه متعلقاته و عوارضه، و حدوث العوارض لا يستلزم حدوث المعروض. أو التنزيل صفة اللفظ والحروف المنظومة، ولا خلاف في حدوثها بل الخلاف في معناها القائم بذاته تعالى الذي هو كلامه النفسي القديم، ولا يدل حدوث الإتيان والتنزيل، والتلاوة، والسمع على حدوث ذلك المعنى القائم بذاته والوجه الثاني ما ذكره الإمام: أن قولهم (القرآن ذكر، والذكر محدث، فالقرآن محدث) أخذوا كبراه من قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث مع أن قوله تعالى لا يدل على حدوث كل ما كان ذكراً، بل على ذكر ما محدث، كما أن قول القائل: لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل إلا يعضونه، فإنه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلاً، بل على أن في الرجال من هو فاضل، وإذا كان كذلك فالآية لا تدل إلا على أن بعض الذكر محدث، فيصير نظم الكلام هكذا (القرآن ذكر، وبعض الذكر محدث) وهذا لا



﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(٦)</sup> من واو «واسروا» إيذاناً بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به، أو جاء على لغة من قال: «أكلوني البراغيث»، أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلاً من الناس، أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره «أسروا النجوى» فقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أفتأتون السحراً وأنتم تبصرون ﴿هذا الكلام كله في محل نصب بدل من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بـ«قالوا» مضمراً والمعنى أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعانون أنه سحر ﴿قُلْ رَبِّي﴾ حمزة وعلي وحفص أي قال محمد. وغيرهم «قل ربي» أي قل يا محمد للذين أسروا النجوى ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يعلم قول كل قائل<sup>(٧)</sup> هو في السماء أو الأرض سراً كان أو جهراً ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما في ضمائرهم. ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهمها وحياً من الله إليه، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج، والمبطل رجاء غير ثابت على قول واحد، ثم قالوا إن كان صادقاً في

مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

يقوم بموضوعه وهو القائل، لا السماء والأرض. والقائل يوجد في السماء والأرض. وباعتباره يكون القول في السماء والأرض. قوله أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش، الواحد ضغث (و في التنزيل: وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث - ٤٤ ص) فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من، أي أضغاث من أحلام (مدارك - سورة يوسف) المستعار منه حزم النبات والمستعار له أجزاء الرويا، والجامع التائر والتفرق. وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة (كشاف، بيضاوي، مدارك) وهنا أي في سورة الأنبياء تصح الجمعية على الحقيقة أيضاً بادعائهم أن هذا الكلام من الملققات التي رآها في منامات عديدة، قوله لجلج، اللجلجة والتلجلج: التردد في الكلام. يقال الحق أبلج، والباطل لجلج. الأبلج: المضى المستقيم، والجلج: المختلط الذي ليس بمستقيم (لسان العرب) قال المبرد: أي يتردد فيه صاحبه، ولا يصيب منه =

= معنى قوله تعالى (و أسروا النجوى) أجاب عنه بأن معناه: بالغوا في إخفائها. (إكليل) (٦) «الذين ظلموا» في الظاهر فاعل أسروا، والفاعل إذا كان مظهرًا فالفاعل يكون واحدًا لكن الفعل ههنا للجمع فاحتاجوا إلى توجيه إعراب هذا الكلام بوجوه. (١) الفاعل واو «أسروا» والذين بدل منه إيذاناً بأنهم الخ (٢) الذين ظلموا هو الفاعل، والواو في أسروا علامة الجمع أي حرف دال على الجمعية كواو قائمون، وتاء قامت، وهذه لغة لبعض العرب، وليست شاذة ولا مستهجنة. (٣) الواو فاعل أسروا والذين ظلموا صفة أو بدل من «الناس» في قوله اقترب للناس، فهو مجرور محلاً (٤) هو منصوب المحل على الذم بفعل مقدر، نحو أذم أو أعني. (٥) هو مبتدأ مؤخر وأسروا خبر مقدم، ولا ضمير فيه، ولا لبس يمنع من تأخيره كما في «زيد قام» وأصله هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم (بيضاوي وخفاجي) (٧) أشار به إلى أن اللام في «القول» للاستغراق، وظرفية السماء والأرض للقول بتقدير القائل، فإن القول عرض

دعواه وليس الأمر كما يظن ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ﴾ بمعجزة ﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ ﴿٥﴾ كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى. وصحة التشبيه في قوله «كما أرسل الأولون» من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات، ألا ترى أنه لا فرق بين قولك «أرسل محمد» و بين قولك «أتى بالمعجزة» فرد الله عليهم قولهم بقوله: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ <sup>(٨)</sup> من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ صفة لـ«قرية» عند مجيء الآيات المقترحة لأنهم طلبوها تعنتاً ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾ أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم، والمعنى أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضاً. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم ﴿تُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ «نوحى» حفص ﴿فَسَعَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالكتابين فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧﴾ ذلك. ثم بين أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ وحد الجسد لإرادة الجنس ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة لـ«جسد» يعني وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ﴿٨﴾ كأنهم قالوا هلا كان ملكاً لا

## مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

= مخرجاً. اه. أمثال ميداني. (إكليل)  
قوله الأكمه: الذي يولد أعمى.

قوله و صحة التشبيه. الخ. جواب عما يختلج في الصدر من أن المشبه والمشبه به ليس بينهما وجه جامع فإن الإتيان بالآية وإرسال الأولين لامشابهة بينهما، وحاصل الجواب أن التشبيه باعتبار لازم الإرسال وتابعه، فإنه لا يخلو من الإتيان بالآية. قوله لا فرق - الخ - أورد عليه أن الفرق بينهما واضح، فإن إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام بعثه للخلق للتبليغ، والإتيان بالمعجزة أمر آخر. و أجيب عنه بأنه لازم له في الواقع، فالمراد أنه كناية عنه (أي إرسال الرسول كناية عن الإتيان بالمعجزة) وهي أبلغ. (خفاجي)

(٨) قوله تعالى ما آمنت قبلهم الآية. كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما تنبى عنه خاتمة مقالهم من الوعد بالإيمان (أي قولهم فليأتنا بآية كما أرسل الأولون يتضمن وعدهم بأنه إن أتى بآية كالأولين آمنابه) و بيان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث

عن حنفة بظلفه، و أن في ترك الإجابة إليه إبقاءً عليهم، كيف لا، ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعاً لوجب استئصالهم، لجران سنة الله عز وجل في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة، و قد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال. (أبو السعود)  
قوله أعتى منهم هو أفعل من العتو وهو النبؤ عن الطاعة و بابه نصر (مفردات) وفي اللسان: عتا يعتو عتواً و عتياً: استكبر و جاوز الحد. والعتاى: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة. قوله نكثوا نكث العهد والحبيل: نقضه و بابه نصر. اه. مختار الصحاح.

قوله نوحى بنون العظمة، بالبناء للفاعل حفص، والباقون بالياء مبنياً للمفعول.  
قوله يعتمدون على قولهم فيجوز إزام الحجة عليهم بقول معتمد عليهم.

يطعم ويخلد، إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين بقاءهم الممتد وحياتهم المتطاولة خلودا ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم والأصل في الوعد<sup>(٩)</sup> مثل «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ» [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾ مما حل بقومهم ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ هم المؤمنون ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> المجاوزين الحد بالكفر ودل الإخبار بإهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم. ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾<sup>(١١)</sup> يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ شرفكم إن عملتم به أو لأنه بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أي «فيه ذركم» صفة لـ «كتاباً» ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضلتمكم به على غيركم فتؤمنوا ﴿وَكَمْ﴾<sup>(١٢)</sup> نصب بقوله: ﴿قَصَمْنَا﴾ أي أهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها بدليل قوله: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لأن القصم أقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم فإنه كسر بلا إبانة ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ فسكنوا مساكنهم. ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا﴾ أي المهلكون ﴿بَأْسَنَا﴾ عذابنا أي علموا علم حس ومشاهدة ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا﴾ من القرية و «إذا» للمفاجأة و «هم» مبتدأ، والخبر ﴿يُرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين، والركض ضرب الدابة

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٩) أي «الوعد» منصوب بنزع الخافض، وقيل إنه قد يتعدى لمفعولين (خفاجي)  
 (١٠) قوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم) كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقيقة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراض الناس عما يأتيهم من آياته، واستهزأتهم به، وتسميتهم تارة سحراً، وتارة أضغاث أحلام، وأخرى مفترى وشعرا. وبيان علورتيته إثر تحقيق رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم ببيان أنه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، قد صدر بالتوكيد القسمي إظهاراً لمزيد الاعتناء بمضمونه، وإيداناً بكون المخاطبين في أقصى مراتب النكير. أي والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش (كتاباً) عظيم الشأن نير البرهان. (أبو السعود)  
 قوله تعالى (فيه ذركم) جاء في تفسيره كلمات (١) عن ابن عباس: فيه شرفكم، رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان. (٢) عن مجاهد: فيه حديثكم، رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن البصري: فيه دينكم، رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم

(٤) عن السدي: فيه ذكر ما تُعون به، وأمر آخرتكم ودنياكم. رواه ابن أبي حاتم. (در منشور) وللذكر معان عند أهل اللغة. منها جري الشيء على لسانك، والصيت والثناء، والتذكير، والشرف والفخر، والمصنف فسّر الشرف بشرط العمل وهو الشرف الديني، والعز الأخرى، وقوله «أو لأنه بلسانكم» ناظر إلى شرف الدنيا والصيت فيها، وقوله «موعظتكم» راجع إلى كون الذكر بمعنى التذكير، وقوله الآخر راجع إلى كون الذكر بمعنى الحديث والإخبار عن شيء.  
 (١١) ذكر الله تعالى ما يرغبهم إلى القرآن والتصديق به ثم أتبعه حال المكذبين الذين أهلكوا، ليعتبروا ويتعظوا بها فينزعوا عن التعتن والتكذيب.  
 قوله واردة عن غضب الخ - أي دالة عليه، للتعبير فيها بالقصم، وهو كسر يُفَرِّق الأجزاء ويذهب الثامها (أي يزيل تركبها وتأليفها) ولذا أتى فيه بالقاف الشديدة، بخلاف الفصم بإلغاء الرخوة فإنه لما لا إبانة فيه، فأتى بتركيب اللفظ على وفق المعنى. (خفاجي) قوله أقطع الكسر أي أشدّه وأشدّه من قطع (ك) فظاعة، اشتدّ و شنع وجاوز المقدار. والتلاؤم: الاجتماع والاتصال.

بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هارين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، أو شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ والقائل بعض الملائكة ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ نعمتم فيه<sup>(١٢)</sup> من الدنيا ولين العيش. قال الخليل: المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ﴿وَمَسَكِينُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾<sup>(١٣)</sup> أي يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذركم عادة المنعمين المخدومين، أو يسألكم الناس في أنديةكم المعاون في نوازل الخطوب، أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمتطرون سحاب أكفكم، أو قال بعضهم لبعض: لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالاً وخراجاً فلا تقتلون، فنودي من السماء يا لثارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فثم ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾<sup>(١٤)</sup> اعترفهم بذلك حين لا ينفعم الاعتراف. ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ هي إشارة إلى يا ويلنا ﴿دَعْوُهُمْ﴾ دعاءهم و «تلك» مرفوع على أنه اسم «زالت» و «دعواهم» الخبر ويجوز العكس ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ مثل الحصيد أي الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر ﴿مُخْمِدِينَ﴾<sup>(١٥)</sup> ميتين خمود النار و

#### مواهب الملل لتجلية مدارك التنزيل

الراغب والحريص. قوله يستمتطرون سحاب أكفكم. أكف جمع كف شبهها بالسحاب في النفع والإفادة، والإضافة في سحاب الأكف كما في لجين الماء، و ذكر الاستمطار ترشيح للتشبيه. قوله يا لثارات الأنبياء. اللام مفتوحة فيه للاستغاثة، والثأر أخذ الجاني والانتقام منه، و نداؤه مجاز، وقيل المراد به التعجب، وقيل: إنه على تقدير مضاف، أي يا أهل ثاراتهم والطالبين لدمهم! احضروا التغيثونا. (خفاجي) قوله مثل الحصيد، يشير إلى أنه تشبيه بليغ، أما «خامدين» فاستعارة، و جاز أن يجعلها من الاستعارة التصريحية التبعية في الصفة بأن يشبه هلاك القوم بحصاد النبت و خمود النار في القطع والاستئصال كما في شرح المفتاح للسيد السند. قوله ولم يجمع كما لم يجمع المقدر أي لفظ «مثل» فإنه يطلق على الواحد وغيره، لأنه مصدر في الأصل، أما لفظ «حصيداً» فليس خبراً في الحقيقة (مفعولاً جعل في الأصل جملة اسمية، فأصلهما مبتدأ وخبر) حتى يلزم مطابقتها، والذي هو خبر في =

(١٢) قوله نُعْمْتُمْ. ماض مبني للمفعول، من التنعيم بمعنى الترفية.

قوله تعالى: لعلكم تُسألون. سأل إذا تعدى إلى المفعول الثاني بواسطة عن أو الباء يكون بمعنى الاستفسار، والاستخبار، وإذا تعدى إليه بنفسه يكون بمعنى الطلب والاستعطاء. ففسره المصنف هنا بخمسة معان. الأولان بالنظر إلى أنه متعد بعن والصلة محذوفة، و ما بعدهما بالنظر إلى أنه متعد بنفسه والمفعول الثاني محذوف.

قوله «و من ينفذ فيه» عطف على «عبيدكم» قوله المنعمين المخدومين. يقال: فلان منعم أي كثير المال حسن الحال. والمخدوم من التخديم: الثري الكثير الخدم. الأندية جمع النادي: مجلس القوم و موضع تحدثهم فيما بينهم. المعاون جمع مؤنثة، وهي العون، يقال: ما أخلاني فلان من معاونه نوازل جمع النازلة، وهي الشديدة تنزل بالقوم الخطوب جمع خطب، وهو الشأن والأمر صغر أو عظم الوافدون وفد (ض) وفداً، وفوداً، وفادة على القوم وإلهم بمعنى قدم و بمعنى ورد رسولاً. الطمّاع جمع طامع (س)

«حصيدا خامدين» مفعول ثانٍ لـ «جعل» أي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك: «جعلته حلواً حامضاً» أي جعلته جامعاً للطعمين. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾<sup>(١٣)</sup> اللعب<sup>(١٤)</sup> فعل يروق أوله ولا ثبات له، ولا عيين حال من فاعل «خلقنا» والمعنى وما سويها هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلق للهو واللعب، وإنما سويها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا. ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي ولدًا أو امرأة كأنه رد على من قال: عيسى ابنه ومريم صاحبه ﴿لَا تَخْتَدُّهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من الولدان أو الحور ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(١٥)</sup> أي إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا. وقيل: هو نفي كقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ [الأنبياء: ١٠٩] أي ما كنا فاعلين ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ «بل» إضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحانه أن نتخذ اللهو بل من سنتنا أن نقذف أي نرمي ونسلط ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الشيطان أو بالإسلام على الشرك أو بالجد على اللعب

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بالسيف. وروي أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء «يا لثارات الأنبياء». (تفسير النيسابوري) (١٣) في ارتباط الآية بما قبلها قال أهل النظم لما بين إهلاك كثير من القرى لأجل ظلمهم وتكذيبهم. منها اللتان رواهما ابن عباس. أتبعه ما يدل على أنه فعل ذلك عدلاً ومجازاة. لا عبثاً ومجازفة. (مفاتيح الغيب والنيسابوري)

يروق (ن) يُعَجِبُ وَيَسْرُّ، السقف المرفوع: السماء كما جاء في التنزيل والسقف المرفوع (٥ - الطور) وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً (٣٢ - الأنبياء) والمهاد الموضوع: الأرض، والوضع إثبات شيء مكانه، و ضد الرفع أيضاً. والمهد والمهاد: ما يمهد ويوطأ، وفي القرآن: والأرض فرشناها فنعم الماهدون (١٨ - الذاريات) أ لم نجعل الأرض مهاداً (٦-النبا) الذي جعل لكم الأرض مهاداً. (٥٣ طه - ١٠ زخرف)

سمات جمع سمة بمعنى العلامة، والفعل وَسَمَ (ض) اللهو جاء تفسير اللهو هنا بالولد عن عكرمة والسدي، وبالمرأة عن الحسن و قتادة وإبراهيم النخعي وعن إبراهيم في تفسير «من لدنا» من الحور العين (الدر المنثور) لكن الظاهر أن المراد باللهو كل ما يتلهى به، ليرتبط بما قبله ولأن نفي الولد سيحيء مصرحاً في قوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه)

= الحقيقة (أي لفظ «مثل») يستوي فيه المفرد والجمع، كذا قيل ولا وجه له، فإن التشبيه البليغ مبني على الأذعاء، نقول «زيد أسد» مدعيًا أنه نفس الأسد، تريد أنه بلغ في الشجاعة حدًا لم يُق فرقا بينه وبين الأسد. فكأنه أسد بنفسه، لا شيء مماثل له. فالمشبه به في التشبيه البليغ هو المحمول والخبر اذعاء، و يلزم مطابقتة فتقول: الرجل أسد، والرجال أسود، بل سبب عدم جمع الحصيد أن فعلاً إذا كان بمعنى المفعول، يستوي فيه الواحد المذكور وغيره، فلا حاجة لتأويله بالجنس ونحوه. (خفاجي)

قوله «حصيدًا خامدين» مفعول ثانٍ الخ، دفع لما يتوهم أن «جعل» نصب هنا ثلاثة مفاعيل وهو مما ينصب مفعولين فقط والدفع بأنهما بمنزلة شيء واحد كحلوا حامض بمعنى مُزِّ فَحَصِيدًا خامدين بمعنى جامعين لمماثلة الحصيد والخمود في أنهم مستأصلون، والخمود معطوف على مماثلة لا على الحصيد، لأنه استعارة كما مر. (خفاجي)

عن ابن عباس أن الآية نزلت في حضور وسحول قريتين باليمن تنسب إليهما الثياب، وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ثوبين سحوليين، وروي حضوريين. بعث الله إليهم نبياً فقتلوه، فسلب الله عليهم بخت نصر كما سلطه على أهل بيت المقدس، فاستأصلهم، كأن القوم حصدوا

﴿فَيَذْمُغُهُ﴾ فيكسره ويدحض الحق الباطل، وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل: بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله إبطال الجسم القوي الضعيف ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ أي الباطل ﴿زَاهِقٌ﴾ هالك ذاهب ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ﴿اللَّهُ بِهِ مِنَ الْوَلَدِ وَنَحْوِهِ﴾ ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً فأنى يكون شيء منه ولداً له وبينهما تناف. ويوقف على «الأرض» لأن ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ منزلة ومكانة لا منزلاً ولا مكاناً يعني الملائكة مبتدأ خبره ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتعظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ولا يعيون ﴿يَسْجُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿حال من فاعل «يسبحون» أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جار مجرى التنفس منا. ثم أضرب عن المشركين منكرراً عليهم وموبخاً فجاء بـ«أم» التي بمعنى «بل» والهمزة فقال: ﴿أَمَّا تَتَّخِذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ ﴿يحيون الموتى﴾<sup>(١)</sup> و«من الأرض» صفة لـ«الهة» لأن الهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضة والحجر أو تعبد في الأرض فنسبت إليها كقولك: «فلان من المدينة» أي مدني، أو متعلق بـ«اتخذوا» ويكون فيه بيان غاية اتخاذ، وفي قوله: «هم ينشرون» زيادة توبيخ وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحيي الموتى، وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لأنه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار، لأن العاجز عنه لا يصح أن يكون إلهاً إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات. وقرأ الحسن «ينشرون» بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحيها. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الأرض، أو بمعنى آلهة أرضية، ونسبتها إلى الأرض لكونها لا تعبد إلا في الأرض. والثاني أن يتعلق باتخذوا و من لا ابتداء الغاية، فالمعنى مبدأ اتخاذهم من الأرض.

ولما ورد ههنا أنهم لم يدعوا صفة إحياء الموتى لآلهتهم أجاب عن ذلك بأن قوله «هم ينشرون» لزيادة التوبيخ وتأكيد جهلهم بأن إثبات الإلهية لأحد يتطلب أن يكون ذلك قادراً على جميع الممكنات و من جملة ذلك إحياء الموتى، ولما لم يقدرُوا على شيء من الإحياء فاتخاذهم آلهة من سفاهتهم الواضحة.

قوله يُذْحِضُ الحق الباطل، من الإفعال، دحضت حجته دحوضاً (ف) بطلت و أدحض حجته: أبطلها (لسان العرب) والدمغ (ف) كسر الصاقورة عن الدماغ، والفاقورة: باطن القحف المشرف على الدماغ.

قوله لَا يَعْيُونَ من الإعياء وهو التعب، وحسر من (ن) و (ض) واستحسر: تعب و أعيأ. قوله فترة أي انقطاع.

(١٤) قوله يحيون الموتى، الإحياء بيان معنى الإنشار، والموتى بيان لمفعوله المحذوف. و ذكر في «من الأرض» إعرابين. الأول أن يكون صفة لآلهة بمعنى آلهة كائنة من الأرض أي آلهة متخذة من جواهر

إِلَّا اللَّهُ ﴿١٥٩﴾ أي غير الله وصفتُ الهة بـ«إلا» كما وصفتُ بـ«غير» لو قيل الهة غير الله، ولا يجوز رفعه على البديل لأن «لو» بمنزلة «إن» في أن الكلام معه موجب والبديل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى: «وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ» [هود: ٨١] ولا يجوز نصبه استثناءً لأن الجمع إذا كان منكرًا لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء، والمعنى لو كان يدبر أمر السماوات والأرض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه في أصول الكلام. ثم نزه ذاته فقال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشريك. ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفْعَلُ﴾ لأنه المالك على الحقيقة، ولو اعترض على السلطان بعض عبده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفهًا، فمن هو مالك الملوك ورب الأرباب وفعله صواب كله أولى بأن لا يعترض .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

كل منهما أمر ممكن، وكذا تعلق الإرادة بكل منهما، إذ لا تضاد بين الإرادتين، بل بين المرادين. وحينئذ إما أن يحصل الأمران فيجتمع الضدان، أو لا، فيلزم عجز أحدهما، وهو أمانة الحدوث والإمكان، لما فيه من شائبة الاحتياج، فالتعدد مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحال، فيكون محالاً.

هذا الدليل أخذه المتكلمون من الآية إشارة، والدليل الثاني أخذوه من منطوق الآية صراحة، وهو أن تعدد الآلهة موجب لوجود التمانع والتغالب كما هو معهود عند تعدد الحاكم، وذلك يؤدي إلى فساد النظام. وهذا من العلوم العادية، وهي داخلة في العلم القطعي، فإن ما تقرر بحكم العادة والتجربة من أقسام البرهان، وإن أمكن فرض نقيضه، بل قد يقع صدق نقيضه، كالعلم بأن شرب الماء الصافي البارد يجمع العطش، وإن وقع خلاف ذلك لمريض الاستسقاء لكنه لا يخل بما لدينا من العلم القطعي في إزالة الماء العطش. كذا نستيقن أن الجبل الذي رأيناه حجرًا هو الآن حجر، ودارنا التي عهدنا مكانها في القرية الفلانية، هي الآن مكانها، وإن أمكن غيرها بخرق العادة لكرامة ولي و نحو ذلك. فإن هذا الإمكان لا يقدر فيما عندنا من اليقين.

والعادة المستمرة التي لم يعهد قط اختلالها في ملكين مقتدرين في مدينة واحدة عدم الإقامة على موافقة كل للآخر في كل جليل وحقير، بل تأبى نفس كل، و تطلب الانفراد بالمملكة والقهر، =

(١٥) قوله إِلَّا اللَّهُ ذكر هنا أن إِلَّا بمعنى غير، صفة لآلهة، وأبطل سوى ذلك من احتمالين، الأول أن يكون اسم الجلالة مرفوعًا لكونه بدلًا عن المستثنى منه، فقال ذلك لا يجوز، لأن البديل يكون في الكلام غير الموجب، وهو ما يشتمل على نفي أو نهي أو استفهام، وهنا ليس شيء منها، لأن الكلام مع "لو" موجب، لأنه بمنزلة إِنْ. والثاني أن يكون منصوبًا لكونه مستثنى، فقال ذلك أيضًا لا يجوز، لأن الاستثناء يأتي حيث يدخل المستثنى في المستثنى منه لولم يكن الاستثناء، والجمع المنكر ليس بهذه المثابة. فإن الطلبة إذا نجحوا سوى بكر، وقلت "نجاح الطلبة" فهم منه نجاحهم جميعًا فاحتجت أن تقول: إِلَّا بَكْرًا، أو إِلَّا واحدًا وإذا قلت "نجاح طلبة" - بالجمع المنكر - فهم منه نجاح جمع منهم، لا نجاح الجميع، فلا تحتاج إلى شيء من الاستثناء، لأن عدم نجاح البعض مفهوم من أصل كلامك. و "آلهة" جمع منكر فلا يكون ما بعده مستثنى، ولا منصوبًا بسبب الاستثناء. فتقرر أن قوله "إِلَّا اللَّهُ" بمعنى "غير الله" وهو صفة لآلهة. قوله: "إِلَّا أَمْرَاتِكَ" بالرفع ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالفتح. الرفع على البدلية، والنصب على الاستثناء. والاستشهاد هنا على قراءة الرفع.

قوله لوجود التمانع، التمانع من التفاعل وهو أن يمنع أحدهما الآخر. تقريره أنه لو أمكن إلهان لأمكن بينهما تمنع، بأن يريد أحدهما حركة زيد والآخر سكونه، إذ

عليه<sup>(١٦)</sup> ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لأنهم مملوكون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه. وقيل: وهم يسألون يرجع إلى المسيح والملائكة أي هم مسؤلون فكيف يكونون آلهة والألوهية تنافي الجنسية والمسئولية ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِعَادَةَ لِرِزْقِهِمْ﴾ الإفاضة<sup>(١٧)</sup> فالأول للإنكار من حيث العقل، والثاني من حيث النقل أي وصفتهم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد □ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حججتكم على ذلك وذا عقلي وهو ياباه كما مر، أو نقلي وهو الوحي وهو أيضاً ياباه فإنكم لا تجدون كتاباً من الكتب السماوية إلا وفيه توحيده وتنزيهه عن الأنداد ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَعِيَ﴾ يعني أمته ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني أمم الأنبياء من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه . «معي» حفص . فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ أي القرآن وهو نصب بـ«يعلمون» وقرىء «الحق» أي هو الحق ﴿فَهُمْ﴾ لأجل ذلك ﴿مُعْرَضُونَ﴾ عن النظر فيما يجب عليهم .  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾ «الإلّ نوحى» كوفي غير أبي بكر وحماد ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وحدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

القبائح. و غاية السفه، وهو أحق وأولى بأن ينتزه جنابه عن الاعتراض عليه. قوله فما أخلقهم فعل التعجب، ما أخلقهم، وأخلق به بمعنى ما أجدره، و أجدره، وهو خليق لكذا أي جدير به. أي من كان مملوكاً، مطبوعاً على الخطأ جدير به أن يعترض عليه، ويُسأل عن كل ما فعل.

(١٧) سبق قبل آيتين قوله "أم اتخذوا آلهة" فذكر فائدة التكرار. قوله الأنداد جمع نذ بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره، أي يخالفه، ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله، تعالى الله. (لسان العرب) قوله معي بفتح الياء قرأه حفص وحده، والباقون بالإسكان. قوله قرئ أي شاذاً الحق بالرفع، قارئه الحسن وابن محيصن، والجمهور بالنصب قوله الانوحى بالنون مبنياً للفاعل كوفي غير أبي بكر شعبة عن عاصم وحماد بن زياد عن عاصم أي (نوحى) قرأه حفص و حمزة والكسائي وخلف، والباقون (يوحى) بضم الياء من تحت، وفتح الحاء مبنياً للمفعول (إكليل) وهذا تعميم بعد تخصيص، أقام الحجة عليهم بأن القرآن وما قبله من الكتب الثلاثة وارد في التوحيد ونفي الشرك، ثم عمم ذلك بأن كل رسول أوحى إليه الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

= فكيف بالهين؟ والإله يوصف بأقصى غايات التكبر - كيف لا يطلب لنفسه الانفراد بالملك والعلو على الآخر؟ كما أخبر سبحانه بقوله: ولعلا بعضهم على بعض، هذا لا تكاد النفس تُخطر نقيضه، وإنما غلط من قال غير هذا من قبل أنه إذا أخطر النقيض - أعني دوام اتفاقهما - لم يجده مستحيلًا في العقل، ونسي أنه لم يوخذ في مفهوم العلم القطعي استحالة النقيض، بل الماخوذ مجرد الجزم عن موجب بأن الآخر هو الواقع، وإن كان نقيضه لم يستحل وقوعه، وبهذا ظهر أن الآية حجة برهانية حقيقية لا إقناعية. (المعتقد المنتقد بتلخيص وتوضيح)

(١٦) قوله لو اعترض شرط وقوله لا ستقبح جزء، وُعُد سَفْهًا معطوف على الجزء. وفاعل اعترض، بعض عبيده، وجواز الخطأ وعدم الملك معطوفان على وجود التجانس وقوله فمن مع الصلة مبتدأ، خبره أولى. أي العبد والسلطان متجانسان فإنهما من الإنس، والسلطان ليس بمعصوم عن الخطأ، ولا يملك السلطان عبده ملكاً حقيقياً مع ذلك اعترض العبد على السلطان يُحسب قبيحاً و يُعدّ سفاهة. والله مالك حقيقة، وهو مالك الملوك، ولا يجوز عليه الخطأ، و فعله كَلَّه صواب فالاعتراض عليه أقبح



سُحْنَةُ ﴿١﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد إذ العبودية تنافي الولادة ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي بقولهم فأنبت اللام مناب الإضافة، والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم: ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً مبني على أمره لا يعملون عملاً لم يؤمروا به ﴿١٨﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ أي لمن رضي الله عنه وقال لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٤﴾ خائفون. ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله «إِنِّي» مدني وأبو عمرو ﴿فَذَلِكِ﴾ مبتدأ أي فذلك القائل. خبره ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ وهو جواب الشرط ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥﴾ الكافرين الذين وضعوا الإلهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقيق عصمتهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك: قد تحقق الوعيد في إبليس فإنه ادعى الإلهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «ألم ير» مكي ﴿١٩﴾ ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا﴾ أي جماعة السماوات وجماعة الأرض فلذا لم يقل كن ﴿رَتْقًا﴾ بمعنى المفعول أي كانتا متوقيتين وهو مصدر فلذا

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

من العشرة، وأبو عمرو البصري، والباقون بالإسكان. (١٩) قوله ألم ير بحذف الواو بعد همزة الاستفهام التوبيخي قرأه ابن كثير المكي، والباقون بإثبات الواو عطفاً على السابق (إكليل).

اعلم أنه سبحانه وتعالى شرع الآن في الدلائل الدالة على وجود الصانع. و ذكر هنا ستة أنواع من الدلائل. وهذه الدلائل أيضاً دالة على كونه منزهاً عن الشريك. لأنها دالة على حصول الترتيب العجيب في العالم، و وجود الإلهين يقتضي وقوع الفساد. و فيها أيضاً رد على عبدة الأوثان من حيث أن الإله القادر على مثل هذه المخلوقات الشريفة كيف يجوز في العقل أن يُعدل عن عبادته إلى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع. فهذا وجه تعلق الآية بما قبلها.

قوله فلذا لم يقل كنّ سؤال و جواب أي كلمة السموات مع عطف الأرض عليها تقتضي أن يقال "كنّ فإن حكم جمع الإناث أن يقال في قلبه كنّ وفي كثيره كانت (ابن جرير) والجواب أن المراد هذان الصنفان. جماعة السموات صنف، و جماعة الأرض صنف آخر، و باعتبارهما ورد ضمير المثني للإناث.

قوله نزلت في خزاعة. وهي قبيلة معروفة، والآية شاملة لكل من نسب له ذلك كالنصارى (خفاجي) و نقل الواحدي أن قريشاً و بعض أجناس العرب جهينة، و بني سلمة، و خزاعة، و بني مُلَيْح يقولون ذلك (أبو السعود) و أضافوا إلى ذلك أنه تعالى صاهر الجن، على ما حكى الله تعالى عنهم فقال: (و جعلوا بينه وبين الجنة نسباً). مفاتيح الغيب.

(١٨) كأنه قيل: هم بأمره يقولون، و بأمره يعملون، لا بغير أمره أصلاً. فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره، لا إلى أمر غيره و قوله (يعلم ما بين أيديهم) الآية استئناف وقع تعليلاً لما قبله، و تمهيداً لما بعده، فإنهم لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا و أخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم، فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى... وهم مع ذلك من خشيته عز و جل مشفقون، مرتعدون. و أصل الخشية: الخوف مع التعظيم، ولذلك خص بها العلماء، و الإشفاق: الخوف مع الاعتناء. (أبو السعود) قوله إنني بفتح الياء مدني أي نافع من السبعة و أبو جعفر

صلح أن يقع موقع مرتوقيتين ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فشققناهما، والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق. فإن قيل: متى رأوهما رتقاً حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلنا: إنه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد، ولأن الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان في العقل، فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله. ثم قيل: إن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء. وقيل: كانت السماوات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين. وقيل: كانت السماء رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ) [النور: ٤٥] أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله: (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) [الأنبياء: ٣٧] ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بما يشاهدون. ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيً﴾<sup>(٢٠)</sup> جبلاً ثوابت من رسا إذا ثبت ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ لئلا تضطرب بهم فحذف «لا» و اللام، وإنما جاز حذف «لا» لعدم الالتباس كما تزداد لذلك في (لئلا يغلم أهل الكتب) [الحديد: ٢٩] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ أي طرقاً واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من ﴿سُبُلًا﴾ متقدمة، فإن قلت: أي فرق بين قوله تعالى: (لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) [انوح: ٢٠] وبين هذه؟ قلت: الأول للإعلام بأنه جعل فيها طرقاً واسعة، والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ في موضعه عن السقوط كما قال: (وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

السماء رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق الله للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات. فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر: الآن علمت أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علماً. صدق ابن عباس هكذا كانت. (وفي رواية) قال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علماً. (ابن كثير، در منشور)

(٢٠) قوله رواسي جمع راسية، ووصف جمع المذكور بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته، كقوله تعالى: أشهر معلومات. و أياما معدودات (أبو السعود) قوله أن تميد ماد الشيء يميم مبدأ: مال وتحرك. قال الراغب: هو اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض.

قوله حتى جاء تقريرهم. الاستفهام في قوله "أو لم ير الذين كفروا" للتقرير والتوبيخ. أي إنهم قد رأوا ذلك، فكان عليهم أن يعرفوا الخالق المنعم، و يعتقدوا وحدته ونزاهته عن الشرك.

قوله ثم قيل الخ القول الأول مروى عن الحسن وقتادة، والثاني عن مجاهد وأبي صالح والسدي. والثالث عن عكرمة، و عطية، و ابن زيد، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم واختاره ابن جرير، ورجحه الجمهور.

روي ابن المنذر، وابن أبي حاتم، و أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رجلاً أتاه فسأله عن (السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فأخبرني ما قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله قال: نعم كانت

عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [الحج: ٦٥] أو محفوظاً بالشهب عن الشياطين كما قال: (وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ<sup>(٢٠)</sup>) [الحجر: ١٧] ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿عَنْ آيَاتِنَا﴾ عن الأدلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرَضُونَ<sup>(٢١)</sup>﴾ غير متفكرين فيها فيؤمنون. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتتصرفوا فيه ﴿وَالشَّمْسَ﴾ لتكون سراج النهار ﴿وَالْقَمَرَ﴾ ليكون سراج الليل ﴿كُلُّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع، وجمع جمع العقلاء للوصف<sup>(٢١)</sup> بفعلهم وهو السباحة ﴿فِي فَلَكٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: الفلك السماء. والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم و«كل» مبتدأ خبره ﴿يَسْبَحُونَ<sup>(٢٢)</sup>﴾ يسيرون أي يدورون والجملة في محل نصب على الحال من الشمس والقمر ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ<sup>(٢٣)</sup>﴾ البقاء الدائم ﴿أَقَابِينَ مِتَّ﴾ بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ<sup>(٢٤)</sup>﴾ والفاء الأولى لعطف جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط، كانوا يقدرون أنه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضي الله أن لا يخلد في الدنيا بشر أفان مت أنت أبقى هؤلاء. ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ<sup>(٢٥)</sup> وَيَبْلُوكُمْ﴾ ونختبركم سمي ابتلاء وإن كان عالماً بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار ﴿بِالشَّرِّ﴾ بالفقر والضرر ﴿وَالْخَيْرِ﴾ الغنى والنفع ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر مؤكّد لـ«ببلوكم» من غير لفظه ﴿وَالْيَنَّا تُرْجَعُونَ<sup>(٢٦)</sup>﴾ فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر. وعن ابن ذكوان «ترجعون».

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

لما فرغ من دلائل الآفاق شرع في دلائل الأنفس فقال: وما جعلنا - الآية - (مفاتيح الغيب والنيسابوري) قوله مِتَّ بكسر الميم قرأه نافع، و حفص، و حمزة، والكسائي، و خلف. والباقون بالضم. قوله والثانية لجزاء الشرط. والهمزة للإنكار، أي إنكار مضمون الجملة الشرطية، وهي في الحقيقة لإنكار الجزء وهو الخلود، أي إن مت أفهم الخالدون. قوله الشماتة من سمع: الفرح بلبية العدو قوله لأنه في صورة الاختبار. جواب عما يرد أن الاختبار يكون حيث لا يُدرى باطن الحال، والله عليم بكل شيء في الأزل. قوله وعن ابن ذكوان، هو يروى عن عبد الله بن عامر الشامي، ولم أجد هذا في كتب القراءة. بل قراءة ترجعون مبنياً للفاعل ليعقوب الحضرمي من العشرة. ولعلها رواية عن ابن ذكوان أيضاً.

(٢١) قوله وجمع جمع العقلاء ضمير جمع المذكور وكذا صيغته يختصان بالعقلاء، والطوالع ليست من العقلاء، أجاز عنه بأنها نزلت منزلة العقلاء لاتصافها بالسباحة الخاصة بالعقلاء. قوله في فلك قال الإمام: الفلك في كلام العرب كل شيء دائر، وجمعه أفلاك (مفاتيح) قال القرطبي: وأصل الكلمة من الدوران، ومنه فلكة المغزل لاستدارتها. قوله والجمهور - الخ - وعلى قول الجمهور جميع النجوم تحت السماء، في هذا الفضاء الواسع الذي لا ندرك كنه طوله وعرضه وأبعاده.

(٢٢) قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. لما أقام أنواع الدلائل الستة و بين منافعها تبّه على أن هذه الآثار لا تدوم، و لا تخلق للبقاء، و إنما خلقت للابتلاء و الامتحان، و لكي يتوصل بها المكلفون إلى السعادات المدخرة لهم في الآخرة وهي دار الخلود. و بوجه آخر:

﴿وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ ﴿٢٣﴾ مَا يَتَّخِذُونَكَ ﴿الْأَهْزَاطُ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ لـ «يَتَّخِذُونَكَ» نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ مَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ وَقَالَ: هَذَا نَبِيُّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ﴿٢٣﴾ ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ﴾ يَعِيبُ ﴿الِهْتَكُمُ﴾ وَالذِّكْرُ يَكُونُ بِخَيْرٍ وَبِخِلَافِهِ فَإِنْ كَانَ الذَّاكِرُ صَدِيقًا فَهُوَ ثَنَاءٌ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا فَذَمٌّ ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾ أَيُّ بَذَرَ اللَّهُ وَمَا يَجِبُ أَنْ يَذَكَرَ بِهِ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ ﴿هُمُ كُفْرُونَ﴾ لا يَصْدُقُونَ بِهِ أَصْلًا فَهَمَّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّخِذُوا هَزُؤًا مِنْكَ فَإِنَّكَ مُحَقٌّ وَهُمْ مَبْطُلُونَ. وَقِيلَ: بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ أَيُّ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ هُمْ كَافِرُونَ جَاحِدُونَ، وَالجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيُّ يَتَّخِذُونَكَ هَزُؤًا وَهُمْ عَلَى حَالٍ هِيَ أَصْلُ الْهَزْءِ وَالسَّخْرِيَّةِ وَهِيَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَكَرَّرَ «هُمْ» لِلتَّأْكِيدِ، أَوْ لِأَنَّ الصَّلَةَ حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَبَرِ فَأَعِيدَ الْمَبْتَدَأُ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَاقٍ ط﴾ فَسَّرَ بِالْجِنْسِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ حِينَ كَانَ النُّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ يَسْتَعْجِلُ بِالْعَذَابِ. وَالْعَجَلُ وَالْعَجَلَةُ مُصْدَرَانِ، وَهُوَ تَقْدِيمُ الشَّيْءِ عَلَى وَقْتِهِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ الْجِنْسَ وَأَنَّهُ رَكِبَ فِيهِ الْعَجَلَةَ فَكَأَنَّهُ خَلَقَ مِنَ الْعَجَلِ وَلِأَنَّهُ يَكْثُرُ مِنْهُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ يَكْثُرُ مِنْهُ الْكِرْمُ: «خَلَقَ مِنَ الْكِرْمِ». فَقَدِمَ أَوْلًا ذَمَّ الْإِنْسَانَ عَلَى إِفْرَاطِ الْعَجَلَةِ وَأَنَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا ثُمَّ مَنَعَهُ وَزَجَرَهُ كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ بِبَدْعٍ مِنْهُ أَنْ يَسْتَعْجِلَ فَإِنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ طَبْعُهُ وَسَجِيَّتُهُ فَقَدْ رَكِبَ فِيهِ. وَقِيلَ: الْعَجَلُ الطِّينَ بَلْغَةً حَمِيرٌ قَالَ شَاعِرُهُمْ: ﴿٢٤﴾ وَالنَّخْلُ يَنْبِتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ ❖ وَإِنَّمَا مَنَعَ عَنِ الاسْتَعْجَالِ وَهُوَ مَطْبُوعٌ عَلَيْهِ كَمَا أَمَرَهُ بِقَمْعِ الشَّهْوَةِ وَقَدْ رَكِبَهَا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَعْطَاهُ الْقُوَّةَ الَّتِي يَسْتَطِيعُ بِهَا قَمْعَ الشَّهْوَةِ وَتَرَكَ الْعَجَلَةَ وَ«مَنْ عَجَلَ» حَالٌ أَيُّ عَجَلًا ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ نَقَمَاتِي ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ ﴿بِالْإِتْيَانِ بِهَا وَهُوَ بِالْيَأِ عِنْدَ يَعْقُوبَ وَافَقَهُ

#### مَوَاصِبُ الْجَلِيلِ لِتَجْلِيَةِ مَدَارِكِ التَّنَزِيلِ

له، والمطبوع عليه بمعنى المخلوق عليه. قوله ثم منعه و زجره كما يأتي قوله: فلا تستعجلون. قوله ليس ببذع منه أي غريب منه، مجبول أي مخلوق سجيّة: الطبع والخلق. حمير بكسر الحاء و سكنون الميم و ياء مفتوحة ثم راء. قبيلة معروفة. (٢٤) استشهد به أبو عبيدة. و أوله: النبُع في الصخرة الصماء منبته. (خفاجي) قوله نقماتي جمع نعمة بمعنى الانتقام، و فسره به لأنه المناسب للمقام، وهي آية، لكونها تصديقًا لما وعد به. وقوله بالإتيان بها أي لا تطلبوا تعجيل الإتيان بها قوله وهو بالياء أي تستعجلوني- في الحالين أي وصلًا و وفقًا عند يعقوب بن إسحاق البصري (من العشرة) وافقه سهل بن محمد السجستاني، و عياش بن الفضل عن أبي عمرو البصري في الوصل. (إكليل)

(٢٣) أخرج ابن أبي حاتم عن السدي رحمه الله قال: مر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أبي سفيان و أبي جهل، وهما يتحدثان فلما رآه أبو جهل ضحك و قال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف. فغضب أبو سفيان فقال: ما تنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع إلى أبي جهل فوقع به و خوفه و قال: ما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب عمك. و قال لأبي سفيان: أما إنك لم تقل ما قلت إلا حمية. فنزلت هذه الآية. (در منشور و لباب النقول)

قوله والعجل والعجلة بفتحيتين فيهما من سمع. بين معنيين لكون الإنسان مخلوقًا من عجل (١) تركيب العجل في طبعه (٢) كثرة صدور منه. قوله: مطبوع عليها: أي جعلت العجلة طبعًا و غريزة

سهل وعياش في الوصل. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ إتيان العذاب أو القيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢٥)</sup> قيل: هو أحد وجهي استعجالهم ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٢٦)</sup> جواب «لو» محذوف و «حين» مفعول به لـ «يعلم» أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم: «متى هذا الوعد» وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدم فلا يقدر على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ﴿بَلْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتحيرهم أي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ فلا يقدر على دفعها ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢٧)</sup> يمهلون ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ فحل ونزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٢٨)</sup> سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء أسوة وأن ما يفعلونه به يحق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا. ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْ﴾<sup>(٢٩)</sup> يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ أي من عذابه إن أتاكم ليلاً أو نهاراً ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٣٠)</sup> أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطر ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكاليء فصلحوا للسؤال عنه، والمعنى

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

وعبارة المصنف: وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدم (مبينين على الضم، لأن الضمير المضاف إليه منوي) فلا يقدر - الخ - إيضاح لما يفهم من كلامه عز وجل. قوله هوته أي جعله هيئاً، سهلاً وحقيراً. (٢٥) قوله جزاء (ما كانوا به يستهزئون) فاعل «حاق» ولم ينزل بالساحرين عين ما سخروا به، بل نزل بهم عقابه وجزاؤه، لكنه حذف من الكلام إيجازاً فأظهره المصنف. (٢٦) قل من يكفر - كلاً يكلاً كلاً وكلاءة وكلاءة: الله فالنا: حرسه وحفظه، وبابه فتح. والكاليء الحافظ. اعلم أنه تعالى لما بين أن الكفار في الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار بسائر ما وصفهم به أتبعه بأنهم في الدنيا أيضاً لم يقوا في السلامة لولا أن الله تعالى يحرسهم ويحفظهم، فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الكفار الذين يستهزئون ويغترون بما هم عليه من السلامة (من يكلكم بالليل والنهار) - مفاتيح الغيب.

قوله لو يعلم الذين كفروا شرط، والجزء المحذوف أظهره المصنف بقوله كما كانوا بتلك الصفة. و «الذين كفروا» فاعل يعلم، وضع موضع الضمير للتنبيه على أن سبب الاستعجال هو كفرهم، أو على أن علة إحاطة النار بجوانبهم هو كفرهم. فإن الوصف يشعر بالعلية. و قوله حين مع ما أضيف إليه من الجملتين مفعول «يعلم». والعلم هنا بمعنى المعرفة فلا يطلب مفعولاً ثانياً. وقوله لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، يدل على أن النار تحيط بهم من كل جانب، وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر - بمعنى القدام والخلف - لكونهما أشهر الجوانب، ولأن الإحاطة بهما تستلزم الإحاطة بالكل. و يدل على أنهم لا يقدر على دفعها من أي جانب بأنفسهم وقوله ولا ينصرون يدل على حرمانهم النصر في دفعها من جهة الغير، فالحاصل أن النار في ذلك الحين تحيط بهم، ولا تدفع عنهم بقوة أنفسهم ولا بقوة غيرهم، بل لا يكون لهم ناصر أصلاً ولا يجدون من النصر شيئاً والمعنى لو يعلمون ذلك الحين لما كانوا مستمرين على الكفر والاستهزاء والاستعجال.

أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكاليء، ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم. ثم أضرب عن ذلك بقوله: ﴿أَمَلَهُمُ الْهَيْئَةُ تَمَنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا﴾ ﴿٢٧﴾ لما في «أم» من معنى «بل» فقال: ألهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز معنا وحفظنا. ثم استأنف بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّنْ يَصْحَبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره. ثم قال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وما كلاًناهم وأبائهم الماضين إلا تمتعاً لهم بالحياة الدنيا وإمهالاً كما تمتعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ﴿٢٩﴾ أي نقص أرض الكفر<sup>(٢٧)</sup> ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردّها دار إسلام، وذكر «نأتى» يشير بأن الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ أفكفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ ﴿٣١﴾ أخوفكم من العذاب بالقرآن ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ بفتح الياء والميم ورفع الصم، «ولا تسمع الصم» شامي على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِذَا مَا يُنذِرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ يخوفون. واللام في «الصم» للعهد وهو إشارة إلى هؤلاء المنذرين، والأصل ولا يسمعون إذا ما يندرون فوضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على تصامهم وسدهم أسمعهم إذا ما أندروا.

#### مواهب المجلد لتجلية مدارك التنزيل

عن المستقبل. (خفاجي)  
قوله أخوفكم الخ التخويف بيان معنى الإنذار، ومن العذاب بيان المنذر منه: وبالقرآن إشارة إلى أن اللام في «الوحي» للعهد. قوله بفتح الياء والميم ورفع الصم قرأه غير ابن عامر، ولا تسمع بضم التاء من فوق، وكسر الميم، ونصب الصم والدعاء على أنهما مفعولان قرأه ابن عامر الشامي.  
قوله للدلالة على تصامهم، التصام: إظهار الصم بالتكلف، وهو من دلالة الحال لا من اللفظ (خفاجي) وجه الدلالة أن تعريف الصم للعهد، والمعهود هؤلاء المنذرون، وهم ليسوا بصم حقيقة، فلما سُموا صما دل على أنهم شبهوا بالصم لتصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون. (شيخ زاده)

قوله تتجاوز معنا وحفظنا، هو معنى قوله «من دوننا» فإن (دون) يُستعمل بعد الاتساع في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى آخر، فهو صفة بعد صفة، أو حال من فاعل تمنعهم. (خفاجي)  
﴿٢٧﴾ قوله أرض الكفر فاللام في قوله تعالى «الأرض» للعهد. قوله وذكرنا تي يشير الخ. أي لم يقل إنا نقص الأرض من أطرافها وزاد قوله «نأتي الأرض» لتصوير كيفية نقصها، فإنه بإتيان الجيوش ودخولها. فأصله «تأتي جيوش المؤمنين» لكنه أسنده لنفسه تعظيماً لهم، وإشارة إلى أنه بقدرته ورضاه، وفيه تعظيم للجهاد والمجاهدين. وهذه الآية مدنية نازلة بعد فرض الجهاد كما في الإتيان، فلا يرد أن السورة مكية والجهاد فرض بعدها، حتى يقال: إنها إخبار

﴿وَلَيْنُ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ﴾ دفعة يسيرة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ صفة لـ «نفحة» ﴿لِيَقُولَنَّ يَوْمَئِذٍ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي ولئن مسهم من هذا الذي يندرون به<sup>(٢٨)</sup> أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا، وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لأن النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية: رضخه بها مع أن بناءها للمرة. وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال: نفحته الدابة وهو رمح لين، ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته. وعن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان.<sup>(٢٩)</sup> وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله: (يَأْيُهَا الرُّسُلُ) [المؤمنون: ٥١] والوزن لصحائف الأعمال في قول: ﴿الْقِسْطُ﴾ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط، أو على حذف

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بعوضة. أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. وقيل إن الأعمال تجسم وتوزن - اه - تفسير البيضاوي وعناية القاضي - سورة الأعراف: ٨ قال القرطبي: و عن مجاهد و الضحاك والأعمش: الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء، و ذكر الوزن ضربٌ مثلٌ، كما تقول: هذا الكلام في وزن هذا، وفي وزانه، أي يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن. قال الزجاج: هذا سائغ من جهة اللسان والأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان. قال القشيري: وقد أحسن فيما قال: إذ لو حمل الميزان على هذا فيحمل الصراط على الدين الحق، و الجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، و الشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل. وإذ أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، و صارت هذه الظواهر نصوصاً. قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان، بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها. و من المتكلمين من يقول: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها يوم القيامة. وهذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح أن الموازين تنقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، وقد روي في الخبر ما يحقق ذلك. (الجامع لأحكام القرآن، سورة الأعراف)

أخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، =

(٢٨) قوله من هذا الذي يندرون به، ذكره للدلالة على شدة ارتباطه بما قبله. قوله أدنى شيء بيان معني "نفحة" قوله رضخه بها، رضخ من (ف) أعطاه قليلا من العطاء، قوله ثلاث مبالغات إحداها في ذكر المس، والثانية في لفظ النفح الدال على القلة، والثالثة في بناء المرة، وزاد السكاكي رابعة، وهي التنكير في "نفحة" قوله رمح بفتح الراء و سكنون الميم و بابه فتح، رمح الفرس والبغل والحمار و كل ذي حافر: ضرب برجله، و في لسان العرب: نفحت الدابة (ف) رمحت برجلها و رمث بحد حافرها و دفعت. اه. ففي لفظ النفح أيضا معنى القلة، وهو الدفع اللين اليسير.

(٢٩) الكفة بالكسر: كل شيء مستدير، كدارة الوشم، و عود الدف، و حباله الصائد، والجمع: كفف و كفاف. و كفة الميزان الكسر فيها أشهر، و قد حكى فيها الفتح و أباه بعضهم - و لسان الميزان: عذبته. أنشد ثعلب: و لقد رأيت لساناً عدل حاكم، يقضى الصواب به، ولا يتكلم. يعني بأعدل حاكم الميزان. (لسان العرب)

قوله والوزن لصحائف الأعمال في قول. قال الخفاجي والبيضاوي لما كانت الأعمال أعراضاً ولا توزن وقد ورد ذكر وزنها في القرآن والأحاديث. اختلفوا فيه. فمنهم من أول الوزن بأنه بمعنى القضاء والحكم العدل أو مقابلتها بجزائها من قوله وازنه إذا عادله. والمشهور من مذهب أهل السنة أنه حقيقة بمعناه المعروف، ثم قيل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان و كفتان وقيل أصحابها لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح

## المضاف أي ذوات القسط ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لأهل يوم القيامة أي لأجلهم ﴿فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قبض على لحيته بيده اليسرى، واستقبل العرش بوجهه، فيقول يا رب قد وعدتني أن لا تخزيني في أمتي، فيأتي النداء من عند العرش: أطيعوا محمداً، و رُدُّوا هذا العبد إلى المقام، فأخرج من حُجرتي بطاقة بيضاء كالأنملة، فألقيها في كفة الميزان اليمنى وأنا أقول بسم الله، فترجح الحسنات على السيئات، فينادي سعد و سعد جده، و ثقلت موازينه، انطلقوا به إلى الجنة، فيقول: يا رسل ربي! قفوا، حتى أسأل هذا العبد الكريم على ربه، فيقول بأبي أنت و أمي، و ما أحسن وجهك و أحسن خلقك من أنت؟ فقد أفلتني عثرتي، فيقول: أنا نبيك محمد، وهذه صلاتك التي كنت تصلي علي، وافتك أحوج ما تكون إليها. (الدر المنثور، سورة الأعراف)

قال القرطبي: فقد علم أن ذلك يرجع إلى وزن ما كتب فيه الأعمال لا نفس الأعمال، و أن الله سبحانه، يخفف الميزان إذا أراد، و يثقله إذا أراد بما يوضع في كفتيه من الصحف التي فيها الأعمال، و في صحيح مسلم عن صفوان بن محرز قال، قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال سمعته يقول: يُدنى المومن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف فيقول: أي رب أعرف، قال فيأتي قد سترتها عليك في الدنيا، و إني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، و أما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤس الخلائق، هولاء الذين كذبوا على الله. و أخرجه البخاري أيضاً في مواضع من صحيحه، و أحمد، و ابن ماجه، و ابن حبان من حديث ابن عمر. فقله "فيعطى صحيفة حسناته" دليل على أن الأعمال تكتب في الصحف و توزن. (الجامع لأحكام القرآن، سورة الأعراف)

قال العلامة ابن حجر في آخر فتح الباري بعد ما نقل قول القرطبي: و الصحيح أن الأعمال هي التي توزن، و قد أخرج أبو داود، و الترمذي، و صححه و ابن حبان عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: ما يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن. و في حديث جابر =

= و الحاكم و صححه و ابن مردويه، و اللالكائي، و البيهقي في البعث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يُصاح برجل من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة و تسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيقول: أ تنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب! فيقول: أ فلك عذر أو حسنة؟ فيها الرجل فيقول: لا، يا رب! فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، و إنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً عبده و رسوله" فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، و البطاقة في كفة، فطاشت السجلات و ثقلت البطاقة، و لا يتفل مع اسم الله شيء.

و أخرج أحمد بسند حسن عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: توضع الموازين يوم القيامة، فيوتى بالرجل فيوضع في كفة و يوضع ما أحصي عليه فتمايل به الميزان، فيبعث إلى النار، فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن لا تعجلوا، لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيوتى ببطاقة فيها "لا إله إلا الله" فتوضع مع الرجل في كفة، حتى تميل به الميزان.

و أخرج ابن أبي الدنيا، و النعميري في كتاب الأعلام عن عبد الله بن عمرو قال: إن لآدم عليه السلام من الله عز و جل موقفاً في فسح من العرش، عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق، ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى الجنة، و ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى النار، فبينما آدم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يُنطلق به إلى النار، فينادي آدم: يا أحمد، يا أحمد، فيقول: لبيك يا أبا البشر، فيقول: هذا رجل من أمتك يُنطلق به إلى النار، فأشُدَّ المتزور و أسرع في أثر الملائكة و أقول: يا رسل ربي قفوا، فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لانعصي الله ما أمرنا، و نفعل ما نומר، فإذا أيس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم



من الظلم ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وإن كان الشيء مثقال حبة «مثقال» بالرفع: مدني وكذا في «لقمان» على «كان» التامة ﴿مِنْ خَرْدَلٍ﴾ صفة لـ «حبة» ﴿آتَيْنَاهَا﴾ أحضرناها. وأنت ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم: «ذهبت بعض أصابعه» ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حُسَيْنٍ﴾ عالمين حافظين، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لأن من حفظ شيئاً حسبه وعلمه. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (٣٠) الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا قِيلَ: هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به ويتوصل به إلى سبيل النجاة، وذكر أي شرف أو وعظ وتنبية أو ذكر ما يحتاج الناس إليه في مصالح دينهم. ودخلت الواو على الصفات كما في قوله: (وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا) آل عمران: ٣٩ وتقول: «مررت بزيد الكريم والعالم والصالح». ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال أي يخافونه في الخلاء ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ القيامة وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرٌ مِّنْكَ﴾ كثير الخير غزير النفع ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ استفهام توبيخ أي جاحدون أنه منزل من عند الله. (٣١) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ هداه ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

على أداء الرسالة والصبر على كل عارض دونها، و تذكيراً لأمته، ووجه الاتصال أنه تعالى لما أمر رسول صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقول (إنما أنذركم بالوحي) أتبعه بأن هذه عادة الله تعالى في الأنبياء قبله فقال: ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان. الآية. قوله يستضاء به، أي يهتدى به، شبه الهداية بالضوء فهو استعارة تصريحية متضمنة لتشبيه الحيرة والجهل بالظلمة. قوله كما في قوله تعالى في وصف يحيى على نبينا و عليه السلام: سيداً هو الذي يسود قومه، أي يفوقهم في الشرف، و كان يحيى عليه السلام فائقاً على قومه؛ لأنه لم يركب سيئة قط، و يالها من سيادة. وقال الجنيد رحمه الله: هو الذي جاد بالكونين عوضاً عن المكور و حصوراً هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصراً لنفسه أي منعاً لها من الشهوات (مدارك التنزيل. سورة آل عمران) قوله نصب على المدح أي أعني الذين أو أمدح الذين أو رفع عليه أي هم الذين. (٣١) كأنه قيل أ بعد أن علمتم أن شأنه كشان التوراة في الإيتاء والإيحاء أنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا؟ فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة ممّا لا مساغ له =

= رضي الله تعالى عنه، رفعه: توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، و من رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار. قيل: فمن استوت حسناته و سيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف. أخرج خيشمة في فوائده. وعند ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه نحوه موقوفاً. (فتح الباري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) قوله أي لأجلهم، فاللام للتعليل، و يجوز أن يكون لام التوقيت بمعنى «في» كما في قولك جئتك لخمس مضمين من هذا الشهر، قوله من الظلم إشارة إلى أن «شيئاً» مفعول مطلق منصوب على معنى المصدرية. قوله مثقال بالرفع مدني، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني من العشرة، والباقون بالنصب على أنها ناقصة، واسمها مضمر. (إكليل) (٣٠) اعلم أنه سبحانه لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام تسليّة للرسول عليه السلام فيما يناله من قومه، و تقوية لقلبه

السلام ﴿وَكُنَّا بِهِ﴾ إبراهيم أو برشده ﴿عَلِيمِينَ﴾ أي علمنا أنه أهل لما آتيناہ ﴿إِذْ﴾ إما أن تتعلق بـ«آتيناہ» أو بـ«رشده» ﴿قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ﴾ أي الأصنام المصورة على صورة السباع والطيور والإنسان، وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِفُونَ﴾ أي لأجل عبادتها مقيمون. فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فقلدناهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أراد أن المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل، وأكد بـ«أنتم» ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ بالجد ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّعِينِينَ﴾ أي أجاد أنت فيما تقول أم لآعب استعظماً منهم إنكاره عليهم واستبعاداً لأن يكون ما هم عليه ضلالاً، فثم أضرب عنهم مخبراً بأنه جاد فيما قال غير لاعب مثبتاً لربوبية الملك العلام وحدث الأصنام بقوله:

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي التماثيل فأنى يعبد المخلوق ويترك الخالق ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرِكُمْ﴾ المذكور في التوحيد شاهد ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ وتالله أصله «والله» وفي التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطة نمرود. ﴿لَا كَيْدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ لأكسرنها ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم، قال ذلك سراً من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله: (إِنِّي سَقِيمٌ) [الصفات: ٨٩] أي سأسقم ليتخلف. فرجع إلى بيت الأصنام ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ قطعاً من الجذ وهو القطع<sup>(٣٢)</sup> جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذاً بالكسر: علي، جمع جزيذ أي مجذوذ كخفيف وخفاف ﴿إِلَّا كَيْبَرًا لَهُمْ﴾

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

من الباء، لأنها أصل حروف القسم، وذهب كثير من النحاة إلى أن كلاً من هذه الحروف أصل برأسه، لكن التاء القسمية تستعمل في مقام التعجب من المقسم عليه، وهذا مفهوم من الاستعمال، وليس يلزم لها كما يلزم التعجب لام القسم (خفاجي وغيره) قوله نمرود بضم النون والذال المعجمة في أمالي ثعلب نمرود بالذال المعجمة وأهل البصرة يقولون نمرود بالذال المهملة وعلى هذا عول كثير فجوزوا الوجهين. اسم ملك من الجبابرة معروف (إكليل) قوله لأكسرنها إشارة إلى أن الكيد استعير هنا للكسر، فإن أصل الكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به، والأصنام جمادات لا شعور لها. (٣٢) قوله قطعاً جمع قطعاً. من الجذ وبابه نصر. جذاذاً بالكسر قرأه علي الكسائي، والباقون بالضم،

= أصلاً (أبو السعود) قوله منخرطون أي منسلكون. قوله في سلك ضلال، من قبيل «لجين الماء» أي إضافة المشبه به إلى المشبه، وفيه إشارة إلى تمكنهم في الضلال، وقوله «لا يخفى على عاقل» إيضاح لقوله «مبين» قوله أجاد أنت الخ كانوا مستقرين على عبادة الأصنام أباً عن جد، لا يرونها إلا حقاً، وقر الخليل عليه السلام بالتوكيد القسمي أنهم وآبائهم في ضلال مبين فعدوا هذا الإنكار عظيماً، وحسبوا استقرارهم على الضلال بعيداً، وجوزوا أن يكون هذا الإنكار ملاعبة و مازحة، فأرادوا تحقيق إنكاره عليه السلام قائلين، أجد تنكر علينا أم بلعب و مزاح؟ فأجاب بما هو عين الجد و كالبرهان الساطع على غوايتهم. قوله المذكور من التوحيد، بيان للمشار إليه. قوله تالله، التاء في القسم بدل من الواو، والواو بدل

للأصنام أو للكفار أي فكسرها كلها بفأس في يده إلا كبيرها فعلق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه، أو إلى إبراهيم ليحتج عليهم، أو إلى الله لما رأوا عجز آلهتهم ﴿قَالُوا﴾ أي الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ أي إن من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ الجملتان صفتان لـ«فتى» إلا أن الأول وهو «يذكرهم» أي يعييبهم لا بد منه للسمع لأنك لاتقول: «سمعت زيدا» وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع بخلاف الثاني. (٣٣) وارتفاع «إبراهيم» بأنه فاعل «يقال» فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم ﴿قَالُوا﴾ أي نمرود وأشرف قومه ﴿فَاتُّوَابِهِ﴾ أحضروا إبراهيم ﴿عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى منهم ومنظر ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ﴿٦١﴾ عليه بما سمع منه أو بما فعله كأنهم كرهوا عقابه بلا بينة أو يحضرون عقوبتنا له.

فلما أحضروه ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ ﴿٦٣﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الروية، والباء للملابسة أي بموضع يرونه، و ينظرون إليه، يقال: فلان بمرأى مني و مسمع أي بحيث أراه و أسمع قوله. كذا في الصحاح. (مختصر المعاني) قوله أو يحضرون، المعنى الأول بالنظر إلى أن «يشهدون» من الشهادة، والثاني بالنظر إلى أنه من الشهود بمعنى الحضور.

قوله فلما أحضروه إظهار للمحذوف من القصة، أي أمر أعيان القوم بإحضاره، فامتثلوا وأحضروه، ولما حضر قالوا له أنت فعلت.....

قال بل فعله كبيرهم هذا، فسئلهم إن كانوا ينطقون. الظاهر الذي عليه الأكثر وتأيد بالحديث الصحيح الآتي فيما بعد. أنّ «كبيرهم» فاعل «فعله» و فيه إسناد الكسر إلى الصنم الكبير مع أنه لم يكسر ولا يقدر عليه فتوجه السؤال أن النبي المعصوم كيف أخبر بما هو خلاف الواقع مع أن أهل السنة يعتقدون أن كذب المعصوم مستحيل شرعاً؟ و أجيب عنه بوجه: أوضحها عندي أنه لم يكذب بل أراد الاحتجاج عليهم بأن حملهم على التفكير في آلهتهم أنهم عاجزون لا يصلحون للإلهية.

فإن الجواب بقوله (بل فعله كبيرهم هذا، =

قوله لشديد الظلم معنى الشدة مستفاد من قولهم «من الظالمين» لما تقرر أن «فلاناً من الأشراف» أو كد من «فلان شريف» قوله الحقيقة أي اللاتقة، الجديرة.

(٣٣) قال الشهاب: هذا له تفصيل في كتابنا «طراز المجالس». و حاصله أن «سمع» حقه أن يتعدى إلى مفعول واحد، كما في سائر أفعال الحواس، كما فضله الإمام السهيلي، وهو يتعدى إلى واحد بنفسه، و قد يتعدى إلى، أو اللام، أو الباء، و أما تعديده إلى مفعولين فاختلف فيه، فذهب الأخفش و أبو علي في الإيضاح، و ابن مالك وغيرهم إلى أنه إن وليه ما يُسمع تعدى إلى واحد كسمعت الحديث، و إن وليه ما لا يُسمع تعدى إلى مفعولين ثانيهما جملة متضمنة لمسموع مصححة لتعلق الفعل به، كسمعت زيدا يقول كذا: ولذا لم يُجز بعض النحاة سمعت زيدا قائلاً كذا، لأن قائلاً دال على ذات لا تسمع. الخ. و ما ذكر المصنف من كون «يذكرهم» صفة هو قول ثالث في المسألة، وهو أن يجعل صفة لو وقع بعد نكرة كما هو ههنا، و أن يجعل حالاً لو وقع بعد معرفة كسمعت زيدا يقول - الخ. (عناية القاضي)

قوله: بمرأى منهم و منظر. مرأى اسم مكان من

عن الكسائي: أنه يقف عليه أي فعله من فعله، وفيه حذف الفاعل وإنه لا يجوز،

موادب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله عن الكسائي - الخ - هذا لم يذكره صاحب الكشاف، والأجوبة الباقية ملخصة من الكشاف بعبارة، كما هو داب المصنف في عامة تفسيره "المدارك" والبيضاوي لم يصرح بنسبة الوقف إلى الكسائي. و ذكره الثعلبي (م ٤٢٧هـ) و من بعده كالرازي وغيره بصيغة التمرىض "يروى أو روي عن الكسائي" - و ابن جرير الطبري (م ٣١٠هـ) لم يلم بهذا القول شيئاً.

و أرى أن هذا العزو إلى الإمام الكسائي مبني على خطأ في النقل، وهو أن أحدًا من المجيبين قال: و يجوز على ما ذهب إليه الكسائي من جواز حذف الفاعل أن يوقف على قوله "بل فعله" ثم يُستأنف من قوله "كبيرهم هذا" فالناقل منه فهم أن الكسائي وقف هنا، واعتبر الفاعل محذوفًا، وجعل "كبيرهم هذا" مستأنفًا، ونسب إليه هذا القول، و تتابع النقل. مع أن الكسائي رحمه الله لم يقل بشيء من ذلك، ولا يحتاج إلى هذا التفكيك في نظم القرآن، و تضعيف ارتباط "كبيرهم هذا" بما قبله و بما بعده. بل استخراج هذا الجواب مستخرج على مذهبه، و أخطأ في الاستخراج، فإن القول بجواز حذف الفاعل ليس عامًا عنده في كل موضع، بل في نحو "قام و قعد أخوك" حين تنازع الفعلان على "أخوك" فإن مثل هذا التركيب إذا أعملنا فيه الفعل الثاني بقي الأول بلا فاعل، فقال البصريون باعتبار الضمير في الأول، ويلزم عليه الإضمار قبل الذكر لفظًا و رتبة، و إن أعملنا الفعلين معًا كما هو عند الفراء لزم توارد مؤثرين مستقلين على أثر واحد. فهذا المقام فيه ثلاث محذورات: إمّا بقاء الفعل بلا فاعل، أو الإضمار قبل الذكر لفظًا و رتبة، أو إعمال عاملين عملاً واحدًا في معمول واحد. اختار الأول الإمام الكسائي، و الثاني عامة البصريين، والثالث الفراء. اضطروا إلى ارتكاب أحد من المحذورات لمسيب الحاجة إليه مع التعيين والظهور عند كل سامع أن فاعل القيام هو فاعل القعود. فلا يصح من تجويز حذف الفاعل في أمثال التنازع استخراج أن الإمام الكسائي قائل بجواز حذف الفاعل مطلقًا بدون حاجة، و بغير ظهور ما يُعيّن الفاعل عند السامع.

= فسئلوهم إن كانوا ينطقون) يُلزمهم التأمل في الكبير بأنه عاجز لا يطيق شيئًا من التحرك، فكيف يقدر على كسر الصغار، و كذا يحملهم على التأمل في الصغار بأنهم عاجزة عن السمع و الفهم والنطق فكيف يجيبون. وهذان الفكران يؤذيانهم إلى الاعتراف بأن من كان بهذه الغاية من العجز والقصور لا يصلح أن يكون إلهًا، و من اعتقده إلهًا و عكف على عبادته سفية مبطل ظالم بأن وضع الإلهية التي تقتضي القدرة الشاملة المحيطة، في جمادات تافهة عاجزة. وقد بلغ الخليل عليه السلام غرضه من الجواب، كما نطق به القرآن في صراحة و وضوح (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون)

قال القرطبي: و يجوز عند الأمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه، فإنه أقرب في الحجة، و أقطع للشبهة - اه - ولو قال نعم قد كسرتها، و سألوا: لم كسرت؟ و أجاب: لأنها باطلة، و سألوا: لم جعلتها باطلة؟ و أجاب: لأنها عاجزة لطلال الخصام، ولم يحصل المرام، كما حصل بذلك الكلام مع الإعلام به ضمناً أن الكاسر هو، لا كبير الأصنام.

أمّا الأجوبة التي ذكرها المصنف فبعضها يرجع إلى ما ذكرت، و بعضها محلّ نظر و تأمل، و القصد بكل ذلك دفع صدور الكذب من المعصوم.

أمّا ما روي البخاري و مسلم، و أبو داؤد، و الترمذي و ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لم يكذب إبراهيم النبي في شيء قط إلا في ثلاث، قوله "إني سقيم" وقوله لسارة "أختي" و قوله "بل فعله كبيرهم" - فالبعضاء رحمهم الله أجاب عنه - وكذا غيره - أنه "تسمية للمعاريض كذبًا، لما شابها صورته صورته" أي لم يصدر عنه ما يشابه الكذب إلا في ثلاث. و لكن إبراهيم عليه السلام لعلّو درجته يشفق منه، و لا يجترأ على التقدم في الشفاعة إذا التجأ إليه الناس في المحشر كما ورد عنه في حديث الشفاعة. والمعاريض جمع معارض، وهو ما لا يكون المقصود به ظاهره، و يُذكر تورية و إيهامًا.

وجاز أن يكون الفاعل مسنداً إلى الفتى المذكور في قوله: «سمعنا فتى يذكرهم» أو إلى «إبراهيم» في قوله: «يا إبراهيم» ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وهو مبتدأ وخبر. والأكثر أنه لا وقف، والفاعل «كبيرهم» وهذا وصف أو بدل، ونسب الفعل إلى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي تبكيتاً لهم وإلزاماً للحجة عليهم لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وأنه لا يصلح إلهاً، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق أنيق: أنت كتبت هذا وصاحبك أمي فقلت له «بل كتبت أنت» كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمي، لأن إثباته للعاجز منكما والأمير كائن بينكما استهزاء به وإثبات للقادر،<sup>(٣٤)</sup> ويمكن أن يقال: غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه لأن الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه،<sup>(٣٥)</sup> ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على هذا.<sup>(٣٦)</sup> ويحكى أنه قال: غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرهن، أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الأصنام فيكون نفيًا للمخبر عنه أي بل

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

واختار أبو السعود رحمه الله جواب البيضاوي رحمه الله بإضافة تمهيد إليه. يقول: سلك عليه السلام مسلماً تعريضاً يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على أطف وجه و أحسنه، يحملهم على التأمل في شأن الهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب، حيث أبرز الكبير قولاً في معرض المباشر للفعل بإسناده إليه كما أبرزه في ذلك المعرض فعلاً بحمل الفاس في عنقه، وقد قصد إسناده إليه بطريق التسيب. الخ.

حاصله أنه عليه السلام اختار طريق الإلزام ليحملهم على التفكير في عجز الأصنام، واختار للتوقي عن الكذب طريق الإيهام بأن ذكر لفظاً أراد به الإسناد المجازي، وفهم السامعون الإسناد الحقيقي، وضمّ معه قوله (فسئلوه إن كانوا ينطقون) على حسب فهمهم، فاضطروا إلى التفكير في أن الصنم عاجز عن الكسر، و عاجز عن الفهم والنطق، والعاجز لا يصلح للألوهية.<sup>(٣٦)</sup> هذا الجواب يقارب الجواب الأول، أو هو عينه. والفرق بينهما بأن الجواب الأول مبني على اعتبار الادعاء من قبل نفسه، والجواب الثاني مبني على اعتبار ما يلزمهم من اعتقادهم في الأصنام، وقوله ويحكى حكاية ابن إسحق، ذكره الثعلبي في تفسيره، وارتضاه.

قوله جاز.... إلى الفتى.... ولا يخفى بعده لأنه مذكور في كلام لم يصدر بمحضر من إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى يعود إليه الضمير. قوله أو إلى إبراهيم في قوله «يا إبراهيم» فأى حجة إلى قوله «بل» والمناسب في الجواب «نعم فعله» بل «نعم فعلك» ولا مقتضى للعدول عن الظاهر هنا كما قيل. (خفاجي)<sup>(٣٤)</sup> تعقب أبو السعود على هذا الجواب، واعتبره بمعزل عن التحقيق، وناقش في المثال، وقرر المثال على وجه لم يقرر عليه صاحب الكشاف، وعندي أن ذلك المثال أيضاً لا يخلو من حمل المخاطب على التفكير في عجز نفسه عن الخط الرشيق، والتفكير في العجز، والاعتراف به هو المقصود من الإلزام والتبكيث. وهو حاصل بلا ريب مع الاستهزاء والتجهيل.

<sup>(٣٥)</sup> هذا الجواب قدمه البيضاوي رحمه الله تعالى قائلاً: أسند الفعل إليه تجوّزاً، لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه - اه - لكن لا يلائمه قوله (فسئلوه إن كانوا ينطقون) فإنه يُظهر أنه عليه السلام أسند الفعل إلى الكبير حقيقة، وادعى أنه الكاسر، فاسألوا المكسورين، فإن من أصابه الكسر أعرف بمن كسره.

فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، وقوله: «فَسَلُّوهُمْ» اعتراض. <sup>(٣٧)</sup> وقيل: عرض بالكبير لنفسه وإنما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور <sup>(٣٨)</sup> ﴿فَسَلُّوهُمْ﴾ عن حالهم ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾<sup>٣٧</sup> وأنتم تعلمون عجزهم عنه. ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ فرجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بمخانتهم <sup>(٣٩)</sup> ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلت «من فعل هذا بالهتتا إنه لمن الظالمين» فإن من لا يدفع عن رأسه الفاس، كيف يدفع عن عابديه البأس؟

﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال: نكسته قلبه فجعلت أسفله أعلاه أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾<sup>٤٠</sup> فكيف تأمرنا بسؤالها؟ والجملة سدت مسد مفعولي «علمت» والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم؟ ﴿قَالَ﴾ محتجاً عليهم ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ هو في موضع المصدر أي نفعاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾<sup>٤١</sup> إن لم تعبدوه ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>٤٢</sup> «أف» صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر. ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف «أف» مدني وحفص، «أف» مكّي وشامي «أف» غيرهم <sup>(٤٠)</sup> ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>٤٣</sup> أن من هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلهاً.

فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفزع ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام منه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾<sup>٤٤</sup> أي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصراً

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه. قوله في المجادلة بالباطل والمكابرة قال الراغب: الجِدال، المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، اه. وفي الإصطلاح: المجادلة هي المنازعة لإلزام الخصم، لا لإظهار الصواب، والمكابرة: المنازعة لا لإظهار الصواب ولا لإلزام الخصم، أي المنازعة المحضة، والمعاندة والمغالبة كما في اللغة. (٤٠) في الكلمة ثلاث قراءات (١) أفّ بكسر الفاء منونة. نافع المدني، وحفص، وأبو جعفر المدني من العشرة (٢) أفّ بفتح الفاء من غير تنوين. ابن كثير المكّي، وابن عامر الشامي، ويعقوب من العشرة. (٣) أفّ بكسر الفاء بلا تنوين، الباقون (شعبة) =

(٣٧) لم يذكر هذا الجواب صاحب الكشاف، وذكره البيضاوي بصيغة التمريض، وزيفه ابن جرير بالنظر إلى الحديث الصحيح المذكور.

(٣٨) ضعف هذا الجواب غني عن البيان، ويأباه قوله «هذا». (٣٩) قوله أخذ بمخانتهم. حنق (ن) حنقاً وحنقاً: شد على حلقه حتى يموت. مَحْنَق: موضع الخنق، أي الحلقوم. والجمع مخانق. والأخذ بالمخانق كناية عن إلزام حجة لا محيد عنها.

قوله لا من ظلمتموه، بالتشديد أي نسبتموه للظلم، وفيه إشارة إلى أن «أنتم الظالمون» يفيد الحصر الإضافي (خفاجي) قوله استقاموا تبيين للتشبيه المضمّر في النكس. قال البيضاوي شبه عودهم إلى

مؤزرًا فاختاروا له أهول المعاقبات وهو الإحراق بالنار وإلا فرطتم في نصرتها، والذي أشار بإحراقه نمرود أو رجل من أكراد فارس. وقيل: إنهم حين هموا بإحراقه حسبوه ثم بنوا بيتًا بكوثي وجمعوا شهرًا أصناف الخشب ثم أشعلوا نارًا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها، ثم وضعوه في المنجنيق مقيدًا مغلولًا فرموا به فيها وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وقال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. قال: فسل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وما أحرقت النار إلا وثاقه. وعن ابن عباس: إنما نجا بقوله: «حسبي الله ونعم الوكيل».

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أراد ابردي فيسلم منك إبراهيم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها. والمعنى أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ إحراقًا ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ فأرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمرود فأهلكته ﴿وَوَجَّيْنَاهُ﴾ أي إبراهيم ﴿وَلَوْطًا﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ أي أرض الشام<sup>(٤١)</sup> وبركتها أن أكثر الأنبياء منها فانتشرت في

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

”حسبي الله ونعم الوكيل“ مروى عن سليمان بن صرد - وكان قد أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم - عند عبد بن حميد، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر عن ابن عمرو، قال: أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقى في النار، حسبنا الله ونعم الوكيل. وأخرج أبو يعلى، وأبو نعيم، وابن مردويه، والخطيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لما ألقى إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك“ (الدر المنثور) قوله ابردي أمر من كرم ونصر. قوله لو لم يقل ذلك الخ أخرج عنه الفريابي وابن أبي حاتم وكذا عن علي رضي الله تعالى عنه أخرج عنه الفريابي، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر (الدر المنثور) قوله أرض خصب بالإضافة أو بالتوصيف، الخصب نقيض الجذب، وهو كثرة العشب ورفاعة العيش، ونقل ابن منظور أرض خصب أيضًا (لسان العرب) (٤١) قوله أي أرض الشام أخرج عنه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وابن جرير عن أبي بن كعب، والحسن، و =

= أبو عمرو، علي، حمزة)

قوله مؤزرًا، اسم مفعول من التفعيل، الأزر: القوة، و أزر فلانًا: قواه. قوله فرطتم من التفعيل: قصرتم. قوله أكراد جمع كرد بالضم. جيل من الناس معروف (لسان العرب) قوله كوثي بضم الكاف، والثاء المثناة، بالقصر. قرية بالعراق. الوهج، والوهج: حرارة الشمس والنار من بعيد. والوهج بالتسكين: مصدر و هجت النار تهج وهجا وهجانا، إذا اتقدت (لسان العرب) المنجنيق، بفتح الميم وكسرهما، القذاف، التي ترمى بها الحجارة. قوله حسبي من سؤالي - الخ - أي يكفيني ويغنيني عن السؤال علمه بحالي، فمن بيانية مقدّمة. والوثاق، بكسر الواو، اسم مفرد: ما يُشدّ به، كالحزام (خفاجي) مكالمته عليه السلام جبريل عليه السلام إلى قوله: ”أما إليك فلا“ أخرج عنه ابن جرير عن معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه، وعدم إحراق النار إلا وثاقه الذي رُبط به مروى عن كعب الأحبار عند عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر وعن ابن جريج عند ابن المنذر، وقوله حين الإلقاء في النار

العالمين آثارهم الدينية وهي أرض خصب يطيب فيها عيش الغني والفقير. وقيل: ما من ماء عذب في الأرض إلا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس. روي أنه نزل بفلسطين ولوط بالموثفة وبينهما مسيرة يوم وليلة. وقال عليه السلام «إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخير الناس إلى مهاجر إبراهيم» ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قيل: هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أي وهبنا له هبة: وقيل: هي ولد الولد وقد سأل ولدًا فأعطيه وأعطى يعقوب نافلة أي زيادة وفضلًا من غير سؤال وهي حال من «يعقوب» ﴿وَكُلًّا﴾ أي إبراهيم وإسحق ويعقوب وهو المفعول الأول لقوله: ﴿جَعَلْنَا﴾ والثاني ﴿صَلِحِينَ﴾ في الدين والنبوة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بهم في الدين ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ بوحينا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ وهي جميع الأعمال الصالحة وأصله أن تفعل الخيرات<sup>(٤٢)</sup> ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات. وكذلك قوله ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ والأصل وإقامة الصلاة إلا أن المضاف إليه جعل بدلاً من الهاء ﴿وَكَاثُرًا لَنَا غُيُودِينَ﴾ لا للأصنام فأنتم يا معشر العرب أولاد إبراهيم فاتبعوه في ذلك. ﴿وَلَوْطًا﴾ انتصب بفعل يفسره ﴿أَتَيْنَهُ حُمًاءً﴾ حكمة وهي ما يجب فعله من

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إذا أول عليه عمل عمله، فينوّن ويذكر معموله، ثم يخفف بحذف التنوين ويضاف لمعموله. و"أن تفعل" بالبناء للمجهول، ورفع "الخيرات" فالمصدر مصدر المجهول، و"الخيرات" في قوله "فعلا الخيرات" مرفوعة أيضًا، على القيام مقام فاعله. والذي ذكره المصنف كما في الكشاف. بيان لأمر مقرر في النحو، والداعي لذكره هنا أن فعل الخيرات بالمعنى المصدرى ليس موحى، إنما الموحى أن تفعل، و مصدر المبني للمجهول والحاصل بالمصدر كالمترادفين. وأيضًا الموحى عام للأنبياء عليهم السلام وأممهم فلذا بني للمجهول. (خفاجي)

قوله والأصل إقامة الصلاة قال النحاة مصدر الإفعال والاستفعال من المعتل العين نحو أقام واستقام إقامة واستقامة، أصلهما إقوام واستقوام، فأعلّ بقلب واوه ألفا بعد نقل حركتها لما قبلها، وحذف أحد ألفيه لالتقاء الساكنين، وعود عنها التاء. ومذهب الفراء جواز ترك التعويض بشرط الإضافة، ليكون المضاف إليه سادًا مسدّها، ومذهب سيبويه الجواز مطلقًا، والسماع يشهد له، لوروده بدون الإضافة، والذي حسّنه هنا مشاكلة قوله "وإيتاء الزكاة" (خفاجي) قوله لا للأصنام إشارة إلى الحصر المستفاد من تقديم الصلة.

= قتادة، وابن جريج، وأبي العالية، وابن زيد. قوله ما من ماء عذب رواه ابن جرير عن الربيع عن أبي العالية. (الدر المنثور)

قوله فلسطين، بكسر الفاء وفتح اللام: الكورة المعروفة فيما بين الأردن وديار مصر، وأم بلادها بيت المقدس. (لسان العرب)

قوله عليه السلام "إنها ستكون هجرة بعد هجرة" أخرجه الإمام أحمد في المسند عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وأبو داود، والحاكم في المستدرک، وأبو نعيم في الحلية والإمام أحمد في المسند عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما - كثر العمال رقم الحديث: ٣٨٨٨٨ واللفظ فيه: ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم. قوله مهاجر بفتح الجيم اسم ظرف من المهاجرة، وموضع مهاجرته عليه السلام هو الشام، لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد ما خرج من كوثي بالعراق هاجر إلى الشام وأقام بها. قوله نافلة على تقدير كونه مصدرًا هو مفعول مطلق يعم إسحق ويعقوب، وعلى المعنيين الأخيرين يختص يعقوب ويكون حالًا منه، والمعنى الثاني (ولد الولد) ماخوذ و منشعب من معنى الزيادة والفضل.

(٤٢) قوله أصله أن تفعل الخيرات. وإنما كان كذلك لأن كل مصدر ذكر له معمول بتأويل "أن والفعل" و



العمل أو فصلاً بين الخصوم أو نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهاً ﴿وَمَجِيئُهُ مِنَ الْقُرْبَةِ﴾ من أهلها وهي سدوم ﴿الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾ اللواط والضرط وحذف المارة بالحصى وغيرها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَيَسْقِينِ﴾ خارجين عن طاعة الله ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في أهل رحمتنا أو في الجنة ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي جزاء له على صلاحه كما أهلكتنا قومه عقاباً على فسادهم ﴿وَنُوحًا﴾ أي واذكر نوحاً ﴿إِذْ نَادَى﴾ أي دعا على قومه بالهلاك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فَأَسَجَلْنَاهُ﴾ أي دعاه ﴿فَجِيئَهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي المؤمنين من ولده وقومه ﴿مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان. ﴿٤٣﴾ ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ منعه من أي من أذاهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي واذكرهما ﴿إِذْ﴾ بدل منهما ﴿يَحْكُمِينَ فِي الْحَرْثِ﴾ في الزرع أو الكرم ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «يحكمان» ﴿نَفَسَتْ﴾ دخلت ﴿فِيهِ عَنَمُ الْقَوْمِ﴾ ليلاً فأكلته وأفسدته والنفس انتشار الغنم ليلاً بلا راع ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ أرادهما والمتحاكمين إليهما ﴿شُهَدَايْنِ﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا. ﴿فَقَهْنَاهَا﴾ أي الحكومة أو الفتوى ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه. وقصته أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلاً فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقد استوت قيمتهما أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرفق بالفريقين، فعزم عليه ليحكم فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان. فقال: القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك، وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

في تفسير الكرب ثلاثة وجوه (١) الغرق وهو قول أكثر المفسرين (٢) تكذيب القوم و أذاهم (٣) مجموع الأمرين وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو الأقرب - اهـ - ولذا اختاره المصنف. قوله منعه منهم ضمّن النصر معنى المنع فعدي بمن، ولذا قال في تفسيره منعه (جمل) (٤٤) توجيه لضمير الجمع في قوله «لحكمهم» و صاحب الحرث وإن لم يسبق له ذكر لكنه مفهوم من ذكر الحرث، والمتحاكمين مثني أو جمع لقوله «غنم القوم» (خفاجي) قوله فعزم عليه ليحكم أي أقسم عليه، وأكد أن يُيدي حكمه.

قوله سدوم هي قرية لوط عليه الصلاة والسلام، وقيل قراهم كانت سبغاً، فعبر عنها ببعضها لأنها أشهرها، والمشهور عند أهل اللغة أنه بالدال المهملة، وقد روي بالذال المعجمة (خفاجي) قوله الضراط بضم الضاد المعجمة من شرط (ض) أخرج الريح من دبره بصوت، وكان ذلك عادة لهم في المجالس و الحذف بمعنى الضرب والرمي، والمارة بمعنى الجماعة المارة أي المارين. قوله خارجين الخ إشارة إلى أن الفسق هنا بمعناه اللغوي، والاصطلاح يختص بالمومن العاصي، وما كانوا مؤمنين.

(٤٣) قوله من الطوفان وتكذيب الخ. ذكر الإمام الرازي

في شريعتهم، فأما في شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل. وقال الجصاص: إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها. ونسخ الضمان بقوله عليه السلام «العجماء جبار» وقال مجاهد: كان هذا صلحاً وما فعله داود كان حكماً والصلح خير ﴿وَكَلَّا﴾ من داود وسليمان ﴿أَتَيْنَا حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ معرفة بموجب الحكم ﴿وَسَخَّرْنَا﴾ وذلنا ﴿مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ﴾ وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلاً قال: كيف سخرهن؟ فقال: يسبحن ﴿وَالطَّيْرُ﴾ معطوف على الجبال أو مفعول معه، وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز لأنها جماد. روي أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهي تتجاوبه: وقيل: كانت تسير معه حيث سار ﴿وَكُنَّا فُعَلِينَ﴾ بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجباً عندكم.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤِينَ لَكُمْ﴾ أي عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

لم يرسلها هو عليه، فلما كان هذا الخبر مستعملاً عند الجميع، وكان عمومه ينفي ضمان ما تصيبه ليلاً أو نهاراً ثبت بذلك نسخ ما ذكر في قصة داود وسليمان عليهما السلام، ونسخ ما ذكر في قصة البراء أن فيها إيجاب الضمان ليلاً. وأيضاً سائر الأسباب الموجبة للضمان لا يختلف فيها الحكم بالنهار والليل في إيجاب الضمان أو نفيه، فلما اتفق الجميع على نفي ضمان ما أصابت الماشية نهاراً وجب أن يكون ذلك حكماً ليلاً. اهـ.

قوله العجماء أي البهيمة جبار بضم الجيم وخفة الباء الموحدة أي هدر، أي إذا جرحت البهيمة أحدًا أو أتلفت شيئاً فهو ساقط ولا ضمان على صاحبها إن لم يكن منه تعدي بأن أرسل البهيمة عليه.

قوله تتجاوبه المجاورة والتجاوب: التحاور، و تجاوب القوم: جاوب بعضهم بعضاً، والمراد هنا الموافقة في التسييح. قوله اللبوس بفتح اللام صفة بمعنى الملبوس، كركوب بمعنى مركوب، قال ابن جرير: واللبوس عند العرب السلاح كله درعاً كان أو جوشناً أو سيفاً أو رمحاً، أما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا عني الدروع، و روي عن قتادة أن الدروع قبل داود كانت صفائح فأول من سردها و حلقها (أي نسجها على تشبيك بعض الحلق في بعض) داود عليه السلام.

قوله الجصاص هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي تلميذ الشيخ أبي الحسن الكرخي، صاحب أحكام القرآن. تولد سنة ٣٠٥ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٧٠ هـ - محصل ما قاله هنا في أحكام القرآن أن أصحابنا لا يرون الضمان مطلقاً إذا لم يكن صاحب الغنم هو الذي أرسلها، ومن الناس من ذهب إلى أنها إذا أفسدت زرع رجل ليلاً ضمن، وإن أفسدته نهاراً لم يضمن، واحتجوا بهذه القصة لإيجابها الضمان، وبما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، ففضى على أهل الأموال أي البساتين بحفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي بحفظها بالليل. رواه أبو داود. وهو حديث مضطرب المتن والسند، ويجوز في هذه القصة أن يكون أهل الغنم أرسلوها، وكذا يجوز في قصة البراء رضي الله تعالى عنه أن يكون أرسلها، وإذا كان ذلك محتملاً لم تثبت فيه دلالة على موضع الخلاف، وعلى تقدير أن لم يرسلوها ثبت نسخ الضمان بقوله عليه السلام «العجماء جبار» وفي بعض الألفاظ «جرح العجماء جبار» وهذا حديث تلقاه الناس بالقبول، واستعملوه، ولا خلاف بين الفقهاء في استعمال هذا الخبر في البهيمة المنفلتة إذا أصابت إنساناً أو مالاً أنه لا ضمان على صاحبها إذا

﴿لِيُحَصِّنْكُمْ﴾<sup>(٤٥)</sup> شامي وحفص أي الصنعة، وبالنون: أبو بكر وحماد أي الله عز وجل، وبالياء: غيرهم أي اللبوس أو الله عز وجل ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ من حرب عدوكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر أي فاشكروا الله على ذلك ﴿وَلَسَلَّيْنَا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي وسخرنا له الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ حال أي شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لأنها تجري باختياره، وكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِ﴾ بأمر سليمان ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأنهار والأشجار والثمار والمراد الشام، وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الأرض إليها ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ وقد أحاط علمنا بكل شيء فتجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي وسخرنا منهم ﴿مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ﴾ في البحار بأمره لاستخراج الدر وما يكون فيها ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتمائيل والقصور والقصور والجفان ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه.

﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي واذكر أيوب ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِي﴾ أي دعا بأني ﴿مَسْنِي الضَّرْبُ﴾ الضرب بالفتح الضرر في كل شيء و بالضم الضرر في النفس من مرض أو هزال<sup>(٤٦)</sup> ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ اللفظ في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال: أنت أهل أن ترحم و أيوب أهل أن يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه. عن أنس رضي الله عنه: أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا بِرَأْيِ نَعْمَةِ الْعَبْدِ) [ص: ٤٤] وقيل: إنما شكاه إليه تلذذاً بالنجوى لا منه تضرراً بالشكوى، والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الدابة. مبنياً للمفعول - هُزِلا، و هَزَلَهَا صاحبها من باب ضرب فهي مهزولة. (إكليل)  
قوله ولم يشتك أي لم يأت بالشكاية عن ألمه، جواب عما يقال: كيف شكاه مع علو مقامه في الصبر قوله وقيل إنما شكاه إليه جواب ثان، حاصل الأول أنه لم يشك، بل ذكر حاله، و وصف ربه بغاية الرحمة، و أضمر المسئول. و حاصل الثاني أنه شكاه إليه ضعفه و عدم إطاقته في القيام لطاعته لشدة ألمه، ولم يشك منه أنه أوقعه في الألم والوجع، والشكاية إلى الرب غاية القرب كما قال سيدنا يعقوب عليه السلام: إنما أشكو بثي و حزني إلى الله، و الشكاية من الرب غاية البعد قوله تضرراً بالشكوى أي =

(٤٥) قوله لتحصنكم بالتاء على الثاني قرأه ابن عامر الشامي و حفص، والضمير عائد إلى "صنعة" و بالنون لتحصنكم قرأه أبو بكر شعبة عن عاصم، و حماد بن أحمد عن حمزة، وبالياء ليحصنكم غيرهم.  
قوله رُخَاءً بالضم: الريح اللينة السريعة، لا تُزْعِزُ شيئاً.  
قوله المحاريب أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج و التمائيل جمع تمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله، أي صور من نحاس و زجاج و رخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته و الجفان جمع جفنة، كالقصة: القدح الكبير، قوله أن يزيغوا الزيف: العوج والانحراف عن الاستواء.  
(٤٦) قوله هُزِلا، بضم الهاء ضدَّ السَّمَنِ يقال هُزِلَتْ

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أجابنا دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ﴾ فكشفنا ضره إنعاماً عليه ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾  
روي أن أيوب عليه السلام كان رومياً من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بغير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين، وقالت له امرأته يوماً: لو دعوت الله عز وجل. فقال: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة. فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم وورقه مثلهم معهم ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ هو مفعول له ﴿وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِينَ﴾<sup>(٤٧)</sup> يعني رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه.

﴿وَأَسْمِعِلْ﴾ بن إبراهيم ﴿وَأَدْرِيسَ﴾ بن شيث بن آدم ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ أي اذكرهم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون،<sup>(٤٧)</sup> وسمي به لأنه ذو الحظ من الله والكفل الحظ ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّيْرِينَ﴾ أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ نبوتنا أو النعمة في الآخرة ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤٨)</sup> أي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد.

﴿وَذَا التُّونِ﴾ أي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف إليه ﴿إِذْ ذَهَبَ مَغَاضِبًا﴾ حال أي مراغماً لقومه.<sup>(٤٨)</sup> ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها. روي أنه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً لله وبغضاً للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ﴿فَطَنَّ أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ﴾ نصيق ﴿عَلَيْهِ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل يوماً على معاوية فقال: لقد ضربتني

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

كما قال ابن كثير - أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي .  
قوله لا يشوب شباب الشيء: خلطه (ن) كدر بفتح الكاف والبدال ضد الصفو (ن، س، ك)  
(٤٨) قوله مراغماً لقومه فسّر في لسان العرب المراغمة بالمغاضبة ثم قال: راغم قومه: نبذهم و خرج عنهم و عاداهم. قوله و معنى مغاضبته - إبانة لمعنى المشاركة في الغضب بأنه غضب على القوم لإصرارهم على الكفر، و غضبوا بمفارقته خوفاً من العقاب. قوله برم من سمع: سئم و ضجر قوله فراغهم أي نابذهم و خرج عنهم، قوله البارحة برح الشيء يبرح برأحاً: زال من مكانه، و بابه سمع، و منه قيل لليلة الماضية البارحة" والعرب تقول قبل الزوال: فعلنا الليلة كذا، =

= لإصابة الضرر بالمرض، الشكوى هنا بمعنى المرض. قوله روي أن أيوب عليه السلام: رواه أحمد في الزهد، وابن عساكر. (الدر المنثور)  
قوله فدان، بتخفيف الدال: الذي يجمع أداة الثورين في القران للحرث، والجمع أفدنة و فُدُنْ والفدان بالتشديد كالفدان. (لسان العرب)  
قوله الرخاء بفتح الراء، سعة العيش من (ن و ف و س و ك).  
(٤٧) قوله وهو إلياس أو زكريا أو يوشع كذلك حكاه في الكشاف، ولم يذكر القائلين و كونه زكريا عليه السلام يخدشه أنه مذكور فيما بعد عطفاً، فالظاهر أنه غير زكريا عليه السلام، و روى عن مجاهد وغيره أنه رجل صالح غير نبي، لكن الظاهر من السياق -

أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك. قال: وما هي يا معاوية؟ فقرأ الآية. فقال: أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله: «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ» [البقرة: ١٧] أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ﴿أَنْ﴾ أي بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ أو بمعنى أي ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿لِنَفْسِي فِي خُرُوجِي مِنْ قَوْمِي قَبْلَ أَنْ تَأْذَنَ لِي. فِي الْحَدِيثِ: مَا مِنْ مَكْرُوبٍ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ. وَعَنْ الْحَسَنِ: مَا نَجَاهُ وَاللَّهُ إِلَّا إِقْرَارَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالظُّلْمِ. ﴿فَأَسْكَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ﴾ غم الزلة والوحشة والوحدة ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ إذا دعونا واستغاثوا بنا. «نجى» شامي وأبو بكر بإدغام النون في الجيم عند البعض لأن النون لا تدغم في الجيم. وقيل: تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفاً وأسند الفعل إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لا يجوز، وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات. وقيل: أصله «نجى» من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التائين في ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(٤٩)</sup> [القدر: ٤].

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مسنداً إلى الله عزّ وجلّ بنون العظمة، ونصب المومنين به وهي قراءة ظاهرة واضحة. واختار القراءة الأولى أبو عبيد لموافقتهما المصاحف، لأنها في الإمام ومصاحف الأمصار بنون واحدة، وجعلها بعض النحويين لحناً، وليس الأمر كما ذكر، فإنها قراءة صحيحة ثابتة عن إمامين كبيرين. ووجهها كما قال جماعة من الأئمة وأشار إليه ابن هشام في باب الإدغام من توضيحه أن الأصل ننجي بفتح النون الثانية مضارع نجي، فحذفت النون الثانية تخفيفاً، أو ننجي بسكونها مضارع، أنجي، وأدغمت النون في الجيم لاشتراكهما في الجهر، والاستفال، والانفتاح، والتوسط بين القوة والضعف، كما أدغمت في إجابة وإجاعة بتشديد الجيم فيهما، والأصل إنجاسة وإنجاعة، فأدغمت النون فيهما - الخ -

وقال البيضاوي: قرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في «تظاهرون» وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حروف المضارعة التي لمعنى، ولا يقدر فيه اختلاف حركتي النونين، فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثليين مع تعذر الإدغام. وامتناع الحذف في «تنجافي» لخوف اللبس. اهـ.

= لقرنها من وقت الكلام، وتقول بعد الزوال: فعلنا البارحة - اهـ - (إكليل)  
قوله من القدر قدر على عياله قدرًا ضيق عليهم في النفقة، وقدرت عليه الشيء ضيقته، قال تعالى (ومن قدر عليه رزقه) أي ضيق عليه، وقال: (يسقط الرزق لمن يشاء ويقدر) المفردات في غريب القرآن.  
قوله في الظلمة الشديدة المتكاثفة: توجيه لمعنى الجمع كأن الظلمة لتراكمها ظلمات.  
قوله في الحديث أخرج أحمد، والترمذي، والنسائي، والحكيم في نوادر الأصول، والحاكم وصححه، وابن جرير وابن أبي حاتم، والبزار، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت، سبحنك، إنني كنت من الظالمين) لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له» (الدر المنثور)

(٤٩) واختارها جماعة من الأئمة. قال سيدي علي النوري الصفاقسي في «غيث النفع في القراءات السبع» قرأ الشامي وشعبة بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم (نجي) والباقيون بضم النون الأولى وإسكان الثانية وتخفيف الجيم (ننجي) من أنجي

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه ولا يدعه وحيداً بلا وارث، ثم رد أمره إلى الله مستسلماً فقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث أي باق ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الأنبياء المذكورين ﴿كَانُوا يُسِرُّونَ فِي الْخُبْرَاتِ﴾ أي إنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها ﴿وَيَدْعُونَنَا رِعَبَاءً وَرَهَبًا﴾ أي طمعاً وخوفاً كقوله: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو آخِرَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩] وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرجبة فينا و الرهبة منا ﴿وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ﴾ متواضعين خائفين. ﴿وَالَّتِي﴾ أي واذكر التي ﴿أَحْصَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من الحلال والحرام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها، وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾ مفعول ثانٍ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ وإنما لم يقل آيتين كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل، أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك ف«آية» مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ «آيتين». ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٥٠) الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام وهي ملة جميع الأنبياء. و«أُمَّةً وَاحِدَةً» حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ أي ربيتم اختياراً فاعبدوني شكراً وافتخاراً والخطاب للناس كافة.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أصل الكلام وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير، وهو السر في إثارة كلمة «في» على «إلى». (أبو السعود) (٥٠) قوله تعالى إن هذه أمتكم. بعد إقامة الدلائل على التوحيد ذكر الأنبياء عليهم السلام، وقيامهم على إخلاص العبادة لله تعالى، والمبادرة إلى الخيرات، وإفاضة النعم عليهم ثم نبه أنهم كانوا على ملة واحدة وهي الإيمان بالمبدأ والمعاد، والعمل بما أمر الله به من الصالحات، وهي ملتكم جميعاً، ويجب أن تدينوا بها، ولا تحيدوا عنها بالإشراك بالله، أو ادعاء الولد له أو بالتفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم فتستوجبوا العقاب، و تحرموا الثواب.

قوله مستسلماً أي منقاداً قوله أي باق إشارة إلى المعنى المراد في حقه تعالى، واللفظ له تعالى إما على طريق التمثيل أو للمشاكله قوله بعد العقار في لسان العرب: العقر والعقر: العقم، وهو استعقام الرحم، وهو أن لا تحمِل. وقد عقرت المرأة عقارة و عقارة (ك) و عقرت تعقر عقرًا و عقرًا (ض) و عقرت عقرًا (س) وهي عاقر - هـ.

قوله طلباتهم - الطلبة، بفتح الطاء و كسر اللام: ما طلبته من شيء، و بمعنى الحاجة أيضا (لسان العرب) قوله أي إنهم - الخ - بيان لأن الجملة مستأنفة، لتعليل لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع

طريقة الالتفات، و المعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وصاروا فرقةً وأحزاباً . ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة ﴿كُلُّ الْبِنَارِ جُوعُونَ﴾ فنجازيهم على أعمالهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ﴾ شيئاً ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بما يجب الإيمان به ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي فإن سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ ﴿وَأَنَّهُ﴾ للسعي أي الحفظة بأمرنا ﴿كُتِبُونَ﴾ في صحيفة عمله فنشبهه به ﴿وَحَرْمٌ﴾ «وحرمة» كوفي غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال وزناً وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده<sup>(٥١)</sup> ﴿عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ والمعنى ممتنع على مهلك غير ممكن أن لا يرجع إلى الله بالبعث، أو حرام على قرية أهلكتها أي قدرنا إهلاكهم أو حكمنا بإهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور أنهم لا يرجعون من الكفر إلى الإسلام. ﴿حَتَّى﴾ هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني ﴿إِذَا﴾ وما في حيزها ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي فتح سددهما فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى قرية «فتحت»: شامي وهما قبيلتان من جنس الإنس. يقال: الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج ﴿وَهُمْ﴾ راجع

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المؤخر "أنهم لا يرجعون" والمراد بالإهلاك الإهلاك المتحقق، أي عدم الرجوع إلى الله بالبعث ممتنع على القرية المهلكة بل كل إلينا راجعون - أو - حرام خبر، والمبتدأ محذوف - وهو ذلك - والمشار إليه ما ذكر في الآية المتقدمة، والمراد بالإهلاك تقدير الإهلاك أو الحكم بالإهلاك. أي العمل الصالح والسعي المشكور حرام على القرية المقدر إهلاكها أو المحكوم عليها بالإهلاك. وقوله "أنهم لا يرجعون" في موضع التعليل لامتناع العمل الصالح منهم والسعي المشكور لهم ولأم التعليل محذوفة. والمراد بعدم الرجوع، عدم الرجوع من الكفر إلى الإسلام، أي ذلك ممتنع لهم، لأنهم لا يرجعون عن كفرهم. قوله (حتى) متعلق بحرام، أو بمحذوف دل الكلام عليه، أو بلا يرجعون - والمراد التعلق المعنوي لأنها ابتدائية لا جارة - أي يستمر الامتناع، أو الهلاك، أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة وظهور أماراتها، وهو فتح سد يأجوج ومأجوج. (بيضاوي وخفاجي) قوله فتحت أي بتشديد التاء الأولى قرأه ابن عامر الشامي، وأبو جعفر ويعقوب من العشرة، والباقون بالتخفيف.

قوله والكفران مثل - الخ - قال البيضاوي استعير (الكفران) لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه. قال الشهاب: الظاهر أنه استعارة تصريحية، ويجوز كونها تمثيلية، واستعارة الشكر في قولهم "شكر الله سعيه" وهي مشهورة، ومنه قيل لله "شكور" قال الطيبي: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بما أعطاه، وهو في حق الله تعالى محال فشبه معاملته مع من أطاعه و عمل صالحاً بثناء من أحسن إليه غيره. ثم استعمل للمشبه ما استعمل للمشبه به، وقوله وقد نفى نفي الجنس أي قيل "لا كفران" دون لا تكفر لأن نفي الجنس مستلزم له، وأبلغ لعمومه (عناية القاضي) قوله وحرم بكسر الحاء وسكون الراء بلا ألف كوفي غير حفص وخلف، أي أبو بكر و حمزة والكسائي والباقون حرام بفتح الحاء والراء وبألف بعدها. (إكليل) (٥١) استعير الحرام للممتنع وجوده، بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول، وقال الراغب: الحرام الممتنع إما بتسخير إلهي، وإما بمنع قسري، وإما بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع. (خفاجي) قوله والمعنى حاصله أن "حرام" خبر مقدم والمبتدأ

إلى الناس المسوقين إلى المحشر. وقيل: هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد<sup>(٥٢)</sup> ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ نشز من الأرض أي ارتفاع ﴿يَنْسَلُونَ﴾ يسرعون. ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي القيامة وجواب «إذا» ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ وهي «إذا» المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله: (إِذَا هُمْ يَقْتَطُونَ) [الروم: ٣٦] فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل فهي شاخصة أو إذا هي شاخصة كان سديداً و«هي» ضمير مبهم يوضحه الأبصار ويفسره ﴿شَاخِصَةً أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه ﴿يُؤَلِّنَا﴾ متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا و«يقولون» حال من «الذين كفروا» ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها. ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ﴿حَصْبٌ﴾ حطب وقرىء «حطب» ﴿جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرْدُونَ﴾ فيها داخلون ﴿لَوْ كَانَ هُوَ آلَاءَ إِلَهَةٍ﴾ كما زعمتم ﴿مَا وَدَّوْهَا﴾ ما دخلوا النار ﴿وَكُلٌّ﴾ أي العابد والمعبود ﴿فِيهَا﴾ في النار ﴿خُلِدُونَ﴾ لهم ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أنين وبكاء وعويل. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً ما لأنهم صاروا صماً وفي السماع نوع أنس فلم يعطوه.

## مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

السيوطي أيضاً أورد في الدر المنثور تلك الأحاديث بزيادة المخرجين. فهذه الأحاديث المرفوعة تُعَيِّنُ أن المراد بالضمير (هم) يأجوج ومأجوج. قوله سادة مسد الفاء أي في الربط، وليست عوضاً عنها حتى يلزم الجمع بين العوض والمعوض إذا ذكرتاً (شهاب) قوله فيتنأكد أي يتقوى الوصل بلا محذور قوله وهي مبهم قال البيضاوي: والضمير للقصة، أو مبهم يفسره الأبصار، قوله الأجفان جفن العين: غطاؤها من أعلى وأسفل، والجمع: أجفن وأجفان وجفون. قوله تطرف من ضرب، والطرف بفتح الطاء وسكون الراء: تحريك الجفون في النظر، يقال شخص بصره فما يطرف. (لسان العرب) و شخوص أبصارهم يكون في القيامة. والتعقيب عرفي أريد به المبالغة هنا. (خفاجي).

(قوله) وقرىء حطب أي في الشواذ قوله أنين من ضرب أن يثن أنيناً: صوت لألم وتأوه، والأنان بالضم مثل الأنين قوله عويل أعول و عول: رفع صوته بالبكاء والصياح، والاسم العول والعويل والعولة (لسان العرب)

(٥٢) أخرج القول الأول ابن جرير عن مجاهد، والثاني عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، ورجح الثاني بحدِيثين مرفوعين رواهما عن أبي سعيد الخدري و عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما. وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يفتح يا جوج و مأجوج يخرجون على الناس كما قال الله "من كل حدب ينسلون" فيغشون الأرض، وابن كثير لم يذكر القول الأول، و أورد حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه بطوله عن مسند الإمام أحمد، ثم ذكر الحديث الثاني عن النواس بن سمعان الكلابي مرفوعاً وقال انفراد بإخراجه مسلم دون البخاري، و رواه مع بقية أهل السنن من طرق، و قال الترمذي، حسن صحيح. والحديث الثالث بتخريج الإمام أحمد عن ابن حرملة عن خالته مرفوعاً، والحديث الرابع برواية الإمام أحمد و ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، ثم قال: والأحاديث في هذا كثيرة جداً، والآثار عن السلف كذلك والإمام



﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الخصلة المفضلة في الحسن تأتي في الأحسن وهي السعادة أو البشري بالثواب أو التوفيق للطاعة. نزلت (٥٣) جواباً لقول ابن الزبيري عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) إلى قوله: (خُلِدُوا) أليس اليهود عبدوا عزيزاً، والنصارى المسيح، وبنو مليح الملائكة على أن قوله: «وَمَا تَعْبُدُونَ» لا يتناولهم لأن «ما» لمن لا يعقل إلا أنهم أهل عناد فزيد في البيان ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني عزيزاً والمسيح والملائكة ﴿عَنْهَا﴾ عن جهنم ﴿مُعْبَدُونَ﴾ لأنهم لم يرضوا بعبادتهم. وقيل: المراد بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) جميع المؤمنين لما روي أن علياً رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: «أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف» (٥٤) وقال الجنيد رحمه الله: سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها الذي يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الإبعاد عنها أي لا يقربونها حتى لا يسمعوها صوتها وصوت من فيها ﴿وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنفُسَهُمْ﴾ من النعيم ﴿خُلِدُوا﴾ مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بنو مليح بالتصغير قوم من خزاعة. (خفاجي) قوله صناديد قريش أي أشرفهم وعظماهم، الواحد صناديد (بكسر الصاد والدادل وسكون النون بينهما) - لسان العرب - قال العلامة ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: اشتهر في السنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في هذه القصة لابن الزبيري "ما أجهدك بلغة قومك، فإني قلت: وما تعبدون، وهي لما لا يعقل، ولم أقل: ومن تعبدون. اهـ. وهو شيء لا أصل له، ولا يوجد لا مسنداً ولا غير مسند. انتهى.

نعم في بعض طرق هذه القصة أن النبي عليه السلام قال له: إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين" ذكرها ابن إسحق في المغازي وابن جرير الطبري من طريقه. (٥٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن مردويه (الدر المنثور) قوله تعالى لا يسمعون قال ابن جرير: فإن قال قائل: كيف لا يسمعون حسيسها وقد علمت ما روي "أن جهنم يوتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه خوفاً منها" قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها غير تلك الحال، بل هي الحال التي "نزلوا منزلهم من الجنة" كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. انتهى ملخصاً.

(٥٣) أخرج أبو داؤد في ناسخه، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) حصب جهنم أنتم لها (واردون) شق ذلك على أهل مكة، وقالوا شتم الآلهة. فقال ابن الزبيري: أنا خصم لكم محمداً، ادعوه لي فدعي، فقال: يا محمد هذا شيء لألهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبيري خَصَمْتُ و رَبِّ هَذِهِ الْبَيْتِ، يعني الكعبة، أَلَسْتُ تَزْعُمُ يا محمد أن عيسى عبد صالح، وأن عزيزاً عبد صالح، وأن الملائكة صالحون؟ قال: بلى. قال: فهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيزاً، وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، فضج أهل مكة وفرحوا، فنزلت (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) عزيز و عيسى والملائكة (أولئك عنها مبعدون) ونزلت (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) [الزخرف: ٥٧] قال: وهو الصحيح. (الدر المنثور)

والزبيري، بكسر الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة والقصر، معناه: السوء الخلق الغليظ، وهو لقب والد عبد الله القرشي المذكور، وهو شاعر، وقد أسلم بعد هذه القصة، وصار من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وقوله خصمتك أي غلبتك في المخاصمة والمحااجة، و

النفخة الأخيرة ﴿وَتَلَقُّهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تستقبلهم الملائكة مهنيين على أبواب الجنة يقولون: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا. العامل في ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ «لا يحزنهم» أو «تلقاهم» «تطوى السماء» يزيد، وطبها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر نجمعها ونطويها ﴿كَطَى السَّجْلِ﴾ أي الصحيفة ﴿لِلْكِتَابِ﴾ حمزة وعلي وحفص أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة: وغيرهم للكتاب أي كما يطوى الطومار للكتابة، أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبنا ثم يوقع على المكتوب. وقيل: السجل: ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه. وقيل: كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي مضاف إلى الفاعل و على الأول إلى المفعول<sup>(٥٥)</sup> ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ انتصب الكاف بفعل مضممر يفسره «نعيده» و «ما» موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، و «أول خلق»

#### مواليد المجلد لتجلية مدارك التنزيل

الفاعل، واللام في «للكتب» صلة، وهو مفعول به معني، أي كما يطوي الملك أو الكاتب الصحيفة أو الصحائف. وكانوا يأخذون القرطاس فيكتبون عليه، ثم يضيفون إليه قرطاساً آخر و يلصقونه بالأول، و يطوون الأول ثم يكتبون على الثاني وهكذا الثالث والرابع، فطي الطومار (أي الصحيفة المكتوبة) كان واقعاً لأن يكتب على ما بعده، و أيضاً إذا تمت الكتابة طوي القرطاس المكتوب، فشبّه طي السماء بطي الصحائف لأجل الكتابة، أو بسبب المكتوبات. وهذا التشبيه واضح، أما طي السماء بمعنى إذهاب أضواء نجومها ومحو رسومها فهو يحتاج إلى اعتبار وجه جامع بينهما، وهو الإخفاء أي كما يقع إخفاء المكتوبات بطي الصحف كذا يقع إخفاء نجوم السموات بإذهاب ضوئها.

قال ابن جرير بعد ذكر الأقوال الثلاثة في «السجل»: «و أولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع «الصحيفة»، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه. اهـ

والسجل بمعنى الملك رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، و رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن علي بن الحسين أيضاً، وابن جرير عن الشدي أيضاً، والسجل بمعنى كاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند ابن جرير، وابن أبي حاتم و =

قوله النفخة الأخيرة: اختاره ابن جرير و رجّحه على غيره من الأقوال، و روي هذا القول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

قوله تطوى السماء بضم التاء من فوق، على التانيث، و فتح الواو مبيئاً للمفعول، و السماء بالرفع نائب الفاعل، قرأه أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، من العشرة، والباقون بنون العظمة، والسماء بالنصب مفعول به. (إكليل)

قوله تكوير نجومها قال المصنف في تفسير قوله تعالى (إذا الشمس كورت): ذهب بضوئها، من كورت العمامة إذا لفتها، أي يُلَفُّ ضوئها لفاءً، فيذهب انبساطه وانتشاره في الأفاق - اهـ - فتكوير النجوم معناه: إذهاب ضوئها.

قوله للكاتب بضم الكاف والتاء بلا ألف على الجمع قرأه حمزة و علي و حفص، و خلف، وغيرهم للكتاب بكسر الكاف وفتح التاء، على الأفراد، والرسم يحتملها. (إكليل)

(٥٥) ذكر المصنف هنا في السجل ثلاثة أقوال (١) معناه الصحيفة وهو المعروف لغة (٢) اسم ملك يطوي كتب بني آدم (٣) اسم كاتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. والكتاب إمّا مصدر بمعنى الكتابة، أو اسم بمعنى المكتوب، والكتب جمعاً بمعنى المكتوبات، والطي مصدر مضاف إلى المفعول على تقدير السجل بمعنى الصحيفة، واللام في «للكتب» للتعليل أي كما تطوى الصحيفة لأجل الكتابة أو بسبب المكتوبات. والطي على تقدير المعنيين الآخرين في السجل، مصدر مضاف إلى

ظرف لـ «بدأنا» أي أول ما خلق، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى. وأول الخلق إيجاده أي فكما أوجده أوّلاً يعيده ثانياً تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء. والتنكير في «خلق» مثله في قولك: «هو أول رجل جاءني» تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً فكذلك معنى «أول خلق» أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لا يجمع ﴿وَعَدَا﴾ مصدر مؤكد لأن قوله: «نعيده» عدة للإعادة ﴿عَلَيْنَا﴾ أي وعدا كائناً لامحالة ﴿إِنَّا كُنَّا فَعْلِينَ﴾ ذلك أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ﴾<sup>(٥٦)</sup> كتاب داود عليه السلام ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي

## مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

الحشر. والمعنى الثاني للآية أن الناس يحشرون حفاة عراغراً كما خلقوا أول مرة، وهذا المعنى أيده هنا بعض الأحاديث المرفوعة، ولذا اختاره ابن جرير. قوله أول خلق ظرف - الخ - والخلق على تقدير كونه ظرفاً مصدر، و على تقدير كونه حالاً بمعنى المخلوق، و توجيه التنكير يرتبط به على هذا المعنى، لكن الكلام حينئذ ينحصر في أول المخلوقات أي مثل الذي بدأناه حال كونه أول المخلوقات نعیده، والأظهر عندي أن أول خلق ظرف، و ما مصدرية، و مفعول بدأنا محذوف ليعم كل شيء، والمعنى مثل إبداءنا كل شيء أول زمان الخلق والإيجاد نعیده، أي نعید كل شيء كما أوجدناه أول مرة. قوله مصدر مؤكداً كقولك: لك علي ألف درهم اعترافاً.

(٥٦) قوله في الزبور زبر الكتاب زبراً (ن ض) كتبه، والزبور، بالكسر: الكتاب والجمع زبور، مثل قدر و قدور، ومنه قرأ بعضهم (و آتينا داؤد زبوراً) والزبور، بالفتح: الكتاب المزبور، والجمع زُبر، كما قالوا رسول و رسل، وإنما مثلته به لأن زبوراً و رُسولاً في معنى مفعول، وقد غلب الزبور على صحف داؤد على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وكل كتاب زبور. (لسان العرب)

تفسير الزبور هنا بكتاب داود عليه السلام، والذكر بالتوراة مروى عن ابن عباس، والشعبي، والحسن، و قتادة و غير واحد، وقال مجاهد: الزبور الكتب بعد الذكر، والذكر أم الكتاب عند الله، واختار ذلك ابن جرير رحمه الله، وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول، و قال الثوري: هو اللوح المحفوظ. والمراد بالأرض هنا أرض الجنة، قاله ابن عباس، و أبو العالية، و مجاهد، و سعيد بن جبیر، والشعبي، و قتادة، والسدي، و أبو صالح، والربيع =

= أبي داؤد والنسائي، وابن عدي و رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما. قال ابن كثير: وهذا منكر جدها من حديث نافع عن ابن عمر، لا يصح أصلاً، و كذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داؤد، وغيره لا يصح أصلاً. وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه و إن كان في سنن أبي داود. منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي، وقد أفردت لهذا الحديث جزءً على حدته، ولله الحمد، وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث، و رده أتم رده، وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، و كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معروفون، و ليس فيهم أحد اسمه "السجل" و صدق رحمه الله في ذلك. وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث. و أما من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره، والله أعلم.

قوله (كما بدأنا) من المفسرين من قال: إنه ابتداء كلام، و منهم من قال: إنه وُصف قوله "هذا يومكم الذي كنتم توقعون" بقوله "يوم نطوى" ثم عقبه بوصف آخر فقال "كما بدأنا أول خلق" (نيسابوري) أي ذلك اليوم موصوف بوقوع طي السماوات فيه، و موصوف بوقوع الإعادة فيه. والأظهر أنه ابتداء كلام جرى بعد الكلام في التوحيد والنبوة، في ذكر البعث، وبيان لأن الإعادة تقع كما وقع الإبداء. فلما لم يكن الإبداء محل إنكاركم لا ينبغي أن تكون الإعادة محل الإنكار، فإن الإعادة ليست بأصعب من الإبداء عند العقل وفي الواقع، بل هي أسهل و أهون منه، و إن لم يكن شيء صعباً على الله. وهذا المعنى مصرح به في آيات و نصوص كثيرة لبيان وقوع البعث و صحّة

الشام ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ﴾ ساكنة الياء: حمزة. غيره بفتح الياء ﴿الصُّلِحُونَ﴾ أي أمة محمد عليه السلام،<sup>(٥٧)</sup> أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الأنبياء من الكتب. والذكر أم الكتاب يعني اللوح لأن الكل أخذوا منه. دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور والأرض أرض الجنة. ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ أي القرآن أو في المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ ﴿لِبَلَاغٍ﴾ لكفاية وأصله ما تبلغ به البغية ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ موحدين وهم أمة محمد عليه السلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ قال عليه السلام «إنما أنا رحمة مهداة»<sup>(٥٨)</sup> ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن لم يتبع فإنما أتى من نفسه حيث ضيع نصيبه منها. وقيل: هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها. وقيل: هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسح والخسف. و «رحمة» مفعول له أو حال أي ذا رحمة.

﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو «إنما زيد

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الصلحون) فنحن الصالحون. (الدر المنثور) (٥٧) رواه ابن جرير عن كعب الأحمري، وروي عن ابن جريج - قوله (إِنَّ فِي هَذَا لِبَلَاغٍ لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) قال: يقولون في هذه السورة، ويقول آخرون: في القرآن تنزيل الفرائض الصلوات الخمس من أداها كان بلاغاً لقوم عابدين، قال: عاملين.

(٥٨) أخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «إنما أنا رحمة مهداة» وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) قال: من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عُوفي ممّا كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب، من المسح والخسف والقذف.

قوله آتَى من عند نفسه، مبنياً للمفعول أي هلك. قوله إنما لقصر الحكم - الخ - إنما يقصر مدخوله على الجزء الأخير في الجملة، فإن كان الأخير حكماً نحو إنما زيد قائم كان لقصر الشيء على الحكم، وإن كان الأخير ذاتاً كان لقصر الحكم على الشيء نحو إنما يقوم زيد - وكذا إنما - قال في الكشاف: وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن (إنما يوحى إلي) مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد، و (إنما إليهم إلىه =

= بن أنس، والثوري (ابن كثير) والقول الثاني أرض الدنيا. هو قول الكلبي و ابن عباس في بعض الروايات، وذكر الإمام الرازي في دليله قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصلحت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) والقول الثالث الأرض المقدسة، ذكره الزمخشري ولم ينسبه إلى أحد، وذكر الإمام في دليله قوله تعالى (و أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشرق الأرض و مغربها التي بركنا فيها و تمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا) [الأعراف: ١٣٧]

لكن هذا صريح في بني إسرائيل، قال الإمام: ثم يورثها أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، لكن روي تفسيرها بالشام عن الحسن و قتادة و زيد بن أسلم وغيرهم قال الخفاجي: وليست داخله في الأرض المقدسة كما علم، و مشارق و مغارب مفعول أورثنا. أما تفسير العلامة النسفي بالشام فيوافق ما هناك و لعله غير لفظ الزمخشري «الأرض المقدسة» بقوله «الشام» لموافقة تفسير الأرض المروي في سورة الأعراف. لكن ما كان محلّه هنا. وأخرج البخاري. في تاريخه، وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (إن الأرض يرثها عبادي

قائم وإنما يقوم زيد». وفاعل ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ والتقدير يوحى إليَّ وحدانية إلهي، ويجوز أن يكون المعنى أن الذي يوحى إليَّ فتكون «ما» موصولة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر أي أسلموا ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَقُلْ أَذُنْتُكُمْ﴾ أعلمتكم ما أمرت به ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حال أي مستوين في الإعلام به ولم أخصص بعضكم، وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ يُعِيدُ مَا تُوْعَدُونَ﴾ أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى لم يطلعني عليه ولكنني أعلم بأنه كائن لا محالة، أو لا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ إنه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الإسلام وما تكتُمونه في صدوركم من الأحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه. ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتيع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجة عليكم ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل، أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال «واشدد وطأتك على مضر». «قال رب» حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب احكم» يزيد «ربي احكم» زيد عن يعقوب ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ﴾ العاطف على خلقه ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ وعن ابن ذكوان بالياء، كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أي الكفار وهو المستعان على ما يصفون.

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

الأمر قوله رب احكم بضم الباء على إحدى اللغات الجائزة في المضاف لياء المتكلم نحو يا غلام. تبينه على الضم، و تنوي الإضافة وليس منادى مفرداً، لأنه ليس من نداء النكرة المقبل عليها يزيد هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني من العشرة، والباقون «رب» بكسر الباء، اجتزأ بالكسرة عن ياء الإضافة، وهي الفصحى ربي أحكم بياء ثابتة، وفتح الألف والكاف ورفع الميم بصيغة التفضيل - مبتدأ وخبر - زيد عن يعقوب بن إسحاق.

وعن ابن ذكوان الراوي عن عبد الله بن عامر الشامي «يصفون» بالياء من تحت، وهي رواية الأخفش عن ابن ذكوان، شاذة، والمتواترة بالياء من فوق على الخطاب. (إكليل)

(تمت في الثالث والعشرين من رمضان سنة ١٤٢٦ هـ على الساعة الثانية عشرة من الليل، على تمام السابع والعشرين من أكتوبر ٢٠٠٥ م ليلة الجمعة المباركة)

= (واحد) بمنزلة إنما زيد قائم. و فائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقصور على استثثار الله بالوحدانية. اهـ. والقصر إضافي.

قوله فتكون ما موصولة أي في الموضع الأول قوله الأحقاد، جمع حقد بكسر الحاء وسكون القاف، وهو الضغن، وإمساك العداوة في القلب، والتريص لفرصتها (لسان العرب)

قوله لاتحابهم صيغة نهي من المحاباة، حابي الرجل حبا: نصره واختصه و مال إليه (لسان العرب) وفي المصباح حاباه محاباة: سامحه - اهـ - أي ساهله. قوله واشدد وطأتك - الخ - متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قصة القنوت في صلاة الصبح (الكافي الشاف) أشدد من نصر، صيغة أمر، الوطأة الأخذة الشديدة، أي خذهم أخذاً شديداً (لسان العرب) قال رب بصيغة الماضي حفص، والباقون «قل» بصيغة

سورة الحج مكية<sup>(١)</sup> وهي ثمان وسبعون آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أمر بني آدم بالتقوى، ثم علل وجوبها<sup>(٢)</sup> عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الأفزاع. والزلزلة: شدة التحريك والإزعاج، وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هي التي تنزل الأرض، على المجاز الحكمي، أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) [سبأ: ٣٣] ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها،<sup>(٤)</sup> ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئاً فإن هذا اسم لها حال وجودها. وانتصب ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ أي الزلزلة أو الساعة بقوله ﴿تَذْهَلُ﴾ تغفل. والذهول: الغفلة ﴿كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل. وقيل «مرضعة» ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة إذ المرضعة هي التي في حال

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

## سورة الحج

عبيد بن عمير، وابن جريج كما في الدر المنثور، قال القرطبي كالدليل عليه: والرضاع والحمل في الدنيا. وقال ابن جرير: هذا قول لو لا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخلافه، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بمعاني وحي الله وتزيله، والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم. والحديث المرفوع في ذلك مروى عن عمران بن الحصين، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم بطرق كثيرة عند الأئمة حتى البخاري ومسلم وفي بعض طرقه "أ تدرؤن أي يوم ذاك" ثم قال: ذلك يوم يقول الله لأدم: ابعث بعث النار، وفي بعض طرق أبي سعيد عند البخاري وغيره قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم "يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار - الحديث -

فهذه الأحاديث تعين أن ذاك يقع عند النفخة الثانية حين يحشر الناس.

(١) قوله مكية، اختلف فيها فقيل إنها مكية، وقيل إنها مدنية، وقيل مختلطة بعضها مكّي، وبعضها مدني، وهو الأصح. واختلف في تعيينه على أقوال. (خفاجي)  
(٢) قوله علل وجوبها التعليل يستفاد من الجملة المصدرية بأن المستأنفة استينافاً ببياناً، على ما قرّر أهل المعاني في نحو "إذ ذاك النجاح في التذكير" قوله يبقوا على أنفسهم، من الإبقاء أبقيته، جعلته أو تركته باقياً، وأبقيت عليه: رحمته وأشفقته عليه، والاسم البقيا بضم الباء وسكون القاف، والبقية على زنة عطية. قوله التردى لبس الرداء، وههنا بمعنى اللبس مطلقاً. يؤمنهم أي يجعلهم في أمن وحفظ. قوله على المجاز الحكمي أي المجاز في الإسناد لأن المحرك حقيقة هو الله، لا الساعة.

(٣) قوله عند طلوع الشمس من مغربها، كذا حكاها الزمخشري عن علقمة والشعبي، وروى ابن جرير وابن المنذر عن الشعبي أنه قرأ (يأيتها الناس اتقوا ربكم) إلى قوله (ولكن عذاب الله شديد) وقال: هذا في الدنيا من آيات الساعة، وكذا روى غير واحد عن علقمة قال: الزلزلة قبل الساعة، وبمعناه جاء عن

الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشِر الإرضاع في حال وصفها به ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي حبلها ﴿حَمْلَهَا﴾ ولدها قبل تمامه. عن الحسن: <sup>(٤)</sup> تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ﴿وَتَرَى النَّاسَ﴾ أيها الناظر ﴿سُكْرَى﴾ على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي: نفسي نفسي ﴿وَمَا هُمْ بِسُكْرَى﴾ على التحقيق ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم ورددتهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله و تمييزه. وعن الحسن: وترى الناس سكارى من الخوف و ما هم بسكارى من الشراب. «سكرى» فيهما بالإمالة: حمزة و علي وهو كعطشى في عطشان. رُوي أنه نزلت الآيتان ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة. <sup>(٥)</sup>

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

بضم السين و فتح الكاف مع الألف على وزن كُسَالَى، جمع سكران و أمال الألف بعد الراء أبو عمرو، و ورش بين بين، والباقون بالفتح (إكليل) و سكرى أيضاً جمع سكران كقتلى و موتى و حمقى. قوله في غزوة بني المصطلق، التصريح بهذه الغزوة فيما رواه ابن مردويه و ابن إسحق من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، و في غيره من الطرق ليس هذا التصريح بل ورد "وهو في مسير" أو "في سير" ونحوه، و في أحد طرق عمران بن الحصين عند ابن جرير "وهو في بعض مغازية". والتصريح بالمغازي نص على أن الآيتين مدينتان. و غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسي وقعت في السنة الخامسة من الهجرة في الثالث من شعبان.

(٥) قوله فلم ير أكثر باكياً - الخ - و في الكشف بعد ذلك: فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام وقت النزول، ولم يطبخوا قدرًا، وكانوا من بين حزين و باك و مفكر. قال العلامة ابن حجر في التخريج: هكذا ذكره الثعلبي والبغوي، قالوا: روي عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، و غيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق - إلى آخره - قلت: وهو ملفق من حديثيه المذكورين و ثالثهما ابن عباس فيما رواه ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس =

قوله و إن لم تباشِر الإرضاع، في لسان العرب: باشِر الأمر: وليه بنفسه، و مُباشرة الأمر: أن تحضره بنفسك و تليه بنفسك - اه - والكلام يحتمل وجوهاً لأنه إن كان قبل قيام الساعة فهي مرضعة و ملقمة حقيقة، و إن كان بعدها و قلنا إن كل أحد يُحشر على حاله التي فارق فيها الدنيا فتحشر المرضعة مرضعة، والحاملة حاملة، كما ورد في بعض الأحاديث فكذلك، و إن لم نقل به فهو على طريق الفرض والتمثيل لبيان شدة الأمر و تفاقمه (خفاجي)

(٤) قوله عن الحسن أخرجه ابن جرير، و كذا ما يأتي عن الحسن في تفسير سكارى. قوله لغير فطام، في المصباح: فطمت المرضع الرضيع فطماً من باب ضرب: فصلته عن الرضاع، فهي فاطمة، والصغير فطيم، والجمع فطم بضمّتين، مثل بريد و برد، وأفطم الصبي: دخل في وقت الفطام مثل أحصد الزرع إذا حان حصاده. (إكليل) واللام في "لغير فطام" و "لغير تمام" و قتيبة.

قوله الجبروت، بفتحّين هو فعّلوت من الجبر والقهر قوله سرادق، في المصباح: السرادق ما يُدار حول الخيمة من شقق (أي ثياب) بلا سقف، و أيضاً ما يُمد على صحن البيت (إكليل)

قوله سكرى بفتح السين و إسكان الكاف مع حذف الألف فيهما بالإمالة حمزة و علي الكسائي، والباقون

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في دين الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال. نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن: أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلي، أو هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى ﴿وَتَتَّبِعُ﴾ في ذلك ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ عات مستمر في الشر. ولا وقف على «مرید» لأن ما بعده صفته ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضى على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ تبعه أي تبع الشيطان ﴿فَأَنَّهُ﴾ فأن الشيطان ﴿يُضِلُّهُ﴾ عن سواء السبيل ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار. قال الزجاج: الفاء في فأنه للعطف و«أن» مكررة للتأكيد. ورد عليه أبو علي وقال: إن «من» إن كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط، وإن كان بمعنى الذي

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

جاء به إثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث، بيانا لحال بعض المنكرين لها. اهـ. قوله في دين الله قدره ليعم كل ما قال النضر، وكل من جادل في أصل من أصول الدين بهوى نفسه قوله حال بتقدير «ملتبساً بغير علم» ونحوه. قوله في النضر بن الحارث، أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله (و من الناس من يجادل في الله بغير علم) قال: نزلت في النضر بن الحارث، و روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج مثله. (الدر المنثور) قوله وكان جدلاً، كفرح، أي شديد الجدل و الخصومة. و قتل النضر يوم بدر، قوله بلي، في المصباح: بلي الثوب يبلى - من باب تعب - بلي، بالكسر والقصر، و بلاء، بالفتح والمد: خلق، فهو بال، وبلي الميت: أفنته الأرض. اهـ. إكليل.

قوله أو هي عامة، في الكشف: وهي عامة في كل من تعاطى الجدل - الخ - وقال البيضاوي: وهي تعمه و أضرابه - اهـ - قال الخفاجي: يعني أن خصوص السبب لا يخرجها من العموم. اهـ.

قوله عات مستمر في الشر، العتو من نصر: الاستكبار و مجاوزة الحد، و في لسان العرب: مُرَدٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالضَّمِّ يَمُرُّ مُرُودًا، و مُرَادَةٌ فَهُوَ مَارِدٌ و مُرِيدٌ، و تَمَرَّدٌ: أَقْبَلَ و عَتَا، و تَأْوِيلُ الْمُرُودِ أَنْ يَبْلُغَ الْعَايَةَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ جَمَلَةٍ مَا عَلَيْهِ ذَلِكَ الصَّنْفُ. اهـ. فالعتو والخروج عن الحد داخل في معنى المرود والاستمرار في الشر لعله أخذ عن صيغة الصفة الدالة على الثبوت.

قوله الزجاج هو أبو إسحق إبراهيم بن محمد. قوله أبو علي هو الفارسي النحوي الحسن بن أحمد بن غفار.

= قال: بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسيره في غزوة بني المصطلق إذ نزل عليه (يأيها الناس اتقوا ربكم - إلى - شديد) فوقف على ناقته، و رفع صوته - الحديث - و رواه الترمذي، والنسائي، والحاكم من طريق الحسن عن عمران بن حصين "أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في بعض أسفاره، وقد تقارب من أصحابه السير و رفع بهاتين صوته. (يا أيها الناس اتقوا ربكم - إلى - ولكن عذاب الله شديد) فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي، و عرفوا أنه عنده قول يقوله، فلما التفوا حوله قال: أتدرون أي يوم ذلك؟ يوم ينادى آدم - الحديث - وفيه: فألبس أصحابه حتى ما أوضحوا بضاحكة - فلما رأى ذلك قال: اعملوا و أبشروا - الحديث - و أما آخره فلم أره - اهـ.

و تمام الحديث بطريق الحسن عند الإمام أحمد: ذاك يوم ينادى آدم عليه السلام، فيناديه ربه عز وجل، فيقول يا آدم ابعث بعثك إلى النار، فيقول: يا رب! أو ما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسع مائة و تسعة و تسعون في النار، و واحد في الجنة، قال: فألبس أصحابه حتى ما أوضحوا بضاحكة، فلما رأى ذلك قال: أبشروا و اعملوا، فوالذي نفس محمد بيده، إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتا، يأجوج ومأجوج و من هلك من بني آدم و بني إبليس، قال فسرى عنهم، ثم قال: اعملوا و أبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو الرقمة في ذراع الدابة. قوله تعالى (و من الناس) قال أبو السعود: كلام مبتدأ،



فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير: فالأمر أنه يضلّه. قال: والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الأول، والمعنى كتب على الشيطان إضلال من تولاه وهدايته إلى النار. ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال: <sup>(٦)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ﴾ يعني إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء تراباً وماء، وليس سبب إنكاركم البعث إلا هذا، وهو صيرورة الخلق تراباً وماء ﴿فَأَنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي أباكم ﴿مِّنْ تَرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقتم ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي قطعة دم جامدة ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾ أي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ المخلقة المسواة الملساء من النقضان والعيوب <sup>(٧)</sup> كأن الله عز وجل يخلق المضغ متفاوتة، منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم.

وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدرج كمال قدرتنا وحكمتنا، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقه مضغة والمضغة عظماً قادر على إعادة ما بدأه ﴿وَنُقِرُّ﴾ بالرفع عند غير المفضل <sup>(٨)</sup> مستأنف بعد وقف. أي نحن نثبت ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وأنس، وحذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنهم مرفوعاً، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً أيضاً.

قوله نقلناكم بيان لما يتعلق به "لنبيّن" قوله كمال قدرتنا وحكمتنا القدرة ثابتة بأصل الخلق، والحكمة بالتدرج قوله وأن من قدر الخ - "أن" معطوف على "كمال" من موصولة قدر على خلق. صلتها، و قدر على أن يجعل، معطوف على "قدر" الأول والموصول مع الصلة اسم "أن" "قادرٌ على" خير أن.

قوله تعالى (ونقر في الأرحام ما نشاء) استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم. لما بين كيفية خلق الإنسان بالتدرج إلى أن تتكامل أعضاؤه بين بعد ذلك أن من الأبدان ما تمّجه الأرحام ومنها ما تنطوي هي عليه إلى كمال النضج والتربية، فأسقط القسم الأول اكتفاءً بالثاني، واستأنف قائلاً: ونقر..... (أبو السعود ونيسابوري)

(٨) قوله بالرفع عند غير المفضل بن محمد عن عاصم. نقر ثم نخرجكم بالنصب فيهما المفضل (نيسابوري) قوله ثبوته، إظهار لمفعول نشاء،

(٦) إثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم، وأشير إلى ما يؤل إليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث. (أبو السعود)

قوله إن ارتبتم فمزيل ريبكم، إشارة إلى أن قوله "فإننا خلقناكم" دليل الجزاء، وأصل الجزاء فمزيل ريبكم أن تنظروا، فإن الشرط يكون سبباً، والجزاء مسبباً مترتباً عليه، والخلق ليس مسبباً للارتباب.

قوله تعالى (فإننا خلقناكم من تراب) فيه وجهان: أحدهما ما ذكره المصنف، والثاني - كما في المفاتيح - أن خلقة الإنسان من المنى ودم الطمث، وهما إنما يتولدان من الأغذية، والأغذية إما حيوان أو نبات، و غذاء الحيوان ينتهي قطعاً للتسلسل إلى النبات، والنبات إنما يتولد من الأرض والماء، فصَحَّ قوله (إننا خلقناكم من تراب)

(٧) تفسير "مخلقة وغير مخلقة" بتامة وغير تامة مروى عن قتادة عند عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير كما في الدر المنثور، وعزاه الإمام في المفاتيح إلى الضحاك أيضاً بيسط يسير، وهنا أحاديث في تفصيل أطوار النطفة ذكرها في الدر المنثور بتخريج الأئمة عن

ثبوته ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من الرحم ﴿طِفْلاً﴾ حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع، أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا﴾ ثم نربيكم لتبلغوا ﴿أَشْدَّكُمْ﴾ كمال عقلكم وقوتكم وهو من ألفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُجْبِ﴾ أخسه يعني الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي لكيلا يعلم شيئاً من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علماً وينسى ما كان عالماً به.

ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾<sup>(٩)</sup> ميتة يابسة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ وانتفخت. «وربات» حيث كان: يزيد. ارتفعت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بِهَيْجٍ﴾ حسن سار للناظرين إليه. ﴿ذَلِكَ﴾<sup>(١٠)</sup> مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا، وهو أن الله هو الحق أي الثابت الوجود ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كما أحيا الأرض ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْتَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ أي

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الدروس والدثور. اهـ.  
قوله تحركت بالنبات، أي تحركت في رأي العين بسبب حركة النبات، ولو قال تحرك نباتها كان أظهر، لأنه إسناد مجازي. (خفاجي) أي إسناد الحركة إلى الأرض مجازي.  
قوله ربت، من ربا الشيء يربو رُبوا ورباء: زاد ونما، قوله ربأت بهمزة مفتوحة بعد الموحدة، حيث كان أي هنا وحم السجدة يزيد وهو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، من العشرة أي ارتفعت وزادت من جهة العلو، والباقون بحذف الهمزة فيهما. أي زادت من أي جهة كانت. (إكليل)  
(١٠) ذلك بأن الله هو الحق - الآية - كلام مستأنف جيء به إثر تحقيق حقيقة البعث وإقامة البرهان عليه من العالمين الإنساني والنباتي لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى، وأحكام شغونه الذاتية، والوصفية، والفعلية. وأن ما ينكرون وجوده بل إمكانه من إتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الأنفس والآفاق، ومبادي صدورها عنه تعالى فإنكار تحقق السبب مع الجرم بتحقيق المسبب مما يقضى بطلانه بديهة العقول. (أبو السعود)

قوله وما لم نشأ، بيان للقسم الأول الذي طوي ذكره لدلالة القسم الثاني عليه، قوله وأريد به الجنس، صاحب الحال ضمير المخاطبين "كم" جمع، والحال "طفلاً" واحد، وليس بينهما المطابقة، فبين أن "طفلاً" أريد به الجنس المتناول للقليل والكثير، أو أريد بضمير المخاطبين كل واحد منهم فيتطابقان قوله ثم نربيكم لتبلغوا، إظهار لما يتعلق به لتبلغوا، قوله وهو أي أشد قوله أخسسه، بشدة السين، هو أفعال من الخسة والخساسة، والفعل من س و ض، والخسيس: الدنيا والهزم بفتحيتين من سمع: هو أقصى الكبر، والخرف، بفتحيتين: فساد العقل من الكبر، والفعل من سمع قوله لكيلا يعلم... في الكشف وتفسير البيضاوي: ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل، وقلة الفهم فينسى ما علمه، وينكر ما عرفه. والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة، فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره. اهـ.

(٩) همد يهمد هُموداً من نصر: مات، وهدمت النار: صارت رماداً، وقال ابن جرير: وأصل الهمود

أنه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفني بما وعد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾<sup>(١١)</sup> في صفاته فيصفه بغير ما هو له. نزلت في أبي جهل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ضروري ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي استدلال لأنه يهدي إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾<sup>(١٢)</sup> أي وحي والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ حال أي لاوياً عنقه عن طاعة الله كبراً وخيلاء. وعن الحسن: «ثاني عطفه» بفتح العين أي مانع تعطفه إلى غيره ﴿لِيُضِلَّ﴾ تعليل للمجادلة. «ليضل» مكى وأبو عمرو ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ط﴾ دينه ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي القتل يوم بدر ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(١٣)</sup> أي نجمع له عذاب الدارين ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب، وكنى عنها باليد لأن اليد آلة الكسب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فلا يأخذ أحداً بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على «بما» أي وبأن الله. وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقتترانه بلفظ الجمع وهو العبيد، ولأن قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ على طرف<sup>(١٤)</sup> من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أي مضطرباً ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صحة في جسمه وسعة في معيشته ﴿إِظْمَأَنَّ﴾ سكن واستقر ﴿بِهِ﴾ بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ جهته أي ارتد ورجع إلى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله بفتح العين، فهو مصدر، تعطف عليه: وصله وبره. قوله ليضل بفتح الياء، مكى وأبو عمرو وكذا رؤيس عن يعقوب، من العشرة. والباقون بضمها والمفعول محذوف أي ليضل غيره. قوله أي القتل يوم بدر، هذا على ما قيل إن الآية نزلت في أبي جهل أو في النضر بن الحارث كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومن قال إنها لم تنزل في واحد بعينه حمل خزري الدنيا على ذم المومنين ولعنهم وقهرهم إيّاهم، فإن الخزري وهو الهوان والفضيحة لا يلزم أن يكون بالقتل - اه - شيخ زاده.

(١٢) شروع في بيان حال المذبذبين، إثر بيان حال المجاهرين. (أبو السعود)

قوله طمأنينة، اطمأن الرجل اطمئناً وطمأنينة أي سكن، وهو مطمئن إلى كذا، وذلك مطمئناً (لسان العرب) قوله كالذي يكون على طرف من العسكر، =

(١١) وليست هذه الآية مكررة مع قوله (يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) لأن الأولى واردة في المقلدين - بكسر اللام - لتقليدهم واتباعهم للشيطان والشيطان شيطان الإنس، وهذه واردة في المقلدين - بفتح اللام - لقوله ليضل - الخ - قال في الكشف: وهو أظهر وأوفق بالمقام (شهاب وجمال) قوله ثانى عطفه ثنى الشيء ثنياً: ردّ بعضه على بعض، ثنى وجهه: صرفه والعطف: المنكب، والإبط، والجانب. عطف كل شيء: جانباؤه وعطف الرجل: جانباؤه عن يمينه وشماله، وشقاه من لدن رأسه إلى وركه، وثنى عطفه: اعرض، لوى رأسه ولوى برأسه: أماله من جانب إلى جانب، وأعرض، وخيلاء، بضم الخاء وكسرهما بفتح الياء فيهما: العجب والكبر، و لى العنق كناية عن التكبر، قال الأزهري: وهذا يوصف به المتكبر، فالمعنى: يجادل متكبراً. (لسان العرب)

وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه. قالوا: نزلت في أعراب قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتاجت فرسه مهرأً سوياً وولدت امرأته غلاماً سوياً وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شراً وانقلب عن دينه ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ حال «وقد» مقدرة دليhle قراءة روح وزيد «خاسر الدنيا والآخرة» والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

نسبته إلى السفه أو قلت له إنه سفیه. اه. إكليل. والنظر هنا من وجهين: الأول من جهة المعنى، وهو الإشكال بوقوع التناقض كما ذكر المصنف، والثاني من جهة الإعراب لقوله (يدعو لمن ضره الخ -) وقد ذكر في توجيه الإعراب أكثر من عشرة أوجه. والقاضي البيضاوي دفع التناقض بثلاثة أوجه. الأول أن نفي الضرر والنفع عن الصنم باعتبار ما في نفس الأمر، وإثبات الضرر له باعتبار التسبب، وإثبات النفع له باعتبار زعم الكافر، واختلاف الجهة وكذا اختلاف القائل يدفعان التناقض. والمعنى أن الكافر يعبد جماداً لا يضر بنفسه ولا ينفع. و يعبد من ضره المتحقق بكونه معبوداً أقرب من نفعه المزعوم. والضرر المتحقق هو كونه سبباً للقتل في الدنيا وللعداب في الآخرة، والنفع المزعوم هو ما توقع الكافر بعبادته أنه يشفع له، ويتوسل بعبادتها إلى الله تعالى. و عبر بما إذ نفي الضرر والنفع لأن الصنم لا يعقل، و عبر عنه بمن إذ أثبت له الضرر لأن من شأنه أن يصدر عن العقلاء.

وإعراب «لمن ضره أقرب من نفعه» أن من موصولة والجملة صلتها، والموصول مع الصلة مفعول يدعو من حيث المعنى، و يدعو متضمن لمعنى الزعم فصار ملحماً بأفعال القلوب، واللام معلقة ليذعو. والتعليق عند النحاة إلغاء العمل لفظاً، وإبقاء معنى. والتعليق من خصائص أفعال القلوب، وقوله: (لبئس المولى ولبئس العشير) جملة منفصلة عن ما قبلها وهي جواب قسم مقدر و صدرت من الله تعالى ذمّاً للمعبود الذي ضره الثابت أقرب من نفعه المزعوم. الوجه الثاني: يدعو بمعنى يقول، أي يقول الكافر ذلك بدعاء و صراخ حين يرى استضراره به. فالنافي للضرر والنفع هو الله تعالى. والمثبت لهما هو العابد، فاندفع التناقض لاختلاف النافي والمثبت. و إيراد «يدعو» موضع يقول للإشارة إلى أن الكافر يقول ذلك بدعاء و صراخ.

= توضيح للتمثيل، قوله قر أي ثبت. قوله أعراب جمع أعراب، وفي مختار الصحاح: العَرَبُ جِيلٌ (أي صنف) من الناس، والنسبة إليهم عربي، وهم أهل الأمصار. والأعراب منهم سكان البادية خاصة، والنسبة إليهم «الأعرابي» وليس الأعراب جمعاً لعرب بل هو اسم جنس. اه. إكليل قوله نتجت مجهول بمعنى ولدت قوله مهرأً بضم الميم و سكون الهاء، ولد الفرس، سوياً أي كريماً نفيساً غلاماً سوياً بمعنى تام الخلقه. (إكليل)

أخرج ابن أبي حاتم و ابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث و عام خصب و عام ولاد حسن قالوا: إن ديننا هذا صالح فتمسكوا به، و إن وجدوا عام جدب و عام ولاد سوء و عام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله (و من الناس من يعبد الله على حرف) و أخرج البخاري عنه بالفاظ متقاربة، و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عنه رضي الله تعالى عنه نحوه ما ذكر المصنف. (الدر المنثور)

قوله وقد مقدرة، فإن الماضي لا يكون حالاً إلا بلفظ قد أو تقديرها، قوله روح بفتح الراء ابن عبد المومن عن يعقوب، من العشرة و زيد بن أحمد بن إسحق عن يعقوب خاسر الدنيا والآخرة، على وزن اسم فاعل منصوب على الحال، والآخرة بالجر عطفاً على الدنيا المجرورة بالإضافة، والجمهور بحذف الألف فعلاً ماضياً، و نصب الآخرة عطفاً على الدنيا المنصوبة على المفعولية (إكليل)

قوله سفه الكافر، في المصباح: سفه سَفَهًا من باب تعب، و سفه بالضم سفاهة، فهو سفیه والأثنى سفیهة، والجمع سفهاء، والسفه: نقص في العقل، و أصله الخفة، و سفه الحق: جهله. و سفهته تسفيهاً:

النار ﴿ذَلِكَ﴾ أي خسران الدارين ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿الظاهر الذي لا يخفى على أحد. ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الصنم فإنه بعد الردة يفعل كذلك ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبده ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلُّ الْبَعِيدُ﴾ عن الصواب.

﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ والإشكال أنه تعالى نفى الضر والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية وأثبتهما لها هنا. والجواب أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضرراً ولا نفعاً وهو يعتقد فيه أنه ينفعه ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة: لمن ضره أقرب من نفعه ﴿لَيْبَسَ الْمَوْلَى﴾ أي الناصر الصاحب ﴿وَلَيْبَسَ الْعَشِيرَ﴾ المصاحب. أو كرر يدعو كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شافعياً.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حَتَّىٰ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٣﴾ هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبد الله على حرف ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والثالث ولم يذكر الوجه الأول. وذكر الشارحون ضعفاً في الوجه الثالث، أما أولاً فلأنه يلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد، وأما ثانياً فلأن الخبر جملة قسمية، وهي جملة إنشائية، وفي وقوعها خبراً كلام، ولا يقع إلا مؤولاً. ولو سُلم كون جواب القسم خبراً معنى كما قالوا فلا ريب في كونه خلاف الظاهر.

(١٣) استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى، وأن الله عز وجل يفضل عليهم بما لا غاية ورائه من أجل المنافع والخيرات، إثر بيان غاية سوء حال الكفرة ومآلهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين، وأن معبودهم لا يجديهم شيئاً من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة، وأنهم يعترفون بسوء ولايته وعشترته ويدرؤونه مذمة تامة. ولما كان هذا الفضل والثواب من آثار نصرته تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم عقب بقوله عز و علا (من كان يظن - الخ -) تحقيقاً لها وتقريراً لثبوتها على أبلغ وجه و أكده. وفيه إيجاز واختصار. والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يغيظه ذلك و يظن أن لن يفعل الله تعالى فليبالغ في دفعه، فقصارى أمره وغاية مكره أن يختنق خنقاً مما يرى من ضلال مساعيه. (أبو السعود)

الوجه الثالث: لمن ضره جملة مستأنفة، و يدعو تكرير و تأكيد للأول، والمعنى يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره و ما لا ينفعه، لمن ضره الثابت بكونه معبوداً أقرب من نفعه المزعوم بكونه شافعياً لبئس المولى و لبئس العشير. و دفع التناقض هنا كما في الوجه الأول. أي نفى النفع والضرر بالنظر إلى الواقع، وإثبات الضرر باعتبار التسبب، وإثبات النفع باعتبار زعم الكافر، واختلاف الجهة ينفي التناقض.

والإعراب على هذين الوجهين أن من موصولة، و ضره أقرب من نفعه صلة، والموصول مع الصلة مبتدأ. و "لبئس المولى ولبئس العشير" خبر، و في الأصل لبئس جواب قسم مقدر، لكن قرّر النحاة أن الخبر معنى هو جواب القسم لا المجموع، أي القسم والجواب معاً.

والجملة المركبة من المبتدأ والخبر مقولة "يدعو" على الوجه الثاني، و جملة مستقلة على الوجه الثالث. و لمن ضره أقرب - الخ - من كلام الله تعالى على الوجه الأول و هو كونه مفعول يدعو معنى، و حكاية قول الكافر على الوجه الثاني، و كلام مستأنف من الله تعالى على الوجه الثالث.

والعلامة النسفي وفق الكشاف ذكر الوجه الثاني

وَالْآخِرَةَ ﴿المعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديهِ غير ذلك﴾ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴿بِحبل﴾ إِلَى السَّمَاءِ ﴿إلى سماء بيته﴾ ثُمَّ لِيَقْطَعْ ﴿ثم ليختنق به، وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. وبكسر اللام بصري وشامي﴾ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿أي الذي يغيظه أو «ما» مصدرية أي غيظه، والمعنى فليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه. وسمي فعله كيداً على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ﴿و مثل ذلك الإنزال أنزل القرآن كله﴾ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿واضحات﴾ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿أي ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون، أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيناً.﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴿قيل: الأديان

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المراد من الهداية إما وضع الأدلة، أو خلق المعرفة، والأول غير جائز لأنه تعالى فعل ذلك في حق كل المكلفين، ولأن قوله (يهدي من يريد) دليل على أن الهداية غير واجبة عليه، بل هي معلقة بمشيئته سبحانه، و وضع الأدلة عند الخصم واجب، فبقي أن المراد منه خلق المعرفة.

أجاب القاضي عبد الجبار المعتزلي بأنه أراد تكليف من يريد، لأن التكليف لا يخلو من وصف ما كلفه به و من بيانه، أو أراد يهدي إلى الجنة، ويثيب من يريد ممن آمن وعمل صالحاً، أو يهدي به الذين يعلم منهم الإيمان، أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدي.

والجواب عن الأول أن الله تعالى ذكر ذلك بعد بيان الأدلة، والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف، والتكليف عام لكل من يستأهله، فلا يلائم هذا قوله "من يريد" و أما الوجوه الأخر فبخلاف الظاهر مع أن ما ذكرتم واجب عندكم على الله، وقوله "من يريد" ينافي الوجوب. (اه بتلخيص) قوله ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون - الخ - ذكره في الكشاف تأويلاً و رعاية لمذهبه، ونقله المصنّف بدون التنبيه، وليته تبه عليه أو لم يذكره، والمعنى الواضح عندنا أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء. (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون)

قوله أعاديهِ، الأعادي جمع أعداء، و الأعداء جمع عدو. قوله ليختنق به، خنقه (ن) شد على حلقه حتى يموت، واختنق، مطاوع خنق.

قوله نفسه بفتحيتين، قوله بكسر اللام، على الأصل في لام الأمر، قرأه أبو عمرو البصري، و ابن عامر الشامي، وكذا ورش عن نافع، و رويس عن يعقوب أحد العشرة، والباقون بإسكان اللام للتخفيف.

والتفسير المذكور مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أخرجه عنه الفريابي، و عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم و صححه، وابن مردويه قال: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم (في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) قال: فليربط حبلاً (إلى السماء) قال: إلى سماء بيته، السقف (ثم ليقطع) قال: ثم يختنق به حتى يموت - اه - وكذا روي عن الضحاك و قتادة. (الدر المنثور)

(١٤) قوله وأن الله يهدي من يريد، إما معطوف على هاء أنزلناه فمحله النصب، والمعنى: و كذلك أنزلنا أن الله يهدي من يريد، أو هو خبر لمبتدأ مقدر أي والأمر أن الله يهدي من يريد فمحله الرفع، أو هو مجرور على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أي ولأن الله يهدي من يريد أنزله مبيناً. وهذا الأخير اختاره المصنّف.

قال الإمام في مفاتيح الغيب: احتجّ به أصحابنا فقالوا:

خمسة: <sup>(١٥)</sup> أربعة للشيطان وواحد للرحمن، والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة ﴿إِنَّ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

راهويه: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. (ملخصاً من تفسير ابن كثير - سورة البقرة) (٦) واختار الإمام الفخر الرازي أنهم قوم يعبدون الكواكب، ثم لهم قولان: الأول أن خالق العالم هو الله سبحانه إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب، واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم. والثاني أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، والخالقة لها، فيجب على البشر تعظيمها لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم، ثم إنها تعبد الله سبحانه، وهذا المذهب هو القول المنسوب إلى الكلدانيين الذين جاء إبراهيم عليه السلام راداً عليهم، ومبتلاً لقولهم. (مفاتيح الغيب، سورة البقرة) قال القرطبي: والذي تحصّل من مذهبهم - فيما ذكره بعض العلماء - أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم، وأنها فاعلة.

قال ابن كثير: وأظهر الأقوال - والله أعلم - قول مجاهد ومتابعيه، وهب بن منبه أنه قوم ليسوا على دين اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس، ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه. اهـ.

قال الإمام المرغيناني في الهداية: ويجوز تزويج الصابئات إن كانوا يومنون بدين نبي ويقرون بكتاب؛ لأنهم من أهل الكتاب. وإن كانوا يعبدون الكواكب، ولا كتاب لهم لم تجز مناكحتهم - لأنهم مشركون - والخلاف المنقول فيه محمول على اشتباه مذهبهم، فكل أحاب على ما وقع عنده، وعلى هذا حل ذبيحتهم. اهـ.

وفي الكفاية شرح الهداية (قوله والخلاف المنقول فيه) يعني بين أبي حنيفة وصاحبيه أن أنكحتهم صحيحة عنده، خلافاً لهما (محمول - الخ) وقع عند أبي حنيفة أنهم من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، ولا يعبدون الكواكب، لكنهم يعظمونها كتعظيمنا القبلة في الاستقبال إليها، ووقع عندهما أنهم يعبدون الكواكب، ولا كتاب لهم فصاروا كعبدة الأوثان، فإذا لا خلاف بينهم في الحقيقة - اهـ - قال ابن الهمام: فلو اتفق على تفسيرهم اتفق على الحكم فيهم. (فتح القدير)

(١٥) قوله قيل: الأديان خمسة - الخ - كذا حكاها في الكشاف وغيره بدون نسبة إلى قائله، وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله تعالى عنه قال: الأديان ستة، خمسة للشيطان، وواحد للرحمن (ابن جرير والدر المنثور) وعلى هذا لا حاجة إلى صرف الستة إلى الخمسة. أما الصابئون فقد اختلف فيهم، وجاءت عن السلف فيهم أقوال:

(١) قال مجاهد: الصابئون قوم بين المجوس، واليهود، والنصارى ليس لهم دين، وروي عن عطاء، وسعيد بن جبيرة نحو ذلك.

(٢) وعن الحسن والحكم بن عتبة أنهم كالمجوس، وروى ابن جرير عن الحسن قال: أخبر زياد أن الصابئين يصلون إلى القبلة، ويصلون الخمس، قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية، قال: فخبر بعد أنهم يعبدون الملائكة.

وحكى القرطبي عن مجاهد، والحسن، وابن أبي نجيب: أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود و المجوس، ولا توكل ذبائحتهم، ولا تنكح نساؤهم.

(٣) وسئل وهب بن منبه عن الصابئين فقال: الذي يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً، وقال عبد الرحمن بن زيد: الصابئون أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل، يقولون "لا إله إلا الله" وليس لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله. قال: ولم يؤمنوا برسول.

(٤) قال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهبط الجنوب. يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام.

(٥) وروى ابن أبي حاتم عن أبي الزناد قال: الصابئون قوم ممّا يلي العراق، وهم بگوئی، وهم يومنون بالنبيين كلهم، و يصومون كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات. وقال أبو جعفر الرازي: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، و يقرؤون الزبور، ويصلون للقبلة، وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، والسدي، و أبوالشعثاء جابر بن زيد، والضحاك، و إسحق بن

اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٧﴾ فِي الْأَحْوَالِ وَالْأَمَاكِنِ فَلَا يَجَازِيهِمْ جِزَاءً وَاحِدًا وَلَا يَجْمَعُهُمْ فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ. وَخَبِرَ «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ» كَمَا تَقُولُ: «إِنْ زِيدًا إِنْ أَبَاهُ قَائِمٌ»<sup>(١٦)</sup> ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ عَالَمٌ بِهِ حَافِظٌ لَهُ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ امْرِئٍ مَعْتَقِدَهُ وَقَوْلَهُ وَفِعْلَهُ وَهُوَ أَبْلَغُ وَعِيدٍ.

﴿الْمُرْتَضَى﴾<sup>(١٧)</sup> أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدٌ عِلْمًا يَقُومُ مَقَامَ الْعِيَانِ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ قِيلَ: إِنْ الْكُلَّ يَسْجُدُ لَهُ وَلَكِنَّا لَا نَقْفُ عَلَيْهِ كَمَا لَا نَقْفُ عَلَى تَسْبِيحِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» [الإسراء: ٤٤] وَقِيلَ: سَمِيَ مَطَاوِعَةً غَيْرَ الْمَكْلَفِ لَهُ فِيمَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَتَسْخِيرِهِ لَهُ سَجُودًا لَهُ تَشْبِيهًا لِمَطَاوِعَتِهِ بِسَجُودِ الْمَكْلَفِ الَّذِي كُلُّ خُضُوعٍ دُونَهُ ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ أَي

مواضع الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الممكن حال حدوثه وبقائه إلى الواجب. قالوا: و هذا أدل على الخضوع من وضع الجبهة. فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى، خاضعة له، معترفة بالافتقار إليه وإلى تخليقه وتكوينه.

و يرد على التاويلين المذكورين أن كل إنسان أيضا منقاد لإرادة الله وتدبيره، وكذا مفتقر إليه في حدوثه وبقائه. فمواجه تخصيص البعض بقوله "و كثير من الناس"؟ فأجيب بأن "كثير من الناس" ليس معطوفاً على ما قبله، وليس مرفوعاً بقوله "يسجد" بل يقدر ههنا "يسجد" آخر، وهو بمعنى سجود العبادة أي وضع الجبهة باختيار، وهذا خاص ببعض الناس دون بعض. وقدروا فعلاً آخر لثلاً يلزم استعمال المشترك في معنييه معاً أو استعمال الحقيقة والمجاز معاً. والجواب الثاني أن "كثير من الناس" مبتدأ محذوف الخبر. والخبر "مثاب" دل عليه ما بعده. و قيل غير ذلك.

و من جَوَزَ استعمال المشترك في معنييه معاً كـبعض الشافعية لم يقدر فعلاً آخر، وقال: المراد بالسجود المنسوب إلى الإنسان خاصة هو سجود عبادة، والمراد بالسجود المذكور أولاً هو الانقياد لتدبير الواجب أو الاحتياج إليه.

وقال آخرون: لا مانع من أن يراد بالسجود المذكور أولاً سجود عبادة، فإن السجود في الأصل هو التظامن والتذلل، وكل شيء يعرف الله، ويعبده ويسجد له وإن كانت كيفية السجود مختلفة بأن كانت في البعض بوضع الجبهة، وفي البعض الآخر بفعل =

(١٦) وأدخلت "إن" على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد كقول جرير:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ اللَّهَ سَرَبَلَهُ  
سَرِبَالٌ مُلْكٌ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمِ

وقوله "فلا يجازيهم جزاء واحداً" تفرغ على الفصل في الأحوال وقوله "ولا يجمعهم في موطن واحد" تفرغ على الفصل في الأماكن.

قوله (إن الله على كل شيء شهيد) تعليل لما قبله من الفصل، أي عالم بكل شيء من الأشياء، و مراقب لأحواله. و من قضيته الإحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة، و إجراء جزائه اللائق به عليه. (أبو السعود)

(١٧) قوله تعالى (الم تر أن الله يسجد - الخ -) بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة، مع الإشارة إلى كفيته، و كونه بطريق التعذيب والإثابة، والإكرام والإهانة، إثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيداً على جميع الأشياء التي من جملتها أحوالهم وأفعالهم.

والمراد بالروية العلم. عبر عنه بها إشعاراً بظهور المعلوم. والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الروية، بناءً على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد. (أبو السعود)

قوله إن الكل يسجد له - الخ - وصف الله سبحانه هنا بالسجود العقلاء وغيرهم. و استشكلوا وصف غير العقلاء بالسجود، فأولوه إلى معنى الانقياد لإرادة الله و تدبيره كانقياد الساجد العاقل. و أولوا إلى احتياج



ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء «ومن الناس» صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وإيائه السجود ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾ بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ بالسعادة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإكرام والإهانة وغير ذلك، وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول «يفعل ما يشاء».

﴿هُذُنِ خَصْمَيْنِ﴾ أي فريقان مختصمان؛ فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله ﴿اِخْتَصَمُوا﴾ للمعنى و «هذان» للفظ والمراد المؤمنون والكافرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رجع إلى أهل الأديان المذكورة: فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ في دينه وصفاته، ثم بين جزاء كل خصم بقوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهو فصل الخصومة المعنى<sup>(١٨)</sup> بقوله: «ان الله يفصل بينهم يوم القيامة» ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ كأن الله يقدر لهم نيراناً على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة، واختير لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ﴾ بكسر الهاء والميم، بصري،

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

وابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، والبخاري، و مسلم، والترمذي، و ابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) و عن ابن عباس و قتادة أنها نزلت في المسلمين و أهل الكتاب، أخرجه ابن جرير و ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و عبد بن حميد و ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرج ابن جرير عن مجاهد، و عطاء بن أبي رباح و الحسن قال: هم الكافرون، و المومنون اختصموا في ربهم: و رجح ابن جرير هذا القول. و أجاب عمّا روي عن أبي ذر أن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك. اهـ. (ابن جرير، ابن كثير، الدر المنثور)

(١٨) قوله فصل الخصومة المعني - المعني اسم مفعول، صفة فصل. قوله على مقادير جثتهم، بالإفراد، وهي البدن، أو هو جمع جثة بناء ين مثلثين، وهو أظهر، وهذا بيان لحقيقته، لأن الثياب الجدد تقطع و تفصل على مقدار بدن من يلبسها، واللباس محيط به. والتقطيع مجاز بذكر المسبب، وهو التقطيع. وإرادة السبب، وهو التقدير والتخمين. والظاهر أنه بعد ذلك جعل تقطيعها استعارة تمثيلية تهكمية. شبه إعداد النار المحيطة بهم بتفصيل ثياب لهم. (خفاجي)

= يقوم مقامه، و يناسب حاله و ذكر «كثير من الناس» هنا لرفع ما أوهم أول الكلام أن الناس كلهم يسجدون.

و بعض الآثار يؤيد هذا القول كالحديث المروي في معجم الطبراني وغيره عن يعلى بن مرة: ما من شيء إلا يعلم أني «رسول الله» إلا مردة الجن والإنس. اهـ. و في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أتدري أين تذهب هذه الشمس؟ قلت: الله و رسوله أعلم، قال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستامر، فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت. اهـ.

والمصنف هنا ذكر أولاً القول بسجود العبادة من الكل، و ثانياً القول بالانقياد الاضطراري.

قوله أي و يسجد له كثير الخ- إشارة إلى أن «كثير» مرفوع بمقدر، وهو يسجد. والاحتياج إلى هذا التقدير على القول الثاني كما مر.

قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم - فيمن نزلت هذه الآية؟

(١) ثبت في الصحيح عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه كان يقسم أن هذه الآية نزلت في الثلاثة، والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر، وهم: حمزة بن عبد المطلب، و عبيدة بن الحارث، و علي بن أبي طالب، و عتبة و شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، أخرجه سعيد بن منصور،

وبضمهما: حمزة وعلي وخلف، وبكسر الهاء وضم الميم: غيرهم ﴿ الْحَمِيمُ ١٩ ﴾ الماء الحار. عن ابن عباس رضي الله عنهما: لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها. ﴿ يُصْهَرُ ﴾ يذاب ﴿ بِهِ ﴾ بالحميم ﴿ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ٢٠ ﴾ أي يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ ٢١ ﴾ سياط مختصة بهم ﴿ مِنْ حَدِيدٍ ٢٢ ﴾ يضربون بها ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ من النار ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾ بدل الاشتغال من «منها» بإعادة الجار، أو الأولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعني كلما أرادوا الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلى أعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً، والمراد إعادتهم إلى معظم النار لا أنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها ﴿ وَذُوقُوا ﴾ أي وقيل لهم ذوقوا ﴿ عَذَابَ الْحَرِيقِ ٢٣ ﴾ هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك.

ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ جمع أسورة جمع سوار ﴿ مِنْ ذَهَبٍ وَوَلُؤْلُؤًا ﴾ بالنصب: مدني وعاصم؛ على

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يصهر، الصهر من ف: إذابة الشحم ونحوه. قوله أمعاء، جمع معى ومعى: مُصْرَانِ البطن، و مُصْرَانِ، جمع مصير، و جج مصارين: ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة. قوله: أحشاء جمع حشى، والحشى: ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد، والطحال، والكرش و ما تبع ذلك (لسان العرب) والجلود عطف على «ما» وتأخير عنه للإشعار بغاية شدة الحرارة بإيهام أن تأثيرها في الباطن أقدم من تأثيرها في الظاهر مع أن ملابتها على العكس، والجملة حال من الحميم (أبو السعود) وعن أبي هريرة أنه تلا هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة، حتى يخلص إلى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدمه، وهو الصهر، ثم يعاد كما كان. أخرجه عنه عبد بن حميد، والترمذي وصححه، و عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، و أبو نعيم في الحلية، وابن مردويه (الدر المنثور)

(١٩) قوله مقامع المقمعة والمقمعة، كلاهما ما قُمِعَ به. قال ابن الأثير: المقمعة واحدة المقامع، وهي سياط تعمل من حديد رؤسها مُعَوَّجَةٌ. (لسان العرب)

قوله مختصة بهم. الاختصاص مستفاد من اللام، و تقديم «لهم» و أخرج أحمد، و أبو يعلى، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، والحاكم و صححه، والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لو أن مقمعا من حديد وُضع في الأرض فاجتمع الثقلان، ما أقلوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان (الدر المنثور)

(٢٠) قوله فخرجوا، قدره نظراً إلى الإعادة، فإن الإعادة لا تترتب على الإرادة، بل على الخروج، لكن الخروج حقيقة لا يكون لهم. لقوله تعالى: و ما هم بخارجين منها، بل معنى الخروج ما روي عن الحسن. قوله فهووا، هَوَى هَوِيًا وَهُوِيًا: سقط من علو إلى أسفل. (ض)

قوله سبعين خريفاً أي مسافة سبعين سنة. والخريف أحد فصول السنة، ولا يكون في السنة إلا مرة واحدة، فإذا انقضى سبعون خريفاً انقضى سبعون سنة كذا=

«ويوتون لؤلؤاً» وبالجر: غيرهم عطفاً على «من ذهب» وبترك الهمزة الأولى في كل القرآن: أبو بكر وحماد ﴿وَلْيَأْسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ إبريسم. ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي أرشد هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد و «إلى صراط الحميد» أي الإسلام أو هداهم الله في الآخرة وألهمهم أن يقولوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة. والحمد لله المحمود بكل لسان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٢١)</sup> أي يمنعون عن الدخول في الإسلام ويصدون، حال من فاعل «كفروا» أي وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال: «فلان يحسن إلى الفقراء» فإنه يراد به استمرار وجود الإحسان منه في الحال والاستقبال ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ مطلقاً من غير فرق بين حاضر وباد، فإن أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لا تباع دور مكة وإن

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= في لسان العرب عن ابن الأثير. قوله: ولؤلؤا، والكلمة بهمزيين عند بعض، و يبدال الأولى بالواو عند بعض، والإعراب بالنصب عند بعض، وبالجر عند آخرين. قال في غيث النفع: قرأ السوسي وشعبة بإبدال الهمزة الأولى واواً، والباقون بالهمز، إلا أن حمزة يبدلها في الوقف، وقرأ نافع و عاصم بالنصب بيوتون مقدراً أو نسقاً على موضع أساور، والباقون بالجر عطفاً على من أساور من ذهب، لأن لؤلؤ الجنة -لا حرمنا الله و محبيننا منه - يتخذ منه الأساور، لا كلؤلؤ الدنيا. الخ.

(٢١) (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد و من يُرِدُ فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم). الكلام هنا في أمور الأول الإعراب الثاني المراد من المسجد الحرام والعاكف والباد، الثالث معنى الاستواء في المسجد الحرام. فالأول إعراب يصدون، و سواء، و خير إن. قالوا: يصدون معطوف على «كفروا» و المضارع هنا لبيان الاستمرار والدوام في صدودهم، واختار المصنف أن «يصدون» حال عن ضمير كفروا، بتقدير «هم» و سواءً بالنصب على قراءة الباقيين خبر مقدم والعاكف مع معطوفه مبتدأ مؤخر، والجملة مفعول ثان لجعلنا، و خير إن محذوف، يدل عليه جواب الشرط، أي نذيقهم من عذاب أليم.

الثاني المراد من المسجد الحرام: مكة، والمراد من العاكف والباد: المقيم والافاعي. و الثالث معنى الاستواء أن كل أحد يستحق النزول والإقامة في بيوت مكة، وكذا قوله (و من يرد فيه -الخ-) فإن المتوعد عليه الظلم في الحرم كله، و مكة منه. وهذا عند الحنفية، ولهم أحاديث تؤيد مذهبهم. و قالوا بعدم جواز بيع دور مكة و إجارتها، و قد ورد في الأحاديث الصحيحة التصريح به، كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: مكة حرمها الله، لا يحل بيع رباعها، ولا إجارة بيوتها، روي من طرق عديدة، وقد نهى عمر رضي الله تعالى عنه أهل مكة أن يغلقوا أبواب دورهم دون الحاج. و قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: من أكل كراء بيوت مكة فإنما أكل ناراً في بطنه، لأن الناس في الانتفاع بها سواء، و هذا في الأرض دون البناء. قال في الهداية: لا بأس ببيع بناء مكة و يكره بيع أرضها، و هذا عند أبي حنيفة، وقالوا: لا بأس ببيع أرضها، وهو رواية عنه أيضاً، وهو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه، و عليه الفتوى. وإلى كل ذهب طائفة من الصحابة. (خفاجي) و مذهب مالك في عدم جواز البيع يوافق الحنفية، والإمام أحمد قال: تملك و تورث، ولا توجر. (قرطبي وابن كثير)

والإمام الشافعي و من وافقه فسروا المسجد الحرام بالمطاف، والعاكف بالمعتكف للعبادة فيه، المعدود من أهله لملازمته له، والمساواة في إقامة الشعائر، وهو أظهر. (خفاجي)

أريد به البيت فالمعنى أنه قبله لجميع الناس ﴿سَوَاءً﴾ بالنصب: حفص مفعول ثانٍ لـ «جعلناه» أي جعلناه مستويًا ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾ وغير المقيم. بالياء: مكّي وافقه أبو عمرو في الوصل<sup>(٢١)</sup> وغيره بالرفع على أنه خبر والمبتدأ مؤخر أي العاكف فيه والباد سواء، والجملة مفعول ثانٍ «للناس» حال ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ في المسجد الحرام ﴿يَأْخُذِ بِظُلْمٍ﴾ حالان مترادفان ومفعول «يرد» متروك ليتناول كل متناول كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً، فالإلحاد العدول عن القصد ﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ في الآخرة وخبر «إن» محذوف للدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم. وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك.<sup>(٢٢)</sup> ﴿وَأَذِيبُنَا لِلْإِبْرَاهِيمِ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء، فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنت مكان البيت فبناه على أسه القديم<sup>(٢٣)</sup> ﴿أَنْ﴾ هي المفسرة للقول المقدر أي قائلين له ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ من الأصنام والأقدار: وفتح الياء: مدني وحفص ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ لمن يطوف به ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ والمقيمين بمكة ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين جمع راعع وساجد.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ ناد فيهم، والحج هو القصد البليغ إلى مقصد منيع. ورؤي أنه صعد أبا قبيس فقال: يا أيها الناس حجوا بيت ربكم. فأجاب من قدر له أن يحج من

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

في الآية قال: شتم الخادم في الحرم ظلم فما فوقه. و أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. (الدر المنثور)

(٢٤) روى نحوه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل عن السدي (الدر المنثور) والأسّ والأسس والاساس: كل مبتدأ شيء، والأسّ والاساس: أصل البناء. (لسان العرب)

قوله بفتح الياء نافع، و حفص، و هشام عن ابن عامر، و أبو جعفر من العشرة والباقون بيتي بإسكان الياء.

قوله منيع: القوي، العزيز، و في المفردات: أصل الحج القصد للزيارة، خصّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامةً للنسك، فقيل: الحجّ والحجّ، فالحجّ مصدر، والحجّ اسم. اهـ.

قوله رؤي. رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، و نحوه عنه عند ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي. (الدر المنثور)

(٢٢) قوله (والباد) قرأ ورش، والبصري في الوصل بإثبات ياء بعد الدال، والمكي بإثباتها وصلًا و وقفًا والباقون بحذفها كذلك. (أي وصلًا ووقفًا). غيث النفع.

قوله وغيره بالرفع، أي قرأ غير حفص "سواءً" بالرفع. (٢٣) أخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن راهويه، و أحمد، و عبد بن حميد، والبزار، و أبو يعلى، وابن جرير، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم و صححه، وابن مردويه عن ابن مسعود - رفعه - في قوله (و من يرد فيه بإلحاد بظلم) قال: لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين، لأذاقه الله تعالى عذاباً أليماً.

وأخرج سعيد بن منصور، والطبراني عن ابن مسعود في قوله (ومن يرد فيه. الآية). قال: من همّ بخطيئة فلم يعملها في سوى البيت لم تكتب عليه حتى يعملها، ومن همّ بخطيئة في البيت لم يمته الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب أليم. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير

الأصلاب والأرحام بليك اللهم ليبيك. وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع. والأول أظهر. وجواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوفة على رجال كأنه قال: رجالاً وركباناً. والضامر البعير المهزول، وقدم الرجال على الركبان إظهاراً لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث<sup>(٢٥)</sup> ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ «كل ضامر» لأنه في معنى الجمع. وقرأ عبد الله «يأتون» صفة للرجال والركبان ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ طَرِيقٍ﴾ بغير ﴿عَمِيقٍ﴾ بعيد. قال محمد بن ياسين: قال لي شيخ في الطواف: من أين أنت؟ فقلت: من خراسان. قال: كم بينكم وبين البيت؟ قلت: مسيرة شهرين أو ثلاثة. قال: فأنتم جيران البيت؟ فقلت: أنت من أين جئت؟ قال: من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت. قلت: والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال:

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار

لا يمنعك بعد عن زيارته إن المحب لمن يهواه زوار

واللام في ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا متعلق بـ «أذن» أو بـ «يأتوك» ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ نكرها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودينية<sup>(٢٦)</sup> لا توجد في غيرها من العبادة، وهذا لأن العبادة

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عليه وسلم: إن الملائكة لتصافح ركاب الحجاج، و تعتنق المشاة. (الدر المنثور)  
اكتهل: صار كهلاً. الكهل من الرجال: الذي جاوز الثلاثين، وخطه الشيب (مختار الصحاح، إكليل)  
قوله زر من هويت الخ. هوية (س) أحبه واشتهاه، شط (ن، ض) بعد. أي زر والحق من تحته، وإن كانت داره بعيدة، وحالت دون لقائه حجبات وأستار، لا يمنعك عن زيارته بعد أي بعد كان فإن المحب يكثر الزيارات لمن يحبه.

(٢٦) قوله دينية ودينية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (ليشهدوا منافع لهم) قال: منافع في الدنيا، ومنافع في الآخرة. فأما منافع الآخرة فرضوان الله عز وجل، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات. (الدر المنثور)  
ذكر المصنف هنا منافع الحج وخصائصه بوجوه: الأول اشتمال الحج على الابتلاء بالنفس وبالمال =

قوله حجة الوداع. بفتح واو، وجاز كسرهما ودع فيه الناس، علم أنه لا يتفق له بعد هذا وقفة أخرى، ولا اجتماع آخر مثله. (مجمع بحار الأنوار)  
(٢٥) أخرج ابن خزيمة، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: من حج من مكة ماشياً حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم. قيل: وما حسنات الحرم؟ قال بكل حسنة مائة ألف حسنة — وأخرج ابن سعد، وابن مردويه، والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: إن للحجاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة، وللماشي بكل قدم سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل: يا رسول الله وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة مائة ألف حسنة — وأخرج البيهقي وضعفه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى

شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم، أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال<sup>(٢٧)</sup> وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب وهجر البلاد والأوطان وفرقة الأولاد والخلان، والتنبه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء. فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده، وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط ملففاً في كفن غير مخيط. ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان، ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغباً ورهباً سائلين خوفاً وطمعاً وهم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات «لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ» [هود: ١٠٥]

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

من احتمال المتاعب و مجاوزة المهالك — فالحجّ جامع لأنواع العبادات، و منافع تامات، و مرآة لما سيرد على المرء من أحوال هامات.

(٢٧) قوله مع ما فيه من تحمل الأثقال، و ركوب الأهوال. الأثقال جمع ثقل، والأهوال جمع هول، في الأصل مصدر ثم يطلق على ما يُخاف منه، والمراد أن الحجّ يشتمل على تحمل ما يكون ثقيلاً على المرء، و على الوقوع في الأخطار، والخلع، والقطيعة، والهجر، والفرقة كلمات متقاربة المعاني أي الترك والافتراق، والخلان جمع خليل: الصديق. العناد: الأهبة والعُدّة، الأوراد جمع ورد بالكسر. والورد: النصيب من القرآن، يقال: قرأت ووردى أي ما قدرته قراءته كل يوم، ويقال: لفلان كل ليلة ورد من القرآن يقرأه أي مقدار معلوم. و يقاربه في الاستعمال لفظ "الوظيفة" و إن كان أصل الوظيفة أعم منه فإن الوظيفة من كل شيء: ما يُقدّر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب. (لسان العرب) التأهب: الاستعداد و التهيأ مرآة، أصله مرآة، أبدلت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها، آلة الروية. التجهيز: الإعداد و التهيئة. الحنوط والحناط مثل رسول وكتاب: طيب يُخلط للميت خاصة، و كل ما يطيب به الميت من مسك، و ذريرة، و صندل، و عنبر، و كافور، و غير ذلك ممّا يذّر عليه تطيباً و تجفيفاً لرطوبته فهو حنوط. (إكليل) أشعث: مغبر الرأس لهفان المتحسر. الحجيج جمع الحاج.

= الثاني اشتماله على الأخطار، و ترك الخلان والأوطان. الثالث مشابهة أحواله و أفعاله أحوال الانتقال من الدنيا و مواجهة الآخرة. و أوضح هذا الوجه بعدة أمور: (١) الحاج إذا سافر إلى مكة يقطع المنازل والمهالك، لا ينفعه إلا ما أخذ من الزاد والمتاع كالذي يرتحل من الدنيا لا ينفعه إلا ما اتخذه زاداً ومتاعاً للآخرة من أعماله الصالحة (٢) الحاج إذا أراد الإحرام اغتسل و لبس غير المخيط و تطيب، كالراحل من دار الفناء يُغسل و يُلبس كفنًا غير مخيط مطيباً بالحنوط (٣) إذا تم إحرامه لا يمس طيباً، ولا يأخذ من شعره شيئاً، ويكون أشعث حيران كما سيخرج يوم الحشر من قبره لهفان. (٤) في اليوم التاسع من ذي الحجة يقف الحاج بعرفات مجتهداً في الدعاء راغباً راهباً كما سيقف بعرفات المحشر. (٥) بعد غروب الشمس يندفع من عرفات إلى المزدلفة كما سيُدفع يوم الحشر لفصل القضاء. (٦) يأتي الحاج في اليوم العاشر إلى منى، و يرمي الجمره، و يحلق الرأس، و ينتظف كما سيخرج في المحشر من سيئاته بالتخفيف والرحمة من ربّه (٧) ثم يتوجه إلى مكة و يدخل البيت الحرام لطواف الإفاضة المفروض، و من دخله كان آمناً كالذي يدخل دار السلام يكون آمناً. (٨) الوصول إلى الجنة لا يتحقق إلا بأداء ما تكرهه النفس الظالمة، كذا الوصول إلى الكعبة لا يتحقق إلا بما يشق على النفس

والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء، ومنى هو موقف المنى للمذنبين إلى شفاعة الشافعين، وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف، والبيت الحرام الذي من دخله كان آمناً من الإيذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالماً من الفناء والزوال غير أن الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما أن الكعبة حفت بمتالف البادية، فمرحباً بمن جاوز مهالك البوادي شوقاً إلى اللقاء يوم التناهي. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عند الذبح<sup>(٢٨)</sup> ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وأخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز.<sup>(٢٩)</sup> ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من لحومها، والأمر للإباحة، ويجوز الأكل من هدي التطوع والمتعة والقران لأنه دم نسك فأشبهه الأضحية، ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿الْفَقِيرَ﴾ الذي أضعفه الإعسار.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً وبالجملة فهذا العشر قد قيل: إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث، وفضله كثير من العلماء على عشر رمضان الأخير، لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة و صيام و صدقة وغيره، و يمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه، وقيل: ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. وتوسط آخرون فقالوا: أيام هذا أفضل، و ليالي ذاك أفضل، وبهذا يجتمع شمل الأدلة، والله تعالى أعلم. (ابن كثير)

(٢٩) قوله الضأن والمعز، الضأن ذو الصوف من الغنم، والمعز ذو الشعر من الغنم، واللفظان بإسكان العين، وفتحها أيضاً. الضأن جمع الضائن، والمعز جمع الماعز (لسان العرب)

قوله ويجوز الأكل - الخ - هذا عند الحنفية، وقال الشافعي رحمه الله: لا يجوز الأكل من الهدى الواجب كدم التمتع والقران، وإفساد الحج وفواته، وجزاء الصيد و ما أوجبه على نفسه بنذر، وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل من غيره، وبه قال أحمد رحمه الله، وقال مالك رحمه الله: يأكل من دم التمتع وكل هدي وجب عليه، إلا =

المزدلفة موضع بقرب مكة. منى بكسر الميم مقصوراً، موضع بقرب مكة، وهو مذكر، منصرف. المنى بضم الميم جمع منية: ما يتمنى الرجل أنموذج بضم الهمزة: ما يدل على صفة الشيء، وهو معرب، و في لغة نموذج بفتح النون والذال معجمة مفتوحة مطلقاً. حُفَّت بالمكاره أي أحيطت بها، لا يتوصل المرء إليها إلا باحتمال ما تكرهه النفس. العادية اسم فاعل من العدوان وهو الظلم الشراخ. (مختار الصحاح)

(٢٨) قوله عند الذبح، هذا التفسير بالنظر إلى قول الصاحبين في (أيام معلومات) ومعناه بالنظر إلى قول أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه إكتار ذكر الله في هذه الأيام وقوله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يعني لما رزقهم من بهيمة الأنعام كما في قوله تعالى (لتكبروا الله على ما هداكم) أي لما هداكم، و كما تقول: اشكر الله على نعمه أي لنعمه (أحكام القرآن للجصاص)

قوله وأكثر المفسرين، وهو مذهب الشافعي، والمشهور عن أحمد بن حنبل رحمه الله، وفي الحديث "ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد" رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً، ونحوه عند

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه. قيل: قضاء التفث قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد، والتفث: الوسخ والمراد قضاء إزالة التفث. وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما: قضاء التفث مناسك الحج كلها<sup>(٣٠)</sup> ﴿وَلْيُؤْفُوا﴾ ﴿وَلْيُؤْفُوا﴾ مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه: وفي بنذره وإن لم ينذر، أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم، «وليؤفوا» بسكون اللام والتشديد: أبو بكر ﴿وَلْيَطُوفُوا﴾ طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل. اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبي عمرو<sup>(٣١)</sup> ﴿بِأَلْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ القديم لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جده إبراهيم، أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها، وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية، أو لأنه أعتق من الغرق لأنه رفع زمن الطوفان، أو من أيدي الجبابرة: كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله، أو من أيدي الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء، فإن الطالب إذا هاجته ميعة الطرب<sup>(٣٢)</sup>

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الفاء - اه - فلعل الصواب في نسخة المدارك "عند غير ابن ذكوان و أبي عمرو" - والبيان مع ذلك ناقص، فإن الكسر في اللام الأولى عند ورش و قنبل وهشام أيضاً، والإسكان في الأخيرين عند البصري أيضاً. قوله العتيق، بين له ثلاثة معاني: القديم، الكريم، المعتق. وعلل الأول بأنه أول بيت - الخ - وهذا القول مروى عن الحسن رضي الله تعالى عنه. والثاني لا يحتاج إلى التعليل، فإن كرمه و شرفه معلوم و مشهود، و علل الثالث بثلاثة أمور، عتقه من الغرق - وهو مروى عن سعيد بن جبير - أو عتقه من الجبارين - وقد روي هذا مرفوعاً بسند جيد - أو عتقه من أيدي المالكين، قوله الغبراء - أي الأرض. قوله فإن الطالب - الخ - توجيه لمشروعية الطواف. والحاصل أن الطواف من أحوال العشاق، والأحكام قد تشرع بالنظر إلى أحوال بعض الأفراد الكاملين، و تجب على غيرهم بطريق التشبه والاتباع. (٣٢) قوله هاجته ميعة الطرب. هاج: ثار، و هاجه غيره أثاره، لازم و متعد. و بابه باع لا غير (مختار الصحاح) ماع يميع بابه باع: ذاب و سال، والميعة: سبيلان الشيء المصبوب، و ميعة الحضر، والشباب والسكر والنهار و جري الفرس: أوله و أنشطه. (لسان العرب) والطرب (س) الفرح والحزن =

= فدية أذى و جزاء صيد و منذور. (خفاجي) قوله ادرانهم، الدرّن، الوسخ. (مختار الصحاح) نفطويه، بكسر النون و فتحها، والكسر أفصح، و الفاء ساكنة. أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، النحوي الواسطي، له تصانيف حسان في الآداب ولد سنة أربع و أربعين و مأتين، و قيل سنة خمسين و مأتين بواسط. و سكن بغداد، و توفي سنة ثلاث و عشرين و ثلث مائة، و دفن بباب الكوفة. (إكليل) قوله الاستحداد هو حلق العانة بالحديد. (٣٠) أخرجه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هولاء و ابن أبي حاتم. (الدر المنثور) (٣١) قوله اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش و أبي عمرو) كذا فيما رأيت من نسخ المدارك، وقال في غيث النفع: (ثم ليقضوا) قرأ ورش، و قنبل، و البصري، و الشامى بكسر اللام، و الباقون بالإسكان. (أي قالون عن نافع، و البزري عن ابن كثير، و الكوفيون عاصم، و حمزة، و علي) (وليؤفوا وليطوفوا) قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيهما، و الباقون بالإسكان و قرأ شعبة (وهو أبو بكر بن عياش) بفتح الواو و تشديد الفاء من "وليؤفوا" و الباقون بسكون الواو و تخفيف



وجذبتة جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الأرض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل، فإذا عاين البيت لم يزد التسلي به إلا اشتياقاً ولم يفده التشفي باستلام الحجر إلا احتراقاً، فيرده الأسف لهفان ويردده اللهف حوله في الدوران، وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث، وأولها الإحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام حتى لا يرتفض<sup>(٣٣)</sup> بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه، كما أن عقد الإسلام لا ينحل بازدياد الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة. وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهاال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال.

﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه،<sup>(٣٤)</sup> ويحتمل أن يكون خاصاً بما يتعلق بالحج. وقيل: حرمت الله البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام<sup>(٣٥)</sup> ﴿فَهُوَ﴾ أي التعظيم ﴿خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها ﴿وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ أي كلها ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه وذلك قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ» [المائدة: ٣] الآية.<sup>(٣٦)</sup> والمعنى أن الله تعالى أحل لكم الأنعام كلها إلا ما بين في كتابه، فحافظوا على حدوده ولا تحرموا شيئاً مما أحل كتحرير

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

التضرع، الاهتبال الاغتنام أي يقف بعرفات متضرعاً إلى الله، مغتنماً هذا المقام، وهذه الفرصة، معتزلاً عن إلقاء وثوقه على عمله الرفيع، وشواهد أحواله الطيبة، أي لا يتكل على عمله، وحسن حاله بل يكون بين الخوف والرجاء.

(٣٤) أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله (ذلك و من يعظم حرمت الله) قال: الحرمة الحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها، وأخرج عبد بن حميد عن عطاء وعكرمة، قال: المعاصي.

(٣٥) أخرج ابن جرير عن ابن زيد رحمه الله: والمشعر الحرام، هو جبل فُرح بالمزدلفة.

(٣٦) (حرمت عليكم الميتة) أي البهيمة التي تموت حتف أنفها (والدم) أي المسفوح، وهو السائل (و لحم الخنزير) وكله نجس، وإنما خص اللحم لأنه معظم المقصود (و ما اهل لغير الله به) أي رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم باسم اللات والعزى =

= وقيل: خفة تَعْتَرِي عند شدة الفرح أو الحزن والهَم. والطرب: الشوق أيضاً. مناكب الأرض: أطرافها وجوانبها. استلم الحجر: قبله أو اعتنقه. وقال الجوهري: لمسها إما بالقبلة أو باليد. فيردّه أي يجعله، و ردّ قد يكون بمعنى صير نحو فرد شعورهنّ السود بيضا. وارتد بمعنى صار نحو فارتد بصيراً أي صار. ولهف (س) حزن وتحسّر واللهفان: المتحسّر. وردد بمعنى صرف، والأسف أشدّ الحزن.

(٣٣) قوله لا يرتفض، رفضه (ن ض) تركه، ارتفض مطاوعه، لا يرتفض أي لا يزول. قوله يبقى عقده - الخ - الجماع قبل الوقوف بعرفة يفسد الحج، وعليه شاة، وقضاء الحج في السنة القابلة، لكنه يمضى في الحج، والأصل فيه ما روي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عمّن واقع امرأته، وهما محرمان بالحج، قال يُريقان دمًا، و يمضيان في حجتهما، وعليهما الحج من قابل (هداية). قوله حوبة، بفتح الحاء: الإثم بسمة الابتهاال علامة

البعض البحيرة ونحوها،<sup>(٣٧)</sup> ولا تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرهما. ولما حث<sup>(٣٨)</sup> على تعظيم حرماته أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور بقوله ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ لأن ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها حظراً. و «من الأوثان» بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. وسمى الأوثان رجساً على طريقة التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها. وجمع بين الشرك وقول الزور أي الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف، لأن الشرك من باب الزور إذ المشرك زاعم أن الوثن

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذننها، أي شقوها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى. واسمها البحيرة. وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري، أو برأت من مرضي فناقتي ساقية وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها.... و كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً أكله الرجال، وإن كان أنثى أرسلت في الغنم، وكذا إن كان ذكراً وأنثى. وقالوا: وصلت أخاها. فالوصيلة بمعنى الوصلة. وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حَمَى ظهره، فلا يُركب، ولا يُحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى، ومعنى "ما جعل" ما شرع ذلك ولا أمر به، اه. تفسير العلامة النسفي.

(٣٨) قوله ولما حث - الخ - ذكر المصنف مناسبة ما يأتي لما سبق، والمناسبة بين النهي عن الشرك والنهي عن قول الزور قوله حظراً بتقديم الحاء المهملة على الظاء المعجمة: المنع قوله وهو الزور بفتحيتين، و الزور بضم فسكون: الكذب.

أخرج أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن أيمن بن خريم قال: قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطيباً فقال: يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله - ثلاثاً - ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور). أخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن أبي بكر قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ألا أنبأكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس. فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. (الدر المنثور)

= عند ذبحه (والمنخقة) التي خنقوها حتى ماتت، أو انخنت بالشبكة أو غيرها (والموقوذة) التي أثنوها ضرباً بعضاً أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بير فماتت (والنطيحة) المنطوحة، وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (و ما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه (إلا ما ذكيتم) إلا ما أدركتم ذكاته، وهو يضطرب اضطراب المذبوح، والاستثناء يرجع إلى المنخقة وما بعدها، فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت. (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها، يعظمونها بذلك، ويتقربون إليها، تسمى الأنصاب، واحداً نَصْبٌ و نَصَبٌ أو هو جمع الواحد نصاب (و أن تستقسموا بالأزلام) في موضع الرفع بالعطف على الميتة، أي حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام. وهي القداح المعلمة، واحداً زَلَمٌ و زَلْمٌ. كان أحدهم إذا أراد سفراً، أو غزواً، أو تجارة، أو نكاحاً، أو غير ذلك يعمد إلى قداح ثلاثة، على واحد منهما مكتوب "أمرني ربي" و على الآخر "نهاني" والثالث غُفْلٌ. فإن خرج الأمر مضي لحاجته، وإن خرج الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أعاده. فمعنى الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم له مما لم يُقسم له بالأزلام. (ذلكم فسق) الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة، ويحتمل أن يعود إلى كل محرم في الآية. اه. مدارك التنزيل، سورة المائدة.

(٣٧) جاء في التنزيل العزيز في سورة المائدة (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) في نسبتهم هذا التحريم إليه. كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة

يحق له العبادة. ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين ﴿غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ حال كحنفاء ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى الأرض ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ أي تسلبه بسرعة «فتخطفه»<sup>(٣٩)</sup> أي تتخطفه مدني ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أي تسقطه والهوي السقوط ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيْقٍ﴾ بعيد. يجوز أن يكون هذا تشبيهاً مركباً، ويجوز أن يكون مفروقاً. فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاخطفته الطير فتفرق قطعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة. وإن كان مفروقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، و الذي أشرك بالله بالساقط من

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

لتصوير هلاكه هلاكاً ليس بعده نهاية، أما نفس الهلاك فيتم تصويره بذكر السقوط من السماء. قوله فتفرق قطعاً في حواصلها. قطعاً جمع قطعة. وهو حال من ضمير تفرق، وفي حواصلها إما صلة «تفرق» أو صفة «قطعاً» قوله الأهواء المردية. الأهواء جمع هوى، والمردية اسم فاعل من الورداء بمعنى الإهلاك، وردي ردى من سمع بمعنى هلك.

قوله المهاوي المتلفة، المهاوي: جمع مهوى بمعنى موضع السقوط، والمتلفة اسم فاعل من الإتلاف. (٤٠) قوله تعظيم الشعائر مبتدأ، خبره أن يختارها، قوله: وهي الهدايا تعيين لما أريد بالشعائر، وقوله لأنها من معالم الحج بيان لوجه إطلاق الشعائر على الهدايا، فإن الشعيرة بمعنى العلامة، وشعائر الله كل ما يكون فيه أمر لله تعالى يشعر به ويعلم، لكن تفسير الشعائر بالهدايا روي هنا عن جماعة من المفسرين، والقرينة عليه قوله (ثم محلها إلى البيت العتيق).

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى (ذلك و من يعظم شعائر الله) قال: الاستسمان، والاستحسان، والاستعظام. (الدر المنثور) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى رجلاً يسوق بدنة قال: اركبها، قال: إنها بدنة قال اركبها ويحك، في الثانية أو الثالثة، وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: اركبها بالمعروف إذا جهت إليه.

(٣٩) قوله فتخطفه بفتح الخاء، والطاء مشددة، مضارع تخطفه قوله أي تتخطفه أي والأصل فتخطفه حذف إحدى التائين. مدني أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (من العشرة) والباقون بسكون الخاء وفتح الطاء مخففة، مضارع خطف. (إكليل)

قوله والهوى: السقوط. هوى بالفتح يهوى هويًا وهويًا وهويًا، وانهوى: سقط. اه. لسان العرب.

قوله تشبيهاً مركباً، وهو أن تشبّه كيفية منتزعة من مجموع تضامّت أجزاءه و تلاصقت حتى صارت شيئاً واحداً بأخرى مثلها. اه. بيبضاوي - أي المشبه به أيضاً كيفية منتزعة من مجموع تضامّت أجزاءه و تلاصقت حتى صارت شيئاً واحداً، ولهذا صرح صاحب المفتاح في تشبيه المركب بالمركب بأن كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة. اه. إكليل. قوله مفروقاً: وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها. اه. بيبضاوي.

قوله ليس بعده - في الكشاف: ليس بعده نهاية، وفي مفاتيح الغيب: ليس وراءه هلاك. فلعل هنا سقطاً أو اسم ليس مقدر، و توضيح التشبيه أن الساقط من السماء إلى الأرض لا يبقى حيّاً، بل يصير جثة باردة و هذا هلاكه، مع ذلك جثته مجتمعة لكن إذا أخذت منها الطير شيئاً فشيئاً تفرقت أجزاءه في حواصل طيور مختلفة، حتى لا يتصور اجتماعها فكيف عود الحياة إليها. وكذا إن رفعت ريح عاصفة تلك الجثة الباردة وألقته بشدة في مكان بعيد تشتتت أجزائها و تقطعت قطعاً لا يتصور اجتماعها و عود الحياة إليها. فزيادة خطف الطير أو إلقاء الريح في مكان بعيد

السماء. و الأهواء المردية بالطير المتخطفة و الشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة.

﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر ذلك ﴿وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ تعظيم الشعائر<sup>(٤٠)</sup> وهي الهدايا لأنها من معالم الحج، أن يختارها عظام الأجرام حسناً سماناً غالية الأثمان ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات. وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تنحر ﴿ثُمَّ مَحْلُهَا﴾ أي وقت وجوب نحرها<sup>(٤١)</sup> منتهية ﴿إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع: قولك «بلغت البلد» وإنما اتصل مسيرك بحدوده. وقيل: الشعائر المناسك كلها وتعظيمها إتمامها ومحلها إلى البيت العتيق ياباه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة مؤمنة قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع: علي وحمزة أي موضع قربان. وغيرهما: بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح القرابين ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ دون غيره ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي عند نحرها وذبحها ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك. وقوله: ﴿فَلَهُ اسْلُبُوا﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالماً أي خالصاً لا تشوبه بإشراك ﴿وَيُبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.<sup>(٤٢)</sup> وقيل: تفسيره ما بعده أي ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت منه هيبة ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا آصَابَهُمْ﴾ من المحن والمصائب ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يتصدقون. ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بدنة سميت لعظم بدنها

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

نسيكة أي الذبيحة. والفعل من نصر. قوله لا تشوبوا الشوب: الخلط، و بابه قال. قوله الخبت، بفتح فسكون.

(٤٢) أخرج سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن أبي شيبة، و ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و البيهقي في الشعب عن عمرو بن أوس قال: المختون الذين لا يظلمون الناس، و إذا ظلموا لم ينتصروا. (الدر المنثور)

(٤١) قوله وقت وجوب نحرها إشارة إلى أن "محل" اسم زمان، و يجوز أن يكون مصدرًا ميميًا بمعنى الوجوب من حل الدين إذا وجب كما في الكشاف. وقوله منتهية إشارة إلى متعلق إلى، و يصح تقديره "مقربة" (خفاجي)

قوله حيث كان - أي هنا و آخر السورة بكسر السين بمعنى الموضع علي الكسائي و حمزة - إكليل - قوله القرابين، جمع قربان بالضم، قوله النسائك، جمع

وفي الشريعة يتناول الإبل والبقر، وقرئ: برفعها وهو كقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدْرُنُهُ﴾ [يس: ٣٩] ﴿جَعَلْنَهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها و«من شعائر الله» ثاني مفعولي «جعلنا» ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ النفع في الدنيا والأجر في العقبى ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَافٍ﴾ حال من الهاء أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ﴿فَإِذَا وَجِيتَ جُنُوبَهَا﴾ وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط أي إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ﴾ السائل من قنعت إليه إذا خضعت له وسألته قنوعاً ﴿وَالْمُعْتَرِطَ﴾ الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل. وقيل: القانع الراضي بما عنده و بما يعطى من غير سؤال من قنعت قنوعاً وقناعة، والمعتر المتعرض للسؤال ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي كما أمرناكم بنحرها سخرنها لكم، أو هو كقوله: « ذلك و من يعظم » ثم استأنف فقال: «سخرناها لكم » أي ذللناها لكم مع قوتها و عظم أجرامها لتمكنوا من نحرها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ حُومَهَا وَلَا دِمَاءُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ أي لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى، أو لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقبة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء، والمعنى لن يُرضي المُضْحِحُونَ والمقربُونَ رَبَّهُمْ إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى. وقيل: كان أهل الجاهلية إذا نحرُوا الإبل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم، فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي البدن ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله ﴿عَلَى مَا هَدَيْكُمْ﴾ على ما أرشدكم إليه ﴿وَيَتَّبِعِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الممتثلين أوامرهم بالشواب ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾ «يدفع» مكى وبصري

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

وابن أبي حاتم عن ابن جريج. (الدر المنثور) قوله (كذلك سخرها لكم) كزره تذكيراً للنعمة و تعليلاً بقوله (لتكبروا الله) أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره، فتوحده بالكبرياء، وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح. اهـ. بيضاوي. قوله يدفع، بفتح الياء والفاء وإسكان الدال بلا ألف، ابن كثير المكي و أبو عمرو البصري و يعقوب (من العشرة) و الباقر يدفع بضم الياء و فتح الدال و ألف بعدها مع كسر الفاء. والمفاعلة قد تفيد المبالغة في الفعل، وهذا منه.

قوله بَدَنَةٌ بفتححتين. قوله و قرئ برفعها أي في الشواذ على أنه مبتدأ وما بعده خير والنصب بفعل مقدر يفسره (جعلناها لكم). قوله وهو كقوله (والقمر قدرنه) أي على قراءة الرفع، وهي قراءة ابن كثير، و نافع، و أبي عمرو على الابتداء. والخبر قدرناه. والنصب للباقيين وهو بفعل يفسره قدرناه. (سورة يس) قوله من قنعت إليه - بفتح النون، و بابه خضع وقوله من قنعت قنوعاً و قناعة بكسر النون، و بابه تعب. والتفسيران مرويان عن السلف كما في الدر المنثور. (٤٣) أخرجه ابن المنذر، و ابن مردويه عن ابن عباس،

وغيرهما يدافع أي يبالي في الدفع عنهم ﴿عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا) [إغافر: ٥١] ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله ﴿كَفُورًا﴾ لنعمة الله أي لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها. ﴿أُذُنٌ﴾ مدني وبصري وعاصم ﴿لِلَّذِينَ يُقْتُلُونَ﴾ بفتح التاء مدني وشامي وحفص، والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية،<sup>(٤٤)</sup> وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾ على نصر المؤمنين ﴿لَقَدِيرٌ﴾ قادر

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الصحابة رضي الله تعالى عنهم استأذنوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قتال الكفار إذا آذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة و سرا، فأنزل الله في ذلك (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و أصحابه إلى المدينة أطلق لهم قتلهم و قتالهم فقال (أذن للذين يقاتلون - الآية) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف. وتفسير ابن جرير.

وأخرج عبد الرزاق، و أحمد، و عبد بن حميد، والترمذي و حسنه، والنسائي، وابن ماجه، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، والحاكم و صححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله و إنا إليه راجعون، ليهلكن القوم، فنزلت (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا - الآية) قال أبو بكر: فعلمت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال. (الدر المنثور)

قوله مشجوج، شججه يشججه بضم الشين و كسرهما شججا فهو مشجوج و شجيج أي مجروح. قوله يتظلمون أي يشتكون الظلم قوله نيف، بوزن الهين، الزيادة، يخفف و يشدد، يقال: عشرة و نيف، و مائة و نيف، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني. (مختار الصحاح)

قوله غائلة غاله، من باب قال، أهلكه و أخذه من حيث لا يدري، فالغائلة بمعنى المهلكة لكن اللفظ عم في كل داهية و شر و فساد، والمراد هنا ضرر المشركين و شرهم. قوله يغمطونها، من ض و س - غمط النعمة: لم يشكرها، و غمط الحق: جحدته، و غمط فلاناً: احتقره و ازدري به.

قوله أذن، بضم الهمزة مبنياً للمفعول، و إسناده إلى الجار والمجرور، نافع، و أبو عمرو، و عاصم و كذا أبو جعفر و يعقوب من العشرة، والباقون بفتح الهمزة مبنياً للفاعل، مسنداً لضمير اسم الله سبحانه و تعالى. اه. إكليل.

قوله يقاتلون، بفتح التاء مبنياً للمفعول، لأن المشركين قاتلوهم. نافع، وابن عامر، و حفص، و كذا أبو جعفر من العشرة، والباقون بكسر التاء مبنياً للفاعل، أي يقاتلون المشركين. اه. إكليل.

(٤٤) قال العلامة ابن حجر: لم أجد هكذا، و عزاه الواحد في الوسيط للمفسرين. قلت: هو منتزع من أحاديث، أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) و ذلك أن مشركي أهل مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة، فاستأذنوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قتالهم بمكة، فنهاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك. فلما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة أنزل الله عليه (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا). و ذكر الطبري أن

وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا» ﴿الَّذِينَ﴾ في محل جر بدل من «الذين» أو نصب بـ«أعني» أو رفع بإضمارهم ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ بمكة ﴿يَغْيِرْ حَقِّي إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التمكين لا موجب الإخراج ومثله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِبُونَ مِتًّا إِلَّا أَنْ أَمَّتَا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] و محل أن يقولوا جر بدل من «حق» والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم ﴿وَكُولا دَفَعُ لِلَّهِ﴾ «دفاع» مدني ويعقوب ﴿النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ﴾ وبالتخفيف حجازي ﴿صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ﴾<sup>(٤٥)</sup> أي لولا إظهاره وتسليطه للمسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعة ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أي كنائس. وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد، أو لغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقيين، وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجوداً أو لقربها من التهديم ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ في المساجد أو في جميع ما تقدم ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي ينصر دينه وأوليائه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصر أوليائه ﴿عَزِيزٌ﴾ على انتقام أعدائه. ﴿الَّذِينَ﴾ محله نصب بدل من «من ينصره» أو جر تابع لـ«الذين أخرجوا» ﴿إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ هو إخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين، وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله عز وجل أعطاهم التمكين ونفذ الأمر مع السيرة العادلة. وعن الحسن: هم أمة محمد صلى الله عليه

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

خصيف وغيرهم، والصلوات هي كنائس اليهود، قال العوفي عن ابن عباس الصلوات: الكنائس، وكذا قال عكرمة والضحاك و قتادة أنها كنائس اليهود، وهم يسمونها صلوات. أما المساجد فهي للمسلمين. أما وجه الجمع بين معابد الكفار و مساجد المسلمين فذكر المصنف أن المراد معابد أهل الأديان المذكورة في أزمنتها قبل النسخ. أو المراد معابد هؤلاء الكفار الذين هم في ذمة المسلمين حين غلبة أهل الإسلام، وعلى الأول قوله يذكر فيها اسم الله كثيراً. صفة للكل، و ضمير فيها عائد إلى الجميع، و على الثاني ينبغي أن يكون صفة المساجد. قوله أي ينصر دينه، إما بيان للمعنى أو لتقدير مضاف فيه

قوله دفاع، بكسر الدال، وفتح الفاء، و ألف بعدها نافع، و أبو جعفر، و يعقوب (هذان من العشرة) والباقون "دفع" بفتح الدال و إسكان الفاء بلا ألف قوله بالتخفيف أي بتخفيف الدال حجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، أي ابن كثير المكي، و نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني من العشرة، والباقون بالتشديد للكثير. (إكليل وغيره). (٤٥) هنا في تعيين المعابد المذكورة أقوال، فاختار المصنف أن الصوامع هي المعابد الصغار للرهبان من النصارى وهو قول ابن عباس و مجاهد و أبي العالية و عكرمة والضحاك وغيرهم والبيع هي معابد النصارى أو سع من الصوامع وهو قول أبي العالية و قتادة والضحاك ابن صخر و مقاتل بن حيان و

وسلم ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي مرجعها إلى حكمه وتقديره، وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته.

﴿وَأَنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ هذه تسليية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة إياه أي لست بأوحد في التكذيب ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قومك ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً ﴿وَعَادٌ﴾ هوداً ﴿وَمُودٌ﴾ صالحاً ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقوم لوط ﴿لوطاً﴾ وأصحاب مدين ﴿شعيباً﴾ وكذب موسى كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه، أو كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره! ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم وأخرت عقوبتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ عاقبتهم على كفرهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاره وتغييره حيث أبدلتهم بالنعيم نقماً وبالحياة هلاكاً وبالعمارة خراباً. «نكيري» بالياء في الوصل والوقف: يعقوب ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ «أهلكتها» بصري ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال أي وأهلها مشركون ﴿فَهِيَ خَاطِئَةٌ﴾ ساقطة من خوى النجم إذا سقط ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يتعلق بـ«خاوية» والمعنى أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، ولا محل لـ«فهي خاوية» من الإعراب لأنها معطوفة على «أهلكتناها» وهذا الفعل ليس له محل،<sup>(٤٦)</sup> وهذا إذا جعلنا «كأين» منصوب المحل على تقدير كثيراً من القرى أهلكتناها ﴿وَبِئْرٍ مَّعَطَلَةٍ﴾ أي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها، أو هي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه، والمعنى كم قرية أهلكتناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أي أهلكتنا البادية والحاضرة جميعاً فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها. والأظهر أن البئر والقصر على العموم.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

و وقفاً، قوله أهلكتها أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري من العشرة والباقون «أهلكتها» قوله خوى النجم من باب رمى.

(٤٦) قوله وهذا الفعل ليس له محل، لأنها جملة مفسرة، ولا محل لها كما في المغني (خفاجي) قوله هذا إذا جعلنا كأين منصوب المحل - الخ - أما إذا جعلناه مرفوع المحل على الابتداء فمحلها الرفع لعطفها على الخبر، وهو أهلكتها.

قوله والأظهر - الخ - وقيل: المراد بئر في سفح =

قوله بأوحدني بمعنى منفرد، وياه النسبة للمبالغة (خفاجي) قوله القبط بوزن السبط، أهل مصر، وهم بُنكها أي أصلها. اهـ. مختار الصحاح.

قوله إنكاره، إشارة إلى أن النكير مصدر كالنذير بمعنى الإنذار، وأن ياء الضمير المضاف إليها محذوفة في الفاصلة.

قوله نقماً، جمع نعمة، مثل نعم جمع نعمة قوله نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب من العشرة، وكذا ورش عن نافع وصلاً، والباقون بحذفها وصلاً



﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي ﴿أَوْ أذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿الضمير في «فإنها» ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره «الأبصار» أي فما عميت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار. ولكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه وعينان في قلبه، فإذا أبصر ما في القلب وعمي ما في الرأس لم يضره، وإن أبصر ما في الرأس وعمي ما في القلب لم ينفعه، وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب ولثلاثا يقال: إن القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال: «القلب لب كل شيء».

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الأجل استهزاء ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ كأنه قال: ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على معاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ «يعدون» مكى وكوفي غير عاصم أي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنينكم لأن أيام الشدائد طوال. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمَلِّتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهَا﴾ بالعذاب ﴿وَالِئِنَّ الْمَصِيرَ﴾ أي المرجع إلي فلا يفوتني شيء. وإنما كانت الأولى أي «فكأن» معطوفة بالفاء وهذه أي «وكأن» بالواو لأن الأولى وقعت بدلاً عن «فكيف كان نكير» وأما هذه فحكمتها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وإنما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين و«يا أيها الناس» نداء لهم وهم الذين قيل فيهم «أفلم يسيروا» ووصفوا بالاستعجال. وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا، أو تقديره نذير مبين وبشير

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله من التوحيد، و من الوحي بيان «لما» في الموضوعين. قوله الضمير في «فإنها» ضمير القصة. يعني أنه ضمير شان مفسر بالجملة بعده، و أنت باعتبار القصة، فإنه يجوز تكثيره و تأنيثه بدليل أنه قرئ «فإنه» في الشواذ قوله أو هو ضمير مبهم يفسره الأبصار، و كان أصله فإنها الأبصار لا تعمي، على أنه خبر بعد خبر، فلما ترك الخبر الأول أقيم الظاهر مقام الضمير، لعدم ما يرجع إليه ظاهراً، فصار فاعلاً مفسراً للضمير. (خفاجي)

قوله يعدون، بالياء من تحت لقوله و يستعجلونك ابن كثير المكى، و حمزة و الكسائي و خلف، و الباقون =

= جبل بحضرموت، و بقصر قصر مشرف على قلته، كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح عليه السلام، فلما قتلوا حنظلة أهلهم الله تعالى و عطلهما. اه. بياضوي. و ذكر الزمخشري أن حنظلة بن صفوان نبي. (خفاجي)

قوله هذا حث على السفر، يعني أن الاستفهام ليس على حقيقته، بل المقصود به الحث على أن يسافروا للنظر والاعتبار، و سفرهم بدون النظر والاعتاظ كلا سفر، قوله فتكون منصوب على جواب الاستفهام أو النفي، قوله يعقلون ما يجب... ويسمعون ما يجب... فيهما إظهار للمفعول المحذوف اختصاراً.

فبشر أولاً فقال: ﴿قَالِذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي حسن. ثم أندر فقال: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ أي القرآن ﴿مُعْجِزِينَ﴾ حال «معجزين» حيث كان: مكى وأبو عمرو. وعاجزه سابقه كأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه. والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرًا وشعرًا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجُحِيمِ﴾ أي النار الموقدة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ «من» لا ابتداء الغاية ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ «من» زائدة لتأكيد النفي ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد. و سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، فقليل: فكم الرسل منهم؟ فقال: «ثلاث مائة وثلاثة عشر»<sup>(٧٤)</sup> والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله. وقيل: الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره ﴿إِلَّا إِذَا تَمَّتْ﴾ قرأ، قال:

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

حذيفة - يعني يحيى الغساني عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر - فذكره في حديث طويل جداً، وأفرط ابن الجوزي فذكره في الموضوعات. واتهم به إبراهيم بن هشام المذكور، ولم يصب في ذلك فإن له طريقاً آخر أخرجها الحاكم وغيره من رواية يحيى بن سعيد السعدي عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر، بطوله - ويحيى السعدي ضعيف. ولكن لا يأتي الحكم بالوضع مع هذه المتابعة - اه - (تخريج أحاديث الكشاف) قال البيضاوي: الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه و من بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام - اه - وزاد الخفاجي: وقيل الرسول من بعث إلى قوم بشريعة جديدة بالنسبة إليهم، وإن كانت الشريعة غير جديدة في نفسها، كما سُمِعَ عليه الصلاة والسلام إذ بعث لجرهم أولاً - اه - قال: وفي هذا المقام كلمات كثيرة أكثرها مضطرب. اه.

والعلامة النسفي رحمه الله ذكر منها ما هو راجح ومعتمد عند كثيرين، أي الفرق بينهما بنزول الكتاب وعدمه أو بكونه صاحب شريعة جديدة وحافظ شريعة سابقة.

= بالتاء من فوق على الخطاب لعموم المسلمين وغيرهم. (إكليل)

قوله معجزين، بالقصر وتشديد الجيم، اسم فاعل من عَجَّزه، معدى عجز، أي قاصدين التعجيز بالإبطال حيث كان أي هنا وموضعين في سبأ: ابن كثير المكي، وأبو عمرو البصري، والباقون بالمد والتخفيف في المواضع الثلاثة، اسم فاعل من عاجزه فأعجزه وعجزه، إذا سبقه فسبقه، لأن كلاً من الفريقين يطلب عجز خصمه. اه. (إكليل)

قوله النار الموقدة، بيان لمعنى الجحيم، ففي القاموس جحمتها - كمنعها - أوقدها، فجحمت - ككرمت - جحوماً، و جحمت - كفرح - جَحَمًا وَجَحَمًا وَجَحَمًا وَجَحَمًا: اضطربت، وفي المفردات: الجَحْمَةُ: شدة تأجج النار، وفي مجمع البحار: الجحيم من أسماء جهنم، وأصله ما اشتد لهبه من النيران. اه.

(٤٧) رواه أحمد، وإسحق من رواية معاذ بن رفاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة "أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كم الأنبياء؟ فقال مثله - و علي ضعيف. ورواه ابن حبان من طريق إبراهيم بن هشام الغساني حدثنا أبي عن

تمنى كتاب الله أول ليلة ❖ تمنى داود الزبور على رسل

﴿الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ تلاوته. قالوا: إنه عليه السلام كان في نادي قومه يقرأ «والنجم» فلما بلغ قوله: «وَمَنْوَةٌ الثَّالِثَةُ الْآخِرَى ﴿٢٠﴾» [النجم: ٢٠] جرى على لسانه «تلك الغرائق العلى»<sup>(٤٨)</sup> و إن شفاعتهن لترتجى» و لم يفتن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه. وقيل: نبهه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان. وهذا القول غير مرضي لأنه لا يخلو إما أن يتكلم النبي عليه السلام بها عمداً وإنه لا يجوز لأنه كفر ولأنه بعث طاعناً للأصنام لا مادحاً لها، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَكَيْسٌ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ) [الإسراء: ٦٥] ففي حقه أولى، أو جرى ذلك على لسانه سهواً وغفلة وهو مردود أيضاً

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بالقرآن والسنة والمعقول. أما القرآن فوجه: أحدها قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (الحاقة: ٤٤) و ثانيها قوله (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي) [يونس: ١٥] و ثالثها قوله تعالى (و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٣] فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية «تلك الغرائق العلى» لكان ظهر كذب الله تعالى في الحال، و ذلك لا يقوله مسلم.

وأما السنة فهي ما روي عن محمد بن إسحق بن خزيمة (صاحب الصحيح) أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة، و صنف فيه كتاباً، و قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. و أيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي عليه السلام قرأ سورة النجم، و سجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، و ليس فيه حديث الغرائق، و روي هذا الحديث من طرق كثيرة، و ليس فيها البتة حديث الغرائق.

أما المعقول فمن وجه: أحدها أن من جوز على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان. ثانيها لو كان الإلقاء على الرسول من الشيطان ثم الإزالة من الله، و إحكام آياته لكانت عصمته من أول الأمر أولى. ثالثها وهو أقوى الوجوه =

قوله تمنى داود، مفعول مطلق لبيان النوع، و قوله على رسل، بكسر الراء و سكون السين ، التؤدة والوقار، و الرسل والترسل في القراءة: الترتيل والقراءة بتؤدة و سكينه من غير سرعة، و البيت لحسان بن ثابت في رثاء عثمان رضي الله تعالى عنهما.

(٤٨) قوله تلك الغرائق - جمع غرنوق ، كزبور أو فردوس، طائر مائي معروف أبيض ، و قيل أسود كالكركي. و قيل : إنه الكركي، و يتجوز به عن الشاب الناعم، والمراد بها هنا الأصنام ، لأنها لزعمهم أنها تقرّب إلى الله و تشفع - شُبّهت بالطيور التي تلعو في السماء وترتفع - اه - خفاجي قوله لم يبق إلا وجه واحد، لا حاجة إلى ذكر هذا الوجه فإن القصة موضوعة باطلة من أصلها، و بسط العلامة السيوطي طرقها، و كلها تذكر أن تلك الكلمة جرت على لسان النبي عليه السلام سوى طريق واحد مبهم. و على كل حال اقتدار الشيطان على مثل هذا التلبيس و إن كان بالنسبة إلى البعض، أثناء تلاوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز ، لقوله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (فصلت: ٤٢) ولو وقع مثل هذا لردّ عليه الرسول، و لو ردّ لكان أهم بالذكر، لكن أحداً من الرواة لم يذكره.

قال الإمام الرازي في تفسيره: أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا عليه

لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله، ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر: ٩] فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله: ﴿وَمِنُوهَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى ﴿٥٢﴾﴾ [النجم: ٢٠] فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلاً بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذي تكلم بها، فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه، فقد رُوي «أنه نادى يوم أحد ألا إن محمداً قد قتل» وقال يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]

﴿فَيَنْسَخِ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي يذهب به ويبطله ويخبر أنه من الشيطان ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ أي يشتمها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما أوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يدعه حتى يكشفه ويزيله. ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله تعالى به قوماً بقوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ محنة وابتلاء ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ثبت كذبها واختلافها لمصادمتها أصول الدين. قال العلامة أحمد الصاوي: «و يكون معنى الآية على هذا التحقيق "ألقي الشيطان في أمينته أي تلاوته شبهها وتخيلات في قلوب الأمم، بأن يقول لهم الشيطان هذا سحر و كهانة فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى، و يحكم الله آياته في قلوبهم، والله عليم بما ألقاه الشيطان في قلوبهم، حكيم في تسليطه عليهم، ليميز المفسد من المصلح. اهـ. هذا المعنى على تقدير أن الأمنية بمعنى القراءة، و كذا إذا كانت الأمنية بمعنى الودّ والحرص يكون المعنى كل نبي و رسول و ذّ أن يسلم قومه و سعى في سبيله لكن الشيطان ألقى في وده و حرصه شروراً و مفساد، بإضلال القوم، و تسفيه عقولهم، و إلقاء الأوهام والأباطيل إليهم. لكن الله ينسخ و يزيل إلقاء الشيطان لمن أراد هداة. الخ. وهذا المعنى يناسب سابق الكلام و يناسب تسليط النبي عليه السلام بعد شغب القوم و سعيهم في آيات الله بالفساد معاجزين مساقين. والتسليط بأن كل رسول و نبي واجه مثل هذه الأحوال بإلقاء الشيطان شروراً و مفساد، و أوهاماً و أباطيل، لكن الله يتم نوره ولو كره الكافرون.

= أنا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه. (و ذكر وجوهاً غيرها ثم قال: ) فبهذه الوجوه عرفنا أن هذه القصة موضوعة. أكثر ما في الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها، لكنهم ما بلغوا حد التواتر، و خبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة - اهـ. (مفاتيح الغيب). نقل الخطيب كلام الرازي ملخصاً ثم قال: و هذا هو الذي يطمئن إليه القلب، و إن أظن ابن حجر العسقلاني في صحتها - اهـ - حاصل كلام ابن حجر أنه ذكر طرق القصة ثم قال: كثرة الطرق تدل على أن لها أصلاً. اهـ. لكن القصة كما جاءت في الطرق المذكورة تهدم الشرع، فإن صحتها تقضي أن القرآن غير مأمون من الإلقاء الشيطاني، و أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من تسلط الشيطان عليه، و أن حالة التبليغ يجوز فيها السهو والغفلة والخطأ. وكل ذلك تأباه القواعد و أصول الدين. فلو صحّت طرق القصة لرُدّت ردّاً، فإن خلاف العقيدة القطعية لا يثبت بالأخبار الصحيحة، فكيف والطرق كلها مرسلّة، و ما عُدد منها متصلاً صرح الراوي فيه بالشك بقوله "أحسب أنه من ابن عباس، ونحوه" ولا حاجة لنا إلى الإطالة في توهين الطرق وإبانة ضعفها بعد ما

﴿ قُلُوبُهُمْ ﴾ هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكاً وظلمة ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ أي المنافقين والمشركين وأصله و«إنهم» فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم ﴿ لَفِي شِقَاقٍ ﴾ خلاف ﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق. ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ بالله وبدينه وبالآيات ﴿ أَنَّهُ ﴾ أي القرآن ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ فَتُحِبَّتْ ﴾ فتطمئن ﴿ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُاد الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ فيتأولون ما يشابهه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعترهم شبهة ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ ﴾ شك «منه» من القرآن أو من الصراط المستقيم ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴾<sup>(٤٩)</sup> يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتي بخير. أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته.

﴿ الْمَلِكُ يُؤَمِّنُ ﴾ أي يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أي يوم يؤمنون أو يوم نزول مريتهم ﴿ لِلَّهِ ﴾ فلا منازع له فيه ﴿ بِحُكْمٍ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يقضي. ثم بين حكمه فيهم بقوله: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿ ثم خص قومًا من الفريق الأول بفضيلة فقال: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ خرجوا من أوطانهم مجاهدين ﴿ ثُمَّ قَاتَلُوا ﴾ في الجهاد قتلوا شامي ﴿ أَوْ مَاتُوا ﴾ حتف أنفسهم<sup>(٥٠)</sup> ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ قيل: الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ لأنه المخترع للخلق بلا مثال، المتكفل للرزق بلا ملال ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمُ مَدْخَلًا ﴾ بفتح الميم مدني والمراد الجنة ﴿ يَرْضَوْنَهُ ﴾ لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ ﴾ بأحوال من .....

مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

يراد به يوم بدر، و تفرد به الملائكة عليهم الصلاة والسلام فيه.

قوله وعن الضحاك، وهو رواية عن عكرمة و مجاهد وهو قول الحسن البصري ، قال ابن كثير: وهذا القول هو الصحيح. اهـ. والأول قول أبي بن كعب و سعيد بن جبير و قتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير، والسبب و إن كان خاصاً لكن اللفظ يكون عاماً، فينبغي أن يراد به معني يعم جميع المنكرين والشاكرين.

(٥٠) قوله حتف أنفسهم. في الحديث: من مات حتف أنفه في سبيل الله فهو شهيد. الحتف هو الهلاك. وهو أن يموت على فراشه، قال ابن الجوزي: لأن نفسه تخرج من فيه و أنفه تغلب أحد الاسمين. اهـ. مجمع بحار الأنوار.

قوله فجأة-فجاءة: بالضم والمد، و في لغة وزان "نمرة" - اهـ - إكليل.

(٤٩) قوله يوم عقيم - العقم في الأصل عدم الولادة، فشبهه اليوم الذي لا خير فيه بمرأة عقيم، و طوي ذكر المشبه به، و رمز له بشيء من لوازمه ، وهو العقم، فإثباته تخييل، والجامع عدم الثمرة في كل. والاستعارة مكنية تبعية والمصنّف ذكر وجه تسميته بالعقيم لعدم اشتماله على الراحة والفرج أو لاشتماله على الشدة والخلو عن الرحمة. والفرق بينهما أن المشبه في الأول هو يوم بدر، وفي الثاني اليوم الشديد. وقوله ثالثاً "أو لا مثل له" فيه أيضاً استعارة ، جعل اليوم لتفرد عن سائر الأيام كالعقيم، كأن كل يوم يلد مثله، فما لا مثل له عقيم، وعلى هذا يصح أن

قضى نحبه مجاهداً، وآمال من مات وهو ينتظر معاهداً ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾ بإمهال من قاتلهم معانداً. رُوي أن طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا نبي الله! هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر ذلك وما بعده مستأنف ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ سمي الابتداء بالجزاء عقوبة لملاسته له من حيث أنه سبب وذلك مسبب عنه ﴿ثُمَّ يُعَى عَلَيْهِ لِيُصْرَثَهُ اللَّهُ﴾ أي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله أن ينصره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ﴾ يمحو آثار الذنوب ﴿عَفُوءٌ﴾ يستر أنواع العيوب. وتقريب الوصفين بسياق الآية أن المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله: «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾» [الشورى: ٤٠] «وَأَنْ تَغْفُوا قَرَبٌ لِلتَّقْوَى» [البقرة: ٢٣٧] فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية إذا ترك العفو وانتقم من الباغي، وعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين، أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده كما قيل: «العفو عند القدرة». ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّمُ بِلَيْلٍ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّمُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا، أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يولج الليل - الخ - بطريق لزوم من القدرة العامة، و ما ذكر في التعليل الثاني "أو بسبب أنه خالق الليل والنهار" هو أيضاً ناظر إلى لزوم القدرة، والفرق بين الأول والثاني، أن المدعى في الأول قدرته العامة، والدليل ذكر بعض علاماتها، والمدعى في الثاني قدرته على الانتقام، والدليل خلقه الليل والنهار وتصريفهما، والعلم بكل ما يجري فيهما من البغي والإنصاف، وأقيم الدليل مقام الدعوى، وأصل الكلام أن الله لينصرن المظلوم لأنه قادر عليه.

قوله وإن ما يدعون بالياء من تحت على الغيب عراقي غير أبي بكر إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل "عراقي" أي قرأه أبو عمرو البصري، ويعقوب البصري (من العشرة) وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، وقرأ الباقر بالتاء من فوق، على الخطاب للمشركين الحاضرين. اهـ. إكليل.

قوله قضى نحبه هو النذر كأنه ألزم نفسه أن يصدق أعداء الله في الحرب فوفى به. وقيل: هو الموت، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت. اهـ. مجمع البحار، برمز النهاية لابن الأثير.

قوله سمي الابتداء بالجزاء عقوبة، بالجزاء متعلق بقوله سمي، وعقوبة تمييز أو حال من الجزاء، والعقوبة ما يعقب الجناية، فالابتداء بالظلم ليس عقاباً، لكنه سمي بالعقاب في قوله "عوقب به" إما بطريق المشاكلة وإما بطريق المجاز المرسل، فإن الظلم سبب للعقاب، والعقاب مسبب، فسمي السبب بالمسبب.

قوله وعرض مع ذلك. يعني أنه كناية تعريضية، لأن الله إذا عفا مع أنه منتقم قدير كان اللائق بعباده ذلك و التعريض خلاف التصريح. قوله ذلك النصر - الخ - يعني أن الإشارة إلى المصدر الدال عليه قوله "لينصرته" والباء في قوله "بأن الله" سببية، وأن السبب ما دل عليه

والإنصاف، وأنه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات، بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وإن توالى الظلمات. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ عراقي غير أبي بكر ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ أي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وإحاطته بما يجري فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أن الله الحق الثابت إلهيته وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً.

﴿الْمُرْتَرِ﴾<sup>(٥١)</sup> أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿مَطْرًا﴾ فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴿بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وإنما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول: «أنعم عليّ فلان فأروح وأغدوا شاكرًا له» ولو قلت «فرحت وغدوت» لم يقع ذلك الموقع. وإنما رفع «فتصبح» ولم ينصب جواباً للاستفهام لأنه لو نصب لبطل الغرض، وهذا لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك «ألم تراني أنعمت عليك فتشكر»، إن نصبته نفيت شكره وشكوت من تفریطه فيه، وإن رفعته أثبتت شكره. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾<sup>(٥٢)</sup> واصل علمه أو فضله إلى كل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف، المختص بدقيق التدبير. والخبير: المحيط بكل قليل وكثير. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وملكاً ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

واللطف عن الحركة الخفيفة، وعن تعاطي الأمور الدقيقة، وقد يُعبّر باللطائف عملاً لا تدركه الحاسة، و يصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه (أي لا تدركه و لا تحيط به الحواس) و أن يكون لمعرفته بدقائق الأمور. و أن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم. اهـ. فقول المصنف واصل علمه إلى كل شيء، ناظر إلى المعرفة بدقائق الأمور، وقوله واصل فضله إلى كل شيء ناظر إلى معنى الرفق بالعباد و إيصال المصالح لمن قُدّرت له، و قوله المختص بدقيق التدبير ناظر إلى تعاطي الأمور الدقيقة. و حاصل المعاني هكذا (١) إن الله لطيف أي عليم بدقائق كل شيء، خبير بمصالح خلقه. (٢) إن الله ذو فضل و لطف بكل شيء، خبير بمصالحه (٣) إن الله لطيف، مختص بدقيق التدبير، خبير، عالم محيط بكل قليل وكثير.

قوله لا شيء أعلى منه شأنًا. إشارة إلى أن العلو ليس مكانيًا، والكبر ليس جسمانيًا.

(٥١) قال الإمام الرازي: اعلم أنه لما دلّ على قدرته من قبل بما ذكره من ولوج الليل في النهار، ونبه به على نعمه أتبعه بأنواع آخر من الدلائل على قدرته و نعمته، وهي ستة. اهـ. (١) انزال المطر و إنبات النبات لا تنتفع الحيوانات (٢) ملكه السموات والأرض و ما فيها. (٣) تسخير الإنسان ما في الأرض من صنوف الأشياء والحيوانات (٤) تسخير السفن في البحر (٥) إمساكه السماء من الوقوع على الأرض. (٦) الإنشاء ثم الإفناء ثم الإحياء.

(٥٢) في النهاية لابن الأثير: اللطيف، هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح، و إيصالها إلى من قدرها له - لطف به وله - بالفتح - إذا رفق به، فأما لطف - بالضم - فمعنى صغر و دق - اه - مجمع البحار. و في المفردات للراغب: يُعبّر باللطافة

السموات وما في الأرض ﴿الْحَبِيدُ﴾ المحمود بنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الأرض ﴿الْمَتْرَانَ﴾ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ﴿من البهائم مذلة للركوب في البر﴾ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهُ ﴿أي ومن المراكب جارية في البحر، ونصب «الفلك» عطفاً على «ما» و «تجري» حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها﴾ وَمُنْسِكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ﴿أي يحفظها من أن تقع﴾ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿بأمره أو بمشيئته﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ ﴿بتسخير ما في الأرض﴾ ﴿رَحِيمٌ﴾ ﴿بإمسك السماء لئلا تقع على الأرض، عدد آلاءه مقرونة بأسمائه ليشكروه على آلائه ويذكروه بأسمائه. وعن أبي حنيفة رحمه الله أن اسم الله الأعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقرائها البتة.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿ثُمَّ مَيِّتَكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لإيصال جزائكم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفح عنه من صنوف النقم، أو لا يعرف نعمة الإنشاء المبدئ للوجود ولا الإفناء المقرب إلى الموعود ولا الإحياء الموصل إلى المقصود ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أهل دين ﴿﴿٥٣﴾﴾ ﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾ مرّ بيانه. وهو رد لقول من يقول إن الذبح ليس بشريعة الله إذ هو شريعة كل أمة ﴿هُم نَاسِكُونَ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يَنَازِعَنَّكَ﴾ فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أمر الذبائح أو الدين. نزلت حين قال المشركون للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة ﴿﴿٥٤﴾﴾ ﴿وَادْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عبادة ربك ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ﴾ طريق قويم. ولم يذكر الواو في ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ بخلاف ما تقدم لأن تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النساءك فعطفت على أخواتها، وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفاً. ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ مرء وتعنناً كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال ﴿فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول، والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به، وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

و أخرج أحمد ، والحاكم و صححه، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن الحسين (لكل أمة جعلنا منسكاً لهم ناسكوه) قال: ذبحاً هم ذابحوه — وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله ”هم ناسكوه“ يعني هم ذابحوه (فلا ينازعنك في الأمر) يعني في أمر الذبائح. (الدر المنثور)

(٥٤) أخرج نحوه ابن المنذر عن مجاهد (الدر المنثور) قوله النساءك جمع نسيكة أي الذبيحة قوله معطفاً أي محلاً للعطف.

قوله لجحود، إشارة إلى أنه من الكفران، لأنه المناسب للسباق.

(٥٣) قوله أهل دين، تخصيص للأمة بمن لهم ملة و شرع و إن نسخ ، دون المشركين، لقوله جعلنا، و إنما ذكر هذا و إن مرّ توطئة لما بعده.

قوله مرّ بيانه، قال فيما سبق: منسكاً حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة، أي موضع قربان. و غيرهما بالفتح، على المصدر، أي إراقة الدماء و ذبح القرابين. هـ.



تَحْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب، ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقي منهم. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السماوات والأرض ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الموجود فيهما ﴿فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي علمه بجميع ذلك عليه يسير. ثم أشار إلى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ «ينزل» مكي وبصري ﴿سُلْطَنًا﴾ حجة وبرهاناً ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ و ما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم ﴿وَإِذْ اتَّئَلُّوا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا يَتَّبِعُونَ﴾ يعني القرآن ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمُنْكَرَ﴾ الإنكار بالعبوس والكرهية والمنكر مصدر ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يبطشون. والسطو: الوثب والبطش ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُفِرْتُمْ مِنْ ذَلِكَ﴾ من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهية والضجر بسبب ما تلي عليكم ﴿النَّارُ﴾ خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال: ما هو؟ فقيل: النار أي هو النار ﴿وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استئناف كلام ﴿وَبئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار.

و لما كانت دعواهم<sup>(٥٦)</sup> بأن لله تعالى شريكاً جارية في الغرابة والشهرة مجرى الأمثال

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

في الآخرة، أو ليس لهم ناصر يؤيد مذهبهم بالحجة. قوله: الإنكار بالعبوس والكرهية. أي الإنكار أمر مضمر، و عرفانه يكون بأمر يدل عليه، وهو الكراهية وتغير الوجه.

قوله من غيظكم - الخ - أي المشار إليه ما يستفاد من قوله "يكادون يسطون" وهو مصدره السطو، والحامل على السطو، هو الغيظ، أو المشار إليه ما يستفاد من قوله "المنكر" وهو الكراهية والضجر كما تقدم.

قوله وبئس المصير، النار، إظهار للمخصوص بالذم. (٥٦) قوله و لما كانت دعواهم، قال تعالى (ضرب مثل)، وهنا لم يضرب مثل، فكيف قال ضرب مثل؟ والجواب أن المثل في الأصل بمعنى المثل والنظير، ثم خصّ بكلام سائر، شُبّه بمورده لغرابته، فصار حقيقة فيه، ثم استعير لكل حال غريبة، و صفة بديعة، أو قصة نادرة، أو جملة من الكلام فصيحة غريبة، لمشابقتها له في ذلك، وهو المراد هنا، أي بين لكم =

قوله مسلاة مفعلة من سلا يسلو: ما يعث على السؤلون.

(٥٥) قوله ألم تعلم، خطاب لكل سامع، والارتباط بالآية السابقة بأن الفصل بين الناس يتطلب علم ما وُجد بينهم، فأثبت ذلك بطريق العموم، أنه يعلم جميع ما يوجد في السموات والأرض، فكيف لا يعلم ما يحدث بين الناس، وأنه قد علم كل ذلك قبل الحدوث، وأثبتته في اللوح المحفوظ، ليعلم الناظرين في اللوح أن معمول الخلق يوافق معلوم الرب. قوله الموجود فيهما. أي الإشارة بذلك إلى "ما في السماء والأرض".

قوله ينزل، مكي وبصري، من الإفعال، والباقون من التنزيل.

قوله وما للظالمين، فيه وضع المظهر موضع المضمر، تسجيلاً عليهم بالظلم في عبادتهم غير الله، وفي نفي النصير وجهان أي ليس لهم ناصر يدفع عنهم العذاب

المسيرة قال الله تعالى: ﴿يَأْيَهَا النَّاسُ ضُرِبَ﴾ بين ﴿مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ لضرب هذا المثل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ «يَدْعُونَ» سهل ويعقوب ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آلهة باطلة ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ «لن» تأكيد نفى المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال: محال أن يخلقوا. وتخصيص الذباب لمهانتة وضعفه واستقذاره، وسمي ذباباً لأنه كلما ذب لاستقذاره أب لاستكباره ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ لخلق الذباب ومحلّه النصب على الحال كأنه قيل: مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتمائيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ «شيئاً» ثاني مفعولي «يَسْأَلُهُمْ» ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ أي هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرُوا. (٥٧)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه ﴿ضَعَفَ الطَّالِبُ﴾ أي الصنم يطلب ما سلب منه ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

يقول: "كأنه قيل: مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب، مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه، وتعاونهم عليه." قوله "مستحيل منهم أن يخلقوا" تصوير لما في لن من معنى التأكيد كما قدّم بيانه، "مشروطاً عليهم اجتماعهم" تصوير لما في لو من معنى الشرط والتقدير، و نصبه لبيان الحالية، "لخلقه" إظهار لمرجع الضمير في قوله تعالى (له) "و تعاونهم عليه" استفاد من معنى الاجتماع للخلق.

قوله صوراً و تمائيل، مفعول وصفوا، و جملة يستحيل منها الخ. صفة صور و تمائيل. (٥٧) والحاصل أنهم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذي عليها، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك، والذباب من أضعف مخلوقات الله و أحقرها ولهذا قال: (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس: الطالب الصنم، والمطلوب الذباب، واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق، وقال السُّدِّي وغيره: الطالب، العابد، والمطلوب، الصنم. (ابن كثير)

= حال مستغربة، ودعوى عجيبة.

قوله يدعون، بصيغة الغائبين يعقوب من العشرة، و سهل بن محمد يروي عن عاصم والباقون تدعون بصيغة المخاطبين.

قوله لمهانتة أي حقارته، مهن مهانة من كرم، قوله ذب (ن): دُفِع.

قوله ومحلّه النصب على الحال، للنحاة في مثل هذا التركيب المشتمل على الواو الداخلة على لو و إن الوصليتين ثلاثة أقوال، (١) الواو عاطفة، والتقدير هكذا: لن يخلقوا ذباباً لو لم يجتمعوا ولو اجتمعوا، فالحاصل لن يخلقوا بكل حال. واختاره أبو حيان، كما صرح في تفسيره "البحر المحيط". (٢) الواو الحالية وجواب حرف الشرط مقدر، والتقدير لن يخلقوا ذباباً والحال أنهم لو اجتمعوا فلن يخلقوا (فكيف إذا انفردوا؟) واختاره البيضاوي هنا. (٣) الواو الحالية، وحرف الشرط هنا لا يحتاج إلى تقدير أصلاً، لأنه انسلخ عن معنى الشرطية، وتمحّض للدلالة على الفرض والتقدير، والمعنى مفروضاً اجتماعهم. واختار المصنف هذا، كما يظهر من كلامه.

وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكاً له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي إن الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به، أو لقوي ينصر أوليائه عزيز ينتقم من أعدائه. ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾ يختار ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلاً كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام. وهذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله على ضربين ملك وبشر. وقيل: نزلت حين قالوا: «الأنبياء الذين ذكر عليهم من بيننا» [القمر: ٢٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يختاره لرسالته، أو سميع لأقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الأمم في الرد والقبول ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما مضى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما لم يأت أو ما عملوه وما سيعملونه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة ﴿وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ﴾ أي إليه مرجع الأمور كلها، والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدييره واختيار رسله «ترجع» شامي وحمزة وعلي.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في صلاتكم، وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود، وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان وأن هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل: لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولاً إلى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما، ثم عم بالحث على سائر الخيرات. وقيل: أريد به صلة الأرحام ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ أي كي تفوزوا أو افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم. ﴿وَجَاهِدُوا﴾ أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر أو هو كلمة حق

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

يدل على أن الإيمان تحقق بالتصديق، و بقيت الأعمال فأمروا بها، والدلالة على كون السجدة للصلاة لاقتران ذكر السجود بالركوع، والمعهود في مثله سجدة الصلاة. كما في قوله تعالى: (واسجدي واركعي) وعند الإمام الشافعي هنا سجود التلاوة. قوله و أنتم راجون للفلاح. إشارة إلى أن "لعل" لترجي المخاطبين، والجملة حالية. قوله وهو الجهاد الأكبر، أخرج البيهقي وغيره عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: قدم على رسول الله =

قوله ترجع، بفتح التاء وكسر الجيم، ببناءه للفاعل، ابن عامر الشامي، وحمزة وعلي الكسائي، وكذا يعقوب وخلف، والباقون بضم التاء، وفتح الجيم، اه. إكليل. (٥٨) كان صلاتهم أول الإسلام بلا ركوع وسجود ذكره في البحر أيضاً، ولم نره في أثر يعتمد عليه، وتوقف فيه صاحب المواهب، و ذكره الفراء رحمه الله بلا سند. (خفاجي) قوله وفيه دليل، لأن الأمر بالأعمال جاء لمن سأمهم مومنين و خاطبهم بقوله: (يأيها الذين آمنوا) وهذا

عند أمير جائر ﴿فِي اللَّهِ﴾ أي في ذات الله ومن أجله ﴿حَقَّ جِهَادُهُ﴾ وهو أن لا يخاف في الله لومة لائم. يقال: هو حق عالم وجد عالم أي عالم حقاً وجداً ومنه «حق جهاده» وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه. ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله: ويوم شهدناه سليماً وعامراً... ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لدينه ونصرته ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمة وبالإيماء وبالقصر والإفطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة. ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي اتبعوا ملة أبيكم، أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم. وسماه أباً وإن لم يكن أباً للأمة كلها، لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباً لأُمَّته لأن أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام. «إنما أنا لكم مثل الوالد» ﴿هُوَ سَمُّكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي الله بدليل قراءة أبي: «الله سماكم المسلمين» ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ في الكتب المتقدمة ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي في القرآن أي فضلكم على سائر الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ أنه قد بلغكم رسالة ربكم ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ بواجباتها ﴿وَأَتُوا الزُّكَاةَ﴾ بشرائطها ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ وثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي مالكم وناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي الناصر هو، حيث أعانكم على طاعتكم، وقد أفلح من هو مولاه وناصره. والله الموفق للصواب.

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله كلمة حق عند أمير جائر. وفي الحديث: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر. رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والبيهقي في الشعب وغيرهم. قوله: بل رخص لكم الخ، ذكر التكليفات والرخص بطريق اللف والنشر المرتب. قوله: «وإذ خصكم... والأثرة» الأثرة بضم فسكون، و بفتحتين: المكرمة، والانفراد بالشئ. (لسان العرب)

[تم ليلة الجمعة ١٩/٩/١٤٢٧هـ / ١٣/١٠/٢٠٠٦م]



= صلى الله تعالى عليه وسلم قوم غزاة، فقال: قدتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه. وفي سنده ضعف مُغْتَفَرٌ في مثله (ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف والخفاجي في عناية القاضي) و أخرج ابن مردويه عن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، وعن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه قال: إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده وما ضرب بسيف. (الدر المنثور)

سورة المؤمنون مكية<sup>(١)</sup> وهي مائة وثمان عشرة آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> «قد» نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه،<sup>(٢)</sup> وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه. والفلاح: الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا، والإيمان في اللغة التصديق، والمؤمن المصدق لغة. وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين موطناً قلبه لسانه فهو مؤمن. قال عليه السلام: «خلق الله الجنة، فقال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون ثلاثاً أنا حرام على كل بخيلٍ مرءٍ»<sup>(٣)</sup>، لأنه بالرياء أبطل العبادات البدنية و ليس له عبادة مالية ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خُشِعُونَ﴾<sup>(٤)</sup> خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح. وقيل: الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والإعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وأن لا يلتفت ولا يعث ولا يسدل ولا يفرقع أصابعه ولا يقلب الحصى ونحو ذلك. وعن أبي الدرداء: هو إخلاص المقال وإعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام.<sup>(٥)</sup> وأضيفت الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلي له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته

مواهب الملل لتجملية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

## سورة المؤمنون

(١) قوله مكية. بالاتفاق، واستثنى في الإتيان قوله (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب - إلى قوله - مبلسون) أما ذكر الزكاة فيها، وهي إنما فرضت بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة فسيأتي الكلام عليها (خفاجي)

(٢) مثلاً أخبرك أخوك أنه يأتيك يوم الجمعة صباحاً. فأنت ترجو إتيانه في موعده. فإن لم يأت تقول: لما يأت، وإن أتاك تقول: قد أتى، «فلما» تنفي المتوقع، و«قد» تنبته. وهذا قد صرح به الثقات من أهل النحو، واللغة، ولو لم يكونوا فهموه من كلام العرب لم يذكروه، وإنكاره مكابرة ومنع للنقل، ومثله لا يُسمع. (خفاجي)

قوله و كان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة - الخ - يرد عليه أن المتوقع هو الفلاح لا البشارة به، فإن مدخول «قد» هو الفلاح، وهو المتوقع الذي أخبر بوقوعه. والجواب عن هذا الإيراد يحوج إلى تكلفات. و يظهر لي أن هذا المقام ليس مما جاء فيه قد للإخبار عن وقوع أمر متوقع، لأن الفلاح الحقيقي من أمور الآخرة، وهو الفوز برضا المولى سبحانه و ثوابه في الآخرة، ولا يتصور حصوله في

الدنيا، لكنه أمر يحصل قطعاً للمؤمنين الموصوفين بالصفات الست، فنزل منزلة الحاصل، وقيل (قد أفلح المؤمنون الذين.....) فقد أفلح هنا لإفادة تحقق أمر مستقبل كتحقق أمر ماض. وكذا قوله (قد أفلح من تزكى - ١٤، الأعلى) وقوله (قد أفلح من زكاه وقد خاب من دسها. ٩، ١٠، الشمس)

(٣) رواه الثعلبي بسنده في كتابه «الكشف والبيان في تفسير القرآن» عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً. و لجزء ه الأول (قالت: قد أفلح المؤمنون) شواهد و متابعات ذكرها ابن كثير في تفسيره عن أبي سعيد الخدري، عند البزار، وعن أنس عند أبي بكر بن أبي الدنيا، و عن ابن عباس عند الطبراني بطريق بقية عن ابن جريج، و بطريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعاً. وفيه و في رواية أنس في آخره: فقال الله: و عزتي و جلالي لا يجاورني فيك بخيل، و في رواية أنس بعد ذلك: ثم تلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

(٤) كذا حكاه غير واحد عنه رضي الله تعالى عنه، و رواه الثعلبي في الكشف عن ابن أبي الورد، والمعنى الجامع هو ما ذكره أولاً: الخوف بالقلب والسكون في =

وذخيرته، وأما المصلى له فغني عنها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني أن لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل. ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدون<sup>(٥)</sup> ولفظ «فاعلون» يدل على المداومة بخلاف «مؤدون». وقيل: الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرج به المزكي من النصاب إلى الفقير، وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا، فجعل المزكين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأفعال كالضرب والقتل ونحوهما. تقول للضارب والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والتزكية، ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء، ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النُصْب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة، قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية (وآتوا حقه يوم حصاده). اهـ. وقال في تفسير قوله تعالى: وويل للمشركين. الذين لا يوتون الزكاة وهم بالآخرة هم كُفُورُن. (فصلت) والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة. وقال السدي: أي لا يَدِينُونَ الزكاة، وقال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم. وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد، وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأموراً به في ابتداء البعثة. كقوله تبارك وتعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) فأما الزكاة ذات النُصْب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة. و يكون هذا جمعاً بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها، وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً. والله أعلم. اهـ.

= الجوارح. وأخرج ابن المبارك، وابن أبي شيبه، وأحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع. وأخرج الحكيم الترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تعوذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا يا رسول الله وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب. (الدر المنثور) قوله قاعدتا بناء التكليف. القاعدة: الأساس.

(٥) قوله مؤدون. قال الصاوي رحمه الله: اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين، والعشر ونصفه من الحرث، والشاة من الأربعين، وعلى المصدر الذي هو فعل الفاعل، فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون، لأن القدر المخرج لا معنى لفعله، وعلى الثاني ففاعلون على بابه. انتهى. قال أمية بن أبي الصلت:

المطعمون الطعام في السنة الأز...مة، والفاعلون للزكوات. (كشاف، والقرطبي)

قوله يدل على المداومة. لأنه يقال: هذا فعله أي شأنه، ودأبه المداومة عليه (خفاجي) والإيتاء أو الأداء يدل على وقوعه مرة.

قال ابن كثير: الأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية،

الفاعل في العمل فإنك تقول «هذا ضارب لزيد» ولا تقول «ضرب لزيد» ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ﴾<sup>(٦)</sup> الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك «كان زياد على البصرة» أي والياً عليها. والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم،<sup>(٧)</sup> أو تعلق «على» بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه. وقال الفراء: إلا من أزواجهم أي زوجاتهم<sup>(٨)</sup> ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي إمائهم ولم يقل «من» لأن المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم ﴿فَأَنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾<sup>(٩)</sup> أي لا لوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمائهم ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ طلب قضاء شهوة من غير هذين ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعُدُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة<sup>(١١)</sup> ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ «لأمانتهم» مكي وسهل. سمي الشيء المؤمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهداً ومنه قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» [النساء: ٥٨] وإنما تؤدى العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق ﴿رُعُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ «صلاتهم» كوفي غير أبي بكر ﴿يَحْفَظُونَ﴾<sup>(١٣)</sup> يداومون في

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٦) قوله تَسْرِيهِمْ: تَسْرَى: اتخذ سُرِّيَّةً، والسُرِّيَّة: الجارية المتخذة للملك والجماع، والنسبة إلى السِّرِّ،

وَضُمَّتِ السِّينُ خِلافَ القِيَّاسِ، أو إلى السُّرُورِ، و أصلُ تَسْرِيَّتْ تَسْرَرْتُ، لكن لما توالَتْ ثلاث راءات أبْدَلُوا إِحْداهن ياءً، كما قالوا: تَنْظَبْتُ من الظنِّ، وَقَصَّيْتُ أَظْفاري، والأصل قَصَّصْتُ. (لسان العرب) قوله ما أطلق لهم: أي ما أبيع وأجيز لهم.

(٧) قال أبو حيان في البحر المحيط: حفظ لا يتعدى بعلى فقيل على بمعنى من، كما استعملت من بمعنى على في قوله (ونصرناه من القوم) أي على القوم، قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره. والأولى أن يكون من باب التضمين، ثم ذكر تضمين الحفظ معنى الإمساك أو معنى القصر أي لفروجهم حافظون ممسكين أو قاصرين على أزواجهم و سراريهم ونحوه حفظت على الصبي ماله أي ضبطته قاصراً عليه، وما ذكر الزمخشري من تضمين معنى الولاية أو القوامية أو

(٨) قوله تَسْرِيهِمْ: تَسْرَى: اتخذ سُرِّيَّةً، والسُرِّيَّة: الجارية المتخذة للملك والجماع، والنسبة إلى السِّرِّ، و وضمت السين خلاف القياس، أو إلى السُّرُورِ، و أصلُ تَسْرِيَّتْ تَسْرَرْتُ، لكن لما توالَتْ ثلاث راءات أبْدَلُوا إِحْداهن ياءً، كما قالوا: تَنْظَبْتُ من الظنِّ، وَقَصَّيْتُ أَظْفاري، والأصل قَصَّصْتُ. (لسان العرب) قوله ما أطلق لهم: أي ما أبيع وأجيز لهم.

(٩) قال أبو حيان في البحر المحيط: حفظ لا يتعدى بعلى فقيل على بمعنى من، كما استعملت من بمعنى على في قوله (ونصرناه من القوم) أي على القوم، قاله الفراء وتبعه ابن مالك وغيره. والأولى أن يكون من باب التضمين، ثم ذكر تضمين الحفظ معنى الإمساك أو معنى القصر أي لفروجهم حافظون ممسكين أو قاصرين على أزواجهم و سراريهم ونحوه حفظت على الصبي ماله أي ضبطته قاصراً عليه، وما ذكر الزمخشري من تضمين معنى الولاية أو القوامية أو

أوقاتها. وإعادة ذكر الصلاة لأنها أهم، ولأن الخشوع فيها غير المحافظة عليها، أو لأنها وحدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت، وجمعت آخرًا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل ﴿أُولَئِكَ﴾ الجامعون لهذه الأوصاف ﴿هُمْ أُولَئِكَ﴾ الأحقاء بأن يسموا ورثاءً دون من عداهم. ثم ترجم الوارثون بقوله: ﴿الَّذِينَ يَرْتُونَ﴾ من الكفار. في الحديث: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله،<sup>(١)</sup> وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله» ﴿الْفَرْدَوْسُ﴾ هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر. وقال قطرب: هو أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أنث الفردوس بتأويل الجنة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا<sup>(٣)</sup> الْإِنْسَانَ﴾ أي آدم ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾ «من» للابتداء والسلالة الخلاصة؛ لأنها

مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله أعلى الجنان أخرج البخاري ومسلم وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفي الباب عن عباد بن الصامت، وأبي أمامة، ومعاذ بن جبل، وسمرة بن الجندب، وأنس، وأبي موسى الأشعري، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنهم (الدر المنثور، سورة الكهف، الآية ١٠٧)

(١١) قال الإمام في مفاتيح الغيب: اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآيات المتقدمة، والاشتغال بعبادة الله لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق، لا جرم عقبتها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية، فذكر من الدلائل أنواعاً، النوع الأول الاستدلال بتقلب الإنسان في أدوار الخلق و أكوان الفطرة وهي تسعة مراتب (١) سلالة من طين (٢) نطفة في قرار مكين (٣) علقة (٤) مضغة (٥) عظام (٦) كسوة العظام اللحم (٧) خلقاً آخر (٨) الموت (٩) البعث.

النوع الثاني الاستدلال بخلق السموات، النوع الثالث الاستدلال بنزول الأمطار وكيفية تأثيراتها في النبات، النوع الرابع الاستدلال بأحوال الحيوانات. قوله من سلالة، هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه، وهو خلاصته (جلالين) قوله كدر بفتح الدال، ضد الصّفو وبابه طرب وسهل والصفة كدر وكدر بكسر الدال وسكونها. (مختار الصحاح)

قوله وجمعت آخرًا - أي على قراءة الأكثر - ذكر لتكرار ذكر الصلاة، ثلاثة وجوه. (١) التكرار لأهميتها (٢) ليس تكراراً فإن المذكور أولاً صفة الخشوع فيها والمذكور آخرًا صفة المحافظة عليها، وهما صفتان متفارقتان (٣) المذكور أولاً بالافراد مع صفة الخشوع لإفادة خشوعهم في جنس الصلاة أية صلاة كانت، والمذكور آخرًا بصيغة الجمع مع صفة المحافظة لإفادة مواظبتهم على أنواعها. و أحب الأعمال ما واطب عليه صاحبه.

قوله ترجم «الوارثون». فسّرهم وبيّنهم. (١٠) أخرج سعيد بن منصور، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم " ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله (أولئك هم الوارثون) - الدر المنثور قوله قطرب، هو بضم القاف، وسكون الطاء المهملة، وضم الراء، وبعدها باء موحدة، اسم دُوَيْيَّة لا تزال تدب ولا تفتت. صار لقباً لأحد تلامذة سيبويه، كان حريصاً على الاشتغال والتعلم، ييكر إلى سيبويه قبل سائر التلامذة، فقال له سيبويه يوماً ما أنت إلا قطرب ليل، فبقى عليه هذا اللقب، وهو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، صاحب تصانيف حسان، توفي سنة ست ومأتين - إكليل.



تسل من بين الكدر. وقيل: إنما سمي التراب الذي خلق آدم منه سلالة؛ لأنه سل من كل تربة<sup>(١٢)</sup> ﴿مِنْ طِينٍ﴾ «من» للبيان كقوله: «مِنَ الْأَوْثَانِ» [الحج: ٣٠] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لأن آدم عليه السلام لم يصير نطفة وهو كقوله: «وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ» ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٨] وقيل: الإنسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمي النطفة سلالة أي ولقد خلقنا الإنسان من سلالة يعني من نطفة مسلوطة من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام ﴿نُطْفَةً﴾ ماء قليلاً ﴿فِي قَرَارٍ﴾ مستقر يعني الرحم ﴿مَكِينٍ﴾ حصين ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ﴾ أي صيرناها بدلالة تعديه إلى مفعولين والخلق يتعدى إلى مفعول واحد ﴿عَلَقَةً﴾ قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة<sup>(١٣)</sup> البيضاء علقه حمراء ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحماً قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ فصيرناها عظماً ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس «عظماً» «العظم»<sup>(١٤)</sup> شامي وأبو بكر «عظماً» «العظام» زيد عن يعقوب «عظاما» «العظم» عن أبي زيد، وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس إذ الإنسان ذو عظام كثيرة ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ﴾ الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ أي خلقاً مابيناً للخلق الأول حيث جعله حيواناً وكان جماداً وناطقاً وسميعاً وبصيراً وكان بضد هذه الصفات، ولهذا قلنا إذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمّن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة ﴿فَتَبَرَكَ اللَّهُ﴾ فتعالى أمره في قدرته وعلمه ﴿أَحْسَنُ﴾ بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف لأن المضاف إليه عوض من «من» ﴿الْخَالِقِينَ﴾ المقدرين أي أحسن المقدرين تقديراً فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه. وقيل: إن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبل إملائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكتب هكذا نزلت» فقال عبد

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٢) قوله سُل من كل تربة، أخرج الإمام أحمد عن أبي موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والخبيث، والطيب، وبين ذلك. وقد رواه أبو داود و الترمذي من طرق عن عوف الأعرابي نحوه و قال الترمذي: حسن صحيح. (ابن كثير)

(١٣) قوله أحلنا النطفة، حال: انتقل من حالة إلى حالة أو من مكان إلى مكان، أحوال وحوال: نقل من حالة إلى حالة أو من مكان إلى مكان، والمراد صيرنا النطفة.....

(١٤) قوله عظماً، العظم بفتح العين، وإسكان الظاء، بلا ألف فيهما، على التوحيد إرادة للجنس، على حد «وهن العظم مني» شامي أي ابن عامر الشامي، وأبو بكر شعبة عن عاصم، عظماً، العظام زيد بن أحمد بن إسحاق عن يعقوب بن إسحاق وليس من السبعة. عظماً، العظم عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري عن المفضل بن محمد عن عاصم رحمهم الله و الباقر بالجمع فيهما على الأصل، على حد «وانظر إلى العظام» اه. إكليل.

قوله أحسن المقدرين تقديراً، فسر به لأن الخلق بمعنى الإيجاد من العدم بغير مادة ليس إلا لله، هل من خالق غير الله.

الله: إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فارتد ولحق بمكة<sup>(١٥)</sup> ثم أسلم يوم الفتح. وقيل: هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية. وقيل: القائل عمر أو معاذ رضي الله عنهما. ﴿ثُمَّ أَنْكُمْ بُعِدَ ذَلِكَ﴾ بعد ما ذكرنا من أمركم ﴿كَلِمَاتٍ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ أَنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ تحيون للجزاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ جمع طريقة وهي السماوات لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ أراد بالخلق السماوات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها، أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وما كان غافلاً عنهم و عما يصلحهم ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿يَقْدَرُ﴾ بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ﴿فَأَسْكَنُوهُ فِي الْأَرْضِ﴾ كقوله: «فَسَلَكَهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ» [الزمر: ٢١] وقيل: جعلناه ثابتاً في الأرض فماء الأرض كله من السماء. ثم استأدى شكرهم بقوله: ﴿وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقْدَرُونَ﴾ أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على إذهابه فقيدوا هذه النعمة

#### مواهب المجلد لتجلية مدارك التنزيل

فقلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين)  
وأخرج ابن راهويه ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه عن زيد بن ثابت قال: أملى علي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (خلقاً آخر) فقال معاذ بن جبل: فتبارك الله أحسن الخالقين، فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له معاذ: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: إنها ختمت (فتبارك الله أحسن الخالقين)  
وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) قال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين. فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) الدر المنثور.  
ويمكن الجمع بينهما بأن قول عمر كان قبل نزول آخر الجزء من الآية، وقول معاذ كان بعد النزول حين الإملاء على زيد رضي الله تعالى عنهم. قوله متقلباتهم، اسم ظرف أي مواضع تقلبهم و تحوّلهم.  
قوله استأدى شكرهم، طلب منهم أداء الشكر.

(١٥) قوله لحق بمكة، ذكره الثعلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا سند، وعزاه الواحدي إلى الكلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. (تخريج أحاديث الكشاف)  
قوله أسلم يوم الفتح، و حسن إسلامه ، ولآه عثمان مصر سنة خمس و عشرين ففتح الله على يديه إفريقيه وكان فتحاً عظيماً، توفي بعسقلان سنة ست و ثلاثين ، وقيل غير ذلك - إكليل عن أسد الغابة في معرفة الصحابة.

(١٦) أخرج الطيالسي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساکر عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر وافقت ربي في أربع، قلت: يا رسول الله لو صليت خلف المقام، فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) [البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجاً فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فأنزل الله (و إذا سألتهم متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) [الأحزاب: ٥٣] وقلت لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: لتنتهن أو ليدلن الله أزواجاً خيراً منكن. فأنزلت (عسى ربه إن طلقكن) [التحریم: ٥] و نزلت (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر)

بالشكر<sup>(١٧)</sup> ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنَّتْ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى النخيل والأعناب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي من الجنات أي من ثمارها، ويجوز أن هذا من قولهم: «فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغلها» أي أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال: وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها ترزقون وتعيشون. ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على «جنات» وهي شجرة الزيتون<sup>(١٨)</sup> ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ «طُورِ سَيْنَاءَ» و«طور سينين» لا يخلو إما أن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامريء القيس وهو جبل فلسطين. وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبي عمرو للتعريف والعجمة، أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كصحراء ﴿تُنْبِتُ بِالذَّهْنِ﴾ قال الزجاج: الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن «تنبت» مكى وأبو عمرو. إما لأن أنبت بمعنى نبت كقوله: «حتى إذا أنبت البقل»<sup>(١٩)</sup>، أو لأن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن ﴿وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ أي إدام لهم. قال مقاتل: جعل الله تعالى في هذه إداماً ودهناً، فالإدام الزيتون والدهن الزيت.

#### مواهب المجلد لتجلية مدارك التنزيل

رؤيس عن يعقوب، والباقون بفتح التاء، وضم الباء مضارع نبت، لازم، وبالدهن حال الفاعل، أي تنبت ملتبسة بالدهن. اهـ. إكليل.

(١٩) قال ابن جرير: والقول عندي في ذلك أنهما لغتان، نبت وأنبت، ومن أنبت قول زهير:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم  
قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل — اهـ.

القطين بمعنى السكان والمقيمين إما جمع قاطن كالقطن، أو هو كالخليط لفظ الواحد والجمع فيه سواء (لسان العرب) ورأيت بفتح التاء، والمعنى رأيت ذوي الحاجات مقيمين حول بيوتهم لقضاء أوطارهم، لأنها معاهد الكرم وموارد النعم، حتى إذا ظهر الخصب انفضوا من حولها للانتجاع والتعيش. (خفاجي)

قوله وصبغ للأكلين. أصل الصبغ ما يلون به الثوب، وشبه الإدام به لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه. وكل إدام يوتدم به فهو صبغ (قرطبي) وفي المصباح: الإدام ما يوتدم به مائعا كان أو جامداً، وجمعه أدم، مثل كتاب وكتب. وقد يسكن للتخفيف (و يقال: أدم) فيعامل معاملة المفرد، و يجمع على إدام. مثل قفل وأقفال. اهـ. إكليل.

(١٧) فإن شكر النعمة سبب لبقائها وزيادتها، قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم قوله يغلها أي يأخذ غلتها، والغلة: الدخل من كراء دار، وفائدة أرض ونحو ذلك.

(١٨) قوله وهي شجرة الزيتون. قال مقاتل: وخصّ الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت منها. (قرطبي) قال الرازي: وإنما أضافها الله تعالى إلى هذا الجبل لأن منها تشعبت في البلاد وانتشرت، ولأن معظمها هناك. اهـ.

قوله فلسطين، بكسر الفاء وفتح اللام بلدة بالشام قوله كقراءة الحجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (من العشرة) وابن كثير المكي، وأبو عمرو البصري، والباقون بفتح السين. (إكليل)

قوله للتعريف والعجمة، لا لألف التأنيث الممدودة، إذ ليس في كلام العرب فعلاء بكسر الفاء والمد و آخره ألف تأنيث، هذا قول البصريين. أما الكوفيون فلا يسلمونه، ويقولون ألفه للتأنيث، وكسر السين لغة كنانة. (خفاجي)

قوله تنبت، بضم التاء، وكسر الموحدة، مضارع أنبت ابن كثير المكي، وأبو عمرو البصري، وكذا

وقيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان. وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع. ﴿وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ﴾ وبفتح النون: شامي ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي نخرج لكم من بطونها لبناً سائعاً ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى الألبان وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار<sup>(٢١)</sup> ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي لحومها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ في أسفاركم، وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفائن البر قال ذو الرمة: سفينة بر تحت خدي زمامها<sup>(٢٢)</sup>... يريد ناقته.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾<sup>(٢٣)</sup> ﴿نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ معبود ﴿غَيْرُهُ﴾ بالرفع على المحل، وبالجر على اللفظ، والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي أشرافهم<sup>(٢٤)</sup> لعوامهم ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يأكل ويشرب ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يطلب الفضل عليكم ويتأسس ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ إرسال رسول ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ لأرسل ملائكة ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي بإرسال بشر رسولا أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالألوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الكسائي وأبو جعفر غيره بالجر، والباقون غيره بالرفع. على أن "غيره" صفة "إله" و"إله" مجرور لفظاً بدخول من، مرفوع محلاً على الابتداء، و من زائدة لتأكيد النفي، و"ما" لا يعمل لتقدم الخبر، وهو "لكم".

قوله والجملة استئناف الخ - أي استئناف بياني، بتقدير سؤال سائل لم نعبد الله؟ فجاء الجواب "ما لكم من إله غيره" أي لا يستحق العبادة إلا من هو إله، وليس الإله في الكون إلا هو، فلا تعبدوا إلا إياه. (٢٣) قوله أي أشرافهم. فسر الملاء بالأشراف لأن معناه كما قال الراغب: جماعة مجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواء، والقلوب جلاله و بهاء، فيختص بأشراف القوم، وإن استعمل بمعنى الجماعة مطلقاً. (خفاجي) قوله الذين كفروا، الظاهر أن الوصف للذم، ويجوز أن يكون للتخصيص، إن ثبت أن بعض الأشراف آمنوا. قوله يتأسس، أي يتكلف الرئاسة وأن يكون سيد القوم.

(٢٠) قال المفسرون و أهل اللغة: الأصواف للضأن، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز. اه. خطيب في تفسير سورة النحل، إكليل.

قوله ذو الرمة هو أبو الحارث عيلان بن عقبة، أحد فحول الشعراء، مات سنة سبع عشرة ومائة. إكليل.

(٢١) من قصيدة مشهورة له، وقبله:

أَلَا خَيْلٌ مِيٌّ وَقَدْ نَامَ صَحْبَتِي بِمَا نَفَرَ التَّهْوِيمَ إِلَّا سَلَامَهَا طَرَوْقًا وَجُلْبُ الرِّحْلِ مَشْلُودَةٌ بِسَفِينَةٍ بَرْتُ تَحْتَ خَدِي زَمَامَهَا خَيْلٌ: أُرْسِلَتْ خَيْالَهَا، أَوْ ادْرَكْنِي خَيْالَهَا. التَّهْوِيمُ: أَوَّلُ النَّوْمِ. الطَّرَوْقُ: الْإِتْيَانُ لِيَلًا أَيْ خَيْلٌ طَارِقَةٌ: آتِيَةٌ لِيَلًا. (أَوْ أَتَى سَلَامَهَا طَارِقَةً) جُلْبُ الرِّحْلِ بَضْمُ الْجِيمِ وَكَسْرُهَا: عِيدَانُهُ. (خَفَاجِي وَ إِكْلِيل) سَفِينَةٌ بِرِ نَائِبِ فَاعِلٍ مَشْدُودَةٌ.

(٢٢) لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ دَلَائِلَ التَّوْحِيدِ أَرْدَفَهَا بِالْقَصَصِ، كَمَا هُوَ الْعَادَةُ فِي سَائِرِ السُّورِ. (رَازِي) قوله بالرفع على المحل، وبالجر على اللفظ. قرأ

﴿قِيََابِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ إِنَّهُ هُوَ الرَّجُلُ بِهِ جِنَّةٌ ﴿جنون﴾ ﴿فَقَرَّبْصَوَابِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه﴾ ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ ﴿فلما أيس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم، والمعنى أهلكتهم بسبب تكذيبهم إياي إذ في نصرته إهلاكهم، أو «انصُرني» بدل «ما كذبون» كقولك «هذا بذاك» أي بدل ذلك والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصره عليهم﴾ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي أجبنا دعاءه فأوحينا إليه ﴿أَن اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>(٢٤)</sup> أي تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته إياك، أو بحفظنا و كلاءتنا كأن معك من الله حفاظاً يكلثونك بعيونهم لئلا يتعرض لك ولا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم «عليه من الله عين كالتة». ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أمرنا وتعليمنا إياك صنعتها. رُوي أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جَوْجُو الطائر.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا بأمرنا ﴿وَفَارَ التَّنُورَ﴾ أي فار الماء من تنور الخبز أي أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الإنذار والاعتبار. روي أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار إلى نوح وكان من حجارة. واختلف في مكانه فقيل: في مسجد الكوفة. وقيل: بالشام. وقيل: بالهند. ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ فأدخل في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرمك<sup>(٢٥)</sup> ﴿أُنثَيْنِ﴾ واحدين مزدوجين كالجمال والناقة والحصان والرمكة. روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض «من كل» حفص والمفضل .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

حفاظاً، الخ - تصوير لهذا المعنى المستفاد من الجمع. قوله جَوْجُو، عظام صدر الطائر، أو صدره. والجمع: جَاجِي (لسان العرب) والرواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ذكره المصنّف في تفسير سورة هود و ذكر السيوطي رحمه الله تعالى تخريجه عن ابن أبي حاتم في الدر المنثور.

(٢٥) قوله كَالْجِمَالِ - الخ - الجمال جمع الجمل: الذكر من الإبل، النوق جمع الناقة: الأنثى من الإبل. الحصن جمع حصان مثل كتاب وكتب: الذكر من الخيل. الرماك جمع رَمَكَة مثل رَقَبَة و رِقَاب: الأنثى من البراذين. إكليل. قوله واحدين مزدوجين، إشارة إلى أن المراد فردان لا صنفان. (خفاجي)

قوله والمعنى أهلكتهم الخ. أشار به أن الباء للسببية، وما مصدرية، وقوله «بدل ما كذبون» أشار به أن الباء للمقابلة. قوله سلوة النصره. السُّلُوة والسُّلُوة بضم السين وفتحها: السُّلوان. وهو ذهاب الهم، و الدهول عن ذكره.

(٢٤) قوله بأعيننا، ذكر المصنّف هنا وجهين و توضيحهما أن قوله بأعيننا في موضع الحال أي اصنعه ملتبساً بأعيننا، والعين إما كناية عن الروية أو الحفظ. على الأول معناه اصنعه بمرأى منّا، و روية الحبيب يصحبها الحفظ والنصر، فأظهر المصنّف هذا المعنى بقوله وأنت واثق بحفظنا ورويتنا، و على الثاني يكون معنى ملتبساً بأعيننا «كائنًا في حفظنا و كلاءتنا». والكلاءة بالكسر والمد بمعنى الحفظ من باب فتح. وجمع العين للمبالغة، و قوله كأن معك

أي من كل أمة زوجين اثنين و «اثنين» تأكيد وزيادة بيان ﴿وَأَهْلَكَ﴾ ونساءك وأولادك ﴿الْأَمَنُ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ من الله بإهلاكه وهو ابنه وإحدى زوجتيه فجيء بـ «على» مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع في قوله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٦﴾» [الصفات: ١٧١] ونحوها «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» [البقرة: ٢٨٦] ﴿مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ ولا تسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم. ﴿٢٦﴾ ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ﴾ فإذا تمكنتم عليها راكبين ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم. ولم يقل فقولوا وإن كان «فاذا استويت أنت ومن معك» في معنى إذا استويت لأنه نبههم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة.

﴿وَقُلْ﴾ حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا﴾ أي إنزالاً أو موضع إنزال «منزلاً» ﴿٢٧﴾ أبوبكر أي مكاناً ﴿مُبَرَّكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ والبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿لَايَةً﴾ لعبراً ومواعظ ﴿وَأَنْ﴾ هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة ﴿كُنَّا كَالْمَيْلِينِ ﴿٢٩﴾﴾ مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد، أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى: «وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَدَّكِرٍ ﴿١٥﴾» [القمر: ١٥]. ﴿٢٨﴾ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوح ﴿قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود «وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» [الأعراف: ٦٩] ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في «الأعراف» و «هود» و «الشعراء» ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ الإرسال يعدى بـ «إلى» ولم يعد بـ «في» هنا وفي قوله: «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَّةٍ ﴿٣٠﴾» [الرعد: ٣٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾ [الأعراف: ٩٤] ولكن الأمة والقرية جعلت موضعاً للإرسال كقول ربيعة: ﴿٢٩﴾

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله من كلّ، بالتنوين حفص عن عاصم، والمفضل بن محمد عن عاصم، والباقر بن غير تنوين. قوله واثنين تأكيد وزيادة بيان، أي على قراءة من كلّ بالتنوين، وعلى قراءة العامة هو مفعول «اسلك». ﴿٢٦﴾ قوله فإني أغرقهم، إشارة إلى أن قوله «إنهم مغرقون» استئناف في معرض التعليل. ﴿٢٧﴾ قوله منزلاً، بفتح الميم وكسر الزاي أبو بكر شعبة عن عاصم أي مكان نزول، والباقر بضم الميم وفتح الزاي، فيجوز أن يكون مصدرًا ميميًّا أو اسم مكان. إكليل. قوله مصيبين - الخ - إشارة إلى أن الابتلاء إما من البلية بمعنى المصيبة أو بمعنى الاختبار. (خفاجي)

قوله تعالى (٢٨) (ولقد تركناها أي السفينة أو الفعلة [أي الإغراق والإنجاء] أي جعلناها آية) يعتبر بها، وعن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة، وقيل على الجودي دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) مُتَعَطِّ يَتَعَطِّ وَيُتَعَطِّ وَيُتَعَطِّ. وأصله مذكر، بالذال والتاء، ولكن التاء أبدلت منها الذال، والذال والذال من موضع، فأدغمت الذال في الذال - اه - تفسير النسفي، سورة القمر: ١٤.

قوله ربيعة، بضم الراء، وسكون الهمزة، وفتح الباء الموحدة، وبعدها هاء ساكنة، القطعة من الخشب يُشعَبُ بها الإناء، ويُسَدُّ بها ثُلْمَةُ الجفنة، والجمع =

أرسلت فيها مصعباً ذا إقحام... ﴿رَسُولًا﴾ هو هود ﴿مِنْهُمْ﴾ من قومهم ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ «أن» مفسرة لـ «أرسلنا» أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله. ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ ذكر مقالة قوم هود في جوابه في «الأعراف» وهود بغير واو لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال قومه؟ فقليل له: قالوا كيت وكيت، وههنا مع الواو لأنه عطف لما قاله على ما قاله الرسول، ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء، وجيء بالفاء في قصة نوح لأنه جواب لقوله واقع عقبيه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صفة للملأ أو لقومه ﴿وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ﴿وَأَتْرَفْنَهُمْ﴾ ونعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد ﴿مَا هَذَا﴾ أي النبي ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لَا يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي منه فحذف للدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ﴿وَلَكِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿إِنَّكُمْ إِذَا﴾ (٣٠) واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قالوهم من قومهم ﴿لُحُسْرُونَ﴾ بالانقياد لمثلكم، ومن حمقهم أنهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم.

﴿أَيُّدِكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ بالكسر: نافع وحمزة وعلي وحفص، وغيرهم بالضم ﴿وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى «أنكم» للتأكيد، وحسن ذلك للفصل بين الأول والثاني بالظرف و«مخرجون» خبر عن الأول والتقدير:

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

تضمن معنى القول، وإليه أشار بقوله: أي قلنا لهم. ويجوز أن تكون مصدرية وقبلها جار مقدر أي بأن - الخ - (خفاجي)

(٣٠) قوله إذا، واقع في جزاء الشرط وجواب - الخ - كذا في الكشف، وردّه أبو حيان في البحر بأنه ليس واقعاً في الجزاء بل بين إن وخبرها، وجملتها جواب القسم على القاعدة المشهورة، ولو كانت الجملة جواب الشرط صدرت بالفاء عند من أجازها - اه - وغاية ما يعتذر له أنه تسامح في العبارة لظهور المراد، فأراد أنه ساد مسدّ جواب الشرط كما تسامح في جعل «إذا» جواباً، وإنما الجواب جملة «إنكم». (خفاجي)

قوله بالكسر، أي بكسر الميم في متم للنصف من القراء السبعة وبالضم للنصف الآخر منهم. قوله ثنى أنكم... وحسن ذلك... الخ بينوا عدة إعراب في قوله «أنكم مخرجون» اختار منها المصنف أن «أنكم» مكرر لتأكيد الأول وتكراره حسن لما وقع من =

= رثاب (والفعل راب يرأب من فتح) سمي به رُوية ابن العجاج. هو وأبو ه راجزان مشهوران، توفي سنة خمس وأربعين ومائة. (لسان العرب وإكليل) قوله أرسلت فيها - الخ - وتمامه: طباً فقيهاً بذوات الإيلام. المصعب في الأصل الجمل الذي لا يركب لصعوبته سمي به السيد المكرم، ذا إقحام أي كثير الاقتحام والتدخل في القضايا المهمة والأمور الصعبة، طباً أي حاذقاً في المعالجة، بذوات الإيلام أي بجراحات ذوات الإيلام، أي الجراحات المستترة، كجراحة الرحم، يصعب مداواتها، كنى به عن حذقه في الأمور، وبصيرته في عيوب الناس، وضمير «فيها» للقضية. والحاصل أن القوم والأمة إذا اعتبرت موضع الإرسال، يعدى إليها الإرسال بفي، وإلا فالأصل في تعديته هو «إلى».

قوله أن مفسرة، وشرطها تقدم ما فيه معنى القول، لا صريح القول، وإرسال الرسل لما كان للتبليغ

أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً ﴿ هِيَّاتَ هِيَّاتَ ﴾ وبكسر التاء: يزيد<sup>(٣١)</sup>، ورُوي عنه بالكسر والتنوين فيهما، والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بُعد فاعلها مضمرة أي بعد التصديق أو الوقوع ﴿ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ من العذاب، أو فاعلها «ما تواعدون» واللام زائدة أي بعد ما تواعدون من البعث ﴿ إِنْ هِيَ ﴾ هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتِنَا الدُّنْيَا ﴾ ثم وضع «هي» موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها، والمعنى لا حياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها ودنت منا، وهذا لأن «إن» النافية دخلت على «هي» التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت «لا» التي لنفي الجنس ﴿ مَمُوتٌ وَمَحْيَا ﴾ أي يموت بعض ويولد بعض، ينقرض قرن فيأتي قرن آخر، أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ بعد الموت ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنائه وفيما يعدنا من البعث ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بمصدقين. ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴾ فأجاب الله دعاء الرسول بقوله: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾<sup>(٣٢)</sup> «قليل» صفة للزمان كقديم وحديث في قولك: «ما رأيته قديماً ولا حديثاً» وفي معناه عن قريب و «ما» زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف ﴿ لَيُصِخَّرُنَّ دُونَهُ ﴾ إذا عاينوا ما يحل بهم ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ ﴾ أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالعدل من الله يقال فلان يقضي بالحق أي بالعدل ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والمذكر أدنى من الدنو بمعنى القرب. قوله وهذا لأن، تعليل لقوله «إن هي» بمعنى «لا حياة» بأن «إن» النافية وإن لم تكن لنفي الجنس لكن لما دخلت على ما يدل على الجنس نفت الجنس وصارت موازنة للا التي تنفي الجنس.

قوله نموت ونحيا، ليس مرادهم أنا نموت جميعاً ثم نحى ثانياً، لأنهم منكرون للحياة الثانية، كما قالوا: وما نحن بمبعوثين. فبين المصنف ما هو المراد من كلامهم. (٣٢) قوله عمّا قليل، عن للمجازرة بمعنى «بعد» هنا. أي بعد زمن قليل، قوله زائدة، لتوكيد معنى القلة، أو تامة بمعنى شيء أو زمن، وقليل بدل منها أو صفة لها. (خفاجي) قوله دمارهم، بفتح الدال كالهلاك لفظاً ومعنى (خفاجي) قوله حميل السيل أي محموله وهو ما يأتي به من الأوراق والأعواد البالية،

= الفصل، ومخرجون خبر عن الأول، والظرف متعلق به كما يظهر من كلامه في التقدير. وأنكم الأول متعلق بـ«يعدكم» بتقدير الباء أي يعدكم بأنكم مخرجون حين ما أتاكم الموت وصيرتم تراباً وعظاماً. ويجوز أن لا يقدر فيه حرف كوعده خيرًا. قاله الخفاجي.

(٣١) قوله يزيد، هو أبو جعفر من العشرة، قرأ فيهما بكسر التاء بلا تنوين، والكسر مع التنوين فيهما رواية عنه. ولا فرق عند السبعة فيهما وصلًا. عندهم بالفتح فيهما، أما الوقف فهو عند الكسائي والبيزي عن ابن كثير بالهاء، والباقون بالتاء، كذا في غيث النفع.

قوله يتلوه أي يأتي بعده. تلاه يتلو تلوًا: تبعه وتلاه تلاوة: قرأه. قوله التي نحن فيها ودنت منا، إيضاح لمعنى الإضافة في «حياتنا» ولمعنى الدنيا. فإنها على زنة فعلی،



مما بلي واسودّ من الورق والعيذان ﴿فَبَعْدًا﴾ فهلاكاً يقال بعد بعداً أو بعداً أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يستعمل إظهارها ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو «هَيْتَ لَكَ» [يوسف: ٢٣] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرُونًا أُخْرَيْنَ﴾ قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ «من» صلة أي ما تسبق أمة ﴿أَجَلَهَا﴾ المكتوب لها والوقت الذي حدد لها لهلاكها وكتب ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ لا يتأخرون عنه.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ فعلى والألف للتأنيث كسكرى لأن الرسل جماعة ولذا لا ينون لأنه غير منصرف «تتراً» بالتثنية: مكى وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى، وهو نصب على الحال في القراءتين أي متتابعين واحداً بعد واحد، وتأوها فيهما بدل من الواو والأصل «وترى» من الوتر وهو الفرد فقلبت الواو تاء كترث ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولًا كَذَّبُوهُ﴾ الرسول يلبس المرسل والمرسل إليه والإضافة تكون بالملابسة فتصح إضافته إليهما<sup>(٣٣)</sup> ﴿فَاتَّبَعْنَا﴾ الأمم والقرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أخباراً يسمع بها ويتعجب منها، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه الصلاة

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله كترث، أصله وراث فأبدلت الواو المضمومة تاءً. (إكليل)

(٣٣) قال البيضاوي: أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل (أي في قوله أرسلنا رسلنا) ومع المعجى إلى المرسل إليهم (أي الأمة) لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر، منه (من المرسل) والمعجى الذي هو منتهاه، إليهم. اهـ.

قوله اسم جمع للحديث، هذا لفظ الكشاف، ورد عليه أبو حيان في البحر بأن أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع، وإنما ذكره أصحابنا فيما شدّ من الجموع كقطع وأقاطع، فالصحيح أنه جمع تكسير لا اسم جمع، وقال: هو جمع شاذ، وأحاديث جمع أحدىثة جمع قياسي - اهـ - لكن خفي عليه اصطلاح الزمخشري، أنه يطلق اسم الجمع على الجمع الذي ليس بقياسي، كاسم المصدر للمصدر غير القياسي، وهذا الاصطلاح غير ما اصطلاح عليه النحاة من أن اسم الجمع: "ما دل على الجمعية ولم يكن على شيء من أوزانها، وليس اسم جنس جمعي" فالردّ عليه مبني على الغفلة عن اصطلاحه، وإجراء كلامه على مصطلح القوم. (خفاجي)

عيذان جمع عود بمعنى الخشب، و أبدلت الواو في الجمع ياء لانكسار ما قبلها.

قوله بعد بعداً وبعداً، من سمع بمعنى هلك والمصدر بفتحين، و بضم فسكون، و بعد من كرم ضدّ القرب، قوله لا يستعمل إظهارها أي إذا كان الكلام دُعائياً كما صرح به في الدر المصون، والناصب المقدر هنا: بعدوا، واللام في قوله للظلمين لبيان من دعي عليه بالهلاك. فهي متعلقة بمحذوف أي أقول ذلك للقوم الظالمين. (خفاجي وإكليل)

قوله من صلة أي زائدة لتأكيد معنى النفي، والزائد بمعنى الحشو المهمل لا يقع في كلامه تعالى، إذ الزائد فيه لا يخلو عن فائدة، كالتأكيد و تحسين اللفظ، ولذا تنزهوا من إطلاق الزائد عليه إجلالاً لكلامه تعالى عنه، وإن كان زائداً بالنسبة لأصل المعنى المراد. (خفاجي)

قوله لأن الرسل جماعة، تعليل لكون المؤنث حالاً عن الرسل، قوله كأرطى. قال الجوهرى: الأرطى شجر من شجر الرمل، وهو فعلى، لأنك تقول: أديم مأروط إذا دُبغ بذلك. و ألفه للإلحاق، أو بني الاسم عليها، وليست للتأنيث، لأن الواحدة أرطاة (لسان العرب)

والسلام، وتكون جمعاً للأحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهياً وتعجباً وهو المراد هنا ﴿فَبَعْدَ الْقَوْمِ الْيَوْمُونَ﴾ ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون له ﴿بِأَخَاهُ﴾ بالتين التسع ﴿وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ وحنة ظاهرة. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ امتنعوا عن قبول الإيمان ترفعاً وتكبراً ﴿وَكَانُوا قَوْمًا غَالِينَ﴾<sup>(٣٤)</sup> متكبرين مترفعين ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ البشر يكون واحداً وجمعاً ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ﴿وَقَوْمَهُمَا﴾ أي بنو إسرائيل ﴿لَنَا عِيدُونَ﴾ خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى﴾ أي قوم موسى ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعملون بشرائعها ومواعظها. ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ تدل على قدرتنا على ما نشاء لأنه خلق من غير نطفة. وحد لأن الأعجوبة فيهما واحدة، أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الأولى للدلالة الثانية عليها<sup>(٣٥)</sup> ﴿وَأَوَيْنَهُمَا﴾ جعلنا مأواهما أي منزلهما ﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾ شامي وعاصم. «رَبْوَةٌ» غيرهما أي أرض مرتفعة وهي بيت المقدس أو .....

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ولم يشَّ المثل لأنه في حكم المصدر - اه - والمثل يشنى ويجمع، والمرجح هنا في عدم تثنيته الاختصار مع ظهور المراد، وموافقة الأصل. قوله دَانَ لملك، دان له: خضع وانقاد له، دِنْتُهُ وِدِنْتُ له: أطعته.

قوله أي قوم موسى. أشار به إلى أن في الكلام مضافاً مقدراً، وهو مرجع الضمير في "لعلمهم". ولا يجوز إعادة الضمير إلى فرعون وملكه لأن نزول التوراة كان بعد إغراقهم (كشاف وخفاجي)

(٣٥) كان المتبادر آيتين، فجعلهما آية واحدة، لأن الخارق للعادة أمر واحد مشترك بينهما، وهو ولادتها من غير زوج هو أب له، فأفرده لأنه مفرد في الواقع، متعدد باعتبار أنه أمر نسبي يتعدد باعتبار طرفيه. أو المراد جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهدي وظهر منه معجزات أخرى، وأمه آية بأن ولدت من غير مسيس، فحذفت الأولى للدلالة الثانية عليها، اه. بيضاوي وخفاجي.

قوله ربوة، بفتح الراء ابن عامر الشامي وعاصم وربوة بضم الراء غيرهما، قوله وهي بيت المقدس - الخ - الأول مروى عن قتادة، والثاني عن ابن عباس بسند صحيح، وعبد الله بن سلام، ويزيد بن سخرية الصحابي، وسند ضعيف عن أبي أمامة مرفوعاً، والثالث عن مرة البهزي مرفوعاً، وعن أبي هريرة، =

قوله وهو المراد هنا، اختاره لأنه أنسب وأقرب، وإن صح إرادة الأول أيضاً أي جعلنا هم أقوالاً وحكايات محضة، قوله (بآياتنا) التسع. فصلت القول في سورة طه تحت قوله (ولقد آريناه آياتنا كلها) أن المراد بالآيات التسع: العصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هي مذكورة في سورة الأعراف، ورواها المحدثون من طرق عديدة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

قوله وحنة ظاهرة، يجوز أن يراد بها العصا، لأنها أول معجزاته وأشرفها، وتعلق بها معجزات شتى فيكون من باب عطف الخاص على العام، ويجوز أن يراد بها استيلاء موسى عليه السلام عليهم في الاستدلال على وجود الصانع وإثبات النبوة. (رازي) قوله امتنعوا تكبيراً، فذكر الباعث والسبب ليُعلم به ما هو النتيجة والمسبب.

(٣٤) فالمراد العلو المعنوي. واستمرارهم عليه أي كان الاستكبار عادتهم ودأبهم.

قوله البشر يكون واحداً وجمعاً، في المفردات: واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع، وتُنِّي فقال تعالى (أَنؤْمِنُ لبشرين) - اه - ونقل في لسان العرب عن ابن سيده، أنه لا يشنى ولا يجمع - اه - لكن القرآن حجة عليه في ورود التثنية. قال البيضاوي:

دمشق أو الرملة أو مصر ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء. يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ﴿وَمَعِينٌ﴾ وماء ظاهر جار على وجه الأرض وهو مفعول أي مدرك بالعين بظهوره من عانه إذا أدركه بعينه، أو فاعيل لأنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهي المنفعة.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة<sup>(٣٦)</sup>، وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمراً نودي له جميع الرسل ووصوا به تحقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه، أو هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يأكل من الغنائم، أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات، والمراد بالطيبات ما حل والأمر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والأمر للترفيه والإباحة ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ موافقاً للشريعة ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم على أعمالكم. ﴿وَأَنْ هُدًى﴾ كوفي<sup>(٣٧)</sup> على الاستئناف. «وأن» حجازي وبصري بمعنى ولأن أي فاتقون لأن هذه، أو معطوف على ما قبله أي بما تعملون عليهم وبأن هذه. أو تقديره واعلموا أن هذه ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ملة واحدة وهي شريعة الإسلام.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

يجب على العباد، وإذا أريد به اللذيق فالأمر لإظهار النعمة والإباحة.

قوله: للترفيه، بالهاء الأصلية من الرفاهة، وهو لين العيش وطيبه. رفه الرجل: صيره رافهاً، ورفه عنه: أزيل عنه الضيق والتعب.

قوله فأجازيكم، لأن علم الله يذكر ويراد به جزاء هـ. (خفاجي) وفيه وعد ووعد.

(٣٧) قوله كوفي أي عاصم، وحمزة، والكسائي.

قوله على الاستئناف، لأنه معطوف على جملة "إني" المستأنفة، والمعطوف على المستأنف مستأنف. ولا يريد أن الواو ليست بعاطفة، كما قيل.

قوله وأن بفتح الهمزة حجازي أي مدني نافع وأبو جعفر وابن كثير المكي وبصري أبو عمرو ويعقوب، والتقدير لأن، والمعلل به فاتقون، أو التقدير واعلموا أن، والجملة معطوفة على جملة اعملوا، أو التقدير بأن هذه، وهو معطوف على ما قبله، والمعنى إني عليهم بما تعملون وبأن هذه أمة واحدة، وهذا الوجه ضعيف لعدم جزالة المعنى. وقرأ ابن عامر الشامي وحده أن هذه، بفتح الهمزة وسكون النون مخففة من أن الثقيلة.

= وفي رواية عنه مرفوعاً، والرابع عن وهب بن منبه، و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. (الدر المنثور)

قوله دِمَشْقُ مَثَلُ حَضْرٍ، وقد تكسر ميمه، قاعدة الشام، قال أبو عبيدة هو علم لولد لنمرود سميت به المدينة الرملة: مدينة بفلسطين - إكليل و خفاجي.

قوله وماء ظاهر جار على وجه الأرض، إشارة إلى أنه صفة موصوف مقدر، وقوله ظاهر جار تفسير له، وذكر البيضاوي ثلثة وجوه في أصله (١) الميم أصلية و وزنه فاعيل من مَعَنَ بمعنى جرى، و يلزمه الظهور لأن الماء الجاري يكون في الأغلب ظاهراً، (٢) هو مأخوذ من الماعون، و مشتق منه بالاشتقاق الكبير، وهو المنفعة، فإطلاقه على الماء الجاري لنفعه. (٣) وزنه في الأصل مفعول من عانه بمعنى أبصره بعينه، أعلل إعلال مَعِيْبٍ و مَبِيْعٍ و نحوهما، فالميم زائدة، والياء أصلية. (بيضاوي و خفاجي)

(٣٦) قوله في أزمنة مختلفة، فلا يكون نداء هم حين نزول القرآن مجتمعين مخاطبين بكلمة واحدة.

قوله والمراد بالطيبات، إذا أريد بالطيب الحلال فالأمر تكليفي لأن كسب الحلال وترك الحرام ممَّا

وانتصاب «أمة» على الحال والمعنى وإن الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران: ١٩] ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ وحدي «فاتقون» فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾<sup>(٣٨)</sup> تقطع بمعنى قطع أي قطعوا أمر دينهم ﴿ زُبُرًا ﴾ جمع زبور أي كتباً مختلفة يعني جعلوا دينهم أدياناً. وقيل: تفرقوا في دينهم فرقاً كل فرقة تنتحل كتاباً. وعن الحسن: قطعوا كتاب الله قطعاً وحرفوه. وقرئ «زُبْرًا» جمع زبرة أي قطعاً ﴿ كُلُّ جُزْبٍ ﴾ كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ﴿ بِمَا كَذَّبْتَهُمْ ﴾ من الكتاب والدين أو من الهوى والرأي ﴿ فَرِحُونَ ﴾ مسرورون معتقدون أنهم على الحق ﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ ﴾ جهالتهم وغفلتهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي إلى أن يقتلوا أو يموتوا. ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ «ما» بمعنى الذي وخبر «أن» ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ والعائد من خبر «أن» إلى اسمها محذوف أي نسارع لهم به، والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعالجة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم. وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له في الدين، وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح ﴿ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بل استدرارك لقوله أيحسبون أي أنهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استدراج أو مسارعة في الخير.

ثم بين ذكر أوليائه فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ ﴿ أَي خَائِفُونَ ﴾<sup>(٣٩)</sup> ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ كمشركي العرب ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ﴾ أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات. وقرئ «يأتون ما أتوا» بالقصر أي يفعلون ما فعلوا ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله تنتحل: الانتحال هو الانتساب إلى نحلة و مذهب، وبمعنى ادعاء شيء على وجه الغلط. قوله قرئ زُبْرًا، بضم الزاي وفتح الباء جمع زُبْرَة بضم الزاي و سكون الباء، كما في قوله تعالى. (أتوني زُبْر الحديد) أي قطع الحديد.

(٣٩) قوله خائفون. الإشفاق بمعنى الخوف، و روى ابن جرير عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه كان يقول: إن المومن جمع إحساناً و شفقة، وإن المنافق جمع إساءة و أمنناً ثم تلا: إن الذين هم من خشية ربهم. إلى قوله. راجعون. (جامع البيان)

(٣٨) قوله فتقطعوا - الخ - تقطع إما متعد بمعنى قطع أو لازم بمعنى صار قطعاً، و الزُبْر جمع زبور بمعنى المزبور، فعول بمعنى مفعول نحو رسول بمعنى مرسل، والمزبور هو الكتاب من زبُرْتُ بمعنى كتبت أو بمعنى الفرقة والطائفة أو بمعنى القطعة، والمعاني كما يلي:

(١) قَطَّعُوا أمر دينهم كتباً مختلفة، و جعلوا دينهم أدياناً- و زُبْرًا مفعول ثانٍ لقوله "تقطعوا" فإنه متضمن معنى جعل. (٢) تقطَّعوا و تفرقوا في أمرهم و دينهم فرقاً مختلفة - و "أمرهم" منصوب بنزع الخافض، وهو "في" - و زُبْرًا حال. (٣) قطعوا أمرهم أي كتاب ربهم قَطَّعًا، و حَرَفُوهُ، هذا مروى عن الحسن البصري.

خائفة أن لا تقبل منهم لتقصيرهم ﴿أَتَهُمُ إِلَى رَبِّهِمْ رُجُوعًا﴾ ﴿١٥﴾ الجمهور على أن التقدير لأنهم وخبر «إن الذين» ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يرغبون في الطاعات فيبادرونها ﴿وَهُمْ لَهَا سَبِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أي لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس. ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي طاقتها يعني أن الذي وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة، وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق<sup>(٤٠)</sup> ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ أي اللوح أو صحيفة الأعمال ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان، ولا يظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما

#### مواهب المجلد لتجلية مدارك التنزيل

قوله الجمهور على أن التقدير لأنهم. وقدّر ابن جرير في تفسيره "من" أنهم. وأخرج الفريابي، وأحمد، و عبد بن حميد، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين، وابن جرير، وابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الحاكم وصححه، و ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: قلت: يا رسول الله، قول الله (والذين يوتون ما أتوا وقلوبهم وجلة). أ هو الرجل يسرق و يزني و يشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: لا و لكن الرجل يصوم، و يتصدق، و يصلي، وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه. (الدر المنثور)

قوله يرغبون في الطاعات، إشارة إلى أنه ضمن معنى الرغبة، أو هو كناية عنها فلذا عُدي بفي دون إلى. والمبادرة العجلة وهي تتعدى بإلى و بنفسها كما في القاموس. (خفاجي)

قوله أي لأجل الخيرات، بيان لمرجع الضمير، وأن اللام سببية، و متعلق السابق ليس بمتكبر فيجوز أن يقدر إلى الجنات أو سبقوا الناس.

(٤٠) قوله ردّ على من جوز تكليف ما لا يطاق. "ما لا يطاق" إمّا ممتنع مطلقاً كجمع النقيضين أو ممتنع بالنسبة إلى قدرة العبد كخلق الأجسام أو ممتنع عادةً. جوز الأشعرية التكليف بالقسمين الأولين عقلاً، والماتريدية لا يجوزون، والفريقان متفقان على عدم وقوع التكليف بهما، و على جواز التكليف بما يمتنع

قوله الجمهور على أن التقدير لأنهم. وقدّر ابن جرير في تفسيره "من" أنهم. وأخرج الفريابي، وأحمد، و عبد بن حميد، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين، وابن جرير، وابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الحاكم وصححه، و ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: قلت: يا رسول الله، قول الله (والذين يوتون ما أتوا وقلوبهم وجلة). أ هو الرجل يسرق و يزني و يشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: لا و لكن الرجل يصوم، و يتصدق، و يصلي، وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه. (الدر المنثور)

قوله يرغبون في الطاعات، إشارة إلى أنه ضمن معنى الرغبة، أو هو كناية عنها فلذا عُدي بفي دون إلى. والمبادرة العجلة وهي تتعدى بإلى و بنفسها كما في القاموس. (خفاجي)

قوله أي لأجل الخيرات، بيان لمرجع الضمير، وأن اللام سببية، و متعلق السابق ليس بمتكبر فيجوز أن يقدر إلى الجنات أو سبقوا الناس.

(٤٠) قوله ردّ على من جوز تكليف ما لا يطاق. "ما لا يطاق" إمّا ممتنع مطلقاً كجمع النقيضين أو ممتنع بالنسبة إلى قدرة العبد كخلق الأجسام أو ممتنع عادةً. جوز الأشعرية التكليف بالقسمين الأولين عقلاً، والماتريدية لا يجوزون، والفريقان متفقان على عدم وقوع التكليف بهما، و على جواز التكليف بما يمتنع

وصف به المؤمنون ﴿هُمُ لَهَا غَمْلُونَ﴾<sup>(٤١)</sup> وعليها مقيمون لا يفتطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ متنعميهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾<sup>(٤٢)</sup> عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام، أو قتلهم يوم بدر. و «حتى» هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية ﴿إِذَا هُمْ يَجْرُونَ﴾<sup>(٤٣)</sup> يصرخون استغاثة والجوار الصراخ باستغاثة فيقال لهم ﴿لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ﴾<sup>(٤٤)</sup> فإن الجوار غير نافع لكم ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾<sup>(٤٥)</sup> أي من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ﴾<sup>(٤٦)</sup> ترجعون القهقري والنكوص أن يرجع القهقري وهو أقبح مشية لأنه لا يرى ما وراءه ﴿مُستَكبرِينَ﴾<sup>(٤٧)</sup> متكبرين على المسلمين حال من «تنكصون» ﴿بِهِ﴾ بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الضحاك أنه قال: يعني الجوع، وذلك حين دعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: "اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف" فابتلاهم بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب، والعظام المحرقة، والقذ، والأولاد انتهى بلفظ الثعلبي. دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مروى في الصحيحين، و ما بعد ذلك مروى نحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند النسائي والحاكم والطبراني كما في تخريج أحاديث الكشاف، لكن نزول الآية في هذا الجوع والقحط هو محكي عن الضحاك.

قوله تعالى: يجرون أي يَضَجُونَ ويستغيثون، وأصل الجوار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور، قال الجوهري: الجوار مثل الخوار، يقال جأر الثور يجأر أي صاح (قرطبي) قال الخفاجي: والجوار: الصراخ وخصه بالاستغاثة بقريظة المقام - اهـ -  
قوله أي من جهتنا، من للابتداء، قوله نصر أو معونة. النصر يختص بدفع الضرر، والعون عام، قوله القهقري: هو المشي إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه، والقهقري في قولك رجعت القهقري مفعول مطلق، لأنها نوع من الرجوع.  
(٤٢) مستكبرين به، سامراً، تهجرون. الثلاثة أحوال من ضمير تنكصون، مترادفة أو متداخلة. و اختلفوا في مرجع الضمير من قوله "به" و روي تفسيره بالبيت =

= وهو بهذا المعنى قريب من أن يكون بمعنى غير، كأنه أداة استثناء (بيضاوي، خفاجي، كشاف، شريفية، مختصر المعاني، دسوقي) في قوله تعالى (ولهم أعمال من دون ذلك) إشارة إلى ما سبق من أعمال طيبة للمؤمنين المخلصين الخائفين. أي لهم أعمال غير ما هو للمؤمنين، أي أعمالهم متجاوزة من الأعمال الطيبة المذكورة، متخطية من حد الحسن والصلاح إلى حد الخبث والشؤ كما قال المصنف: أي ولهم أعمال خبيثة، متجاوزة متخطية لذلك. الخ.

قوله عليها مقيمون، إشارة إلى ما تدل عليه الجملة الاسمية من الثبات والدوام، و يصح أخذ القصر من تقديم "لها" أيضاً، أي لا يلتفتون إلى غيرها ولعل قوله "لا يُفطمون عنها" لهذا البيان، والفطم أصله فصل الولد عن الرضاع، استعاره هنا لانفصالهم عن أعمالهم السيئة المحبوبة عندهم كلبن الأم للرضيع. قوله حتى يأخذهم الله بالعذاب، مستفاد مما يأتي من قوله تعالى: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب. الآية) (٤١) قوله بالعذاب، قال الرازي: في هذا العذاب وجهان: أحدهما أراد بالعذاب ما نزل بهم يوم بدر والثاني أنه عذاب الآخرة وإرادة عذاب يوم بدر هنا رواها ابن جرير عن مجاهد، و ابن جرير، والضحاك، و أخرجه النسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. و عبد بن حميد عن سعيد بن جبير. و حكى الثعلبي ثم البغوي ثم الزمخشري عن

أحد لأننا أهل الحرم، والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت. أو بـ «آياتي» لأنها في معنى كتابي، ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكباراً. ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يتعلق الباء بقوله ﴿سَمِرًا﴾ تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه، وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعراً وسحراً. والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرىء «سَمَارًا». أو بقوله: ﴿تَهَجُّرُونَ﴾ وهو من الهجر الهذيان «تهجرون»: نافع من أهجر في منطقته إذا أفحش. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ بل أجاؤهم ما لم يأت آبؤهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ محمداً ﷺ بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الأخلاق أي عرفوه بهذه الصفات ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ بغياً وحسداً. ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم ذهنياً ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ الأبلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والإسلام ولم يجدوا له مرداً ولا مدفعاً فلذلك نسبوه إلى الجنون. ﴿وَكَثُرَهُمْ لِلْحَقِّ كُرْهُونَ﴾ وفيه دليل على أن أقلهم ما كان كارهاً للحق بل كان تاركاً للإيمان به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صباً وترك دين آبائه كأبي طالب. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمُ اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ أي الله ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ كما قال: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» [الأنبياء: ٢٢] ﴿وَمَنْ فِيهِمْ﴾ خص العقلاء بالذكر لأن

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥) يتعلق بقوله تهجرون، والمرجع هو القرآن. والسمر من نصر: التحدث ليلاً، مأخوذ من السمر وهو ظل القمر، وكانوا يجتمعون في ظل القمر يتحدثون فسمي التحدث به. وقرأ أبو رجاء سَمَارًا بلفظ الجمع (قرطبي) وهجر يهجر هَجْرًا بفتح الهاء وسكون الجيم من نصر ترك، وهجر المريض في كلامه: هذى، وأهجر: أتى بالهجر بضم الهاء و سكون الجيم بمعنى الفحش (لسان العرب) قوله بل أجاؤهم. إشارة إلى أن أم منقطعة، متضمنة معنى بل والهمزة.

قوله استبدعوه أي عدوه بديعاً، جديدًا غير مسبوق. قوله الأبلج: المضيء المشرق قوله أنفة واستنكافاً الأنفة: عزة النفس أي الترفع والتنزه عما يكره. الاستنكاف: الامتناع أنفة وحمية واستكباراً قوله صبأ: خرج من دين إلى دين وباه خضع -

= الحرام عن فتادة، وبالحرم عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير وغيرهم وبالقرآن عن أبي صالح، والحرم أو البيت لم يُذكر فيما سبق فقالوا ساغ هذا الإضمار لشهرة استكبارهم بالبيت. وجوز الإمام الرازي أن يكون مرجعه المصدر المفهوم من تنكصون. وهذا أقرب وأسهل أي كنتم تعرضون عن استماع الآيات وقبولها مستكبرين بهذا الإعراض متحدثين ليلاً، هاذين. والأقوال في تعلقه كما ذكر المصنف هكذا (١) مستكبرين به أي بالبيت (٢) بالحرم وهما متقاربان.

(٣) بالقرآن بتضمين معنى التكذيب أي تعرضون عنه مستكبرين مكذبين به، وهذا يحتاج إلى تأويل الآيات بالقرآن، والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على الجزء أيضاً.

(٤) يتعلق بقوله سامراً، ومرجع الضمير هو القرآن

غيرهم تبع ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو شرفهم لأن الرسول منهم والقرآن بلغتهم، أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون «لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾» [الصفات: ١٦٨] الآية. ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ بسوء اختيارهم ﴿أَمْ سَأَلْتَهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رِبِّيكَ خَيْرًا ﴿٤٣﴾﴾ حجازي وبصري وعاصم، «خرجاً فخرج» شامي، «خراجاً فخراج» علي وحمزة، وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله، والخرج أخص من الخراج تقول «خراج القرية وخرج الكوفة» فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الأولى يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ ﴿٤٣﴾﴾ أفضل المعطين ﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ وهو دين الإسلام فحقيق أن يستجيبوا لك.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ ﴿٤٣﴾﴾ لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الگرد بفتح الكاف و بدون الهاء بمعنى العنق. و أظن أنّ لفظ المدارك "خرج الكوفة" تصحيف الگردة، فإن العبارة، من قوله "وهو ما تخرجه إلى الإمام - إلى قوله - فالكثير من الخالق خير" بعينها لفظ الكشاف سوى "الكوفة" بدل "الگردة" و يدل عليه قوله: فزيادة اللفظ لزيادة المعنى. و إذا كان "الكوفة" بدل "الگردة" ينعكس المقصود لأن الكوفة أكبر من القرية فتكون غلتها أزيد و أكثر من القرية. و المقصود إظهار الزيادة في الخراج، والقلة في الخرج.

قوله أفضل المعطين. أي نسبة الرزق إلى غيره تعالى بمعنى الإعطاء. والرازق حقاً هو الله تعالى وحده. و عطاؤه أفضل و أعلى، فإنه بدون غرض و عوض، و عطاء غيره لا يخلو من غرض أو عوض في الدنيا أو الآخرة.

قوله العلهز، بكسر العين والهاء، و سكون اللام بينهما، و في الآخر زاي معجمة مثل زبرج: القراد الضخم، و طعام من الدم والوبر، كان يُتخذ في المجاعة (قاموس) قال ابن الأثير: هو شيء يتخلونه في سني المجاعة، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار و يأكلونه. الخ. لسان العرب و مجمع البحار.

قوله لو أنّ عندنا ذكراً من الأولين، لكننا عباد الله المخلصين. فكفروا به فسوف يعلمون. (الصفات ١٦٨-١٧٠)

(٤٣) قوله تعالى خرجاً فخراج، بعض اللغويين لم يفرقوا بينهما، و قالوا: الخرج والخراج واحد، وهو شيء يُخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، و بعضهم فرقوا (١) ابن الأعرابي: الخرج على الرأس، والخراج على الأرضين (٢) الزجاج: الخرج الضريبة الجزية، والخراج الفيء (لسان العرب) (٣) أبو عمرو بن العلاء: الخرج ما تبرّعت به من غير وجوب، و الخراج ما لزمك، و وجب عليك أداؤه (الثعلبي في التفسير) (٤) الراغب: الخرج أعم من الخراج، و جعل الخرج بإزاء الدخل، و الخراج مختص في الغالب بالضريبة على الأرض. (٥) وقيل: العبد يؤدي خرجه - أي غلته - والرعية تؤدي إلى الأمير الخراج (مفردات) قال في الكشاف: والوجه أن الخرج أخص (أي أقل قدرًا) من الخراج، كقولك خراج القرية، و خرج الگردة، زيادة اللفظ لزيادة المعنى، اه. والگردة بمعنى بقعة من الأرض تُزرع (قاموس) فهي صغيرة بالنسبة إلى القرية، و



أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: «بلى» فقال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية. (٤٤) والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر - وهو القحط الذي أصابهم - برحمته لهم ووجدوا الخصب ﴿لَلْجُؤِ﴾ أي لتمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا إِلَيْهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ استشهد على ذلك بأننا أخذناهم أولاً بالسيف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرههم، فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أي خضوع ولا تضرع. وقوله: «وما يتضرعون» عبارة عن دوام حالهم أي وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا. ووزن استكان استفعل من الكون (٤٥) أي انتقل من كون إلى كون كما قيل «استحال» إذا انتقل من حال إلى حال. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا﴾ «فتحنا» يزيد ﴿عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسُونَ﴾ متحيرون آيسون من كل خير. وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما ربي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾» [الروم: ١٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ خصها بالذكر لأنها تتعلق بها من المنافع الدينية والدينية ما لا يتعلق بغيرها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ أي تشكرون شكراً قليلاً. (٤٦) و«ما» مزيدة للتأكيد بمعنى حقاً، والمعنى أنكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

(٤٤) أخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز - يعني الوبر بالدم، فأنزل الله (ولقد أخذناهم - الآية) وأخرج ابن جرير، وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن ثمامة بن أثال الحنفي لما أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم وهو أسير فخلّى سبيله، لحق باليمامة، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: بلى، قال: قتلت الآباء بالسيف، و الأبناء بالجوع، فأنزل الله (و لقد

أخذناهم - الآية) - الدر المنثور

(٤٥) قوله من الكون ، بمعنى الصيرورة والانتقال، لا بمعنى الثبوت اه. قوله من كون إلى كون، أي من حال إلى حال - إكليل عن القنوي. قوله أعتاهم أي أشدهم عُتُوا واستكباراً. قوله شكيمة. هي قوة القلب. و فلان شديد الشكيمة: إذا كان شديد النفس أنفاً أيباً. قوله ليستعطفك: ليطلب منك العطف أي الشفقة والرحم قوله محناهم ، مَحْنُهُ وامتحنته بمنزلة خبرته واختبرته و بلوته وابتليته. قوله لين مقادة، أي انقياد، يقال: أعطاه مقادته: انقاد له (لسان العرب)

(٤٦) قوله شكراً قليلاً. إشارة إلى أنه صفة مصدر محذوف، وقيل: المراد نفي الشكر كما في قوله: مررت بأرض قليلاً ما تجود عليها السماء، يريدون نفي الغيث، و كلام المصنف " ولم تشكروا له شيئاً" يشير إليه.

وأسماعكم في آيات الله وأفعاله، ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئاً. ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي يحيى النسم بالإنشاء ويميتها بالإفناء ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي مجيء أحدهما عقيب الآخر واختلافهما في الظلمة والنور أو في الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا ﴿بَلْ قَالُوا﴾ أي أهل مكة ﴿مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ أي الكفار قبلهم. ثم بين ما قالوا بقوله: ﴿قَالُوا إِذَا عَادَ امْتِنَانَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَسَبْعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ «متنا»<sup>(٤٧)</sup> نافع وحمزة وعلي وحفص ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ أي البعث ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ مجيء محمد ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ جمع أسطار جمع سطر وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق. ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجة على المشركين بقوله: ﴿قُلْ لَيْسَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِلَّا نَكْتَمُ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فإنهم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لأنهم مقرون بأنه الخالق فإذا قالوا ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادراً على إعادة الخلق، وكان حقيقاً بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية. «أفلا تذكرون»<sup>(٤٨)</sup> بالتخفيف: حمزة وعلي وحفص، وبالتشديد: غيرهم. ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣١﴾ أفلا تخافونه فلا تشركوا به، أو أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء؟ ﴿قُلْ مَنْ مِنْ يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك ﴿وَهُوَ جَبَّارٌ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ أجرت فلاناً على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحداً ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ تخدعون عن الحق أو عن توحيد وطاعته، والخادع هو الشيطان والهوى. الأول «لله» بالإجماع<sup>(٤٩)</sup> إذ السؤال لمن، وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى

## مواضع الجليل لتجلية مدارك التنزيل

- قوله بثكم ونشركم، وفي الذرة بمعنى النشر وفي الحشر بمعنى الجمع طباق.
- قوله النَّسَمَ. بفتحين جمع النَّسَمَةِ بفتحين، النفس والروح. وكل دابة في جوفها روح فهي نَسَمَةٌ (لسان العرب)
- قوله وهو مختص به، الاختصاص مستفاد من تقديم له ومن اللام.
- (٤٧) قوله متنا، بكسر الميم نافع وحمزة وعلي وحفص والباقيون متنا بضم الميم. قوله جمع سطر، بفتح الطاء كفرس وأفراس، وسبب وأسباب، فيكون الأساطير جمع الجمع. قوله أوفق لأن وزن أفعولة يستعمل فيما
- يتلوه به قولاً كان أو فعلاً نحو أحداثه، وأعجوبة، و أضحوكة. (بيضاوي وخفاجي)
- (٤٨) أفلا تذكرون - بتخفيف الذال، حمزة، وعلي، و حفص، و خلف، و بتشديد الذال غيرهم. و تشديد الكاف باتفاق القراء. و الأصل تتذكرون، فالقراءة الأولى بحذف إحدى التائين، والقراءة الثانية بإدغام التاء الثانية في الذال بعد الإبدال.
- (٤٩) جاء هنا (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) ثلاث مرات. فالأولى «لله» باللام، بإجماع القراء، و قرأ أبو عمرو البصري، و يعقوب البصري في الموضعين الثاني والثالث بحذف =

لأنك إذا قلت: من رب هذا؟ فمعناه لمن هذا؟ فيجيب لفلان كقول الشاعر:

إذا قيل من رب المزالف والقرى ★ ورب الجياد الجرد قيل لخالد.

أي لمن المزالف. ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لأنك إذا قلت: من رب هذا؟ فجوابه فلان ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم اتخذ الله ولداً ودعائهم الشريك. ثم أكد كذبهم بقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ لأنه منزّه عن النوع والجنس؛ وولد الرجل من جنسه ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ وليس معه شريك في الألوهية ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ لانفرد كل واحد من الآلهة بالذي خلقه فاستبدبه ولتميّز ملك كل واحد منهم عن الآخر ﴿وَأَعْلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ولغلب بعضهم بعضاً كما ترون حال ملوك الدنيا، ممالكهم متميزة وهم متغالبون، وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء، ولا يقال «إذا» لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع «لذهب» جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لأن الشرط محذوف وتقديره: ولو كان معه آلهة لدلالة «وما كان معه من إله» عليه وهو جواب لمن حآجّه من المشركين<sup>(٥٠)</sup> ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الأنداد والأولاد.

﴿عَلِمَ﴾ بالجر صفة لله، وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدأ محذوف ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الأصنام وغيرها ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مصدرًا بمعنى اسم المفعول أي المدفون. قوله المزالف في لسان العرب: المزالف والمزلفة: البلد، وقيل: القرى التي بين البر والبحر، كالأنبار، والقادسية، ونحوهما قوله الجياد. جاد الفرس، أي صار رائعًا يجود مجودة، بالضم، فهو جواد، للذكر والأنثى من خيل جياد، وأجياد، وأجاويد قوله الجرد، جمع أجرد. فرس أجرد: قصير الشعر، وقد جرد وانجرد، وكذلك غيره من الدواب، وذلك من علامات العتق والكرم. اهـ.

قوله فاستبد به أي فاستقل به تصرفاً وملكاً. قوله إذا لا تدخل إلا - الخ - هذا على مذهب الفراء من أن إذن جواب وجزء دائماً لشرط ملفوظ أو مقدر (خفاجي) (٥٠) قوله وهو جواب لمن حآجّه - الخ - وهذا البرهان قطعي، فإن التجربة شاهدة عليه. والتجربيات من اليقينات والقطعيات. ولا يضر القطع إمكان خلافها عقلاً، بل لا يضره وقوع خلافها أحياناً، كما قررنا في قوله تعالى: لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. (سورة الأنبياء - ٢٢)

= اللام "الله" وفيهما موافقة السؤال لفظاً، فإن السؤال: من رب السموات من بيده ملكوت كل شيء، وقرأ غيرهما في الأخيرين أيضاً "الله" باللام الداخلة على اسم الجلالة. وفيهما موافقة السؤال معنى، يقال من رب هذه الدار ويراد لمن هذه الدار، وبالعكس أي يقال لمن الدار؟ ويراد من صاحبها؟ وهذا يحتاج إلى الاستشهاد من الاستعمال، فذكر البيت. وفيه لفظ السؤال "من رب المزالف" ولفظ الجواب "لخالد" لأن مراد السؤال لمن المزالف؟ وذكر التعليبي في عكسه:

وأعلم أنني سأكون رمساً - إذا سار النواعج لا يسير فقال السائلون لمن حفرتم؟ - فقال المخبرون لهم وزير قال: فأجاب المخفوض بمرفوع، لأن معنى الكلام "فقال السائلون من الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير، فأجاب عن المعنى - اه - الكشف والبيان للتعليبي - النواعج من الإبل: البيض الكريمة. و بمعنى السراع أيضاً، نعجت الناقة (بفتح العين) في سيرها: أسرع. (لسان العرب) والرمس، القبر والفعل بمعنى الدفن، والمذكور في البيت يجدر أن يكون

يُوعَدُونَ ﴿٥١﴾ «ما» والنون مؤكدان أي إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ أي فلا تجعلني قريباً لهم ولا تعذبني بعذابهم، عن الحسن رضي الله عنه: أخبره أن له في أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها، فأمر أن يدعو هذا الدعاء. ويجوز أن يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيد به مما علم أنه لا يفعله إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه، واستغفاره عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك<sup>(٥١)</sup>، والفاء في «فلا» لجواب الشرط و «رب» اعتراض بينهما للتأكيد ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم: إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتكم فما وجه هذا الإنكار؟.

﴿إِذْفَعُ بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال: ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن<sup>(٥٢)</sup> إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي شهادة أن لا إله إلا الله . والسيئة : الشرك . أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة. وقيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: محكمة إذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فجازيهم عليه ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿٥٥﴾ من

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله ما والنون مؤكدان أي في قوله إِمَّا تَرِينِي . أصله إِنْ تُرِنِي ، إن شرطية، و ما زائدة للتأكيد، و إن الشرطية إذا تأكدت بـ"ما" حُسْنُ التأكيد في الفعل المضارع بالنون الثقيلة كما في قوله تعالى: فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى (البقرة ٣٨) فِيمَا تَرِينَنِّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا (مريم ٢٦) ويرى المبرّد تأكيد المضارع بالنون الثقيلة مع "إِمَّا" لازماً، بخلاف سيبويه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية م ٥٤٦ هـ) (٥١) قال البيضاوي: وهو إمَّا لهضم النفس ، أو لأن شَوْم الظَّلْمَة قد يحيق (أي ينزل) بمن وراء هم كقوله تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة. (الأنفال ٢٥) - اه - و جاء في حديث رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه "وإذا أردتَ بقومي فتنة فتوفني إليك غير مفتون". (ابن كثير)

قوله مقابلتها، معطوف على إساءتهم، والباء في "بما أمكن" للاستعانة، و في الكشاف: والمعنى اصفح عن إساءتهم، ومقابلتها بما أمكن من الإحسان - اه - وهذا واضح ، والمقابلة معطوف على اصفح، والباء للمقابلة أي البدلية. و كلامه بعد ذلك يدل عليه قال: حتى إذا اجتمع اصفح والإحسان و بذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة، و هذه قَضِيَّة قوله (أي مقتضى قوله) "بالتي هي أحسن". و عبارة المصنّف برُمَتْهَا عبارة الكشاف سوى ما نقلت آنفاً عن الكشاف، تركه المصنّف تلخيصاً. قوله المُدَارَاة: في الحديث: "رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس" أي مُلَايَنَتُهُمْ، و حسنٌ صحبتهم ، و احتمالُهُمْ لثَلَا يَنْفِرُوا عَنْكَ - اه - لسان العرب. قوله تَلَمَّ دِينَ ، بفتح الثاء المثناة و سكون اللام مصدر من باب ضرب، و مطاوعه تلم تلمًا بفتح اللام في المصدر من سمع. تلم الحائطُ : أحدث فيه خللاً، والتلُّمة، بضم الثاء : الخلل.

وساوسهم ونخساتهم، والهمزة: النخس<sup>(٥٣)</sup>، والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض، والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما تهمز الراضة الدواب حثاً لها على المشي ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾<sup>(٥٤)</sup> أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً أو عند تلاوة القرآن أو عند النزاع<sup>(٥٤)</sup> ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ «حتى» تتعلق بـ«يصفون» أي لا يزالون يشركون إلى وقت مجيء الموت، أو لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض، والتأكيد للإغضاء عنهم مستعيناً بالله على الشيطان أن يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾<sup>(٥٥)</sup> أي ردوني إلى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الموضوع الذي تركت وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى العقبي، قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط. «لعلي» ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب ﴿كَلَّا ط﴾ ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ المراد

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

همزات الشياطين وأن يحضرون“ قال: فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، و من كان منهم صغيراً لا يعقل أو يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه. و رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث محمد بن إسحاق، و قال الترمذي حسن غريب. (ابن كثير)

قوله للإغضاء عنهم، أي الصفح المطلوب بقوله (ادفع بالتي هي أحسن) و أصل الإغضاء غص الجفن، فجعل كناية عن الصفح. قوله أن يستنزله عن الحلم، أي يطلب نزوله عن الحلم، و في الكشاف، و عنه في المفاتيح: أن يستزله عن الحلم أي يطلب زلته عنه. قوله يغريه أي يحرضه.

قوله ردوني إلى الدنيا. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة: إذا عاين المومن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول: بل قدّماني إلى الله.

و أمّا الكافر فيقال: نرجعك؟ فيقول: ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت - الآية. (جامع البيان)

قوله لعلي ساكنة الياء، عاصم، و حمزة، و علي، و يعقوب من العشرة، و سهل بن محمد و ليس من العشرة، و الباقون بفتح الياء «لعلي».

(٥٣) قوله والهمزة: النخس (ف ن ض) بفتح فسكون، الطعن. نخس الدابة وغيرها: غرز جنبها أو مؤخرها بعود و نحوه. و في الكشف للثعلبي: قال أهل المعاني: يعني دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، والهمز: شدة الدفع، و منه قيل للحرف الذي يخرج من هواء الفم للدفع «همزة» - اه - والمهماز: حديدة تربط على مؤخر رجل الفارس، و تسمى «مهموزاً» لحث الدابة بنخسها. والراضة كالسادة، جمع راض، و هو من يروض الخيل علي الجري. (خفاجي) راض المهر (ن) روضاً ورياضة ورياضاً: ذلله وطوّعه و علمه السير، فهو راض والمهر مروض. (لسان العرب، مختار الصحاح وغيرهما) قوله والهمزات جمع همزة، قال البيضاوي: والجمع للمرات، أو لتنوع الوسوس، أو لتعدد المضاف إليه - اه - دفع به ما يقال: لم لم يتعوذ من الهمزة الواحدة وهو أبلغ. (خفاجي)

(٥٤) أقوال للمفسرين، والأولى هو التعميم، و ما ذكر من تعيين الأوقات ليس للتخصيص، بل للاهتمام بتلك الأوقات لاشتداد همزاتهم فيها. و قال الإمام أحمد حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفرع «بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه، و من شر عباده، و من

بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض<sup>(٥٥)</sup> وهو قوله: «رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت» ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي أمامهم والضمير للجماعة ﴿بِرُزْخٍ﴾ حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي، لما علم أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾<sup>(٥٦)</sup> قيل: إنها النفخة الثانية ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وبالإدغام: أبو عمرو لا اجتماع المثليين وإن كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالأنساب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه، وإنما يكون بالأعمال. ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لأن كلاً مشغول عن سؤال صاحبه بحاله. ولا تناقض بين هذا وبين قوله: «وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» [الصفات: ٢٧] فللقيامة مواطن. ففي موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون فيتساءلون. ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله: «فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا»

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

المنذر، وابن أبي حاتم، و أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين — وفي لفظ: يوخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأولين والآخرين — ثم ينادي مناد: ألا إن هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه. فيفرح - والله - المرء أن يكون له الحق على والده أو زوجته، و إن كان صغيراً. و مصداق ذلك في كتاب الله. (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم،

والبيهقي في سننه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي، و سببي، و صهري. و أخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كل نسب و صهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي و صهري. (الدر المنثور) و أورد ابن كثير أحاديث أخر في هذا المعنى.

قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً. أي الأعمال الصالحة للكفار توزن لكن لا يكون لها قدر و اعتداد عند الله، و أعمال المؤمنين يكون لها قدر و اعتداد عند الله. هذا =

(٥٥) يعني ليس المراد بها معناها المشهور لغة واصطلاحاً، بل هي هنا بمعنى الكلام، كما يقال: كلمة الشهادة. وهي في هذا المعنى مجاز عند النحاة. و أمّا عند أهل اللغة فقيل: إنه حقيقة، و قيل مجاز مشهور. (خفاجي) قوله لا محالة بفتح الميم، بمعنى لا بد، ولا ريب، والتأكيد مستفاد من اسمية الجملة، و تقديم الضمير أي "هو".

قوله لا يخليها أي لا يتركها. لعله أخذ معنى دوام القول من كون الجملة اسمية، والخبر اسم فاعلي، أي قول تلك الكلمة من عادته و دابه. والعبارة للكشاف. قوله أمامهم، يعني وراء هنا بمعنى أمام، لأنه كل ما وارك، أو من الأضداد. والمراد بالجماعة الكفار. (خفاجي)

(٥٦) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره: هذا عند النفخة الأولى، و ذلك أن الناس بأجمعهم يموتون فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم أموات. قال ابن عطية: وهذا التأويل يُزيل ما في الآية من ذكر هول المحشر. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وغيره: إنه عند النفخة الثانية، وقيام الناس من القبور، فهم حينئذ لهول المطلع قد اشتغل كل امرئ بنفسه. اه. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.

أخرج ابن المبارك في الزهد، وابن جرير، وابن

[الكهف: ١٠٥] ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٥٨﴾ بِالسَّيِّئَاتِ وَالْمِرَادِ الْكُفَّارِ ﴿ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ غبنوها ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٥٩﴾ بدل من «خسروا أنفسهم» ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لـ «أولئك» أو خبر مبتدأ محذوف ﴿ تَلْفَحُ ﴾ أي تحرق ﴿ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُجُونَ ﴿٦٠﴾ عابسون<sup>(٥٧)</sup>.

فيقال لهم: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَتَى ﴾ أي القرآن ﴿ تَتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٦١﴾ وتزعمون أنها ليست من الله تعالى. ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا مَلَكُنَا ﴾ ﴿ شَقَوْتَنَا ﴾ «شقاوتنا» حمزة وعلي وكلاهما مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها. وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح، لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوباً ومضطرباً في الفعل، وهذا لأنهم إنما يقولون ذلك القول اعتذاراً لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يجمل أن يطلبوا لأنفسهم عذراً فيما كان منهم ﴿ وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿٦٢﴾ عن الحق والصواب ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ أي من النار ﴿ فَإِنْ عُدْنَا ﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿ فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٦٣﴾ لأنفسنا. ﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا ﴾ اسكتوا سكوت ذلة وهوان ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿٦٤﴾ في رفع العذاب عنكم فإنه لا يرفع ولا يخفف. قيل: هو آخر كلام يتكلمون به ثم ، و لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير<sup>(٥٨)</sup> «أن يحضروني» . ارجعوني «ولا تكلموني» بالياء في الوصل والوقف: يعقوب وغيره بلا ياء ﴿ إِنَّهُ ﴾ إن الأمر والشأن ﴿ كَانَ فَرِيقٌ

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله (تلفح وجوههم النار و هم فيها كالجون) قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، و تسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة. (الدر المنثور) قوله شقاوتنا، بفتح الشين والقاف وألف بعدها حمزة وعلي الكسائي و خلف. والباقون بكسر الشين و إسكان القاف بلا ألف. اهـ. إكليل.

(٥٨) حكاة الثعلبي عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه. وفي المعنى أثر موقوف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، وحديث مرفوع عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه (الدر المنثور) شبهت أصواتهم بصوت الحمير. والزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره. (تفسير النسفي، سورة هود- ١٠٦)

= أحد القولين والقول الثاني كما ذكر البيضاوي أن أعمال الكفار لا توزن لانحباطها و سبق الكلام في وزن الأعمال و كفيته في سورة الأنبياء تحت قوله تعالى: و نضع الموازين القسط ليوم القيمة الآية. ٤٧.

قوله غبنوها. أي جعلوها ناقصة الحظوظ، فاقدة الأصل. والغبن بيع المتاع بأنقص من قيمته، واستعير هنا لصرف العمر في الحظوظ الفانية دون الباقية، و إبطال استعداد الصلاح والإيمان بالانهماك في الشهوات والضلالات.

(٥٧) قوله عابسون. به فسّر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم — و أخرج ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، والترمذي و صححه، و ابن أبي الدنيا في صفة النار، و أبو يعلى، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه، و أبو نعيم في الحلية عن أبي

مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿٥٩﴾ فَأَتَّخَذَ مِنْهُمْ سَخِرِيًّا ﴿٦٠﴾ مفعول ثان وبالضم: مدني وحمزة وعلي، وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسبة مبالغة. قيل: هم الصحابة رضي الله عنهم. وقيل: أهل الصفة خاصة و معناه اتخذتموهم هزوا و تشاغلتم بهم ساخرين ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ﴾ بتشاكلهم بهم على تلك الصفة ﴿ذِكْرِي﴾ فتركتموه أي كان التشاغل بهم سبباً لنسيانكم ذكري ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم. ﴿إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي لأنهم ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup> ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً أي جزيتهم اليوم فوزهم لأن جزى يتعدى إلى اثنين «وَجَزَيْتَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً» [الدهر: ١٢] «انهم» حمزة وعلي على الاستئناف أي إنهم هم الفائزون لا أنتم.

﴿قُلْ﴾ أي الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة. «قل» مكى وحمزة وعلي. أمر لمالك أن يسألهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بـ «لبثتم» و «عدد» تمييز ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها؛ لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله مصدر سخر، من سمع ، قوله كالسخر، بفتح فسكون، و بفتحيتين و بضم فسكون أيضاً، في لسان العرب: سخر منه و به سخرأ، و سخرأ، و مسخرأ و سخرأ، بالضم - و سُخْرَةٌ، و سُخْرِيًّا، و سُخْرِيَّةً، و سُخْرِيَّةً: هزأ به - اه -  
قوله مبالغة. كالخصوص و الخصوصية، كما زيدت في أحمرِي. (خفاجي)  
قوله أهل الصفة، فقراء المهاجرين و من لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يابون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة. قال الكرمانى: وهو بضم صاد، و تشديد فاء. وهم زهاد من الصحابة فقراء غرباء، و كانوا سبعين، و يقلون حيناً و يكثرن. اه - إكليل.  
قوله أي كان التشاغل بهم - الخ - إشارة إلى أن إسناد الإنشاء إليهم بطريق المجاز. قوله إنني جزيتهم. استئناف لبيان حسن حالهم و أنهم انتفعوا بما آذوهم. قوله بصبرهم إشارة إلى أن ما مصدرية و الباء للسببية. قوله و جزاهم بما صبروا جنة (و حريراً) - سورة الإنسان: ١٢ -

(٥٩) قوله إنهم هم الفائزون ، بكسر إن، و الجملة مستأنفة يظهر منها سبب جزاء هم ، و المفعول الثاني لقوله "جزيتهم" مقدر نحو النعيم المقيم أو بالنعيم المقيم فإن جزى يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه و بالباء، و أنهم جزى يتعدى إلى إعرابه و جهان الأول أنه مجرور محلاً بفتح أن. في إعرابه و جهان الأول أنه مجرور محلاً بتقدير اللام فيكون تعليلاً للجزاء، و هذا المعنى موافق لقراءة الكسر، و لذا اختاره المصنف، و الثاني أنه منصوب محلاً لكونه ثاني مفعولي جزيتهم كما ذكره المصنف بقوله و يجوز أن يكون الخ -  
قوله لا أنتم إشارة إلى أن قصر الصفة على الموصوف في قوله "إنهم هم الفائزون" (بتعريف الخبر مع تقديم المسند إليه و التأكيد بصيغة الفصل) قصر قلب رداً على زعم المخاطبين زيادة لحسرتهم.  
قوله فكم نصب - الخ - أي هو منصوب المحل على أنه ظرف زمان. و الناصب هو الفعل المذكور بعده.  
قوله استقصره - استقصر الشيء: عدّه قصيراً، استطاله: حسبه و عدّه طويلاً.



أيام الدعة ﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ أي الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم «فسل» بلا همز: مكى وعلي ﴿قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي ما لبثتم إلا زمناً قليلاً أو لبثاً قليلاً ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ صدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا وبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها «قل إن» حمزة وعلي ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ حال أي عابثين أو مفعول له أي للعبث ﴿وَأَنْتُمْ الْبِنَاءُ لِتَرْجَعُونَ﴾ وبفتح التاء وكسر الجيم: حمزة وعلي ويعقوب وهو معطوف على «أنما خلقناكم» أو على «عبثاً» أي للعبث ولتركمم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف، ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء فنشيب المحسن ونعاقب المسيء ﴿فَتَعْلَى اللَّهُ﴾ عن أن يخلق عبثاً ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه، أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين. وقرئ شاذاً برفع «الكريم» صفة للرب تعالى.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ﴾ أي لا حجة ﴿لَهُ بِهِ﴾ اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك: من أحسن إلى زيد - لا أحق بالإحسان منه - فإن الله مثيبه أو صفة لازمة<sup>(٦٠)</sup> جيء بها للتوكيد كقولك «يطير بجناحيه» لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ﴿فَأَمَّا حِسَابُهُ﴾ أي جزاؤه وهذا جزاء الشرط ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي فهو يجازيه لا محالة ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ جعل فاتحة السورة «قد أفلح المؤمنون» وخاتمتها «إنه لا يفلح الكافرون» فستان ما بين الفاتحة والخاتمة. ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ ثم قال ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ لأن رحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته.

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم. (الأنعام: ٣٨) و توصيف "إلها آخر" بالصفة اللازمة المذكورة أي جملة "لا برهان له به" للتأكيد. قوله شتان، اسم فعل بمعنى بعد. والله تعالى أعلم وصلّى الله تعالى على رسوله الأكرم وعلى آله وصحبه وسلم.

[تم سحر الثالث من شوال سنة ١٤٢٧ هـ المصادف ٢٦ / من أكتوبر سنة ٢٠٠٦ م على الساعة الرابعة و خمس عشرة دقيقة]



قوله الدعة: الراحة و خفض العيش من ودّع وداعة. (ك ف): إذا صار إلى الدعة والسكون. والإعلان في "الدعة" كما في "السعة" قوله و قرئ شاذاً - الخ - قال القرطبي: و قرأ ابن محيصن، و روي عن ابن كثير، "الكريم" بالرفع نعتاً لله.

(٦٠) قوله صفة لازمة، أي الإله الآخر يلزمه صفة الخلو عن البرهان. فقوله "لا برهان له به" ليس للتقييد والتخصيص بل لأنه من الصفات اللازمة لإله آخر مثل "يطير بجناحيه" في قوله تعالى: و ما من دابة في

## سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿سُورَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة ﴿أُنزِلَتْهَا﴾ صفة لها. وقرأ طلحة<sup>(١)</sup> «سورة» على «زيدا ضربته» أو على «اتل سورة». والسورة: الجامعة لجمل آيات بفتحة لها وخاتمة. واشتقاقها من سور المدينة ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي فرضنا أحكامها التي فيها. وأصل الفرض القطع أي جعلناها مقطوعاً بها. وبالتشديد: مكى وأبو عمرو للمبالغة في الإيجاب وتوكيده، أو لأن فيها فرائض شتى، أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي دلائل واضحات<sup>(٢)</sup> ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لكي تتعظوا. وبتخفيف الذال: حمزة وعلي وخلف وحفص. ثم فصل أحكامها فقال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ رفعهما على الابتداء والخبر ﴿فَأَجْلِدُوا﴾ ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره: التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه. وكقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُهَضَّمَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>

سور الصب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

## سورة النور

محلها في الدين — وإن كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة و طائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء. الخ -

قوله بالتشديد، أي بتشديد الراء من باب التفعيل، قرأه ابن كثير المكي و أبو عمرو البصري، والباقون بتخفيف الراء من المجرد، و التفعيل من خواصه المبالغة في الكم أو الكيف فالمعنى الأول بالنظر إلى الكيف، و الأخيران بالنظر إلى الكم لكثرة فرائضها أو لكثرة من فرضت عليهم.

(٢) ذكر الله سبحانه في هذه السورة أنواعاً من الأحكام والحدود ، و عدة من دلائل التوحيد فقوله "و فرضناها" إشارة إلى الأحكام، و قوله "و أنزلنا فيها آيات بينات" إشارة إلى ما بين فيها من الدلائل. و قوله "لعلكم تذكرون" يتعلق بهما، فإن التذکر في الأحكام يبعث على العمل بهما، والتذکر في الدلائل يبعث على الاعتقاد بما دلت عليه.

(٣) قالت النحاة في باب الاشتغال في نحو "زيداً ضربته" بجواز النصب والرفع في الاسم. أما النصب فعلى تقدير فعل ناصب مثل ضربت أو ما يناسبه. و أما الرفع فعلى أن الاسم مبتدأ، و ضربته خبره. و الرفع هنا أحسن عندهم =

(١) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامي - بالتحتانية - الكوفي، ثقة فاضل يقال له سيد القراء، مات سنة اثنتي عشرة أو بعدها بعد المائة. اهـ. إكليل. و قراءته "سورة" بالنصب شاذة. والنصب إما على تقدير فعل يفسره ما بعد المنصوب نحو "زيداً ضربته"، و إما على تقدير فعل يفهم من المقام نحو "اتل" والقراءة المتواترة "سورة" بالرفع على أنه خبر، و المبتدأ مقدر، كما ذكر المصنف.

قوله السورة الجامعة - الخ - قال المصنف في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى (فأتوا بسورة) : والسورة: الطائفة من القرآن، المترجمة التي أقلها ثلاث آيات. و اوها إن كانت أصلاً فيما أن تسمى بسور المدينة، وهو حائظها، لأنها طائفة من القرآن محدودة مَحْزُوزة على حيالها كالبلد المسور — أولأنها محتوية على فنون من العلم، وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها — و إما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة، لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب، يترقى فيها القارئ، وهي أيضاً في نفسها مرتبة، طوال، و أوساط، و قصار. أو لرفعة شأنها و جلالة

[النور: ٤]. وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من «سورة أنزلناها» لأجل الأمر. ﴿كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةٌ جَلْدَةٍ﴾ الْجَلْدُ: ضرب الجلد وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ ليصل الألم إلى اللحم. والخطاب للأئمة لأن إقامة الحد من الدين وهي على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم، وهذا حكم حر ليس بمحصن

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

و بسط سيويه (م نحو، ١٨٠ هـ) هذا المقام في "الكتاب" (٢٠٠/١ - ٢٠٦ بتحقيق محمد كاظم البكاء طبعة ١٤٢٥ هـ) فليراجع إليه. وما ذكر المصنف هنا من الإعرابين هو بالنظر إلى القولين المذكورين. وقد ذكرهما ابن الحاجب (م ٦٤٦ هـ) أيضاً في الكافية في آخر بحث "ما أضمر عامله على شريطة التفسير". قوله عيسى بن عمر الثقفى النحوي البصري. أخذ عنه الخليل و سيويه ، وله الكتاب الجامع في النحو. توفي سنة تسع وأربعين ومائة - إكليل.

قوله "سورة أنزلناها" بنصب سورة كما قرأ في الشواذ طلحة بن مصرف الياامي. الجملة الفعلية هنا خبرية والمختار في مثل هذا التركيب هو الرفع. قوله لأجل الأمر، علة لكونه أحسن، لأنه في باب "الاشتغال" يختار النصب إذا كان بعده أمر، إذ لورفع على الابتداء يلزم وقوع الإنشاء خبراً، وهو لا يكون بدون تأويل (خفاجي) هذه القراءة أيضاً شاذة. والقراءة المتواترة هي القرآن الثابت. وليس هذا المقام من مواضع اختيار النصب بل هنا جملتان، إحداهما جملة خبرية مركبة من خبر مقدم و مبتدأ مؤخر. والثانية جملة إنشائية أو هنا جملة واحدة مشتملة على مبتدأ يتضمّن معنى الشرط و على خبر صدره الفاء. كما صرح به أئمة النحو. و سبق مفصلاً.

قوله ليس بمحصن، المحصن بمعنى المتزوج بفتح الصاد، قال ابن الأعرابي: كلام العرب كله على "أفعل" فهو مُفْعَل (بكسر العين) إلا ثلاثة أحرف: أَحْصَنَ فهو محصن، و أَلْفَجَ فهو مُلْفَج، و أسهب في كلامه فهو مُسْهَب. زاد ابن سيده: و أسهم فهو مُسْهَم. والمحصن بمعنى العفيف بفتح الصاد و كسرهما. و كذا كل امرأة عفيفة فهي مُحْصَنَةٌ و محصنة (بالفتح والكسر) و كل امرأة متزوجة مُحْصَنَةٌ بالفتح لا غير (لسان العرب)

= من النصب، للسلامة من الحذف والتقدير، و لصحة كون الجملة الخبرية خبراً بلا تأويل. و كذا قالوا بجواز الرفع والنصب في نحو "زيداً اضربه" مما يقع الأمر أو النهي بعد الاسم الذي يشغل الفعل عنه بضميره. لكن المختار هنا النصب، لأن ما قبل الأمر والنهي من مواقع الفعل، و إذا جعل الاسم مرفوعاً بالابتداء يكون الإنشاء خبراً عنه، و ذالا يكون إلا بتأويل.

فظاهر قوله تعالى: السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا، و قوله تعالى: الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما، يرى أنهما ممّا يُختار فيه النصب لوقوع الأمر بعد الاسم. لكن القراءة المتواترة متوافقة على الرفع في الموضوعين. و هذا يقتضي أن لا يكونا من المواضع التي يختار فيها النصب ، فإن القرآن جاء على أفصح اللغات و أحسن الوجوه.

ولذا قال سيويه : إنهما ليسا من تلك المواضع، بل هنا جملتان، الأولى السارق والسارقة — الزانية والزاني، على أن يكون الاسم في الموضوعين مبتدأ، و الخبر مقدراً ، و تقدير الكلام هكذا : فيما يجب عليكم أو فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة، أو حكم الزانية والزاني، بتقدير مضاف في جانب المبتدأ ، و الجملة الثانية ما بعد ذلك الاسم مشتملاً على بيان الحكم و تفصيله.

و قال المبرد: الكلام جملة، و الفاء للسببية، دخلت الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط بناء على أن اللام في المبتدأ موصولة لا حرف تعريف، و المعنى: الذي سرق والتي سرت فاقطعوا - الخ - والتي زنت والتي زنى فاجلدوا - الخ - و هذه الفاء تمنع ما بعدها من العمل فيما قبلها بالاتفاق، و الأمر في هذا الموقع يقع خبراً للمبتدأ بلا تأويل. و ليست هي الفاء التي يعمل ما بعدها فيما قبلها كما في "و رَبِّكَ فَكَبِّرْ" ليصح النصب بالتسليط لما بعدها.

إذ حكم المحصن الرجم. وشرائط إحصان الرجم: الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول. <sup>(٤)</sup> وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لأن الفاء إنما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافي، والتغريب المروي منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والأذى في قوله: «فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ» وقوله: «فَأَذُوهُمَا» <sup>(٥)</sup> [النساء: ١٥] بهذه الآية.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عام، والثيب بالثيب جلد مائة و رجم أو رمي بالحجارة“ (الإمام أحمد، ومسلم، و أبو داؤد ، والترمذي، وابن ماجه و غيرهم بألفاظ متقاربة من حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه) لا يدل أن التغريب له بطريق الحد. بل أقصى ما فيه من دلالة أنه عطف واجب على واجب. و حديث أبي هريرة يدل أن التغريب ليس بطريق الحد. و هو المدعى فإننا لانكر التغريب الذي يكون لمصلحة رآها الإمام، كما سبق ذكره.

قوله وهو اسم للكافي. قال في الهداية: لنا قوله تعالى فاجلدوا - الآية - جعل الجلد كل الموجب، رجوعاً إلى حرف الفاء، و إلى كونه كل المذكور - اه - يعني أن ما ذكر وقع موقع الجزاء، مبيناً لما يترتب على الزنا، و يجازى به. فلا بد أن يكون جميع جزائه، و إلا كان تجهيلاً في مقام البيان، فكأنه قيل: ليس له إلا الجلد، و حينئذ يعارضه الحديث إذا كان معناه أن التغريب من الحد. لأن الآية تبين أن جزائه ليس إلا الجلد، وهذا يناهض أن يكون التغريب من الحد و لا يمكن أن يعتبر الحديث ناسخاً للآية؛ لأن الحديث من الأحاد، و إن تلقوه بالقبول، والأحاد لا تصلح لنسخ ما في الكتاب، و يصح العكس ، أي نسخ الكتاب للحديث ولو كان متواتراً، فكيف بما هو من الأحاد، و شطره (أي جمع الجلد و الرجم على المحصن) منسوخ باتفاق الحنفية والقائلين بمشروعية التغريب حدًا. فهو دون الأحاد التي ليس جزء منها منسوخًا. والحاصل أن ذلك الحديث لا يصلح لإثبات التغريب بطريق الحد معارضاً لما في الآية.

(٥) والتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً. والذنان يأتينها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا، فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيمًا. (النساء: ١٥-١٦)

قوله إذ حكم المحصن الرجم. وقد ثبت بالسنة القطعية لتواترها معنى، ولا عبرة بإنكار الخوارج الرجم.

قوله وشرائط إحصان الرجم، قيد بإحصان الرجم لأن إحصان القذف غير هذا كما سيأتي. والإضافة في شرائط الإحصان بيانية. أي الشرائط التي هي الإحصان. والحاصل أن الإحصان الذي هو شرط الرجم هو الأمور المذكورة فهي أجزاءه، وهو هيئة تكون باجتماعها، فهي أجزاء علة، و كل جزء علة، فكل واحد حينئذ شرط وجوب الرجم، والمجموع علة لوجود الشرط المسمى بالإحصان. اه. فتح القدير لابن الهمام.

(٤) هذه ستة، والسابع أن يكون كل واحد من الزوجين مساوياً للآخر في شرائط الإحصان وقت الإصابة بحكم النكاح، وهذا الشرط عندنا خلافاً للشافعي ، وفي شرط الإسلام أيضاً يخالفنا الشافعي، و كذا أبو يوسف في رواية و به قال أحمد، وقول مالك كقولنا. و الجمع بين الجلد و الرجم في المحصن قول أهل الظاهر و رواية عن أحمد، و عندنا لا يجمع وهو قول مالك و الشافعي كما ذكر القرطبي و ابن كثير. و الجمع في البكر بين الجلد و تغريب عام - أي النفي من البلد - قول الشافعي، و أحمد، و الثوري، والأوزاعي، و مالك في آخرين. و عندنا لا يجمع، نعم إن رأى الإمام فيه مصلحة فله أن يفعل ذلك سياسة لا حداً، و عليه نحمل الحديث المروي في ذلك. و البسط في كتب الفقه.

قوله التغريب غير مشروع أي بطريق الحد، أما بطريق التعزير والسياسة فهو ثابت بالسنة و عمل الصحابة. و روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه "أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام و بإقامة الحد عليه. هذا ظاهر في أن النفي ليس في الحد، لعطفه عليه". فجاز كونه تغريباً لمصلحة. و قوله عليه السلام: "خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة و تغريب

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ أي رحمة والفتح لغة وهي قراءة مكّي. وقيل: الرأفة في دفع المكروه والرحمة في إيصال المحبوب. والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي في طاعة الله أو حكمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من باب التهيج وإلهاب الغضب لله ولدينه، وجواب الشرط مضمّر أي فاجلدوا ولا تعطلوا الحد ﴿وَلْيُشْهَدْ عَدَاؤُهُمَا﴾ وليحضر موضع حدّهما وتسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجر هو وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبية كأنها الجماعة الحافة حول شيء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أربعة إلى أربعين رجلاً ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين بالله.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله والفتح لغة، أي فتح الهمزة "رأفة" قرأه ابن كثير المكّي، والباقون بالسكون، وجاء الفعل من ك و س و ف و نّه بقوله في دين الله على أن الدين إذا أوجب أمراً لم يصح استعمال الرأفة في خلافه. (رازي) قوله من باب التهيج. كما يقال "إن كنت رجلاً فافعل كذا"، ولا شك في رجوليته، وكذا المخاطبون هنا مقطوع بإيمانهم لكن قصد تهيجهم وتحريك حميتهم وعزتهم لله، فلا يتوهم أنه ليس المحل محل "إن" لأنه ليس المقصود به الشك، بل التهيج لإبرازه في معرضه. (خفاجي) قوله طائفة، الطواف في الأصل الدوران أو الإحاطة كالطواف بالبيت. والطائفة في الأصل اسم فاعل مؤنث فهو إما صفة "نفس" فتطلق على الواحد، أو صفة "جماعة" فتطلق على ما فوقه، وهو كالمشترك بين تلك المعاني فيحمل في كل مقام على ما يناسبه بحسب القرائن. (خفاجي)

عن مجاهد قال: الطائفة الرجل إلى الألف، وقال عطاء: رجلان فصاعداً، وحكي عن مالك والليث أربعة. لأن الشهود أربعة قال أبو بكر الرازي الجصاص: يشبه أن المعنى في حضور الطائفة ما قاله قتادة "أنه عظة وعبرة لهم" فيكون زجرًا له عن العود إلى مثله، وردّغاً لغيره عن إتيان مثله. والأولى أن تكون الطائفة جماعة يستفيض الخبر بها ويشيع، فيرتدع الناس عن مثله لأن الحدود موضوعة للزجر والردع. (أحكام القرآن) (كيف يكون الثبوت والتنفيذ؟) قال في الهداية: الزنا

يثبت بالبينّة والإقرار، والمراد ثبوته عند الإمام - فالبينّة أن تشهد أربعة من الشهود على رجل وامرأة بالزنا، لقوله تعالى: فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم. وإذا شهدوا يسألهم الإمام عن الزنا، ما هو؟ وكيف هو؟ وأين زنى؟ ومتى زنى؟ وبمن زنى؟ - فإذا بينوا ذلك و قالوا رأيناها وطبها في فرجها كالميل في المكحلة، و سأل القاضي عنهم فعدّلوا في السر والعلانية حكم بشهادتهم - والإقرار أن يقر البالغ العاقل على نفسه بالزنا أربع مرّات في أربع مجالس من مجالس المقر كلما أقر رده القاضي - وعند الشافعي رحمه الله تعالى يكفي بالإقرار مرة واحدة - فإذا تم إقراره أربع مرّات سأله عن الزنا، ما هو؟ وكيف هو؟ وأين هو؟ وبمن زنى؟ فإذا بين ذلك لزمه الحد، لتمام الحجّة. فإن رجع المقر عن إقراره قبل إقامة الحد أو في وسطه قبل رجوعه و خلى سبيله - وقال الشافعي رحمه الله تعالى: يقيم عليه الحد - ويستحب للإمام أن يلقن المقر الرجوع فيقول له: لعلك لمست أو قبّلت.

و إذا وجب الحد وكان الزاني محصناً رحمه بالحجارة حتى يموت، لأنه عليه السلام رجم ماعزاً وقد أحسن، وقال في الحديث المعروف: وزنا بعد الإحصان. وعلى هذا إجماع الصحابة. ويخرجه إلى أرض فضاء، ويتدئ الشهود برجمه، ثم الإمام، ثم الناس، فإن امتنع الشهود من الابتداء سقط الحد، لأنه دلالة الرجوع، وكذا إذا ماتوا أو غابوا - في ظاهر الرواية - لفوات الشرط. =

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾<sup>(٦)</sup> أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب في خبيثة من شكله، أو في مشركة. والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة، أو المشركين. فالآية تزهيد في نكاح البغايا؛ إذ الزنا عدل الشرك في القبح، والإيمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله: «الْحَبِيْثُ لِلْعَبِيْثِيْنَ» [النور: ٢٦] وقيل: كان نكاح الزانية محرماً في أول الإسلام ثم نسخ بقوله: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامِيَّ مِنْكُمْ» [النور: ٣٢] وقيل: المراد بالنكاح الوطء، لأن غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يؤدي إلى قولك «الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان». وسئل صلى الله عليه وسلم عن من زنى بامرأة ثم تزوجها فقال: أوله سفاح وآخره نكاح. ومعنى الجملة الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر، ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفَاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان. وقدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها ثانياً لأن تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنى،

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامِيَّ مِنْكُمْ» (النور - ٣٢) وهذا الجواب مروى عن سعيد بن المسيب سيد التابعين رضي الله تعالى عنهم رواه عنه ابن أبي حاتم، وأبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ له، وغيرهما.

الوجه الثالث أن النكاح بمعنى الوطء أي الزنا و (ذلك) إشارة إليه. وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. أخرجه أبو داؤد في ناسخه، و البيهقي في سننه، والضياء في المختارة وجماعة.

وتعقب بأننا لو قلنا المراد أن الزاني لا يوطئ إلا الزانية فالإشكال عائد، لأننا نرى أن الزاني قد يوطئ العفيفة حين يتزوج بها، ولو قلنا المراد أن الزاني لا يوطئ إلا الزانية حين يكون وطؤه زناً، فهذا الكلام لا فائدة فيه. وأجيب بأنه إخبار خارج مخرج الغالب. أريد به تشنيع أمر الزنا، ولذلك زيدت المشركة.

ذكر المصنّف هنا الوجوه الثلاثة المذكورة

والكلام هنا في كتب التفسير طويل.

قوله أوله سفاح و آخره نكاح، والحرام لا يحرم الحلال، أخرجه الطبراني والدارقطني من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها. والسفاح بالكسر بمعنى الزنا، والفعل من باب المفاعلة. وقوله: معنى الجملة الأولى الخ - دفع لما يتوهم أن الجملتين معناهما واحد.

= وإن كان مقرراً ابتداء الإمام ثم الناس. و يغسل و يكفن و يصلّى عليه - و إن لم يكن محصناً و كان حرّاً فحدّه مائة جلدة. يأمر الإمام بضربه بسوط لا ثمره له ضرباً متوسطاً، و يُنزع عنه ثيابه دون الإزار. و يفرق الضرب على أعضاءه إلا رأسه و وجهه و فرجه، و يضرب في الحدود كلها قائماً غير ممدود - و إن كان عبداً جلده خمسين جلدة لقوله تعالى: فعليه نصف ما على المحصنات من العذاب، نزلت في الإمام. و الرجل والمرأة في ذلك سواء غير أن المرأة لا ينزع من ثيابها إلا الفروع، والحشوة، و تضرب جالسة. و إن حفر لها في الرجم جاز، و لا يحفر للرجل - اهـ -

(٦) يتوجه هنا سؤال. وهو أن قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) ظاهره خير، ثم إنه ليس الأمر كما يشعر به هذا الظاهر، لأننا نرى أن الزاني قد ينكح المومنة العفيفة، والزانية قد ينكحها المومن العفيف و أجيب عنه بثلاثة أوجه: الأول أن اللفظ و إن كان عامّاً لكن المراد منه الأعم الأغلب، أي عادة الزاني عدم الرغبة في نكاح الصالحات، و كذا الزانية جرت العادة بعدم رغبة الصالحاء في نكاحها. وهذا الجواب منقول عن الضحّاك و القفال، و قال الرازي إنه أحسن الوجوه.

الوجه الثاني أن نكاح الزانية كان محرماً في أول

والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلاً في ذلك بدئاً بذكرها. وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه لأنه الخاطب ومنه بدء الطلب. وقريء «لا ينكح» بالجزم على النهي، وفي المرفوع أيضاً معنى النهي ولكن أبلغ وأكد، ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عادتھا جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة. ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراء الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ وبكسر الصاد: علي<sup>(٧)</sup>؛ أي يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات. والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بأن يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولا شرط أربعه شهداء بقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزنا لأن القذف بغير الزنا بأن يقول يا فاسق يا أكل الربا يكفي فيه شاهدان وعليه التعزير. وشروط إحصان القذف: الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والعفة عن الزنا. والمحصن كالمحصنة في وجوب حد القذف ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ إن كان القاذف حراً، ونصب «ثمانين» نصب المصادر كما نصب «مائة جلدة» و«جلدة» نصب على التمييز ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة. ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ما عرف، وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف. فعندنا جزء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

«ذلك» على ما ذكر من الأقوال في تفسير الآية. قوله لسوء القالة - هي كما قاله الراغب كل قول فيه طعن، وقيل هي ما تيسر من القول، وقال الخليل: القالة تكون بمعنى القائلة. (خفاجي) قوله لاقتراء الآثام أي لارتكاب الذنوب، قوله القحاب، جمع القحبة أي الفاجرة، في المصباح القحبة: المرأة البغي والجمع قحاب مثل كلبة وكلاب. (٧) قوله المحصنات. بكسر الصاد علي الكسائي، والباقون بالفتح. ذكر المصنف هنا عدة أمور. (١) المراد بالرمي، وهو الرمي الخاص أي القذف بالزنا (٢) الدليل على هذا المراد (٣) شروط إحصان القذف. (٤) حكم قذف المحصن. (٥) جلد ثمانين حد القاذف الحر، وحد العبد على النصف منه.

قوله البغايا، في المصباح: بغت المرأة تبغي بغاء، بالكسر والمد: فجرت، فهي بغي، والجمع بغايا، وهو وصف مختص بالمرأة، ولا يقال للرجل «بغي» قاله الأزهري - اه - إكليل. قوله عدل أي المثل والنظير قوله العفاف: وهو الكف عن الحرام والتحصن بمعنى العفاف. قوله الأعفاء جمع عفيف، نحو أحياء وحبیب قوله للزنا جمع زان قوله ولم تومض له، أو مضت المرأة: سارقت النظر. لسان العرب. قوله قريء «لا ينكح» بالجزم على النهي، هذا في الشواذ، قرأه عمرو بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه. إكليل. قوله و حرم ذلك على المؤمنين، بين المراد من

الشهادة على التأييد وهو مدة حياتهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ كلام مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي القذف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أحوالهم، استثناء من الفاسقون ويدل عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي يغفر ذنوبهم ويرحمهم. وحق الاستثناء أن يكون منصوباً عندنا لأنه عن موجب، وعند من جعل الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية أن يكون مجروراً بدلاً من «هم» في «لهم».

ولما ذكر حكم قذف الأجنبية بين حكم قذف الزوجات فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي يقذفون زوجاتهم بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ أي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ يرتفع على البدل من شهداء ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعٌ﴾ بالرفع<sup>(٨)</sup> كوفي غير أبي بكر على أنه خبر والمبتدأ «فشهادة أحدهم» وغيرهم بالنصب لأنه في حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر، والعامل فيه المصدر الذي هو «فشهادة أحدهم» وعلى هذا خبره محذوف، تقديره: فواجب شهادة أحدهم أربع ﴿شَهِدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ﴾<sup>(٩)</sup> فيما رماها به من الزنا ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾ لاختلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير: والشهادة

#### مواهب الجليل لتجلية سارك التنزيل

قوله إلا الذين تابوا—اختلف العلماء في هذا الاستثناء، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط، فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائماً وإن تاب. أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة؟ وأما الجدل فقد ذهب وانقضى، سواء تاب أو أصر، ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف. فذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين، وجماعة من السلف أيضاً. وقال الإمام أبو حنيفة إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبداً. و

استفهام والمستثنى بعد ذلك يكون منصوباً، و من جعله مستثنى من قوله (ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً) يكون عنده استثناء من كلام غير موجب ويكون بدلاً من «هم» في «لهم» فيكون مجروراً.

(٨) القراءات: (١) فشهادة أحدهم أربع - بالرفع حفص، و حمزة، والكسائي وخلف. أربع بالنصب: الباقون (٢) أَنْ لَعْنَتْ - بإسكان أن بلا تشديد، ورفع لعنت - نافع ويعقوب، أَنْ لَعْنَتْ - بتشديد أن ونصب لعنت - الباقون. و وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي ويعقوب، و الباقون بالتاء. (٣) والخامسة أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا، نافع، برفع الخامسة، وتخفيف أَنْ، وَغَضِبَ فَعَلًا مَاضِيًا، ورفع لفظ الجلالة على الفاعلية.

(٤) والخامسة أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا - حفص - بنصب الخامسة، وتشديد أَنْ، وَغَضِبَ اللَّهُ، بلفظ المصدر المنصوب المضاف إلى اسم الجلالة المجرور.

(٥) والخامسة أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا - يعقوب وكذا سهل وليس من العشرة - برفع الخامسة وتخفيف أَنْ، وَغَضِبَ اللَّهُ، بلفظ المصدر المرفوع المضاف =

قال البهتان، فحينئذ تقبل شهادته. (ابن كثير) قوله وحق الاستثناء أن يكون منصوباً عندنا لأنه عن موجب. المستثنى منه عندنا قوله (و أولئك هم الفاسقون) كلام موجب، ليس فيه نفي أو نهي أو



الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فهي مبتدأ وخبر ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿فِي مَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانِ﴾ ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرأ ﴿أَنْ تُشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ﴾ إن الزوج ﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿فِي مَا رَمَانِي بِهِ مِنَ الزَّانِ﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ ﴿أَيُّ الزَّوْجِ﴾ مِنَ الصُّدِّيقِينَ ﴿فِي مَا رَمَانِي بِهِ مِنَ الزَّانِ﴾ ونصب حفص «الخامسة» عطفاً على «أربع شهادات» وغيره رفعها بالابتداء و «أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ» خبره. وخفف نافع «أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ» و «أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ» بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة و «أَنَّ غَضِبَ اللَّهُ» سهل ويعقوب. وجعل الغضب في جانبها لأن النساء يستعملن اللعن كثيراً كما ورد به الحديث. «فربما يجترئن على الإقدام لكثرة جري اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن»، فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعاً لهن. والأصل أن اللعان عندنا شهادات مؤكدة بالإيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف في حقه ومقام حد الزنا في حقها، لأن الله تعالى سماه شهادة. فإذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما، وإذا التعنا كما بين في النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما. وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعهما والفرقة تطليقة بائنة، وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد. ونزلت آية اللعان في هلال بن أمية أو عويمر حيث قال: وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبي <sup>(٩)</sup> صلى الله عليه وسلم بينهما ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ تفضله ﴿عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ نعمته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ جواب «لولا» محذوف أي لفضحككم أو لعاجلكم بالعقوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكِ﴾ هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وأصله الأفك وهو القلب <sup>(١٠)</sup> لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد مأفك به على عائشة رضي الله عنها، قالت عائشة:

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

فعلعهما سألًا في وقتين متقاربتين، فنزلت الآية فيهما، و سبق هلال باللعان ، اهـ. وفي إرشاد الساري: لا يمتنع أن يتهم شريك بن سحماء بهذه المرأة ، و امرأة عويمر معًا. وأحاديث اللعان مروية في الصحاح مفصلة. قال النووي في تهذيب الأسماء: عويمر بن أبيض الأنصاري العجلاني، وهو صاحب اللعان الذي رمى زوجته بشريك بن سحماء ، و كان لعانتهما في شعبان سنة تسع من الهجرة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك. اهـ. إكليل.

(١٠) قوله وأصله: الأفك، بفتح الهمزة وسكون الفاء من ضرب، وهو القلب (ض) أي الصرف من وجه إلى وجه. قوله والمراد - الخ - فاللام فيه للعهد. قالت عائشة - الخ - مختصر من حديث طويل رواه عبد =

= إلى اسم الجلالة المجرور، والخامسة أن غَضِبَ اللَّهُ عليها، الباقون.

فنصب الخامسة لحفص و حده، وأن غَضِبَ اللَّهُ - بتخفيف أن و كسر الضاد على لفظ الفعل الماضي، و رفع الفاعل - لنافع وحده. و أن غَضِبَ اللَّهُ - بتخفيف أن، و لفظ المصدر المرفوع و اسم الجلالة المجرور ليعقوب وحده ، ووافق سهل.

(٩) قال النووي: اختلفوا في نزول آية اللعان، هل هو بسبب عويمر أم بسبب هلال؟ و الأكثرون على أنها نزلت في هلال. وأمّا قوله عليه السلام لعويمر: إنَّ اللَّهَ قد أنزل فيك وفي صاحبك، فقالوا معناه الإشارة إلى ما نزل في قصة هلال، لأن ذلك حكم عام لجميع المسلمين. و يحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً،

فقدت عقداً في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو اليهودج لخفتي، فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيه وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك في من هلك، فاعتلت شهراً وكان عليه الصلاة والسلام يسأل «كيف أنت» ولا أرى منه لطفاً كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت: تعس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك، فلما سمعت ازددت مرضاً وبت عند أبي لا يرقأ لي دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالتق كيدي حتى قال عليه الصلاة والسلام: «ابشري يا حميراء فقد أنزل الله براءتك» فقلت: بحمد الله لا بحمدك ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة من العشرة إلى الأربعين واعصوبوا: اجتمعوا. وهم: عبد الله بن أبي رأس النفاق، وزيد بن رفاعه، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش و من ساعدهم ﴿مِنْكُمْ﴾ من جماعة المسلمين وهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين ﴿لَا تُحْسَبُوا﴾ أي الإفك ﴿شَرَّالْكُفْمِ﴾ عند الله ﴿بَلْهُوَخَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن الله أثابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثماني عشرة آية. والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساء ذلك من المؤمنين ﴿لِكُلِّأَمْرٍمِنْهُمْمَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ أي على كل امريء من العصبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه، وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ أي عظمه. عبد الله بن أبي ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من العصبة ﴿لَهُعَذَابٌعَظِيمٌ﴾ أي جهنم. يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملاء من قومه فقال: من هذه؟ فقالوا: عائشة. فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. <sup>(١١)</sup> ثم وبخ الخائضين فقال: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿إِذْسَمِعْتُمُوهُ﴾ أي الإفك ﴿ظَنَّالْمُؤْمِنُونَوَالْمُؤْمِنَاتُ

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله كِبْرَهُ أي عَظْمَهُ، كِبْرُ الشَّيْءِ، مُعْظَمُهُ، بكسر فسكون. قال الفراء: اجتمع القراء على كسر الكاف، وقرأها حميد الأعرج وحده: كُبْرَهُ (بضم فسكون) وهو وجه جيد في النحو، لأن العرب تقول: فلان تولى عَظْمَ الأمر، يريدون أكثره. قال اللحياني: عَظْمُ الأمر وعَظْمُهُ: مُعْظَمُهُ، وفي حديث ابن سيرين: جلست إلى مجلس فيه عَظْمُ من الأنصار أي جماعة كبيرة منهم. (لسان العرب)

(١١) روى ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى (والذي تولى كبره) هو ابن أبي رأس المنافقين، وهو الذي قال: ما برئت منه، وما برئ منها. (الدر المنثور)

قوله (لولا) هلا، إشارة إلى أن "لولا" تحضيضية.

= الرزاق، وأحمد، والبخاري، وعبد بن حميد ومسلم، وغيرهم. قوله غزوة بني المصطلق، قال ابن إسحق: وذلك سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع (خفاجي).

قوله اليهودج: مركب معروف، أناخ البعير: أبركه وأجلسه هلك في: في شاني. اعتلت: مرضت. عثرت (ض ن س) زَلَّتْ. مسطح بكسر الميم على زنة منبر. تعس (ف) هلك. لا يرقأ (ف) لا يسكن. قوله فالتق، اسم فاعل من فلق (ن، ض) شق. قوله أبشري، أمر للمخاطبة من الإفعال أي افرحي. حميراء، تصغير حمراء، لقب للصديقة رضي الله تعالى عنها. قوله أثاثه، بضم الهمزة. حمته بفتح الحاء المهملة وسكون الميم. جحش، بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة.

بِأَنْفُسِهِمْ ﴿ بِالَّذِينَ مِنْهُمْ فَالْمُؤْمِنُونَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةً وَهُوَ كَقَوْلِهِ: «وَلَا تَلْبِسُوا أَنْفُسَكُمْ» [الحجرات: ١١] ﴿ خَيْرًا ﴾ عَفَافًا وَصَلَحًا وَذَلِكَ نَحْوُ مَا يَرُودُ أَنَّ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَا قَاطِعٌ بِكَذِبِ الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ اللَّهَ عَصَمَكَ مِنْ وَقُوعِ الذُّبَابِ عَلَى جِلْدِكَ لِأَنَّهُ يَقَعُ عَلَى النَّجَاسَاتِ فَيَتَلَطَّخُ بِهَا، فَلَمَّا عَصَمَكَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَدْرُ مِنَ الْقَدْرِ فَكَيْفَ لَا يَعَصَمُكَ عَنْ صَحْبَةٍ مِنْ تَكُونُ مَتَلَطَّخَةً بِمِثْلِ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ؟ وَقَالَ عَثْمَانُ: إِنَّ اللَّهَ مَا أَوْقَعَ ظِلِّكَ عَلَى الْأَرْضِ لئَلَّا يَضَعَ إِنْسَانٌ قَدَمَهُ عَلَى ذَلِكَ الظِّلِّ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنَ أَحَدًا مِنْ وَضْعِ الْقَدَمِ عَلَى ظِلِّكَ كَيْفَ يُمْكِنُ أَحَدًا مِنْ تَلْوِيثِ عَرَضِ زَوْجَتِكَ؟ وَكَذَا قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ جَبْرِيْلَ أَخْبَرَكَ أَنَّ عَلِيًّا نَعَلِيكَ قَدْرًا وَأَمْرًا بِإِخْرَاجِ النِّعْلِ عَنِ رِجْلِكَ بِسَبَبِ مَا التَّصَقَّ بِهِ مِنَ الْقَدْرِ فَكَيْفَ لَا يَأْمُرُكَ بِإِخْرَاجِهَا بِتَقْدِيرِ أَنْ تَكُونَ مَتَلَطَّخَةً بِشَيْءٍ مِنَ الْفَوَاحِشِ. وَرُوي أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَلَا تَرَيْنِ مَا يُقَالُ؟ فَقَالَتْ: لَوْ كُنْتُ بَدَلَ صَفْوَانَ أَكُنْتُ تَطْنُ بِحَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ سُوءًا؟ فَقَالَ: لَا. قَالَتْ: وَلَوْ كُنْتُ أَنَا بَدَلَ عَائِشَةَ مَا خَنَتِ رَسُولَ اللَّهِ فَعَائِشَةُ خَيْرٌ مِنِّي وَصَفْوَانُ خَيْرٌ مِنْكَ. <sup>(١٢)</sup> وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنِ الْخَطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ وَعَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ وَلَمْ يَقُلْ «ظَنَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا وَقَلْتُمْ» لِيبَالِغَ فِي التَّوْبِيخِ بِطَرِيقِ الْإِلْتِفَاتِ، وَلِيَدُلَّ التَّصْرِيحَ بِلَفْظِ الْإِيمَانِ عَلَى أَنَّ الْإِشْتِرَاكَ فِيهِ يَقْتَضِي أَنْ لَا يَصْدُقَ مُؤْمِنٌ عَلَى أَخِيهِ وَلَا مُؤْمِنَةٌ عَلَى أُخْتِهَا قَوْلَ عَائِبٍ وَلَا طَاعِنٍ، وَهَذَا مِنَ الْأَدَبِ الْحَسَنِ الَّذِي قَلَّ الْقَائِمُ بِهِ وَالْحَافِظُ لَهُ، وَلِيَتَّكَّفَ تَجِدَ مِنْ يَسْمَعُ فَيَسْكُتُ وَلَا يَشِيْعُ مَا سَمِعَهُ بِإِخْوَانِهِ ﴿ وَقَالُوا هَذَا أَفْكٌ مُبِينٌ ﴾ كَذِبٌ ظَاهِرٌ لَا يَلِيْقُ بِهِمَا.

﴿ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ هَلَا جَاءُوا عَلَى الْقَذْفِ لَوْ كَانُوا صَادِقِينَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ ﴾ الْأَرْبَعَةِ ﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أَي فِي حُكْمِهِ وَشَرِيعَتِهِ ﴿ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ أَي الْقَاذِفُونَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ التَّفْصِيْلَةَ بَيْنَ الرَّمِيِّ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ ثُبُوتَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ الْأَرْبَعَةِ وَانْتِفَاءَهَا، وَالَّذِينَ رَمَوْا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَيِّنَةٌ عَلَى قَوْلِهِمْ فَكَانُوا كَاذِبِينَ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ لَوْلَا ﴾ هَذِهِ

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

من كبار الصحابة، شهد بدرًا، و نزل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة، مات غازيًا بالروم سنة خمسين، وقيل بعدها - إكليل.  
قوله بحرم - حرم بفتح حاء، وهو كناية عن أهله. كما اشتهر استعماله بهذا المعنى (خفاجي)  
قوله ليبالغ في التوبيخ، لأن لولا تفيد التوبيخ أيضًا كما صرح به أهل العربية. (خفاجي)

قوله ولا تلمزوا أنفسكم : ولا تطعنوا أهل دينكم، واللمز: الطعن والضرب باللسان، والمؤمنون كنفس واحدة، فإذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه. (مدارك التنزيل، سورة الحجرات)  
(١٢) أخرج ما يقاربه ابن إسحق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر. (الدر المنثور)  
قوله أبا أيوب الأنصاري، هو خالد بن زيد بن كليب

لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدم أي: ولولا أنني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة، وأن أترحم عليكم في الآخرة في العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك، يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع ﴿إذ﴾ ظرف لـ «مسكم» أو لـ «أفضتم» ﴿تلقونه﴾ يأخذه بعضكم من بعض. يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه<sup>(١٣)</sup> ﴿بأسنتكم﴾ أي أن بعضكم كان يقول لبعض: هل بلغك حديث عائشة؟ حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ [آل عمران: ١٦٧] ﴿وتحسبونه﴾ أي خوضكم في عائشة رضي الله عنها ﴿هيناً﴾ صغيرة ﴿وهو عند الله عظيم﴾ كبيرة. وجزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال: أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم. ﴿ولولا﴾ وهلا ﴿إذ سمعتموه قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ فصل بين لولا و «قلتم» بالظرف؛ لأن للظروف شأنًا وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها. وفائدة تقديم الظرف أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهم قدم، والمعنى هلا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا ﴿سبحك﴾ للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه، أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة. وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم، وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات<sup>(١٤)</sup> ﴿هَذَا بُهْتَانٌ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

كما في المصباح (خفاجي) قوله الكشخنة: عدم الغيرة والديانة، والكشخان: الديوث، وليس بعربي كما نقل عن الخليل. (خفاجي ولسان العرب) (١٤) فإن قيل لو لم يجر ذلك لكان الرسول أعرف الناس بامتناعه، ولو عرف ذلك لما ضاق قلبه، ولما سأل عائشة عن كيفية الواقعة؟ قلنا إنه عليه السلام كثيراً ما كان يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد تلك الأقوال، قال تعالى: (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون. الحجر: ٩٧) فكان هذا من هذا الباب - مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي.

(١٣) التلقي، والتلقف، والتلقن معان متقاربة، خلا أن في الأول معنى الاستقبال، وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة، وفي الثالث معنى الحدق والمهارة. (أبو السعود) قوله ولا ناد، أي مجلس، وأصله من ندى القوم: جمعهم والمحفل يجمع الناس. قوله على بال أي اكتراث واهتمام، والبال بمعنى خاطر والقلب والحال أيضاً. قوله أن يتفادوا، تفادى من كذا: تحاماه وانزوى عنه. مختار الصحاح. قوله حرمة نبيه، حرمة بضم فسكون بمعنى المرأة

زور يبهت من يسمع ﴿عَظِيمٌ﴾<sup>(١٥)</sup> وذكر فيما تقدم هذا إفاك مبین، ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة في التبري ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا﴾ في أن تعودوا ﴿لِيُثَلِّمَ﴾ لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه ﴿أَبَدًا﴾ ما دتمم أحياء مكلفين ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٦)</sup> فيه تهيج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصادق عن كل قبيح ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾<sup>(١٧)</sup> الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم وبأعمالكم ﴿حَكِيمٌ﴾<sup>(١٨)</sup> يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تُشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الدِّينِ أَمْنًا﴾ أي ما قبح جداً، والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبة لها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بالحد. ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبيي وحساناً ومسطحاً الحد<sup>(١٩)</sup> ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بالنار وعدها إن لم يتوبوا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ بواطن الأمور وسرائر الصدور ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup> أي إنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعالجة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ﴾ حيث أظهر براءة المقدوف وأثاب ﴿رَجِيمٌ﴾<sup>(٢١)</sup> بغفرانه جنابة القاذف إذا تاب.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفاك والقول فيه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ فإن الشيطان ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ما أفرط قبحه ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما تنكره النفوس فتتفر عنه ولا ترتضيه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصمة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفاك ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾<sup>(٢٢)</sup> بضمائرهم وإخلاصهم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ولا يحلف، من اتلى إذا حلف، افتعال من الألية، أو لا يقصر من الألو<sup>(٢٣)</sup> ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ في الدين ﴿وَالسَّعَةِ﴾ في الدنيا ﴿أَنْ يُوْتُوا﴾  
.....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

زيد بن رفاعة خامس الأربعة المذكورة - اه - إكليل.  
قوله الممحصمة أي المطهرة من الذنوب. والمحص في اللغة التخليص والتنقية. و تمحيص الذنوب: تطهيرها أيضاً (لسان العرب) قوله محضوها أي أخلصوها.  
(١٦) ذكر احتمالين في "لا يأتل" الأول أن يكون من الألية بمعنى الحلف. والثاني أن يكون من الألو بمعنى التقصير و يؤيد الأول ما جاء في سبب النزول من روايات صحيحة أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حلف أن لا يصل مسطحاً.

قوله زور يبهت، فيه إشارة إلى أصل البهتان. قوله الصادق المانع. قوله ما قبح جداً، إشارة إلى معنى الفاحشة فإن كل شيء جاوز حده فهو فاحش (مختار الصحاح)  
(١٥) في الخميس: ولما نزلت "إن الذين جاءوا بالإفاك عصبة منكم - الآية - جلد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تنازع بين الأصحاب أربعة (١) عبد الله بن أبي (٢) حسان بن ثابت و (٣) مسطح بن أثانة و (٤) حمزة بنت جحش، أخت زينب التي عصمها الله بالورع، جلداهم ثمانين ثمانين، وفي رواية و جلد

أي لا يؤتوا إن كان من الآية ﴿أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها ﴿وَلْيُعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ العفو الستر والصفح الإعراض أي ليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة ﴿الْأَمْحُومُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فليفعلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا، نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكيناً بديراً مهاجراً، ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال: بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقته. (١٧)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْغَفْلَتِ﴾ السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بما يجب الإيمان به.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عليه وسلم كما في قوله تعالى: (كذبت قوم نوح المرسلين) ونظائره. وقيل: أمهات المؤمنين. فيدخل فيهن الصديقة دخولاً أولياً. وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين. ولا ريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين، ليس بكفر - فيجب أن يكون المراد إياهن على أحد الوجهين، فإنهن قد خصصن من بين سائر المومنات، فجعل رميهن كفراً إبرازاً لكرامتهن على الله عز وجل، وحماية لحمى الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضي الله تعالى عنها. وهل هو منه رضي الله تعالى عنه إلا لتحويل أمر الإفك، والتنبية على أنه كفر غليظ. اهـ.

والذين قالوا بالعموم يرون أن الوعيد المذكور في هذه الآية مشروط بعدم التوبة، لأن الذنب سواء كان كفراً أو فسقاً إذا حصلت التوبة منه صار مغفوراً. (مفتاح الغيب) والذي ينبغي أن يعول عليه الحكم بكفر من رمى إحدى أمهات المؤمنين بعد نزول الآيات وتبين أنهم طيبات، أما من رمى قبل فالحكم بكفره مطلقاً =

قوله أي لا يتوتوا إن كان من الآية، وإن كان من الأول فالتقدير "في أن يتوتوا".

قوله شحناء أي العداوة والبغضاء. قوله اقترفوها أي ارتكبوها قوله الجفاء ممدوداً، ضد البر - مختار الصحاح. إكليل.

(١٧) قوله رد إلى مسطح نفقته، وأخرج ابن المنذر عن الحسن أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه صار يضعف له بعد ما نزلت هذه الآية ضعفي ما كان يعطيه. (الدر المنثور)

قوله دهاء، ناقص واوي و يائي - وهو المنكر، وجودة الرأي (لسان العرب)

ذكر المصنف ثلاثة أقوال في المراد بهؤلاء المحصنات. ونسب القول الأول إلى سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وكذا قال الضحاك، وأبو الجوزاء، وسلمة بن نشيط، وبالثالث قال سعيد بن جبيرة، ومقاتل بن حيان وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى. ولكن كانت عائشة إماماً في ذلك. (ابن جرير وابن كثير)

قال أبو السعود: والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها، والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين، لا شتر الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله صلى الله تعالى

عن ابن عباس رضي الله عنهما: هن أزواجه عليه الصلاة والسلام. وقيل: هن جميع المؤمنات؛ إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب. وقيل: أريدت عائشة رضي الله عنها وحدها. وإنما جمع لأن من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن. ﴿لِعُنُوفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة إن لم يتوبوا، والعامل في ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ يعذبون<sup>(١٨)</sup> وبالياء حمزة وعلي ﴿السُّتُورُ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بما أفكوا أو بهتوا والعامل في ﴿يَوْمَ يُؤْيَبُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ بالنصب صفة للدين وهو الجزاء، ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله. وقرأ مجاهد بالرفع صفة لله كقراءة أبي «يوفيههم الله الحق دينهم» و على قراءة النصب يجوز أن يكون «الحق» وصفاً لله بأن ينتصب على المدح ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري. ولم يغلظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في إفك عائشة رضي الله عنها، فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر، وما ذاك إلا لأمر. وعن ابن عباس رضي الله عنه: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة. وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الإفك. ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم رضي الله عنها بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات، فانظر كم

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ما ذكر النحاة من أن المصدر إذا نعت لا يعمل مطلقاً. وأجازه السيرافي مطلقاً - الخ - قوله والعامل في "يومئذ" يؤفبهم الله. فيوم ظرف مقدم منصوب بقوله "يؤفبهم" وتنوين "إذ" بدل من جملة تشهد عليهم. أي يوم شهادة الألسنة والأعضاء بأعمالهم السيئة يعطيههم الله جزاء وافياً ثابتاً يستحقونه بما عملوا. قوله وما ذاك إلا لأمر، التنوين للإبهام والتعظيم أي لأمر عظيم لا يدرك عظمه وجلالته. قوله بالحجر الذي ذهب بثوبه - أشار به إلى ما ورد في الحديث من رميهم له عليه السلام بالأدرة أي انتفاخ الخصية، لاستتاره في غسله عن أعين الناس، فاغتسل مرة ووضع ثوبه على حجر فلما خرج من الماء وأراد الثوب فرّ الحجر بثوبه وذهب عليه السلام خلفه حتى رأوه سليماً ممّا رموا به - إكليل.

= غير ظاهر، والظاهر أنه يحكم بكفره إن كان مستبيحاً أو قاصداً الطعن به عليه الصلاة والسلام كابن أبي، وإن لم يكن كذلك فلا يحكم بكفره كحسان، ومسطح، وحمنة. فإن الظاهر أنهم لم يكونوا مستحلين ولا قاصدين الطعن بسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعلى آله أجمعين، وإنما قالوا ما قالوا تقليداً فوبخوا على ذلك توبيخاً شديداً، ومما يدل دلالة واضحة على عدم كفر الرامين قبل أنه عليه الصلاة والسلام لم يعاملهم معاملة المرتدين بالإجماع، وإنما أقام عليهم حد القذف على ما جاء في بعض الروايات. (روح المعاني)

(١٨) قوله والعامل في (يوم تشهد عليهم) يعذبون. قال ابن عطية: والعامل في قوله "يوم" فعل مضمّر يقتضيه العذاب أي يعذبون يوم. أو نحوه. اه. وقال البيضاوي: ظرف لما في "لهم" من معنى الاستقرار، لا للعذاب لأنه موصوف. قال الخفاجي: إشارة إلى

بينها وبين تبرئة أولئك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على إنافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

﴿ الْحَيْثُ ﴾ من القول تقال ﴿ لِلْحَيْثِينَ ﴾ من الرجال و النساء ﴿ وَالْحَيْثُونَ ﴾ منهم يتعرضون ﴿ لِلْحَيْثِئْتِ ﴾ من القول وكذلك ﴿ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ أي فيهم و «أولئك» إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام، وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب، ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك، وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخبائث والخبائث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ مستأنف أو خبر بعد خبر ﴿ وَرَزَقَ كَرِيمًا ﴾ في الجنة. ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال: لا تخافي لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشي عليها فرحاً بما تلا. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة، نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجني، وتزوجني بكرةً وما تزوج بكرةً غيري، وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجري، وقبري في بيتي، وينزل عليه الوحي وأنا في لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه، ونزل عذري من السماء، وخلقت طيبة عند طيب، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً. وقال حسان معتذراً في حقها:

حصانُ رزانٍ ما تُزَنُّ بريبة  
وتصبح غرثي من لحوم الغوافل  
حليمة خير الناس ديناً ومنصباً  
نبي الهدى والمكرمات الفواضل  
عقيلة حتى من لؤي بن غالب  
كرام المساعي مجدها غير زائل

#### مواعظ الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله إنافة محله أي رفعة مقامه.  
قوله: (الخبيث) ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالخبيثات والطيبات الأقوال، والمراد بالخبيثين والطيبين الرجال. وقال ابن زيد: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال - الخ -  
قوله لقد أعطيت تسعاً، رواه الثعلبي بطريق علي بن زيد بن جدعان عن جدته عن عائشة، وأخرجه الحاكم من وجه آخر وصححه ووافقه الذهبي، وله طرق أخرى.  
قوله في حجري، في المصباح: حجر الإنسان بالفتح وقد يكسر: حصنه، وهو ما دون إبطه إلى الكشح، والجمع حجور - إكليل. قوله قبر أي دفن.  
قوله حصان: بفتح الأول، امرأة عفيفة. رزان (ك) امرأة رزان، بفتح الراء إذا كانت ذات ثبات ووقار و أصل الرزن الثقل. ما تزَنَ زَنَهُ بكذا و أَرَنَهُ به: إذا

اتهمه به و ظنّه فيه. ريبة أمر يريب الناس. غرثي (س) مؤنث غرثان: جائعة أي هي عفيفة ذات وقار و رجاحة عقل ما تتهم بأمر يريب الناس، ولا تأكل لحوم الغافلات اغتياًباً، فتصبح جائعة من لحومهن سالمة من الاغتيا ب، و أكل اللحم صار كناية عن الغيبة أخذاً من القرآن (ولا يغتب بعضكم بعضاً أ يحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً)

قوله حليمة من الجلل: زوجة المرء، أي زوجة أفضل الناس ديناً و مرتبة وهو نبي الهداية صاحب المكارم الفاضلة. قوله عقيلة: وهي لغة المرأة الكريمة النفيسة ثم استعمل في النفس الكريمة من كل شيء من الذوات والمعاني، والحي القبيلة. لؤي بن غالب، =



مهذبة قد طيب الله خيمها و طهرها من كل شين و باطل  
﴿يَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بيوتًا غَيْرَ بيوتِكُمْ﴾<sup>(١٩)</sup> أي بيوتاً لستم تملكونها ولا تسكنونها ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أي تستأذنوا، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقد قرئ به. والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف، استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أي حتى تستعلموا يطلق لكم الدخول أم لا، وذلك بتسيحة أو بتكبيره أو بتحميده أو بتنحج ﴿وَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ والتسليم أن يقول: "السلام عليكم أ أدخل" ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع،

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بيوتاً لستم تملكونها ولا تسكنونها، فهذه العبارة تدل على وجوب الاستئذان عند عدم الملك والسكنى جميعاً، ولم يفهم حكم ما إذا وجد الملك أو السكنى فقط، ولعل حكمه أن السكنى مرخص في الدخول بلا استئذان دون الملك (أي حين تحقق سكنى الغير بطريق الإجارة أو الإعارة) التفسيرات الأحمدية. والدار المملوكة إذا لم يسكن فيها أحد فلا شك أن المالك لا يحتاج إلى الاستئذان في دخولها ولعل النسفي رحمه الله تعالى زاد "لستم تملكونها" نظراً إلى هذه الصورة.

قوله تستأذنون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - أخرجه عنه ابن أبي حاتم، و ابن الأنباري في المصاحف. وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن مردويه عنه رضي الله تعالى عنه قال: الاستئناس الاستئذان. قوله من أنس الشيء. أنس بالمد - قوله أ يطلق، الإطلاق هو الإجازة، قوله وذلك بتسيحة - الخ - أخرج ابن أبي شيبة، والحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، والطبراني، و ابن مردويه عن أبي أيوب قال: قلت يا رسول الله أ رأيت قول الله (حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بتسيحة، و تكبيره، و تحميده، و يتنحج فيوذن أهل البيت. و أخرج الطبراني عن أبي أيوب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: الاستئناس أن تدعو الخادم حتى يستأنس أهل البيت الذين يسلم عليهم. (الدر المنثور) قوله والتسليم أن يقول: السلام عليكم أ أدخل؟ - روى أبو داؤد عن ربي قال أتني رجل من بني عامر استاذن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في بيته، فقال أ ألج؟ فقال النبي صلى الله تعالى =

= ينتمي إليه نسب الرسول عليه السلام و نسب الصديق رضي الله تعالى عنه. وهو من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. أي هي امرأة كريمة من قبيلة من لؤي بن غالب أهل المساعي الكريمة، مجدها لا يزول ولا يفنى. قوله مهذبة، هذب الشيء يهذبه هذباً (ض) و هذبه: نقاه و أخلصه، وقيل: أصلحه، والمهذب من الرجال: المخلص النقي من العيوب، و رجل مهذب أي مطهر الأخلاق. والخيم بالكسر، الشيمة والطبيعة والسجية والخلق والخيم: الأصل. والشين بالفتح: العيب أي هي نقيه من العيوب، طاهرة الأخلاق، قد جعل الله أصلها وسجيتها طيبة، وجعلها طاهرة من كل عيب و باطل.

(١٩) بعد ما فضل الزواجر عن الزنا، و عن رمي العفاف عنه شرع في تفصيل الزواجر عمّا عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال والنساء، و دخولهم عليهن في أوقات الخلوات، وتعليم الآداب الجميلة والأفعال المرضية المستتعبة لسعادة الدارين. (أبو السعود) أخرج الفريابي و ابن جرير من طريق عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: قالت امرأة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنني أكون في بيتي على الحالة التي لا أحب أن يراني عليها أحد، لا ولد ولا والد، فيأتيني الآتي فيدخل علي، فكيف أصنع؟ - و لفظ ابن جرير: و إنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي و أنا على تلك الحال، فنزلت (يأيتها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) - الآية - (الدر المنثور) قال البيضاوي في تفسير "غير بيوتكم" التي تسكنونها. فإن من أجر داره لغيره، أو أعارها لغيره لا يجوز أن يدخلها إلا بإذن المستأجر والمستعير، لأنها غير مسكونة له، و إن كان يملكها، و قال النسفي: أي

وقيل: إن تلاقيا يقدم التسليم وإلا فالاستئذان ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي الاستئذان والتسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حَيِّتُمْ صَبَاحًا وَحَيِّتُمْ مَسَاءً ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعضوا وتعملوا ما أمرتم به في باب الاستئذان ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾ في البيوت ﴿أَحَدًا﴾ من الآذنين ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى تجدوا من يأذن لكم، أو فإن لم تجدوا فيها أحدًا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأن التصرف في ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا﴾ أي إذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا ﴿فَارْجِعُوا﴾ ولا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب<sup>(٢٠)</sup>، لأن هذا مما يجلب الكراهة فإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك، وعن أبي عبيد: ما قرعت باباً على عالم قط.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المسألة، قوله ولا تلجوا، من لَجَّ في الأمر (س و ض) تمادى عليه و أبى أن ينصرف عنه. في تسهيل الحجاب أي تخفيفه و تيسيره.

(٢٠) قوله ولا تقفوا على الأبواب، أخرج البخاري في الأدب ، و أبو داؤد عن عبد الله بن بشر قال: كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، و لكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، و يقول: السلام عليكم، السلام عليكم. و ذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور — و أخرج الطبراني عن سعد بن عباد قال: جئت إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و هو في بيته ، فقامت مقابل الباب فاستأذنت، فأشار إلي أن تباعد، وقال: هل الاستئذان إلا من أجل النظر، و أخرج نحوه ابن أبي شيبة، و أبو داؤد، و البيهقي في شعب الإيمان. (الدر المنثور)

قوله عن أبي عبيد هو القاسم بن سلام ممن أخذ الفقه عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، و كان إما ما بارعاً في علوم كثيرة، منها التفسير والقراءة والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ، له مصنفات حسان، منها غريب القرآن و غريب الحديث ، خرج إلى مكة سنة تسع عشرة و مأتين و توفي بها سنة أربع و عشرين و مأتين وله سبع و ستون سنة - إكليل.

= عليه وسلم لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم أ أدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أ أدخل؟ فأذن له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل - هـ - و أخرجه ابن أبي شيبة، و أحمد، و البخاري في الأدب ، و البيهقي في سننه.

و أخرج مالك و البخاري و مسلم و أبو داؤد عن أبي سعيد الخدري قال: كنت جالساً في مجلس من مجالس الأنصار فجاء أبو موسى فرغاً، فقلنا له: ما أفزعك؟ قال: أمرني عمر أن آتية، فآتيت فاستأذنت ثلاثاً. فلم يؤذن لي فرجعت فقال: ما منعك أن تأتيني قلت: قد جئت، فاستأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع" قال: لتأتيني على هذا بالبينة، فقالوا: لا يقوم إلا أصغر القوم، فقام أبو سعيد معه فشهد له، فقال عمر لأبي موسى: إني لم أتهمك ، ولكن الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وسلم شديد. (الدر المنثور)

قوله الدمور من نصر قوله حَيِّتُمْ صَبَاحًا يَقُولُهُ إِذَا دَخَلَ صَبَاحًا وَ حَيِّتُمْ مَسَاءً يَقُولُهُ إِذَا دَخَلَ مَسَاءً. أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسير الآية عن مقاتل بن حيان يذكر عن عادة أهل الجاهلية و تعليم الإسلام ما هو أحسن و أنزه. قوله ولا تلحوا من الإلحاح و هو الإصرار في

﴿هُوَ أَزْكى لَكُمْ﴾ أي الرجوع أطيب وأظهر لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة أو أنفع وأمنى خيراً<sup>(٢١)</sup> ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا﴾ في أن تدخلوا ﴿بِوُتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالحانات والربط وحوانيت التجار ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ أي منفعة كالأستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع. وقيل: الخربات يتبرز فيها، والمتاع التبرز ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ «من» للتبعض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل<sup>(٢٢)</sup> ﴿وَيَحْفَظُوا أَرْجُلَهُمْ﴾ عن الزنا ولم يدخل «من» هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجهه، ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها في رواية، وإلى رأس

مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

إبراهيم النخعي في قوله (بيوتاً غير مسكونة) هي البيوت الخربة لقضاء الحاجة. و أخرج عبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عطاء في قوله (فيها متاع لكم) قال: الخلاء والبول. (الدر المنثور)

قال أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن بعد ذكر الأقوال في بيوت غير مسكونة: و جائز أن يكون المراد جميع ذلك، إذ كان الاستئذان في البيوت المسكونة لثلا يهجم على ما لا يحب من العورة، و لأن العادة قد جرت في مثله بإطلاق الدخول، فصار المعتاد المتعارف كالمنطوق به. هـ.

(٢٢) إيضاح لمعنى التبعض، وجعل الغض عن بعض المبصر غصاً عن بعض البصر. (خفاجي)

قوله في رواية، وهي رواية الحسن عن أبي حنيفة رحمهما الله و جواز النظر إلى الوجه والكفين فقط في ظاهر الرواية لأنها تحتاج إلى البيع والشراء، والأخذ والعطاء، و لا يمكنها ذلك عادة إلا بكشف الوجه والكفين، فيحل لها الكشف. قال في البدائع: ثم إنما يحل النظر إلى مواضع الزينة الظاهرة منها من غير شهوة، فأما عن شهوة فلا يحل، لقوله عليه الصلاة والسلام "العينان تزنيان" (أحمد، والبخاري) وليس زنا العينين إلا النظر عن شهوة، ولأن النظر عن شهوة سبب الوقوع في الحرام فيكون حراماً، إلا في حالة الضرورة - الخ -

(٢١) أزكى إما من الزكاة بمعنى الطهارة أو الزكاء بمعنى النمو، وبالنظر إليهما ذكر معنيين.

قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: فلما نزلت آية التسليم والاستئذان في البيوت قال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة، والشام و بيت المقدس، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون و يسلمون و ليس فيها سكان، فرخص الله في ذلك فقال: (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة) بغير إذن. قوله كالحانات هي البيوت التي ينزلها التجار بأمتعتهم و يسكنون فيها. قوله والربط بضم الراء والباء و طاء مهملة، جمع رباط بكسر الراء: مكان يقيم فيه المجاهدون، و تُربط فيه خيولهم، والمرابطة محافظة الثغور الإسلامية مترصدين مستعدين للغزو. قوله حوانيت، واحدها حانوت، وهو الدكان. قوله كالأستكنان أي طلب الكن والاختفاء. قوله و إيواء الرحال أي إنزال الرحال و جعلها ماوى لها. قوله الخربات: جمع خربة بفتح فكسر موضع الخراب. والخراب ضد العمران، والفعل خرب بالكسر خرباً، بفتحين فهو خرب - بفتح فكسر- و أخربه و خربه (لسان العرب) أخرج عبد بن حميد عن عكرمة و

المحارم والصدر والساقين والعضدين ﴿ذَلِكَ﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾ أي أطهر من دنس الاثم ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا يَصْنَعُونَ﴾ فيه ترغيب وترهيب يعني أنه خير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أمرن بغض الأبصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرتها إلى ركبتيه، وإن اشتتت غضت بصرها رأساً ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها من الأجنبي أصلاً أولى بها. وإنما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، والمعنى ولا يظهرن مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهي الحلي ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها أو إظهارها وهي في مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها، ومواضعها الرأس والأذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهي للإكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إلا ما جرت العادة والجملة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان، ففي سترها حرج بين فإن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحاکمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ وليضعن من قولك «ضربت بيدي على

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الهوى في القلب.  
قوله من حَلِي، بفتح فسكون، ما تُزَيِّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة، والجمع حَلِي أصله حُلُوِي على زنة فعول، وقد تكسر الحاء في الجمع لياء، والحَلِيَّة، بكسر فسكون، كالحَلِي والجمع حَلِي و حَلِي. (لسان العرب)

قوله للإكليل، شبيهه عصابة تزين بالجواهر، ويسمى التاج إكليلاً. القُرط، الذي يعلّق في شحمة الأذن القلادة بالكسر، ما يجعل في العنق من الحلي - الوشاح، بالكسر شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجواهر، تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها - الدمليج بضم الدال واللام، هي حلقة تحملها المرأة على عضدها - السوار والسوار: القلب، وهو حلية كالطوق، تلبسه المرأة في زندها - الخللخال حلية من فضة كسوار كبير تلبسه النساء في أرجلهن (إكليل)

قوله يجيلون من الإجالة وهي الإدارة. قوله بريد الزنا البريد بمعنى الرسول، وأريد به الدواعي معرب من "بريده ذم" أي محذوف الذنب، لأنه اسم لبغال توضع في الطرق مرصدة لإبلاغ الأخبار، وكانت تُعلم بذلك، ثم أطلق على المسافة الموضوع فيها، وعلى الرسول الذي يركبها. فتقديم النهي عنه لأنه يتضمّن النهي عن الزنا، ولأنه يتقدّمه في الواقع فجعل النظم على وَفَقِهِ، ولأن البلوى به أعم فبودر إلى منعه. (خفاجي)

قوله رائد الفجور، أي مثله ومقدمه، وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يُبصر لهم الكلاً ومساقط الغيث (لسان العرب) فالنظر كالرائد الذي يُبعث ليرتاد و يطلب منزلاً ويتقدم قومه.

قوله فبذر الهوى طموح العين، البذر: الحب الذي يلقي في الأرض للزرع، والطموح: الارتفاع، أي ارتفاع البصر إلى الرجل أو المرأة كحبّ ينبت عنه

الحائط» إذا وضعتها عليه ﴿بِحُمْرِهِنَّ﴾ جمع خمار ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾<sup>(٢٣)</sup> بضم الجيم: مدني وبصري وعاصم. كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليتها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ لأزواجهن جمع بعل ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم الأجداد ﴿أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارم ﴿أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل ﴿أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارم أيضاً ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أي إمائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع منها خصياً كان أو عنيماً أو فحلاً.

وقال سعيد بن المسيب: لا تغرنكم سورة النور فإنها في الإماء دون الذكور. وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها<sup>(٢٤)</sup> ﴿أَوْ التَّبَعِينَ غَيْرَ﴾ بالنصب: شامي ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال، وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية ﴿أُولَى الْأَرْبَةِ﴾ الحاجة إلى النساء. قيل: هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم به لا يعرفون شيئاً من أمرهن، أو شيوخ صلحاء، أو العنين أو الخصي أو المخنث. وفي الأثر أنه المحبوب والأول الوجه ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ حال .....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله خصياً الذي سلّت خصيتاه. عنيماً. العنين كسكين: من لا يأتي النساء عجزاً أو لا يريدهن. اه. قاموس. فحلاً، الذكر من كل حيوان، قوله سعيد بن المسيب التابعي، الإمام الجليل توفي سنة ٩٣هـ. قوله فإنها في الإماء - الخ - به قال الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وهو قول ابن مسعود، وعطاء، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي رحمهم الله تعالى.

(٢٤) و به قال الشافعي رحمه الله تعالى. قوله بله، جمع الأبله، وهو الغافل عن الشر. شيوخ جمع شيخ، وهو المسن. المخنث، الذي في أعضائه لين و تكسر بأصل الخلقة، ولا يشتهي النساء، فإنه رخص بعض مشايخنا في ترك مثله مع النساء. المحبوب، من قطع ذكره و خصيتاه. التفسير الأول مروى عن ابن عباس و مجاهد و طاؤس رضي الله تعالى عنهم و الباقي عن سعيد بن جبير و عكرمة و الكلبي وغيرهم، قال القرطبي: وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى، و يجتمع فيمن =

(٢٣) قوله جيوبهن بضم الجيم مدني، و بصري ، و عاصم و كذا هشام عن ابن عامر ، والباقون (ابن ذكوان و ابن كثير و حمزة و الكسائي) بكسر الجيم. قوله النوافل: جمع نافلة، و النافلة ولد الولد ، و في التنزيل (و وهبنا له إسحق و يعقوب نافلة) قوله أي الحرائر ، قال في غاية البيان: و قوله تعالى (أو نساء هن ) أي الحرائر المسلمات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كناية. اه. و نقله في العناية و غيرها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فهو تفسير مأثور. و في شرح العلامة عبد الغني النابلسي على هدية ابن العماد عن شرح والده الشيخ إسماعيل على الدرر و الغرر: لا يحل للمسلمة أن تنكشف بين يدي يهودية أو نصرانية أو مشركة إلا أن تكون أمة لها، كما في السراج و نصاب الاحتساب ، و لا ينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر إليها المرأة الفاجرة، لأنها تصفها عند الرجال. فلا تضع جلبابها و لا خمارها عندها. كما في السراج. اه. إكليل.

﴿أَوِالطِّفْلِ الَّذِينَ﴾ هو جنس فصلح أن يراد به الجمع ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ أي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه، أو لم يبلغوا أو أن القدرة على الوطء ، من ظهر على فلان إذا قوي عليه ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها ومنه سمي صوت الحلي وسواساً ﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ «آية» شامي إتباعاً للضمة قبلها بعد حذف الألف لالتقاء الساكنين، وغيره على فتح الهاء لأن بعدها ألفاً في التقدير ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وإن اجتهد. فلذا وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا وقيل: أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة، وظاهر الآية يدل على أن العصيان لا ينافي الإيمان. ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ الأيامى جمع أيم<sup>(٢٥)</sup> وهو من لا زوج له رجلاً أو امرأة، بكرةً كان أو ثيباً، وأصله أيامم فقلبت ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ أي الخيرين أو المؤمنين، والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ أي من غلمانكم وجواريكم والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ من المال ﴿يُعْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين، وفي الحديث: «التمسوا الرزق بالنكاح» وعن عمر

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

يتامى و أيامى ، يتايم و أيايم . و ذهب ابن مالك و من تبعه إلى أنه شاذ، لا قلب فيه، أي جاء وضع جمعه على هذه الصيغة بخلاف القياس . وهو ظاهر كلام سيبويه . و ذهب ابن الحاجب إلى أنهم حملوا "يتامى و أيامى" على وجاعى وحباطى لقرب اللفظ والمعنى (خفاجي) و هذا أيضاً يشتمل على القول بأنه لا قلب فيه، بل الجمع جاء على هذا الوزن حملاً على غيره . قوله الخيرين أو المومنين . الخير بتشديد الياء و كسرهما، أي أهل الخير والأحوال المرضية، أو المؤمنين ، فإن الإيمان أصل الصلاح . قوله تعالى من عبادكم و إمائكم . فيه دليل على جواز إضافة العبد إلى غير الله، إذا كان بمعنى الغلام والخادم، وقد جاء في الأخبار والآثار و عبارات العلماء والفقهاء إضافة العبد إلى المخلوق كثيراً، ولم يحكم أحد بكرهته فضلاً عن الحرمة والإشراك، و لكن الوهابية قوم يجهلون و يعتقدون . قوله التمسوا الرزق بالنكاح، أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً، وأخرج ابن =

لا فهم له، ولا همّة ينتبه بها إلى أمر النساء. اهـ . قوله (أو الطفل) هو جنس، يعني أنه مفرد وضع موضع الجمع كالحاج بمعنى الحجاج، وقال الراغب: إنه يقع على الجمع، ولذا قال بعض النحاة إنه في الأصل مصدر، فيقع على القليل والكثير، وهذا أولى، لأن وقوع المفرد موقع الجمع رده بعض النحاة. (خفاجي) قوله و بتأميل الفلاح، مأخوذ من قوله تعالى (لعلكم تفلحون) أي توبوا إلى الله و أنتم ترجون الفلاح على أن الترجي في "لعل" للمخاطبين . قوله و ظاهر الآية - الخ - فإن الأمر بالتوبة يدل على وقوع العصيان منهم، و مع ذلك خاطبهم بقوله (آية المؤمنين) فلو كان العصيان منافياً للإيمان ما استحقوا الخطاب بـ "أيها المؤمنون". (٢٥) قوله أيم مثل قيم، مهموز الفاء، أجوف الياء قوله أصله أيامم فقلبت، بتقديم الميم و تأخير الياء، و الياء المتحركة وقعت بعد الفتح فأبدلت ألفاً، ذهب المصنف تبعاً للزمخشري و من تابعه إلى أنه مقلوب، لأن فاعلاً و فيعلاً لا يجمعان على فعالي، فأصل

رضي الله عنه روي مثله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق ﴿عَلِيمٌ﴾ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. وقيل: في الآية دليل على أن تزويج النساء والأيامى إلى الأولياء كما أن تزويج العبيد والإماء إلى الموالي. قلنا: الرجل لا يلي على الرجل الأيم إلا بإذنه فكذا لا يلي على المرأة إلا بإذنها لأن الأيم ينتظمها ﴿وَلَيْسَتُغْفَبِ الَّذِينَ﴾ وليجتهدوا في العفة كأن المستعف طالب من نفسه العفاف ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ استطاعة تزوج من المهر والنفقة ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حتى يقدرهم على المهر والنفقة. قال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» فانظر كيف رتب هذه الأوامر، فأمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر، ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام، ثم بعزة النفس الأمانة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي المماليك الذين يطلبون الكتابة ف«الذين» مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره ﴿فَكَابُوهُمْ﴾ وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط. والكتاب والمكاتبه كالعتاب والمعاتبه وهو أن يقول لمملوكه: كاتبك على ألف درهم. فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك. أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق، ويجوز حالاً ومؤجلاً ومنجماً وغير منجم لإطلاق الأمر<sup>(٢٦)</sup> ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ قدرة على الكسب أو أمانة وديانة

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

تعالى عنه قوله البائة، بالمد والهاء أفصح من المد بلا هاء، و من هائين بلا مد، و من هاء بلا مد [الباء، الباهة، الباه] وأصلها الجماع، أي من قدر الجماع لقدرته على مؤنته، و من لم يستطعه لفقره فالصوم يدفع شهوته كالوجاء، والوجؤ: أن تُرَضَّ أنثيا الفحل رَضًا شديدا يُذهب شهوة الجماع، و ينتزل في قطعه منزلة الخُصي. وقيل: أن تُوجَّأ العروق، والخصيتان بحالهما، أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطع الوجاء (مجمع البحار ولسان العرب)

(٢٦) قوله حالاً، بتشديد اللام، وهو أن يؤدي بدل الكتابة على الفور. قوله مؤجلاً، وهو أن يضرب أجل لأداء البدل. قوله منجماً وهو أن يكون الأداء بأقساط معلومة. وقال المزني عن الشافعي: لا تجوز الكتابة على أقل من نجمين. و ذكر ابن العربي المالكي اختلاف المالكية في جواز الكتابة الحالة، وقال =

= جرير عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً: التمسوا الغنى في النكاح، لقول الله (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وأخرج عبد الرزاق و ابن أبي شيبة معاً في المصنّف عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: ابتغوا الغنى في الباءة، وفي لفظ: اطلبوا الفضل في الباءة، و تلا (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) - الدر المنثور -

قوله لا يرزؤه (ف) لا ينقصه قوله وليجتهدوا - ماخوذ من السين الطلية في الاستعفاف، و قوله كأن المستعف، الخ، إيضاح لهذا المعنى.

قوله استطاعة تزوج، الخ أي وجدان النكاح بمعنى وجدان أسبابه، أو الوجدان بمعنى الاستطاعة كناية أو مجازاً.

قوله عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب - الحديث - رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله

والندبية معلقة بهذا الشرط ﴿ وَأَوْهَمُهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَنْكُمُ ﴾ أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى: (وَفِي الرِّقَابِ) [التوبة: ٦٠] وعند الشافعي رحمه الله: معناه حطوا من بدل الكتابة ربعاً. وهذا عندنا على وجه الندب والأول الوجه لأن الإيتاء هو التملك فلا يقع على الحط. سأل صبيح مولاه حويطباً أن يكتبه فأبى فنزلت. واعلم أن العبيد أربعة<sup>(٢٧)</sup>: قن مقتنى للخدمة، ومأذون في التجارة، ومكاتب، وآبق. فمثال الأول ولي العزلة الذي حصل العزلة بإيثار الخلوة وترك العشرة. والثاني ولي العشرة فهو نجى الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر إليهم بالعبرة ويأمرهم بالغيرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله، فالدنيا سوق تجارته، والعقل رأس بضاعته، والعدل في الغضب والرضا ميزانه، والقصد في الفقر والغنى عنوانه.....

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أقساطاً من المال بعد سعايته، ويتحرر من الرق (٤) عبد آبق وهرب من مولاه بدون إذنه يهيم على وجهه. كذلك العباد أربعة أقسام:

(١) العباد الذين يختارون العزلة عن الناس، ويؤثرون الخلوة بالرب، ويواظبون على مشاهدة المولى ومناجاته، وهم أولياء العزلة.

(٢) العباد الذين شغلهم الله بهداية الناس، وأداء رسالاته إليهم، وتطهير ظاهريهم وباطنيهم، فهؤلاء يتصلون بالله، ويواصلون الناس ويعاشرهم في الله، والله، وهم أولياء العشرة.

(٣) العباد العاملون الذين يجتهدون في أداء ما أوجب الله عليهم من العبادات المعينة ليفوزوا بالحرية الدائمة، وينالوا ما تمنوا.

(٤) العصاة الهائمون خلف الأهواء، الهاربون مما يرضى الله، الساقطون في سخط الله. ويمكن فهم هؤلاء العباد، و تفاوت أحوالهم و درجاتهم بفهم أقسام العبيد كما أبان المصنف وأجاد.

قوله قن، العبد الذي ملك هو وأبواه، واللفظ للواحد والاثنتين والجمع والمؤنث. مقتنى، اقتناه: اتخذه لنفسه لا للبيع، أي متخذ. آبق (ض ن) الهارب نجى: المناجى، المحادث سراً. الخبرة، بالضم والكسر: العلم بحقيقة الشيء وكنهه. العبرة، بالكسر، الاعتاض والاعتبار بما مضى، الاستدلال بالشيء على الشيء. الغيرة: الحمية والأنفة. القصد التوسط والاعتدال. العنوان: ما يُعرف به. العلامة.

= القرطبي المالكي: لم يرد عن مالك نص في الكتابة الحالة، والأصحاب يقولون: إنها جائزة، و يسمونها قِطاعة - اه - وقال أبو بكر الجصاص رحمه الله في تفسير (و آتوهم من مال الله الذي اتاكم) اختلف أهل العلم في المكاتب هل يستحق على مولاه أن يضع عنه شيئاً من كتابته فقال أبو حنيفة و أبو يوسف و زفر و محمد و مالك والثوري: إن وضع عنه شيئاً فهو حسن مندوب إليه. وإن لم يفعل لم يجبر عليه، وقال الشافعي: هو على الوجوب - اه - قال: وقد حكى عن الشافعي أن الكتابة ليست بواجبة، وأن يضع عنه بعد الكتابة واجب أقل ما يقع عليه اسم شيء، ولو مات المولى قبل أن يضع عنه وضع الحاكم عنه أقل ما يقع عليه اسم شيء - اه - و حكى الإمام البغوي الشافعي أقوالاً في قدر ما يحط عن المكاتب، الربع عن علي، الثلث عن ابن عباس، قول الآخرين: ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء، وهو قول الشافعي - اه - وهذا يدل أن الحط واجب عند الإمام الشافعي لكن ليس له قدر محدود عنده.

قوله سأل صبيح - الخ - أخرج ابن السكن في معرفة الصحابة (لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي)

(٢٧) قوله واعلم أن العبيد أربعة - ذكر المصنف هنا أقسام العبيد وأقسام العباد، وأوضح أحوالهم بإبداء المشابهة بينهم. فالعبيد أربعة أقسام:

(١) عبد خصه المولى لخدمته، وشهود حضرته. (٢) عبد خصه المولى للقيام بتجارته، و كتب له الإذن بالتصرف في معاملته (٣) عبد كاتبه المولى بأن يؤدي



والعزم فمزعه ومنجاه، والقرآن كتاب الإذن من مولاه، هو كائن في الناس بطواهروه، بائن منهم بسرائره، فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطناً، ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهراً: وما هو منهم، بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام، يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون، وما يدريهم أنه ضيف الله يرى السماوات والأرض قائمات بأمره وكأنه قيل فيه:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال.

فحال ولي العزلة أصفى وأحلى، وحال ولي العشرة أوفى وأعلى، ونزل الأول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان. أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين، فباطن أحواله مهتدى ولي العزلة، وظاهر أعماله مقتدى ولي العشرة. والثالث المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب. عليه في اليوم واللييلة خمس، وفي المائتي درهم خمسة، وفي السنة شهر، وفي العمر زورة، فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى في فكاك رقبته خوفاً من البقاء في ربة العبودية، وطمعاً في فتح باب الحرية ليسرح في رياض الجنة فيتمتع بمنه ويفعل ما يشاؤه ويهواه. والرابع الأباق فما أكثرهم فمنهم القاضي الجائر والعالم الغير العامل، والعامل المرئي، والواعظ الذي لا يفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله فضول وعلى كل ما لا ينفعه يصول فضلاً عن السارق والزاني والغاصب فعنهم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة».

﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِتْيَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ كان لابن أبي ست جوار: معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة، يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب، فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت. <sup>(٢٨)</sup> ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة والبغاء الزنا

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

خمس من الصلوات شهر للصوم زورة للحج فكاك، بالفتح والكسر التخليص ربة، بالفتح والكسر: العروة من الحبل. ليسرح (ف) ليذهب ويسير. بمنه مئية: ما يتمناه المرء، والجمع مئى. الأباق، جمع أبق. الجائر: غير العادل، ليصول: صال عليه: سطا عليه وقهر. خلاق: النصيب

(٢٨) حكاة الثعلبي في الكشف و البيان، والواحد في أسباب النزول عن مقاتل بن حيان، وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما =

مفزع ملجا منجا موضع النجاة. بائن، من البينونة أي منفصل معدن بكسر الدال عدن بالبلد: توطنه (ض) والمعدن: مركز كل شيء. الرغام، بالفتح: التراب. فإن تفق: من فاقه علاه أي لا يستحيل أن يفوق الفرع أصله فإن المسك أصله دم الغزال لكنه يفوق سائر الدم. والبيتان للمتنبى. الشذر، كالبحر، القطعة من الذهب. الزلال، بالضم، الماء العذب الصافي يمر سريعاً في الحلق. الضريبة ما تقرر أداءه من المال، كخراج العبد والجزية. النجوم جمع نجم: القسط

للنساء خاصة وهو مصدر لبغت ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففاً عن الزنا. وإنما قيده بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن، فأمر المطيعة للبعاء لا يسمى مكراً ولا أمره إكراهاً، ولأنها نزلت على سبب فوق النهي على تلك الصفة، وفيه توبيخ للموالي أي إذا رغب في التحصن فأنتم أحق بذلك ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي لتبتغوا بإكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي لهن، وفي مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول: لهن والله لهن والله. ولعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف فكانت آثمة أو لهم إذا تابوا.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الياء: حجازي وبصري وأبو بكر وحماد. والمراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود، وجاز أن يكون الأصل مبيناً فيها فاتسع في الظرف أي أجري مجرى المفعول به كقوله «ويوم شهدناه» وبكسرهما غيرهم أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها مجازاً أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل: «قد بين الصبح لذي عينين» ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ ومثلاً من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى: «وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ». «لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ». «وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ» «يَعْظُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا» ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي هم المنتفعون بها وإن كانت موعظة للكل.

نظير قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢٩)</sup> مع قوله: «مَثَلٌ نُورِيٌّ» و «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ»

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

جسماً فكذلك، للدليل الدال على أن إله العالم ليس بجسم ولا جسماني، ولا زائل ولا منتقل، إلى غير ذلك من أمارات الحدوث والافتقار.

و يتوجه هنا سؤال: أن قوله (الله نور السموات) يقتضي ظاهره أنه في ذاته نور، وقوله (مثل نوره) وكذا (يهدي الله لنوره) يقتضي أن لا يكون هو في ذاته نوراً، وبينهما تناقض. أجاب عنه المصنف بقوله: نظير قوله... قولك زيد كرم وجود... والمعنى ذو نور السموات. والنور هو الحق، وتشبيهه الحق بالنور لجامع الظهور والبيان، والإضافة إلى السموات والأرض للدلالة على سعة الإشراق. أي الله ذو نور الحق الذي عمّ السموات والأرض.

= أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يريد هما على الزنا، فشكنا ذلك إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فأنزل الله (ولا تكررهما فتياتكم - الآية -) قوله أو لهم إذا تابوا، هذا التجويز ضعيف، ياباه النظم الجزيل (أبو السعود) قوله يوم شهدناه، أي شهدنا فيه، حذف الجار، و جرى المجرور مجرى المفعول به.

قوله بكسرهما غيرهم، أي قرأ حفص، وابن عامر، و حمزة، والكسائي مبيّن، بكسر الياء. (٢٩) الله نور السموات والأرض. النور في اللغة موضوع لهذه الكيفية الفاضلة من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الأجرام، ولا شك أنه لا يمكن أن يكون إلهاً، لأنه إن كان عرضاً فظاهر، وإن كان

قولك زيد كرم وجود ثم تقول: ينعش الناس بكرمه وجوده، والمعنى ذو نور السموات و «نور السموات والارض» الحق. شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» [البقرة: ٢٥٧] أي من الباطل إلى الحق. وأضاف النور إليهما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض، وجاز أن المراد أهل السماوات والأرض وأنهم يستضيئون به ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمَشْكَاةٍ﴾ كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي سراج ضخم ثاقب ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل من زجاج شامي بكسر الزاي ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب إلى الدر لفرط ضيائه وصفائه، وبالكسر والهمزة أبو عمرو وعلي، كأنه يدرأ الظلام بضوئه، وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة. شبه في زهرته بأحد الكواكب الدراري كالمشترى والزهرة ونحوهما ﴿يُوقَدُ﴾ «توقد» بالتخفيف: حمزة وعلي وأبو بكر، الزجاجة و «يُوقَدُ» بالتخفيف: شامي ونافع وحفص «وتوقد» بالتشديد: مكى وبصري أي

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله شامي، بكسر الزاي - كسر الزاي في زجاجة ليس في قراءة ابن عامر الشامي، ولا في قراءة أحد من العشرة بل هو قراءة شاذة، قرأه أبو رجاء، ونصر بن عاصم كما في البحر المحيط. و لفظ الكشاف هنا: أراد قنديلاً من زجاج شامي أزهر - اه - فاعتبر الزجاج الشامي أصفى وأزهر. و قيد به، و ليس التقيد في الآية. و لعل في عبارة المدارك سقطاً، و أصل العبارة هكذا: في قنديل من زجاج شامي، و قرئ بكسر الزاي، فسقط لفظ «و قرئ».

(دُرِّيٌّ) بضم الدال، وتشديد الياء - حفص، نافع، ابن كثير، ابن عامر.

(دُرِّيٌّ) بكسر الدال، والهمزة - علي زنة شَرِيْب، و صَدِيْق - أبو عمرو البصري، وعلي الكسائي.

(دُرِّيٌّ) بضم الدال، والهمزة - أبو بكر شعبة، و حمزة - استشكلوا هذه القراءة و قالوا ليس فُعَيْل من أبنية العرب، و أحيب بأن سبويه عدّه من أبنيتهم، و نظيره مُرِّيْق، اسم العُصْفُر لكنه نادر. وقال أبو عبيد: أصله دُرْوٌ، كسُبُوْح، فجعلت الضمة كسرة لاستثقال الضمات، ثم أبدلت الواو ياء كما قالوا في عُتْوٍ، عَتِي (لسان العرب و عناية القاضي)

قوله في زهرته، بفتح الزاي و ضمها مع سكون الهاء: بياضه و حسنه والزُّهْرَةُ اسم الكوكب المعروف، بضم الزاي و فتح الهاء، و تسكينها خطأ. (خفاجي) =

قوله و جاز أن المراد - الخ - هذا يرجع إلى أن المراد بالنور هو الهداية، والحاصل أن الله ذو هداية أهل السموات والأرض، أي الله هاديهم. و هذا التفسير مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أخرجه عنه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات. و قال في تفسير (مثل نوره): مثل هداية في قلب المومن (كمشكاة) يقول: موضع الفتيلة، يقول: كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، و إذا مسته النار ازداد ضوءه على ضوءه. كذلك يكون قلب المومن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا أتاه العلم ازداد هدى على هدى و نوراً على نور. (الدر المنثور)

قوله أي صفة نوره - الخ - المثل في الأصل بمعنى النظير، يقال مَثَلٌ، و مِثْلٌ، و مَثِيلٌ كَشَبَه، و شِبْهُ، و شَبِيهٌ ثم قيل للقول الشائع المشهور الذي استعمل أولاً في موضع، ثم استعمل في مثل ذلك الموضع، و جرى به ضرب المثل، ولا يُضْرَبُ إلا ما فيه غرابة، ثم استعير لكل حال، أو قصة، أو صفة لها شأن و فيها غرابة، مثل قوله تعالى: مثل الجنة التي وعد المتقون، و قوله تعالى: ولله المثل الأعلى (بيضاوي سورة البقرة) فالمثل هنا على ذلك الإطلاق الثالث.

قوله الكوة، بفتح الكاف و ضمها: الطاق ثاقب أي شديد الإضاءة (خفاجي)

هذا المصباح ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ ﴾ أي ابتداءً ثقبه من زيت شجرة الزيتون<sup>(٣٠)</sup> يعني رويت ذبالته بزيتها ﴿ مُبْرَكَةً ﴾ كثيرة المنافع أو لأنها نبتت في الأرض التي بورك فيها للعالمين. وقيل: برك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه السلام ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ بدل من «شجرة» نعتها ﴿ لِأَشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي منبتها الشام يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام. وقيل: ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعاً فهي شرقية وغربية.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾ دهنها ﴿ يَضِيءُ وَوَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ وصف الزيت بالصفاء والوميض وأنه لتألهه يكاد يضيء من غير نار ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ أي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور، وهذا لأن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه. و القنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت و صفاؤه.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

شرح الكشاف أنه على هذا من المركب الوهمي، حيث تصور في المشبه والمشبه به حال منترعة، وهي قوله من حيث إنه محفوف - الخ - فشبّه الهدى المحيط به الضلال بمصباح في ليل مظلم كقوله:

وكان النجوم بين دُجَاهَا سُنن لآخَ بينهنَّ ابتداءً  
و تشبيبه بالمصباح أوفق من تشبيبه بالشمس (لأنه الذي يوقد بالليل، فيدل على الظلمة التي لها دخل في التشبيه - خفاجي)

الثالث أنه تمثيل لما نور الله به قلب المومن من المعارف والعلوم، بنور المشكاة (ففيه مضاف مقدر، أي هو كنور مشكاة) المنبت فيها من مصباحها، و يؤيده قراءة أبي: مثل نور المومن (و هذا الوجه رجحه الطيبي على غيره، و قال: إنه تفسير السلف، و إنه الأنسب بالمقام - اه - و نقل البغوي عن كعب أنه قال: إنه مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح ما فيه من الحكم. و عن الحسن رحمه الله تعالى: الشجرة المباركة شجرة الوحي، يكاد زيتها يضيء، أي القرآن يتضح و إن لم يقرأ، أو شجرة النبوة - اه - والظاهر على هذا أنه تشبيه مفرق، و قيل إنه مركب كالأول، والفرق بينهما في أصل المعنى لا في طريق التشبيه. وإضافة النور إليه تعالى باعتبار السببية. خفاجي)

= (توقد و يُوقد) منبئين للمفعول من الإفعال، و (توقد) فعلاً ماضياً من الفعل، فالقراءات ثلاث والضمير على الأول للزجاجة، و على التذكير للمصباح. (٣٠) قوله ابتداءً، إشارة إلى أن "من" للابتداء، والتقريب الإضاءة رؤيت بتشديد الواو وتخفيفها، أي سقيت ذبالته بضم الذال المعجمة وتخفيف الموحدة، هي الفتيلة (خفاجي) الوميض اللعان، مصدر على زنة فاعيل من باب وعد التلألأ، الإضاءة والإشراق. قال البيضاوي: وقد ذكر في معنى التمثيل (أي في المراد من التشبيه) وجوه.

الأول أنه تمثيل للهدى الذي دلّ عليه الآيات المبينات، في جلاء مدلولها، و ظهور ما تضمنته من الهدى، بالمشكاة المنعوتة (يعني أنه تشبيه مركب بمركب. فشبهت فيه الهيئة المنتزعة بأخرى، والنور و إن كان لفظه مفرداً دال على أمور متعددة، وقوله في جلاء - الخ - متعلق بتمثيل، وهو وجه الشبه، وهو مركب عقلي، كما في شرح الكشاف، والمراد بالآيات، آيات القرآن مطلقاً، أو آيات هذه السورة، وقوله من الهدى، بيان لما تضمنته، وهو مدلولها أيضاً - خفاجي) الثاني أنه تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس و خيالاتهم، بالمصباح، وإنما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها على المصباح (يعني أنه تشبيه مقيد، و في

وضرب المثل يكون بدنيء محسوس معهود لا بعلي غير معاين ولا مشهود فأبو تمام<sup>(٣١)</sup> لما قال في المأمون:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ❁ في حلم أحنف في ذكاء إياس .  
قيل له: إن الخليفة فوق من مثله بهم، فقال مرتجلاً:

لا تنكروا ضربي له من دونه ❁ مثلاً شروداً في الندى والباس  
فالله قد ضرب الأقل لنوره ❁ مثلاً من المشكاة و النبراس

مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

سنة ٥٢١هـ أخبار شجاعته كثيرة، وله شعر جيد مطبوع باسم ديوان عمرو بن معديكرب. الأعلام ٨٦/٥ .  
حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، و زار الشام فتزوج مائة بنت حجر الغسانية. ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء) و أرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الأعلام ١٥١/٢ .

الأحنف بن قيس، أبو بحر، سيد بني تميم، والأحنف لقب له لحنف كان برجله، و اسمه الضحاك. وقيل صخر، أدرك النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يره. و دعا له النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يضرب المثل بحلمه و عقله. توفي بالكوفة سنة سبع و ستين أو اثنتين و سبعين. و رجع هذا الذهبي في تاريخ الإسلام. (إكليل. و أعلام)

إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني، أبو وائلة، قاضي البصرة، أحد أعاجيب الدهر في الفطنة و الذكاء، يضرب المثل بذكائه و زكته، يقال أذكى من إياس، و أزكن من إياس. و الزكن: التفرس في الشيء بالظن الصائب، توفي بواسط سنة ١٢٢هـ و مولده سنة ٥٤٦هـ. الأعلام ٣٣/٢ .

قوله شُرُودًا، أي سائرًا مشتهرًا، و أصله من شرد البعير: نَفَر و بابه دخل - مختار الصحاح. الندى: السخاء البأس: الشجاعة. النبراس: المصباح.

و معنى البيتين : لا تنكروا أنني ضربت للملك الذين دون رتبته مثلاً سائرًا في السخاء و الشجاعة أي كانوا معروفين بهما و صاروا مثلاً، فذكرتهم بطريق المثل في هذه الصفات، و هذا لا يليق بالإنكار لأن الله ضرب لنوره مثلاً ما هو أقل رتبة، أي المشكاة =

(٣١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، الشاعر الأديب أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) و رحل إلى مصر، و استقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه و قدّمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة ٢٣١هـ و مولده سنة ١٨٨هـ و من تصانيفه فحول الشعراء، و ديوان الحماسة، و مختار أشعار القبائل، و له ديوان شعر.

المأمون هو أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، و أحد أعظم الملوك في سيرته و علمه و سعة ملكه، تولد سنة ١٧٠هـ و ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ توفي في (بذنون) و دفن في طرسوس سنة ٢١٨هـ.

واختلف أهل الأخبار في أن هذه القصيدة كانت في مدح المأمون أو المعتصم أو أحمد بن المعتصم، و أبو تمام لم يصل إلى دار الخلافة في عصر المأمون بل استقدمه المعتصم. لكن ثبت قبل ذلك مدحه للمأمون أيضًا.

قوله إقدام عمرو، الخ - أي له الإقدام على الحروب كإقدام عمرو مع جود حاتم و حلم أحنف و ذكاء إياس. (في لمعنى المصاحبة) مدحه بالإقدام على الحروب، و السماحة و الجود، و الحلم، و الذكاء، و شبهه في هذه الصفات بعمرو، و حاتم، و الأحنف، و إياس على الترتيب، لاشتغالهم بالصفات المذكورة. عمرو، أظنه عمرو بن معديكرب الزبيدي، فإنه كان معروفًا بالإقدام، كان فارس اليمن، و صاحب الغارات المشهورة و فد على المدينة سنة ٩هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم و أسلموا، و عادوا توفي

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي لهذا النور الثاقب ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده أي يوفق لإصابة الحق<sup>(٣٢)</sup> من يشاء من عباده بإلهام من الله أو بنظره في الدليل ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيبين كل شيء بما يمكن أن يعلم به. وقال ابن عباس رضي الله عنه: مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن. وقرأ ابن مسعود رحمه الله «مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة» وقرأ أبي «مثل نور المؤمن».

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يتعلق «بمشكاة» أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل: مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت، أو بـ«توقد» أي توقد في بيوت، أو بـ«يسبح» أي يسبح له رجال في بيوت. و«فيها» تكرير فيه توكيد نحو «زيد في الدار جالس فيها» أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت ﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾ أي أمر ﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾ تبنى كقوله: «بِنَهْجٍ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا» [النازعات: ٢٨] «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ» [البقرة: ١٢٧] أو تعظم من الرفعة. وعن الحسن: ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ﴾ يتلى فيها كتابه أو هو عام في كل ذكر ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي يصلي له فيها بالغدوة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وإنما وحد الغدو لأن صلاته صلاة واحدة، وفي الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشي ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

كونه في أقصى مراتب الظهور، إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدائه، دون من عده، عقب ذلك بذكر الفريقين، و تصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء و عدمه. اه. و قال أبو حيان: لما ذكرت الهداية للنور جاء التقسيم لقابل الهداية و عدم قابلها، فبدئ بالمؤمن، و ما تأثر به من أنواع الهدى، ثم ذكر الكافر - اه.

قوله تبنى، تفسير الرفع بالبناء مروى عن مجاهد عند ابن جرير وغيره، و في التنزيل: بناها رفع سمكها فسواها - رفع السمك بيان للبناء قال المصنف في تفسيره: (بنها) أي الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها (فسويها) فعدّلها مستوية بلا شقوق و لا فطور - اه. و قال في تفسير (و إذ يرفع إبراهيم القواعد) هي جمع قاعدة، وهي الأساس والأصل لما فوقه، وهي صفة غالبية، ومعناها الثابتة. و رفع الأساس، البناء عليها، لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع. و تناولت بعد التقاصر - اه. قوله أصل، بضمين كعنق.

= والمصباح. جملة الكلام أن المعنى إذا دق و علا يجرى إفهامه وتقريبه إلى الأذهان بما يدانيه من المحسوسات الكريمة الجليلة، لكن لا يجوز أن يُشَبَّه الشريف العالی بالردليل السافل، فإن تشبيه الشريف بالردليل يدل على التحقير والتذليل، و ذلك قد يجرّ القائل إلى الكفر، و قد يجرّه إلى ما دونه، فيجب التنبه في أمثال المقام.

(٣٢) قوله أي يوفق لإصابة الحق. فسّر به لأن المصنّف اختار أن المراد بالنور هو الحق. كما سبق.

قوله يتعلق بمشكاة - أراد ما يشمل التعلق المعنوي والصناعي، لأنه على الأول صفة.

قوله أو يبسبح، واختاره أبو حيان في البحر المحيط. والجملة مستأنفة حينئذ. قال الخفاجي: و هذا أولى ممّا قبله و ذكر الارتباط أبو السعود قائلاً: لما ذكر شأن القرآن العظيم في بيانه للشرائع والأحكام، و مبادئها و غاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب، و غير ذلك من أحوال الآخرة و أهوالها، و أشير إلى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار، حيث مثل بما فصل من نور المشكاة، و أشير إلى أنّ ذلك النور مع

«يسبح» «يسبح» شامي وأبو بكر ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدو و«رجال» مرفوع بما دل عليه «يسبح» أي يسبح له ﴿لَتَلَهُهُمُ﴾ لا تشغلهم ﴿تِجَارَةً﴾ في السفر ﴿وَلَا يَبِيعُ﴾ في الحضر. وقيل: التجارة الشراء إطلاقاً لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعد ماعم لأنه أوغل في الإلهاء من الشراء لأن الربح في البيعة الرابحة متيقن وفي الشراء مظنون ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ باللسان والقلب ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أي وعن إقامة الصلاة. التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام، فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف، فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ أي وعن إيتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة، أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متثقلين كأولياء العشرة. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي يوم القيامة و«يخافون» حال من الضمير في «تلهيهم» أو صفة أخرى لـ «رجال» ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ يبلوغها إلى الحناجر ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ بالشخص والزرقة أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان كقوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ﴿ق: ٢٢﴾

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي يثيب من يشاء ثواباً لا يدخل في حساب الخلق.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بالشخص والزرقة إشارة إلى ما في الآيات التالية (١) وأندرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين. [غافر - ١٨] ٢- إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. [إبراهيم - ٤٢] ٣- فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا [الأنباء - ٩٧] ٤- يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقًا. [طه - ١٠٢] قوله فكشفنا عنك، في التنزيل: لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد. [ق - ٢٢] جعلت الغفلة كأنها غطاء غطي به جسده كله، أو غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئاً، فإذا كان يوم القيامة تيقظت وزالت عنه الغفلة وغطاؤها، فيبصر ما لم يبصره من الحق، ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديداً لتيقظه - اه - مدارك.

قوله يُسَبِّحُ مبنياً للمفعول، قرأه ابن عامر وشعبة. والباقون مبنياً للفاعل. قوله ورجال مرفوع بما دل - الخ - كقوله:

لِيُبَيِّنَ لِيُزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ  
وَمُخْتَبِطٌ مِّمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

قوله إلى أحد الظروف - الخ - والأولى الذي يلي الفعل، لأن طلب الفعل للمرفوع أقوى من طلبه للمنصوب الفضلة. (البحر المحيط)

قوله في السفر - دفع للإيراد بالتكرار بحمل التجارة على ما يكون في السفر، وحمل البيع على الحضر، وبتخصيص التجارة بالشراء بقرينة المقابلة وبأن ذكر البيع ذكر للخامس بعد العام لفائدة.

قوله أوغل أي أدخل قوله يبلوغها إلى الحناجر وقوله

هذه صفات المهتدين بنور الله فأما الذين ضلوا عنه<sup>(٣٣)</sup> فالمذكورون في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ﴿بِقَيْعَةٍ﴾ بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ﴾ يظنه العطشان ﴿مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ أي جاء إلى ما توهم أنه ماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ كما ظنه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ﴾ أي جزاء الله كقوله: ﴿يَجِدُ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] أي يجد مغفرته ورحمته ﴿عِنْدَهُ﴾ عند الكافر ﴿قُوَّةً حِسَابَهُ﴾ أي أعطاه جزاء عمله وافيًا كاملاً. ووجد بعد

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الواقع في التمثيل، وإما للحمل على كل واحد منهم، وكذا أفراد ما يرجع إلى أعمالهم. وهذا الوجه اختاره العلامة أبو السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم".

(٢) الوجه الثاني ما اختاره في الكشاف و تبعه المصنّف بأن خصّ الظمان بالكافر الذي يرى السراب بالساهرة، وقد غلبه عطش يوم القيامة - الخ - فجعل الظمان هو الكافر، حتى تتحد الضمائر في جاءه، ولم يجده، ووجد، وفوفاه لشخص واحد.

واعترض على الوجه الأول بأن فيه تفكيك الكلام والمغايرة بين الضمائر، وجعل بعضه مفصلاً عن بعض، وعلى الوجه الثاني بأنه تشبيه الشيء بنفسه بعد جعل الظمان هو الكافر، وأجيب بأنه تشبيه عامة الكفرة بفرد خاص منهم فصل حاله، فليس تشبيه الشيء بنفسه. ويمكن مثل هذا الجواب عن الوجه الأول أيضاً، مثل أن يقال: لا بأس بمغايرة الضمائر فإن أول الكلام كان للمشبه به، لكن أحواله راجعة إلى المشبه، فذكر خيبة الظمان حين وصوله إلى موضع السراب يوضح حال الكافر ويبين خيبته حين وصوله إلى الآخرة، ولغاية ظهوره ترتب آخر الكلام على هذا الكافر الخائب. ولا تفكيك أصلاً حيث كان المقصود بيان حال المشبه، وقد حصل. بعضه بالتشبيه، وبعضه بذكر حال السيئة أصالة. فالكلام كله منتظم في إيضاح حاله من الخيبة والهلاك.

(٣) الوجه الثالث اختاره أبو حيان في البحر المحيط، وهو أن الضمائر كلها للظمان. يقول: والذي يظهر لي أنه تعالى شبه أعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب صفته كذا، وأن الضمائر فيما بعد الظمان له. والمعنى في (ووجد الله عنده) أي: ووجد مقدور الله عليه من=

قوله فأما الذين ضلوا عنه - مثل لهم ولأعمالهم مثلين: أحدهما يقتضي بطلان أعمالهم في الآخرة، والثاني يذكر حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة. أما التشبيه الأول ففي تفسيره ثلاثة وجوه. (١) الكافر الذي له عمل من أبواب البر كصلة الأرحام. وفك الأسارى، وسقاية الحاج، و عمارة البيت، وإغاثة الملهوفين، و قرى الأضياف ونحو ذلك مما لو كان مع الإيمان لاستتبع الثواب، لكنه للكافر كسراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. كذلك الكافر يظن عمله نافعا حتى إذا جاء في الآخرة لم ينفعه عمله شيئاً، هنا تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل. وقوله تعالى (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة، لئلا يتوهم أن قضارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمان، ويظهر أنه يعتر بهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخبية أصلاً - فليست الجملة معطوفة على "لم يجده شيئاً" - بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً كما في قوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة. لم يجدوها شيئاً. ووجدوا الله - أي حكمه وقضاه عند المحيي، وقيل عند العمل، فوفاهم أي أعطاهم وافيًا كاملاً حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة و جزاءها. فإن اعتقادهم نفعها بغير إيمان، وعملهم بموجبه كفر على كفر، موجب للعقاب قطعاً - وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما لإرادة الجنس كالظمان



تقدم الجمع حملاً على كل واحد من الكفار ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ لأنه لا يحتاج إلى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب، أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب. شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونهم إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣] ﴿وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمساً للدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر.

﴿أَوْ كَظَلَمْتِ فِي بَحْرٍ﴾ «أو» هنا كـ «أو» في «أَوْ كَصَيْبٍ»<sup>(٣٤)</sup> ﴿تُجِي﴾ عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر ﴿يَغْشَى﴾ يغشى البحر أو من فيه أي يعلوه ويغطيه ﴿مَوْجٍ﴾ هو ما ارتفع من الماء ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ من فوق الموج الأعلى سحاب ﴿ظَلَمْتِ﴾ أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر ﴿بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على ظلمة السحاب على الموج ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ أي الواقع فيه ﴿لَمْ يَكِدْ يُرِيهَا﴾ مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها، شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد من

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

النون، و تخفيف الياء المفتوحة و قال الكسائي: واحدها زبني (مثل هندي) يعتلونهم: يقودونه بغنف (ض) الحميم: الماء الحار الذي انتهى حره - الغساق: صديد أهل النار عاملة ناصبة تعمل ما تنصب وتتعب فيه، ولا تنتفع به شيئاً. قوله قيل نزلت في عتبة - الخ - حكاه البغوي في المعالم عن مقاتل.

(٣٤) قوله أو هنا - الخ - و في أنوار التنزيل: للتخيير، أو التنويع، أو التقسيم. قال: و أو للتخيير فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب، و لكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من ليج البحر والأمواج، والسحاب - أو للتنويع، فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب، و إن كانت قبيحة فكالظلمات - أو للتقسيم باعتبار وقتين، فإنها كالظلمات في الدنيا، و كالسراب في الآخرة - اه -

= الهلاك بالظلمة عنده أي عند موضع السراب. (فوفاه) ما كتب له من ذلك، وهو المحسوب له، والله معجل (حسابه) لا يؤخره عنه. فيكون الكلام متناسقاً آخذاً بعضه بعنق بعض، و ذلك باتصال الضمائر لشيء واحد، و يكون هذا التشبيه مطابقاً لأعمالهم من حيث إنهم اعتقدوها نافعة فلم تنفعهم و حصل لهم الهلاك بإثر ما حوسبوا. اه.

قال الخفاجي: ولو قيل إنه من تنمة وصف السراب، والمعنى وجد مقدوره تعالى من الهلاك بالظلمة عند السراب، فوفاه ما كتب له من لا يؤخر الحساب كان الكلام متناسباً. فتدبر. اه.

قوله يسرب (ن) سرب الماء سروباً: جرى. الساهرة: وجه الأرض - زبانية - بفتح الزاء، من الزبن بمعنى الدفع، سمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها، قال قتادة: الزبانية عند العرب الشرط، والواحد: زبنيّة بكسر الزاي، و إسكان الباء، و كسر

خدعه من بعيد شيئاً ولم يكفه خيبة وكمداً أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ من لم يهده الله لم يهتد. عن الزجاج. في الحديث: «خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل».

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾<sup>(٣٥)</sup> ألم تعلم يا محمد علماً يقوم مقام العيان في الإيقان ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ ﴾ عطف على «من» ﴿ صَفَّتْ ﴾ حال من «الطير» أي يصفن أجنحتهن في الهواء ﴿ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾ الضمير في «علم» لـ «كل» أو لله، وكذا في صلاته وتسيبحه. والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسيبحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ لا يعزب عن علمه شيء ﴿ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لأنه خالقهما ومن ملك شيئاً فبتمليكه إياه ﴿ وَاللَّهُ الْبَصِيرُ ﴾ مرجع الكل.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ ﴾ يسوق إلى حيث يريد ﴿ سَحَابًا ﴾ جمع سحابة دليله ﴿ ثُمَّ يُورِثُ بَيْنَهُ ﴾ وتذكيره للفظ أي يضم بعضه إلى بعض ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾ متراكماً بعضه فوق بعض ﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾ المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ ﴾ من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل ﴿ وَيَنْزِلُ ﴾ (وينزل) مكي ومدني وبصري ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ لا ابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء ﴿ مِنْهُنَّ ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والأرض إذا طارت، فهي خارجه من جملة من في السموات والأرض حال طيرانها. قوله الضمير في علم لكل أو لله - الخ - والمعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسيب نفسه، فهو يثابر عليهما ويؤديهما - قاله الحسن البصري - أو كل قد علم صلاة الله، و تسيب الله الذين أمر بهما و هدى إليهما. فهذه إضافة خلق إلى خالق. وقال الزجاج وغيره: كل قد علم الله صلواته وتسيبته، فالضميران للكل. (المحرر الوجيز لابن عطية) والمراد بكل، كل واحد مما ذكر أو من الطير. (بيضاوي)

قوله "ولم يبعده" الخ - يشير إلى اختيار أن تسيب الطير حقيقي. قوله لا يعزب (ن، ك، ض) لا يغيب قوله فتوقه، جمع فتق (ض، ن) وهو الشق. قوله ينزل، بإسكان النون وتخفيف الزاي من الإفعال، ابن كثير المكي، و أبو عمرو البصري، ويعقوب من العشرة، والباقون بفتح النون، وتشديد الزاي. ولعل ذكر =

قوله كمداء، في المصباح المنير للفيومي: الكمد بفتحين، الحزن المكتوم، وهو مصدر من باب تعب، وصاحبه كمد، وكمد - اه.

(٣٥) لما وصف أنوار قلوب المؤمنين، و ظلمات قلوب الجاهلين أتبع ذلك بدلائل التوحيد. وهي ثلاثة أنواع النوع الأول، الاستدلال بأحوال من في السموات والأرض، النوع الثاني: الاستدلال بالآثار العلوية، النوع الثالث: الاستدلال بأحوال الحيوانات. (مفاتيح الغيب) والخطاب في "ألم تر" للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والمراد الكل (قرطبي) والتسيب إما محمول على الحقيقة، أو من في السموات والأرض مخصوص بالمطيعين. أو المراد من التسيب الدلالة على كونه تعالى منزها عن النقائص، موصوفاً بنعوت الجلال. و "من" عام لكل موجود. والتعبير بمن تغليباً للعقلاء، أو تنزيلاً لكل دال على نزاهته و كماله منزلة العاقل. و تخصيص الطير بالذكر لأنها تكون بين السماء

جِبَالٍ ﴿من﴾ للتبعيض<sup>(٣٦)</sup> لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي ﴿فِيهَا﴾ في السماء ﴿مِنْ بُرْدٍ﴾ للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض، ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها. وعلى الأول مفعول «ينزل» «من جبال» أي بعض جبال فيها ومعنى «من جبال فيها من برد» أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال «فلان يملك جبلاً من ذهب» ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يصيب الإنسان وزرعه ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ فلا يصيبه أو يعذب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء فلا يعذبه ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ ضوءه ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ يخطفها به (يُذْهِبُ) يزيد على زيادة الباء. ﴿يَقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يصرفهما في الاختلاف طولاً وقصراً والتعاقب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في أجزاء السحاب وإنزال الودق والبرد وتقلب الليل والنهار ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لذوي العقول. وهذا من تعدد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السماوات والأرض وما يطير بينهما ودعاؤهم له وتسخير السحاب إلى آخر ما ذكر، فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر.

ثم بين دليلاً آخر فقال تعالى. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ﴾ «خالق كل» حمزة وعلي ﴿دَابَّةٍ﴾ كل حيوان يدب<sup>(٣٧)</sup> على وجه الأرض ﴿مِّنْ مَّاءٍ﴾ أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ثلجاء، وإلا نزل برّداً. وقد يبرد الهواء برّداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً، وينزل منه المطر أو الثلج. وكل ذلك لا بد وأن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالتها وأوقاتها. وإليه أشار بقوله (فصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء) قوله ضوءه أي ضوء برقه، والسنا مقصوراً - بمعنى الضوء، ومدوداً بمعنى العلو والشرف. وهنا مقصور في القراءات المشهورة. وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث إنه توليد الضد من الضد - أي البرق الذي هو نار أو منير من السحاب الذي هو ماء منعقد، أو ظلمة من نور، أو ذهاب البصر من النور الذي به الإبصار. (بيضاوي وخفاجي) (٣٧) قوله يدب، بالكسر، من ضرب. وفي شرح التلخيص في بيان أن التنكير قد يكون للإفراد والنوعية نحو (والله خلق كل دابة من ماء): أي كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة، وهي نطفة أبيه المختصة به (والكلام مبني على الغالب، فلا يرد ما أورد - تجريد) أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه، وهو نوع النطفة التي تختص بذلك النوع من الدواب. اهـ.

= المدني مع المكّي والبصري خطأ الناسخ. (٣٦) قوله في من الثلاثة. (١) من الأولى، للابتداء، والثانية للتبعيض، والثالثة للبيان. والمعنى ينزل من السماء بعض جبال برد. (٢) من الأولى والثانية للابتداء - على أن الجار والمجرور (من جبال) بدل الاشتمال أو بدل البعض - والثالثة للتبعيض، وهو المفعول به، فالمعنى: ينزل بعض برد من السماء، من جبال فيها. قوله أن يخلق الله في السماء - الخ - وفي تفسير البيضاوي (من السماء) من الغمام، وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها (من برد) بيان للجبال - ثم قال) وقيل: المراد بالسماء المظلمة، وفيها جبال من برد، كما في الأرض جبال من حجر. وليس في العقل قاطع يمنعه. والمشهور (أي بين الحكماء) أن الأبخرة إذا تصاعدت، ولم تحلّلها حرارة، فبلغت الطبقة الباردة من الهواء، وقوي البرد هناك اجتمع و صار سحاباً. فإن لم يشتد البرد تقاطر مطرا وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل

من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها أناسي وهو كقوله: (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) [الرعد: ٤] وهذا دليل على أن لها خالقاً ومدبراً وإلا لم تختلف لإتفاق الأصل. وإنما عرف الماء في قوله: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» [الأنبياء: ٣٠] لأن المقصود ثم أن أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وأنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط. قالوا: إن أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين، فخلق من النار الجن، ومن الريح الملائكة، ومن الطين آدم ودواب الأرض، ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحية والحيوت. وسمي الزحف على البطن مشياً استعارة كما يقال في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر، أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع المشيين ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم وقدم ما هو أعرق في القدرة وهو المشي بغير آلة مشي من أرجل أو غيرها ثم المشي على رجلين ثم المشي على أربع ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ كيف يشاء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَوْدِيٌّ﴾ لا يتعذر عليه شيء. ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بلطفه ومشيبته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى دين الإسلام الذي يوصل إلى جنته والآيات لإلزام حجته.

لما ذكر إنزال الآيات، ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق: فرقة صدقت ظاهراً وكذبت باطناً وهم المنافقون، وفرقة صدقت ظاهراً وباطناً وهم المخلصون، وفرقة كذبت ظاهراً وباطناً وهم الكافرون على هذا الترتيب. وبدأ بالمنافقين فقال: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ الله والرسول ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ﴿وَمَا أَوْلِيكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي المخلصين وهو إشارة إلى القائلين آمنا، وأطعنا، لا إلى الفريق المتولي وحده. وفيه إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا اعتقادهم ما يعتقد هؤلاء. والإعراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالإعراض من كلهم. (٣٨)

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المشبه به موضع المشبه. قوله المشاكلة وهي - في علم البديع - ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا نحو دناهم كما دانوا - أي جزيناهم كما صنعوا.

قوله أعرق من العرقا، وهي الأصالة. والعرق: الأصل. (٣٨) وفي تفسير البيضاوي (وما أولئك... ) إشارة إلى القائلين بأسرهم... أو إلى الفريق منهم - اه - وهم المذكورون بقوله فريق منهم، وضمير يقولون =

قوله هوام بالتشديد، جمع هامة اسم لخشاش الأرض وحشراتهما، ويطلق على القمل ونحوه أيضاً.

قوله يسقى بالياء، ابن عامر وعاصم ويعقوب، أي ما ذكره بالتاء الباقون، أي الجنات وما فيها بماء واحد، وفضل بالنون. وحمزة، وعلي، وخلف بالياء بعضها على بعض في الأكل بسكون الكاف مكى ومدني والباقون بضمها أي في الثمر، قدرا وشكلاً وطعمًا ورائحة. قوله استعارة، أي شبه الزحف بالمشي، و ذكر

﴿وَأِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي إلى رسول الله كقولك «أعجبيني زيد وكرمه» تريد كرم زيد ﴿لِيُحَكِّمَ﴾ الرسول ﴿بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِقَ مِنْهُمْ مَعْرُوضُونَ﴾ أي فاجأ من فريق منهم الإعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمداً يحيف علينا ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي إذا كان الحق لهم على غيرهم ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾ إلى الرسول ﴿مُدْعَيْنَ﴾ حال أي مسرعين في الطاعة طلباً لحقهم لا رضا بحكم رسولهم. قال الزجاج: الإذعان الإسراع مع الطاعة. والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومتهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

عليه وسلم فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرض بقضائه. فقال للمنافق: أ كذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد. ثم قال: هكذا أفضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله. فنزلت. (الدر المنثور) و أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن الحسن، قال: إن الرجل كان يكون بينه وبين الرجل خصومة أو منازعة على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا دعي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محق أذعن و علم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سيقضي له بالحق. وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعرض، وقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله. (و إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) إلى قوله (هم الظالمون) فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه إلى حكم من حكام المسلمين، فلم يجب فهو ظالم لا حق له. وأخرج الطبراني عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له. (الدر المنثور)

= للمومنين مطلقاً. (خفاجي)

قوله أي إلى رسول الله - الخ - و ذكر الله تعالى لتعظيمه، والدلالة على أن حكمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الحقيقة حكم الله تعالى (بيضاوي) لأنه إذا ذكر اسمان متعاطفان، والحكم إنما هو لأحدهما - كما قرره في نحو يخادعون الله والذين آمنوا، و سرنى زيد و حسن حاله - أفاد قوة اختصاص المعطوف بالمعطوف عليه، و أنهما بمنزلة شيء واحد بحيث يصح نسبة أوصاف أحدهما و أحواله إلى الآخر. ولا كذلك البدل في نحو أعجبنى زيد كرمه، لأن الثاني مقصود بالنسبة - الخ - (خفاجي)

قوله أي فاجأ - الخ - بيان لأن "إذا" فجائية.

قوله نزلت في بشر المنافق ، الخ سبقت القصة في سورة النساء في سبب نزول (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك. يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - إلى قوله - رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً.)

أخرجه الثعلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون - الآية) قال نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، خاصم يهودياً، فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و دعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف. ثم إنهما احتكما إلى النبي صلى الله تعالى

أو خائفين الحيف في قضائه. ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفة بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة إليه. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وعن الحسن «قول» بالرفع، والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسماً لكان أو غلها في التعريف وأن يقولوا أو غل بخلاف «قول المؤمنين» ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام «لِيُحْكَمَ» يزيد أي ليفعل الحكم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بحكم الله الذي أنزل عليه ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَقَوْلَهُ﴾ قوله ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمره ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في فرائضه ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في سننه ﴿وَيَخْشِ اللَّهَ﴾ على ما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ فيما يستقبل<sup>(٣٩)</sup> ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية. وهي جامعة لأسباب الفوز «ويتقه» بسكون الهاء: أبو عمرو وأبو بكر بنية

#### مواليد المليل لتجلية مدارك التنزيل

بخلاف «قول المؤمنين» لأنه إذا عُزل عن الإضافة وقيل «قول للمؤمنين» عاد نكرة - (إكليل بتغيير) قوله ليحكم يزيد - بالبناء للمفعول، وكذا في الآية ٤٨، والباقون ليحكم، بالبناء للفاعل في الموضعين. قوله لِيُفْعَلَ الحكم - يعني: الفعل مسند إلى المصدر، ومثله جُمع بينهما، و ألف بينهما، ومثله لقد تَقَطَّعَ بينكم فيمن قرأ «بينكم» منصوباً. أي وقع التقطع بينكم. (كشاف)

(٣٩) قوله فيما يستقبل، لأن الاتقاء يكون في الآتي، بخلاف الخشية. (خفاجي)

قوله ويتقه بسكون الهاء - الخ - قال سيدي علي النوري الصفاقسي في «غيث النفع في القراءات السبع» قرأ قالون، و حفص، و هشام - بخلف عنه - بكسر الهاء من غير إشباع، إلا أن حفصاً يسكن القاف قبلها. والبصري، و شعبة، و خلاد - بخلف عنه - بإسكان الهاء. و ورش، و المكي، و ابن ذكوان و خلف، و علي بإشباع كسرة الهاء. وهو الطريق الثاني، لهشام و خلاد - اه - فالقراءات هكذا:

(١) يَتَّقِهِ - بسكون القاف، و بدون إشباع كسرة الهاء. حفص (٢) يَتَّقِهِ - بكسر القاف و بدون إشباع كسرة الهاء. قالون، و هشام في طريق له. (٣) يَتَّقِهِ - بكسر القاف. و إسكان الهاء. أبو عمرو، شعبة، خلاد في طريق له (٤) يَتَّقِهِ - بكسر القاف و إشباع =

قوله تعالى (و إذا دعوا ... و إن يكن لهم الحق) - التعبير بإذا في جانب الباطل إشارة إلى تحققه. بخلاف جانب الحق. فلذا عبّر فيه بـ (خفاجي) قوله يحيف. الحيف: الميل في الحكم والجنوح إلى أحد الجانبين، (يخافون أن يحيف) أي يخافون أن يجور في حكمه (مفردات) و بابه ضرب.

قوله البَحْتُ، بفتح فسكون: الخالص، وهو في الأصل مصدر بَحْتُ من كرم قوله أحداقهم. الحَدَقَةُ السواد المستدير وسط العين. وقال الجوهري: حَدَقَةُ العين: سَوَادُهَا الْأَعْظَمُ، وَالْجَمْعُ حَدَقٌ، وَأَحْدَاقٌ، وَحِدَاقٌ (لسان العرب) و قضى له: حكم موافقاً له، و قضى عليه: حكم خلافاً له. فمعنى قوله. يمتنعون عن المحاكمة إليك. الخ - يُعرضون عن مرافعة القضية إليك إذا غلب و علاهم الحق مخافة أن تنتزع من أحداقهم أي تُخرجه من أيديهم بأن تقضي خلافاً لهم و موافقاً لخصومهم.

قوله والنصب أقوى على أن (قول المؤمنين) خبر مقدم لكان، و (أن يقولوا) اسم مؤخر لها قوله أو غل أي أدخل. لأن الفعل المُصَدَّرُ بأن المصدرية في تأويل المصدر المضاف إلى الفاعل، فإذا كان فاعله معرفة - كما في هذا المقام - كان في معنى المصدر المضاف إلى المعرفة، فيكون معرفة، ولا سبيل إلى تنكيه لأن عزل الفعل عن فاعله غير متصور،

الوقف، وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلصة: حفص، وبكسر القاف والهاء، غيرهم. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي حلف المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودهم. وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من قال بالله فقد جهد يمينه. وأصل «أقسم جهد اليمين» «أقسم يجهد اليمين جهداً» فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول كقوله: «فَضْرَبَ الرِّقَابَ» [محمد: ٤] وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم ﴿لَيْنَ أَمْرَتُهُمْ لِيُخْرَجْنَ﴾ أي لئن أمرنا محمد بالخروج إلى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا ﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا﴾ لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة، مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ صرف الكلام عن الغيبة<sup>(٤٠)</sup> إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ في تبيكيتهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ يريد فإن تولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حملة الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا﴾ أي وإن أطعتموه فيما يأمركم وبينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى، فالضرر في توليكم والنفع عائدان إليكم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ وما على الرسول إلا أن يبلغ ما له نفع في

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

فحذف الفعل (أي اضربوا) وقدم المصدر (أي ضربا) فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول - الخ - (مدارك - سورة القتال - الآية ٤) قوله كأنه قال - الخ - والأصل: أقسموا بالله يجهدون أيمانهم جهداً، يجهدون حال. حذف هذا الفعل، وقدم المصدر (جهداً) مضافاً إلى المفعول فصار "جهداً أيمانهم" ولما ناب مناب فعله أخذ حكمه قوله أمثل أي أفضل قوله الخالص على وزن "سجد" جمع خالص. (٤٠) قوله صرف الكلام عن الغيبة - الخ - يتعلق بما يأتي أي قوله فإن تولوا قوله تبيكيتهم أي تقريرهم وتوبيخهم.

= كسرة الهاء - ورش، ابن كثير، ابن ذكوان، خلف، الكسائي، هشام وخلاد في طريق آخر لهما. قوله بسكون القاف، وكسر الهاء مختلصة (أي بغير إشباع) فأعطى "نقه" حكم "كتف" لكونه على وزنه، فخفف بتسكين وسطه، لجعله ككلمة واحدة، وقال ابن الأنباري: إنه لغة لبعض العرب في كل معتل حذف آخره، يجعله منسياً ويعطي حكم الآخر لما قبله، فيقولون: لم أر ولم أُل بسكون الراء واللام. فلا يختص بهذا الوزن. (خفاجي) قوله فضرب الرقاب. أصله فاضربوا الرقاب ضرباً،

قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم. والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية، والمبين الظاهر لكونه مقروناً بالآيات والمعجزات.

ثم ذكر المخلصين فقال ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن معه و «منكم» للبيان. وقيل: المراد به المهاجرون و «من» للتبويض ﴿لَيْسَتْ خَلْفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض الكفار. وقيل: أرض المدينة. والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام: ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ «استخلف»<sup>(٤١)</sup> أبو بكر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ بالتخفيف: مكي وأبو بكر ﴿مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام، وتمكينه تثبيتته وتعظيمه وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسكون فيه حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام «لا تغربون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتياً ليس معه حديدة» فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا أبعاد بلاد المشرق و المغرب و مزقوا ملك الأكاسرة و ملكوا خزائهم و استولوا على الدنيا. والقسم المتلقى باللام و النون في «ليست خلفتهم» محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليست خلفتهم، أو نزل وعد الله في تحققة منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل: أقسم الله

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والضياء في المختارة عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و أصحابه المدينة، و أوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح و لا يُصبحون إلا فيه، فقالوا أترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله؟ فنزلت (وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصلحت...)- الدر المنثور قوله عشر سنين، و في الدر المنثور «نحوًا من عشر سنين» فترك الكسر، و مدة مكثهم بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة. قوله لا تغربون. غير غبورًا بمعنى بقي و بمعنى مضى، وهو من الأضداد، و بابه نصر الأكاسرة، جمع كسرى، لقب لكل من ملك الفرس.

قوله ماله نفع في قلوبكم و في نسخة الكشاف "ماله نفع في قبولكم".  
(٤١) قوله استخلف، على البناء للمفعول، قرأه أبو بكر شعبة بن عياش، والباقون بالبناء للفاعل.  
قوله وليبدلنهم بالتخفيف، من الإبدال، ابن كثير و شعبة، والباقون من التبديل. قوله تعضيد: تقوية.  
قوله سربهم بفتح فسكون: الطريق. يُؤمن سربهم يجعله في الأمن.  
قوله وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم- الخ - أخرج نحوه عبد بن حميد، و ابن أبي حاتم عن أبي العالية - و أخرج ابن المنذر، والطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل،



ليستخلفنهم<sup>(٤٢)</sup> ﴿يَعْبُدُونِي﴾ إن جعلته استئنافاً فلا محل له كأنه قيل: ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال: يعبدونني موحدين، وإن جعلته حالاً عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فمحلّه نصب ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدين، ويجوز أن يكون حالاً بدلاً من الحال الأولى. ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى: «فَكَفَرْتَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ»<sup>(٤٣)</sup> [النحل: ١١٢] ﴿قُلْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها. قالوا: أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا إخواناً وزال عنهم الخوف، والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم.<sup>(٤٤)</sup> ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ معطوف على «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» ولا يضر الفصل وإن طال ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما يدعوكم إليه وكررت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أي لكي ترحموا فإنها من مستجلبات الرحمة. ثم ذكر الكافرين فقال: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها، فالتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان «الذين

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٤٢) و «ما» في (كما استخلف) مصدرية، وهو صفة (٤٤) قال البيضاوي : إذ لم يجتمع الموعود، و الموعود عليه لغيرهم بالإجماع - اه - وقال الإمام: دلت الآية على إمامة الأئمة الأربعة، وذلك لأنه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو المراد بقوله (ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) و أن يمكن لهم دينهم المرضي، وأن يبدلهم بعد الخوف أمناء، ومعلوم أن المراد بهذا الوعد بعد الرسول هولاء، لأن استخلاف غيره لا يكون إلا بعده، ومعلوم أنه لا نبي بعده لأنه خاتم الأنبياء، فإذا المراد بهذا الاستخلاف طريقة الإمامة، ومعلوم أن بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه إنما كان في أيام أبي بكر وعمر وعثمان ، لأن في أيامهم كانت الفتوح العظيمة، وحصل التمكين، و ظهور الدين والأمن، ولم يحصل ذلك في أيام علي رضي الله تعالى عنه، لأنه لم يتفرغ لجهاد الكفار، لاشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصلاة، فثبت بهذا دلالة الآية على صحة خلافة هولاء. الخ. (مفاتيح الغيب)

(٤٣) أخرج عبد بن حميد عن أبي العالية (و من كفر بعد ذلك) قال: كفر بهذه النعمة، ليس الكفر بالله. (الدر المنثور)

قوله هم الكاملون . توجيه للحصر بأنه باعتبار الكمال (خفاجي) الجسيمة: العظيمة جسروا (ن) جسر على الأمر. أقدم غمط، بفتح فسكون (ض س) غمط النعمة: لم يشكرها.

قوله قتلة عثمان. أخرج البغوي بسنده في معالم التنزيل، قال عبد الله بن سلام في عثمان: إن الملائكة لم تزل محيطة بمدبنتكم هذه منذ قدمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اليوم، فو الله لئن قتلتموه ليذهبون ثم لا يعودون أبداً، فو الله لا يقتلنه رجل منكم إلا لقي الله أجذم لا يدله، وإن سيف الله لم يزل مغموداً عنكم، والله لئن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يعمده عنكم، إما قال: أبداً، وإما قال: إلى يوم القيامة، فما قتل نبي إلا قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً. اه.

كفروا» و «معجزين» وبالياء شامي وحمزة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان «الذين كفروا» و «معجزين» ﴿وَمَا وَهُمْ النَّارُ﴾ معطوف على «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ» كَأَنَّهُ قِيلَ: الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَفُوتُونَ اللَّهَ وَمَا وَهُمْ النَّارُ ﴿وَلَيْسَ الْمَصِيئَةُ﴾ أي المرجع النار. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٤٥)</sup> لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿أمر بأن يستأذن العبيد والإماء﴾ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبِغُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ ﴿أي الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار، وقرية بسكون اللام تخفيفاً﴾ تِلْكَ مَرَاتٌ ﴿في اليوم واللييلة وهي﴾ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ﴿لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة﴾ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ ﴿وهي نصف النهار في القِيظ لأنها وقت وضع الثياب للقبولة﴾ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ﴿لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم﴾ تِلْكَ عَوْرَاتُ لَكُمْ ﴿أي هي أوقات ثلاثة عورات فحذف المبتدأ والمضاف. وبالنصب: كوفي غير حفص بدلاً من «ثلاث مرات» أي أوقات ثلاث عورات. وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها، والعورة: الخلل ومنها الأعور المختل العين. دخل غلام من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت الظهرية وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه: وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بالإذن، فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية. ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ أي لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن. ثم بين

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله بالياء (لا يحسبن) شامي وحمزة، و السين مفتوحة، والباقون بالتاء، إلا أن غير عاصم و أبي جعفر بكسر السين (لا تحسبن) قوله كأنه قيل: الخ - بين به أن الجملة الفعلية السابقة وإن كانت إنشائية لفظاً لكنها خبرية معنى، فلا كلام في صحة العطف. ومذهب سيبويه صحة العطف مع اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً، وهو الصحيح. (البحر المحيط)

(٤٥) قوله يأيها الذين آمنوا - رجوع إلى بيان تنمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها، وفي الأحكام اللاحقة من التمثيلات، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والخطاب. إنا للرجال خاصة، والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص، أو للفريقين جميعاً بطريق التغليب (أبو السعود)

قوله و قرئ - قرأ الحسن، و أبو عمرو في رواية، و

طلحة (الحلم) بسكون اللام، وهي لغة بني تميم (البحر المحيط)

قوله اليقظة، بفتححات: الانتباه من النوم قوله القِيظ، بفتح فسكون: شدة الحر وفصل الصيف (المصباح المنير)

قوله دخل غلام من الأنصار. نقله الثعلبي، والواحدى، والبغوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا سند. (تخریج أحاديث الكشاف) وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا أن رجلاً من الأنصار و امرأته أسماء بنت مرشدة صنعا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم طعاماً. فقالت أسماء: يا رسول الله ما أقبح هذا، إنه ليدخل على المرأة و زوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن. فأنزل الله في ذلك. (يأيها الذين آمنوا) لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) قال: من أحراركم من الرجال والنساء. (الدر المنثور)

قوله بالياء (لا يحسبن) شامي وحمزة، و السين مفتوحة، والباقون بالتاء، إلا أن غير عاصم و أبي جعفر بكسر السين (لا تحسبن) قوله كأنه قيل: الخ - بين به أن الجملة الفعلية السابقة وإن كانت إنشائية لفظاً لكنها خبرية معنى، فلا كلام في صحة العطف. ومذهب سيبويه صحة العطف مع اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً، وهو الصحيح. (البحر المحيط)

(٤٥) قوله يأيها الذين آمنوا - رجوع إلى بيان تنمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها، وفي الأحكام اللاحقة من التمثيلات، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والخطاب. إنا للرجال خاصة، والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص، أو للفريقين جميعاً بطريق التغليب (أبو السعود)

قوله و قرئ - قرأ الحسن، و أبو عمرو في رواية، و

العلة في ترك الاستئذان في هذه الأوقات بقوله: ﴿طُوفُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي هم طوافون بحوائج البيت ﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف للدلالة «طوافون» عليه، ويجوز أن تكون الجملة بدلاً من التي قبلها وأن تكون مسيئة مؤكدة يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام، فلوجزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ في بيان مراده.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾ أي الأحرار دون المماليك ﴿الْحُلُمَ﴾ أي الاحتلام أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا» الآية. والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفظموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن، والناس عن هذا غافلون، وعن ابن عباس<sup>(٤٦)</sup> رضي الله عنه: ثلاث آيات جحدهن الناس: الإذن كله وقوله: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ» [الحجرات: ١٣] «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ» [النساء: ٨]. وعن سعيد بن جبيرة: يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح الأنام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يبين من الأحكام.

﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ جمع قاعد لأنها من الصفات المختصة بالنساء<sup>(٤٧)</sup> كالطالق والحائض

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

ينسخ، وقيل: كان واجباً في الابتداء ثم نسخ بآية الميراث. والقول المعروف: عذر جميل و عدة حسنة، وقيل: أن يقولوا لهم خذوا برك الله عليكم و يستقلوا (يعتدوا قليلاً) ما أعطوهم، ولا يمتنوا عليهم. كذا أفاد المصنف في سورة النساء.

قوله: و عن سعيد بن جبيرة: أخرج نحوه ابن جرير عن الشعبي و عن سعيد بن جبيرة رضي الله تعالى عنهما. (٤٧) و مثل هذه الصفات لا تزداد فيها تاء التانيث، لأن المادة و جوهر اللفظ إذا دل على التانيث لم يحتاج إلى الدلالة عليه بشيء زائد. لكن جمعها يأتي كجمع ذوات التاء.

قوله جزم الأمر، أي قطع قوله أن يفظموا، أي يقطعوا، وأصله في القطع عن الرضاع. (٤٦) قوله عن ابن عباس. الخ. أخرجه ابن جرير - وفيه: وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتاً - (قال عطاء:) و نسيت الثالثة. و أخرجه ابن أبي حاتم - وفيه ذكر الثالثة. و لفظه: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن. قوله وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمسكين فارزقوهم منه و قولوا لهم قولاً معروفاً. (٨- النساء) أي إذا حضر قسمة التركة أهل القرابة ممن لا يرث، واليتامى والمسكين من الأجانب فأعطوهم مما ترك الوالدان والأقربون، و هو أمر ندب، وهو باق لم

أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ مِنَ النَّسَاءِ ﴾ حال ﴿ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ لا يطمعن فيه وهي في محلّ الرفع صفة للمبتدأ وهي القواعد والخبر ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ ﴾ إثم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الألف واللام ﴿ أَنْ يَضَعْنَ ﴾ في أن يضعن ﴿ ثِيَابَهُنَّ ﴾ أي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار ﴿ غَيْرَ ﴾ حال ﴿ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ أي غير مظهرات زينة، يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لا يقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف، وحقيقة التبرج يكلف إظهار ما يجب إخفاؤه ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ ﴾ أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره ﴿ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لما يعلن ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يقصدن. ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ قال سعيد بن المسيب: <sup>(٤٨)</sup> كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم، وكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي حرج ﴿ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ أي بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد في الآية، وقد قال عليه الصلاة والسلام: أنت ومالك لأبيك. أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج ﴿ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ ﴾ لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ جمع مفتاح وهو ما يفتح به الغلق، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته. <sup>(٤٩)</sup> وأريد بملك المفاتيح كونها في يده وحفظه. وقيل: أريد به بيت عبده لأن العبد وما في يده لمولاه ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ يعني أو بيوت أصدقاءكم والصديق

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله الظاهرة، قيد الثياب بالظاهرة، لتخرج الباطنة، لأنها تفضي لكشف العورة. ولا إذن فيه بدون الحاجة. قوله الملحفة، بالكسر هي الملائة التي تلتحف بها المرأة. والجلباب: ثوب أوسع من الخمار و دون الرداء. متبرجات، تبرجت المرأة: أظهرت زينتها و محاسنها للأجانب. (المصباح المنير)

(٤٨) قوله سعيد بن المسيب. أخرجه الواحدي بسنده عن الزهري عن سعيد بن المسيب. و أخرج عن الزهري ما يقاربه معنى عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و أبوداؤد في مراسيله، و ابن جرير، والبيهقي. و ذكر ابن كثير رواية الزهري عن عروة عن أم المؤمنين

الصديقة رضي الله تعالى عنها في هذا المعنى ثم رأيت أخرجه ابن أبي حاتم. قوله أنت و مالك لأبيك، أخرجه الإمام أحمد في المسند و أبو داود و ابن ماجه. قوله الغلق، بفتح الحاء، ما يغلط به الباب. قوله قيّمه، القيم: سائس الأمر، و قيم القوم: الذي يقوّمهم و يسوس أمرهم. الضيعة: الأرض المغلّة، و مال الرجل من النخل و الكرم. (إكليل، لسان العرب)

(٤٩) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها. قوله الشخ: البخل مع حرص. مختار الصحاح.

يكون واحداً وجمعاً وهو من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك، وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك، فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بإذن.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ شَتَاتًا﴾ متفرقين جمع شت. نزلت في بني ليث بن عمرو<sup>(٥٠)</sup> وكانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظراً نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يؤاكلة أكل ضرورة، أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم، أو تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت لتأكلوا ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة أو بيتاً فارغة أو مسجداً فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين<sup>(٥١)</sup> ﴿تَحِيَّةً﴾ نصب بـ«سلموا»؛ لأنها في معنى تسليمًا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بذلك. وحدثنا أن الملائكة ترد عليه. وعن أبي مالك قريياً من هذا المعنى عند سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير والبيهقي.

(ج) وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قال: هو المسجد إذا دخلته فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وأخرج ابن جرير عن ابن جرير قلت لعطاء فإن لم يكن في البيت أحد؟ قال: سلم، قل: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله. الخ.

وأخرج عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم، قال: إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وإذا دخلت بيتك فقل: السلام عليكم. اه. فتفسير المصنف يرجع إلى هذه الأقوال. وأخرج البزار، وابن عدي، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس خصال. قال: أُسْبِغ الوضوء يزد في عمرك، وسلم على من لقيك من أممي تكثر حسناتك، وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك، يا أنس! ارحم الصغير، وقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة. (الدر المنثور)

(٥٠) وهم من بني كنانة كما ذكر البغوي في المعالم. وهذه ثلاثة أقوال في سبب النزول. الأول مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. بدون اسم حي أو قبيلة. وعن قتادة، وابن جرير، والضحاك، وابن زيد عند ابن جرير، وابن أبي حاتم. والثاني مروى عن أبي صالح وعكرمة عند ابن جرير وابن المنذر والثالث لم أجده صريحاً، نعم يؤخذ من بعض ما روي هنا في تفسير (ليس على الأعمى حرج) - الآية - عند ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور.

(٥١) (الف) إذا دخلتم بيوتاً فليسلم بعضهم على بعض. هذا المعنى أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن البصري. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد، وعبد بن حميد عن مجاهد. وابن جرير عن الضحاك. وأخرج ابن أبي حاتم عن الزهري وقاتدة، قال: بيتك إذا دخلت فقل: السلام عليكم، وأخرج عن سعيد بن جبير: يعني بيوت المسلمين.

(ب) وأخرج ابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إذا دخل البيت غير المسكون، أو المسجد فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن قتادة، قال: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك. وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإنه كان يؤمر

نحو «قعدت جلوساً» ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياء للمسلم عليه والمحيا من عند الله ﴿مُبْرَكَةً طَيِّبَةً﴾ وصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تعقلوا وتفهموا.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٥٢) وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ﴿أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين﴾ ﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ أي ويأذن لهم. ولما أراد الله عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع، جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله، وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره. وذلك مع تصدير الجملة بـ«إنما» وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين، ثم عقبه بما يزيده تأكيداً وتشديداً حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٥٣) وضمنه شيئاً آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لوإذا ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ﴾ في الانصراف ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأَذْنُ لِيَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ﴾ فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل أن لا يستأذن. قالوا: وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان. قوله كالمصداق - أي المصدق. قوله وعرض - الخ - فإن حصر المؤمنين في المستأذنين، وحصر المستأذنين في المؤمنين أفاد أن الذاهبين بغير إذن خارجون عنهم. وهم المنافقون الذين يتسللون لوإذا. قوله فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام، بأن لم يجعل الإذن محتوماً عليه بل فوضه إلى رأيه. قوله وذكر الاستغفار - الخ - فإن الاستئذان وإن كان لعذر لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على الآخرة. وفي الكشف نقلاً عن شيخه الشهاب الشهروردي أن هذه الآية تدل على أن ملاك الأمر في اتباع تسليم نفسه لصاحب الشريعة كالميت بين يدي الغاسل، فلا يُقدم ولا يُحجم دون إشارته. (خفاجي)

(٥٢) استئناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة، تقريراً لها، وتأكيداً لوجوب مراعاتها، وتكميلاً لها ببيان بعض آخر من جنسها. (أبو السعود) قوله أي الذي يُجمع له الناس، وأسند الجمع إلى الأمر، مبالغةً لجعل السبب للجمع جامعاً، وهو مجاز عقلي أو استعارة مكنية (بيضاوي وخفاجي) قوله ويأذن لهم، لا بد من تقديره لأنه هو الغاية لما قبله، والاقتصار على ذكر الاستئذان لأنه الذي يتم من قبلهم. (أبو السعود) قوله كالتشبيب له والبساط لذكره، أي كالاتداء له والتمهيد لذكره. والتشبيب في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل، وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر، فسُي ابتداء كل أمر تشبيهاً وإن لم يكن في ذكر الشباب. اهـ. شرح التلخيص. (٥٣) فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله.

يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم إلا بإذن، قيل: نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان<sup>(٥٤)</sup>.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ أي إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً، ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه، فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض.<sup>(٥٥)</sup>

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والمحذوف على التقديرين يُعرف من باقي الكلام. التفسير الأول اختاره القفال والمبرد، ورجحه الإمام الرازي بقوله هو أقرب إلى نظم الآية. واختاره القاضي البيضاوي بتقديره. قال: فإن المبادرة إلى إجابته عليه السلام واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة. ووجه الارتباط على التفسير الثاني أن الاستئذان يحتاج إلى الخطاب والنداء فلا يليق أن يكون كنداء بعضهم بعضاً بل بالتوقير والتعظيم والصوت المخفوض. وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وقتادة، وزيد بن أسلم.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، إعظاماً لنبية صلى الله تعالى عليه وسلم. قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله. أخرجه ابن أبي حاتم، وقال الإمام السيوطي في أحكام القرآن، إن في هذا النهي تحريم نداءه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه - اه - قال ابن كثير: هذا قول، وهو الظاهر من السياق. كقوله تعالى (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) إلى آخر الآية. وقوله (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) إلى قوله وَإِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) - الآية - فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته - اه -

قوله يظاهرونهم: يعاونونهم ويساعدونهم.

(٥٤) أخرج ابن إسحق، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل عن عروة، ومحمد بن كعب القرظي قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسياال من بئر رومة بالمدينة، قائدها أبو سفيان، وأقبلت غطفان نزلوا بذي نقيم إلى جانب أحد. وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخبر و ضرب الخندق على المدينة وعمل فيه، وعمل المسلمون فيه، وأبطأ رجال من المنافقين، وجعلوا يُورُونَ (يستترون) بالضعيف من العمل، فيتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويستأذنه في اللحوق لحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع. ) إلى قوله (والله بكل شيء عليم) لباب النقول والدر المنتور، والسيرة لابن هشام.

وأخرج الفريابي عن مكحول، قال: إذا جمعهم لأمر حزبهم من الحرب ونحوه لم يذهبوا حتى يستأذنه. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (على أمر جامع) قال: من طاعة الله - اه - والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٥٥) ذكر تفسيري في "دعاء الرسول" في الأول إضافة المصدر إلى الفاعل، والمفعول محذوف، وفي الثاني إضافة المصدر إلى المفعول، والفاعل محذوف،

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ﴾ يخرجون قليلاً قليلاً ﴿مِنْكُمْ لَوْ آذَاء﴾ حال أي ملاوذين اللواذ. والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذلك وذلك بهذا أي ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾<sup>(٥٦)</sup> أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون. يقال: خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه: «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمُ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ» [هود: ٨٨] وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه. والضمير في «أمره» لله سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول «يحذر» ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو إسباغ النعم استدراجاً ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. والآية تدل على أن الأمر للإيجاب.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الكشاف هذه الأمور (كما نقل كلامه المصنّف هنا) بقوله: "يقال خالفه إلى الأمر، إذا ذهب إليه دونه" فإن المخالفة تقتضي أن يكون طريق الآخر غير طريق الأول. وبقوله "خالفه عن الأمر، إذا صد عنه دونه" أي امتنع وأعرض عنه مغايراً له. ففي كلامه تحقيق معنى المفاعلة ومعنى المخالفة، ويتضح منه قوله: أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين أي يخالفون المؤمنين راغبين عن أمره، ذاهبين إلى غيره، والمفعول (المؤمنين) محذوف لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه (كشاف) وضمير "أمره" لله تعالى لأنه الأمر حقيقة، أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه المقصود بالذكر. (أبو السعود). قوله محنة في الدنيا - الخ - هذه ستة أقوال، الأول عن مجاهد، والثاني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والثالث عن عطاء والرابع عن جعفر بن محمد، والخامس عن الجنيد البغدادي، والسادس عن الجراح والسابع الطبع على القلوب مروى عن الضحاك و عبد الرحمن بن زيد، (الكشف للثعلبي، الكشاف، البحر المحيط، ابن أبي حاتم، ابن جرير) قال أبو حيان: وهذه الأقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر - ه - قوله والآية تدل - الخ - وذلك لأن الله تعالى أوجب الوعيد الشديد - وهو الفتنة في الدنيا أو العذاب الأليم في الآخرة - للمخالفين عن أمر الله أو رسوله، وما هذا إلا من شأن الواجب، فعلم أن الأمر المطلق يقتضي الوجوب فقط. نعم إذا صار قرينة عن الوجوب فحينئذ يحمل على غيره. (التفسيرات الأحمدية)

قوله يلوذ هذا بذلك - الخ - لاذ به التجأ إليه و انضم و استغاث. وقيل معنى يتسللون منكم لوآذا: يلوذ هذا بذا ويستتر ذا بذا، ومنه الحديث: يلوذ به الهلاك أي يستتر به الهالكون ويحتّمون (لسان العرب) قال: البيضاوي في معنى يتسللون: ينسلون قليلاً قليلاً من الجماعة، ونظير تسلل: تدرّج وتدخل - اه - أي في دلالة "تفعل" على مواصلة العمل في مهلة. وهو معنى قولهم: إن ذلك الفعل وقع قليلاً قليلاً. (خفاجي) (٥٦) قوله تعالى: يخالفون عن أمره. أصل معنى المخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله (مفردات) وهو تحقيق لمعنى المفاعلة فيه، المبني عليه (خفاجي) فمعنى المفاعلة يقتضي جانبيين، ومعنى المخالفة يقتضي أن يكون طريق كل واحد غير طريق الآخر. وإظهار معنى المفاعلة يستعملون الفعل لمشاركين يكون أحدهما بصورة الفاعل والآخر بصورة المفعول. فالمخالفة تقتضي فاعلاً ومفعولاً، و بيان مغايرة الطريقتين يقتضي صلة بعدهما، فيستعملون لإظهارها إلى وعن، فإذا دعوت صاحبك إلى الدرس، فلم يجيبك واشتغل باللهو تقول: خالفني صاحبي إلى اللهو. أو تقول: خالفني صاحبي عن الدرس، أو تجمعهما فتقول: خالفني صاحبي عن الدرس إلى اللهو. أي معرضاً عن الدرس مائلاً إلى اللهو. فيألى تدل على الانتهاء والميل إلى شيء، وعن تدل على التجاوز والبعد عن شيء، كما في رغب إليه، ورغب عنه وفي: انقطع عن الخلق إلى الحق. و فصل صاحب



﴿إِنَّا إِنَّا لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ط﴾ «ألا» تنبيه على أن لا يخالفوا أمر من له ما في السماوات والأرض ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ط﴾ أدخل «قد» ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع تأكيد العلم إلى تأكيد الوعيد، والمعنى أن جميع ما في السماوات والأرض مختص به خلقاً وملكاً وعلماً فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجهدون في سترها؟ ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ ويفتح الياء وكسر الجيم: يعقوب أي ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة. والخطاب والغيبة في قوله: «قد يعلم ما أنتم عليه» «ويوم يرجعون إليه» يجوز أن يكونا جميعاً للمنافقين على طريق الالتفات، ويجوز أن يكون «ما أنتم عليه» عاماً و«يرجعون» للمنافقين ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلا يخفي عليه خافية. وروي أن ابن عباس رضي الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت والله أعلم.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله ويعلم يوم يُرْدُونَ - الخ - أبان به أن "يوم" معطوف على مفعول يعلم، وهو ما أنتم عليه. و تعليق علمه تعالى بيوم رجوعهم، لا برجوعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك، و غاية تقريره، لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوع الشيء، على أبلغ وجه و أكده. و فيه إشعار بأن علمه تعالى بنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعاً (أبو السعود) و يجوز أن يكون ظرفاً لمحذوف معطوف على الجملة السابقة أي قد يعلم... و سينبئهم يوم يرجعون إليه. و يجوز أن يكون معطوفاً على مقدر أي قد يعلم ما أنتم عليه الآن و يوم

يرجعون إليه. فإن الجملة الاسمية تدلّ على الحال في ضمن الدوام والثبوت (خفاجي) قوله و روي أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - الخ - أخرج الحاكم عن أبي وائل قال: حججت أنا و صاحب لي - وابن عباس على الحج، فجعل يقرأ سورة النور و يفسرها ، فقال صاحبي: سبحن الله! ما ذا يخرج من رأس هذا الرجل؟ لو سمعت هذا الترك لأسلمت. (الدر المنثور) تمّ على خمس و أربعين دقيقة بعد الساعة الثانية عشرة من ليلة الأحد - (٢٤/رمضان ١٤٢٨ هـ /٧/أكتوبر ٢٠٠٧ م)

## سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ۝ ﴾

﴿ تَبَرُّكَ ﴾ تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته، ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر<sup>(١)</sup> أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ هو مصدر فرق بين الشئيين إذا فصل بينهما، وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام، أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفرداً مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكَبِّ وَنُزِّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿٥٦﴾» [الإسراء: ١٠٦] ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ لِيَكُونَ ﴾ العبد أو الفرقان ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ للجن والإنس. وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام ﴿ نَذِيرًا ۝ ﴾

مواهب الجليل لتجلية سائر التنزيل ١٤٢٩هـ

عشرين سنة، أو و ثلاث (لتقرأه على الناس على مكث) مُهْلٌ وَتُوَدَّدَةٌ ليفهموه (ونزلناه تنزيلاً) شيئاً بعد شيء على حسب المصالح. (جلالين. سورة الإسراء- ١٠٦)

قوله للجن والإنس. يجب الإيمان بأن سيدنا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم أرسله الله تعالى إلى الإنس والجن، فإن استثنى أحدهم الجان أو صنفاً من بني آدم، بل شخصاً ولو واحداً، من دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصح إيمانه برسالته. وفي الملائكة اختلاف. رجح الإمام السبكي، والبارزي، وابن حزم والسيوطي بعثته إلى الملائكة لأنهم مكلفون بالطاعات العملية كما قال تعالى: (لا يعصون الله ما أمرهم) وقال تعالى في الملائكة (و من يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم) وهذا يدل على شمول الإنذار للملائكة أيضاً كما ذكره الإمام السيوطي. وكذا قال بعض المحققين بعموم بعثته إلى الحيوانات والجمادات، قالوا تكليفهما بحسب حالهما من ذكر أو تسبيح أو نحوهما. واستدلوا بشهادة الضب، والحجر، والشجر له بالرسالة، و بقوله تعالى (ليكون للعلمين نذيراً) فإن العالم هو ما سوى الله تعالى، فيتناول جميع المخلوقات، و استدلوا بما رواه مسلم في صحيحه من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم "أرسلت إلى الخلق كافة" و فائدة الإرسال للمعصوم وغير المكلف طلب إذعانه لشرفه ودخولهما تحت دعوته =

## سورة الفرقان

إنه سبحانه تكلم في هذه السورة أولاً في التوحيد لأنه أقدم وأهم، ثم في النبوة لأنها الوساطة، ثم في المعاد، و سيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين. فما أشرف هذه المطالب، و ما أحسن هذا الترتيب. (نيسابوري)

(١) تفسيره باعتبار حاصل معناه - لا إشارة إلى تقدير مضاف - لأن البركة في الأصل مأخوذة من برك البعير، وهو صدره، و منه: برك البعير، إذا ألقى بركه على الأرض. و اعتبر فيها معنى اللزوم فقول: بركاء الحرب، لمكان يلزمه الأبطال. و سمي محبس الماء بركة. والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء ثبوت الماء في البركة، و المبارك: ما فيه ذلك الخير. و لما كان الخير الإلهي لا يحس ولا يحصى و لا يحصر قيل لكل ما يعرف فيه زيادة غير محسوسة "مبارك، و فيه بركة" وقوله و تعالى عنه، تفسير لتزايد، إشارة إلى أن المراد رفعتة عما سواه و كماله. (خفاجي)

قوله فحسب أي فقط، أي لا يستعمل له مضارع و اسم فاعل و نحوه، و يرد عليه ما نقله في الكشف من أنه يقال: تباركت النخلة إذا تعالت، قال: إلى الجذع جذع النخلة المتبارك. إلا أن يقال: إنه أغلبي. (خفاجي)

قوله لفصله - الخ - يعني أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل - كما في الوجه الأول - أو بمعنى اسم المفعول - كما في الوجه الثاني. قوله (و قرآناً) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) نزلناه مفرداً في

منذراً أي مخوفاً أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾» [القمر: ١٨] ﴿الَّذِي﴾ رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من «الذي نزل» وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله «ليكون» لأن المبدل منه صلته «نزل» وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم إلا به أو نصب على المدح ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على الخلوص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعم اليهود والنصارى في عزيز والمسيح عليهما السلام ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما زعمت الثنوية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان وأهرمن. ولا شبهة فيه لمن يقول: إن الله شيء ويقول بخلق القرآن، لأن الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولاً له على أن لفظ شيء اختص بما يصح أن يخلق بقريئة «وخلق»، وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد ﴿فَقَدْرَةٌ تَقْدِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ فهياً لما يصلح له بلا خلل فيه<sup>(٢)</sup> كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذي تراه

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله أو نصب. بتقدير أمدح أو أعني. قوله على الخلوص. إشارة إلى الاختصاص والحصر المستفادين من "له" أي اللام، و تقديم الخبر، قال أبو السعود أي له خاصة - دون غيره لا استقلالاً، ولا اشتراكاً - السلطان القاهر، والاستيلاء الباهر عليهما، المستلزمان للقدرة التامة، والتصرف الكلي فيهما، و فيما فيهما، إيجاداً وإعداماً، وإحياء وإماتة، وأمرًا ونهيًا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح - اهـ - قوله المجوس والثنوية. تعتقد المجوس إلهين للعالم، خالق الخير، وهو يزدان، و خالق الشر وهو أهرمن أي الشيطان. والثنوية تقول فاعل الخير هو النور، و فاعل الشر هو الظلمة - وقيل في تعريف الفرقتين غير ذلك. (إكليل، وغيره) (٢) إشارة إلى الجواب عن سؤال، وهو أن الخلق هو إيجاد الشيء على تقدير واستواء، فالتقدير معتبر في معنى الخلق، فذكره بعد الخلق يكون تكراراً كأنه قيل: "قدر كل شيء فقدره" فأشار أن التقدير المذكور بعد الخلق ليس التقدير الذي يعتبر في معنى الخلق، بل هو بمعنى جعله مهيئاً لما خلق له من العلم والتكليف، وهما متغايران، و أجاب ثانياً بقوله "أو قدره للبقاء إلى أمد معلوم" وهذا أيضاً غير التقدير المعتبر في معنى الخلق كأنه قيل أو جده إيجاداً مراعى فيه التقدير والتسوية كما تقتضيه الحكمة بتعيين مادته و صورته و ما يتعلّق به من العوارض ثم =

= تشریفاً له على سائر المرسلين صلوات الله و سلامه عليه وعليهم أجمعين.

قال الإمام أحمد رضا القادري رحمه الله تعالى: وهو المختار عندنا، و به نقول و حسبنا الآية و الحديث الصحيح المذكور المروي في صحيح مسلم. فلا تُخصّص العمومات الشرعية إلا بدليل، و أين الدليل؟ والتمسك بعدم العقل مقطوع بقواطع النقل. قال تعالى: (و إن من شيء إلا يسبح بحمده) والحمل على التسييح بالحال مردود بقوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) و في حديث الطبراني وغيره عن يعلى بن مروة "ما من شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا مرّة الجنّ والإنس" و قد نصّ الإمام ابن حجر في "أفضل القرى" أن الله تعالى أخذ العهد من جميع المخلوقات، حتى المصنوعات كالسيف و نحوه، بالإيمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم. رزقنا الله تعالى حسن الإيمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم. (المستند المعتمد، المعتقد المنتقد، المواهب اللدنية، شرحها للزرقاني)

قوله منذراً، على أن فعلاً صفة مشبهة بمعنى منذر، أو مصدر كالنكير، وجعله نفس الإنذار مبالغة، كرجل عدل، و ليس هذا على طريق اللفّ والنشر المرتب لقوله "العبد أو الفرقان" كما قيل. (خفاجي) قوله و نذر، جمع نذير، بمعنى الإنذار أي إنذاراتي.

فقدرة للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا أو قدره للبقاء إلى أمد معلوم. ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أو للدلالة «نذيراً» عليهم لأنهم المنذرون ﴿مِنْ دُونِ إِلَهَةٍ﴾ أي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي إنهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزه لا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ إماتة ﴿وَلَا حَيَاةً﴾ أي إحياء ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ إحياء بعد الموت<sup>(٣)</sup> وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ كَذِبٌ﴾ ﴿إِفْتَرَاهُ﴾ اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ أي اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحارث ﴿فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا﴾ هذا إخبار من الله، رد للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديتها، أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وزور. وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب، والزور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه. ﴿وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي هو أحاديث المتقدمين وما سطره كرستم وغيره جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثه ﴿اَكْتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾ أي تلقى عليه من كتابه ﴿بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿وَأَصِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> آخره فيحفظ ما يملئ عليه ثم يتلوه علينا.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الرومي، مولى بني عبد الدار، يقال إنه من الأزده، أسلم قديماً بمكة، وكان يعدب ليرجع عن دينه فيمتنع. (إكليل عن أسد الغابة)  
قوله أي هو أحاديث، أشار إلى أنه خبر مبتدأ محذوف، وقوله أحاديث و ما سطره نظراً إلى أنه إما جمع أسطورة أو جمع أسطار جمع سطر بمعنى المسطور أي المكتوب.  
قوله كتبها لنفسه، فإن بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل لنفسه. وهو إما افتراء عليه أيضاً، لأنهم يعلمون أنه لا يكتب أو مجاز بمعنى أمر بكتابتها، وهذا على استعمال افتعل بمعنى أمر بالفعل. كاحتجم وافتصد إذا أمر بذلك.  
قوله أي تلقى عليه من كتابه، أصل الإملاء هو الإلقاء على الكاتب ليكتب، و هنا جاء بمعنى الإلقاء والقراءة على الغير ليحفظ، بطريق الاستعارة، لأن صورة الإلقاء على المتحفظ كصورة الإملاء على الكاتب. (البحر المحيط)

= جعله للبقاء إلى مدة معلومة و غاية محدودة.  
قوله واتخذوا - الخ - لما تضمن الكلام إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما. (بيضاوي)  
(٣) فسر الموت والحيوة والنشور بالإماتة والإحياء لأن المراد بقوله "لا يملكون" لا يقتدرون على التصرف في شيء منها، والتصرف في الموت والحيوة هو الإماتة والإحياء، وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على الخلق والضر والنفع والإحياء والإماتة و من كان عارياً عن هذه الصفات واللوازم فهو بمعزل عن الألوهية، واعتقاده إلهاً غاية الجهل والسخافة.  
قوله واخترعه، عطف تفسير. قوله عداس مولى شيبه بن ربيعة بن عبد شمس من أهل نينوى الموصل، كان نصرانياً، له ذكر في صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. نقله في الإكليل عن أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن أثير.  
قوله يسار مولى العلاء بن الحضرمي قوله أبو فكيهة

﴿قُلْ﴾ يا محمد! ﴿أَنْزَلَهُ﴾ أي القرآن ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup> أي يعلم كل سر خفي في السماوات والأرض، يعني أن القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم، دل ذلك على أنه من عند علام الغيوب ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٥)</sup> فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم. ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير، وتسميتهم إياه بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا: أي شيء لهذا الزاعم أنه رسول ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَمَمْشِيًّا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ حال والعامل فيها «هذا» ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾<sup>(٦)</sup> أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها<sup>(٧)</sup> أي إن صح أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش، ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا إلى أن يكون مرفوداً بكنز يلقي إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثم نزلوا إلى أن يكون رجلاً له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة علي وحمزة. وحسن عطف المضارع وهو «يُلْقَى» و«تَكُونُ» على «أَنْزَلْنَا» وهو ماضٍ لدخول المضارع وهو «فَيَكُونُ» بينهما وانتصب «فَيَكُونُ» على القراءة المشهورة لأنه جواب «لَوْلَا» بمعنى «هلا» وحكمه حكم الاستفهام. وأراد بالظالمين في قوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمرة تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>(٨)</sup> سحر فجن أو ذا سحر وهو الرثة عنوا أنه بشر لا ملك

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله وحسن عطف - الخ - قال الخفاجي: وعدل إلى المضارع للدلالة على أن الكنز الملقى يبقى ويستمر عنده لعدم نفاذه بخلاف الإنزال، وكذا ما بعده - اه - وكذا فيكون معه جاء مضارعاً للدلالة على بقاء الملك معه.

قوله: وحكمه حكم الاستفهام. أي الفاء الداخلة على المضارع إذا كانت في جواب الاستفهام ينتصب المضارع بأن مقدرة كذا إذا كانت في جواب التحضيض.

قوله تسجيلاً، أي لقضاء الحكم عليهم بالظلم، في المصباح: سجّل القاضي، بالتشديد: قضى وحكم وأثبت حكمه في السجل - اه - إكليل.

قوله سحر فجن، يعني المراد بالسحر ما به اختلال العقل، والسحر، بفتح السين وسكون الحاء، الرثة. =

(٤) هذا الجواب مبني على مقدمة معلومة، وهي أن القرآن مشتمل على أنواع علوم وأسرار عجز الخلق عن معارضتها مع تكرار التحدي، فاستبان أنه ليس من عند مخلوق، بل هو تنزيل عليم يعلم كل سر خفي في السموات والأرض. وهم قد أدركوا هذا، مع ذلك نسبوا الافتراء إلى الرسول عليه السلام ظلماً وزوراً، فاستحقوا العذاب والإهلاك، لكن الله غفور رحيم فيمهلهم عسى أن يكون فيهم أو في أولادهم من يرجع من الكفر ويومن بالحق.

قوله والعامل فيها هذا أي ما فيه من معنى الإشارة أو التنبية. كقوله تعالى (وهذا بعلبي شيخاً - هود - ٧٢) قوله الاقتراح: السؤال بدون روية يتساندا: يتعاونوا مرفوداً، رفته (ض) أعطاه وأعانه. يستظهر يتقوى. المياسير جمع موسر أي الغني.

﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا ﴾ بينوا ﴿ لَكَ الْأَمْثَالُ ﴾ الأشباه أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفترى والمملى عليه والمسحور ﴿ فَضَلُّوا ﴾ عن الحق ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ فلا يجدون طريقاً إليه.

﴿ تَبْرَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ (٥) أي تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوا، وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور. و «جنات» بدل من «خيرا»، «ويجعل» بالرفع: مكي وشامي وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ عطف على ما حكى عنهم يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة، أو متصل بما يليه كأنه قال: بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها؟ ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ (٦) وهيأنا للمكذبين بها ناراً شديدة في الاستعارة.

﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ ﴾ أي النار أي قابلتهم ﴿ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي إذا كانت منهم بمرأى الناظرين في البعد ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ (٧) أي سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر، أو

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

في الآخرة فأنزل الله (تبرك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنت تجري من تحتها الأنهر ويجعل لك قصوراً) (الدر المنثور) قوله شديدة في الاستعارة، فيه بيان معنى السعير. والاستعارة: التوقد والالتهاب، والشدة مستفادة من صيغة فعيل، فإنها للمبالغة. (خفاجي) قوله تعالى (تغيظاً و زفيراً) الغيظ: أشد غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه. و التغيظ هو إظهار الغيظ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع. والزفير: تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه (مفردات) وقال البيضاوي: هو صوت يسمع من جوفه - اه - و قال: إن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها الحياة فترى، و تنغيظ، و تزفر - اه - و أخرج الطبراني و ابن مردويه من طريق مكحول عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعداً من بين عيني جهنم" قالوا يا رسول الله و هل لجهنم من عين؟ قال: نعم أما سمعتم الله يقول (إذا رأتهم من مكان بعيد) فهل تراهم إلا بعين. (الدر المنثور) =

= والرئة، بكسر الراء والهمز و تركه، مجرى النفس، والهاء عوض من اللام المحذوفة (والهمزة مبدلة من الباء) - المصباح المنير - والمسحور بمعنى ذي السحر للنسبة كتامر ولابن، و مفعول أيضاً يأتي للنسب كفاعل. (خفاجي) قوله الأمثال. أريد بالأمثال أقوالهم النادرة العجيبة مجازاً، لأن غالب ما يضرب به المثل يكون عجيماً نادراً، قال أبو السعود: استعظام للأباطيل التي اجترأوا على التفوه بها، وتعجب منها. أي انظر كيف قالوا في حقاك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول، الجارية لغرابتها مجرى الأمثال، و اخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع. اه. (٥) أخرج الفريابي، و ابن أبي شيبه في المصنف، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه عن خيثمة قال قيل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: إن شئت أعطيناك خزائن الأرض و مفاتيحها ما لم يعط نبي قبلك، ولا يعطاه أحد بعدك، ولا ينقصك ذلك مما لك عند الله شيئاً، و إن شئت جمعناها لك في الآخرة. قال: اجمعها لي

إذا رأتهم زبانيتهما تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار. ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا﴾ من النار ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ «ضيقاً» مكي فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السماوات والأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح<sup>(٦)</sup> ﴿مُقَرَّرَيْنِ﴾ أي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد ﴿دَعَا هُنَالِكَ﴾ حينئذ ﴿ثُبُورًا﴾ هلاكاً أي قالوا: واثبورا أي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير<sup>(٧)</sup> ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ﴾ أي المذكور من صفة النار خير ﴿أَمْ جِنَّةٌ أُخْلِدُ فِيهَا وَوَعْدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي وعدّها فالراجع إلى الموصول محذوف، وإنما قال: «أذلك خير»، ولا خير في النار توبيخاً للكفار ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾ ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعاً. وإنما قيل: «كانت» لأن ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوباً في اللوح قبل أن خلقهم ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي ما يشاءونه

#### مواليد الجليل لتجلية سارك التنزيل

سند، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بمعناه، و قال: روي عن مجاهد نحو ذلك، وأخرج عن يحيى بن أبي أسيد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن قول الله (و إذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين) قال: «والذي نفسي بيده إنهم ليستكروهون في النار كما يُستكروه الوتد في الحائط».

قوله الأصفاد: القيود، واحداً صَفَد. و في سورة إبراهيم (و ترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد). [الآية: ٤٩] وفي سورة غافر: ٧١ (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون)

(٧) أخرج ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و البيهقي في البعث بسند صحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «إن أول من يُكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه و يسحبها من خلفه، و ذريته من بعده، و هو ينادي يا ثوراه. و يقولون: يا ثورهم حتى يقف على النار فيقول: يا ثوراه. و يقولون: وا ثورهم، فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثورا واحدا و ادعوا ثورا كثيرا) - الدر المنثور -

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «يُخرج عُق من النار يوم القيامة، له عينان تبصران، و أذنان تسمعان، و لسان ينطق يقول إنني وُكِّلت بثلاث: بكل جبار عنيد، و بكل من دعا مع الله إلهاً آخر، و بالمصورين» و في الباب عن أبي سعيد. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح. اه. و رجاله رجال الصحيحين سوى عبد الله بن معاوية الجمحي، وهو ثقة كما في التقريب.

وأخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن العبد ليُجرَّ إلى النار فتشبهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير، ثم تفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف. (الدر المنثور) قوله زبانيتهما، بفتح الزاء، أصل الرُّبْن الدفع، و العرب تسمي الشرط الزبانية، و سمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار. (مختار الصحاح)

قوله ضيقاً، بتخفيف الياء و السكون، ابن كثير المكي، و الباقر بالتشديد و الكسر. قوله الروح، بفتح فسكون: الراحة. الرُّج، بضم الزاي و تشديد الجيم: الحديدية التي في أسفل الرمح.

(٦) نقله عنه رضي الله تعالى عنه البغوي و الثعلبي بدون

﴿خُلِدَيْنِ﴾ حال من الضمير في «يشاءون» والضمير في ﴿كَانَ﴾ لـ «ما يشاءون» ﴿عَلَى رَيْكَ وَعَدًّا﴾ أي موعوداً ﴿مَسْئُولًا﴾ مطلوباً أو حقيقةً أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨] <sup>(٨)</sup> ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ للبعث عند الجمهور وبالياء: مكّي ويزيد ويعقوب وحفص. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير. وعن الكلبي يعني الأصنام ينطقها الله. وقيل: عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم ﴿فَيَقُولُ﴾ وبالنون شامي ﴿عَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ <sup>(٩)</sup> والقياس ضلوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق. وضل مطاوع أضله. والمعنى أنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بإدخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم؟ وإنما لم يقل «أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل» وزيد «أنتم» و«هم» لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده؛ لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب، وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسؤول عنه.

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

العقل، نحو ما زيد؟ أ شاعر أم كاتب. قوله إنما لم يقل - الخ - إذا كان المطلوب تعيين أحد المعادلين يوضع أحدهما بعد الهمزة، والآخر بعد أم. نحو أنت كتبت أم أخوك؟ يقال هذا إذا كانت الكتابة متحققة معلومة و دائرة بينهما، ولم يكن الكاتب منهما معلوماً عند السائل، أو عند من يريد إعلامهم بالسؤال والجواب. فلو قيل: «أ أضللتم عبادي أم ضلوا» كان المعنى أن الأمر دائر بين الإضلال والضلال، والواقع أحدهما، إما الإضلال، وإما الضلال. والمطلوب تعيين أحدهما. مع أن وقوع الضلال متحقق متعين، و طلب تعيينه ليس بمقصود بل المقصود أن متولّي الضلال من هو؟ أي ضلالهم جاء من قبلكم أم نشأ من أنفسهم؟ فزيد «أنتم وهم» وقيل «أ أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل» فالمعادلان «أنتم وهم» و أحدهما هو متولّي الضلال، والمطلوب تعيينه، والمعنى أ أنتم توليتم ضلالهم بأن أوقعتموهم في الضلال بإدخال الشبهات، أم هم تولّوا ضلالهم ووقعوا بأنفسهم في الضلال؟ قوله إيلائه أي إتباعه و وضعه بعد حرف الاستفهام.

(٨) أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (كان علي ربك وعدًا مسئولا) يقول: سلوا الذي وعدتكم تنجزوه، و أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي من طريق سعيد بن هلال عن محمد بن كعب القرظي في قوله (كان علي ربك وعدًا مسئولا) قال: إن الملائكة تسأل لهم ذلك في قولهم (و أدخلهم جنت عدن التي وعدتهم) قال سعيد: و سمعت أبا حازم يقول: إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون: ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا. فذلك قوله (وعدًا مسئولا) - الدر المنثور - و أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: سأله إياها في الدنيا، طلبوا ذلك فأعطاهم، وعدهم إذ سأله أن يعطيهم، فأعطاهم فكان ذلك وعدًا مسئولا. الخ - قوله وقيل عام، هذه ثلاثة أقوال، الأول مروى عن مجاهد، أخرجه الفريابي، وابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، والثاني نقله البغوي عن عكرمة والضحاك، والكلبي بدون سند، والثالث ذكره الزمخشري بقوله: و يجوز أن يكون عامًا لهم جميعًا. اهـ. قوله لأنه أريد به الوصف. و ما يسئل بها عن وصف



وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى ييكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فتزيد حسرتهم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تعجب منهم مما قيل لهم أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندأ. ثم قالوا: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي ما كان يصح لنا<sup>(٩)</sup> ولا يستقيم أن نتولى أحداً دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك؟ «نتخذ» يزيد. و«اتخذ» يتعدى إلى مفعول واحد نحو «اتخذ ولياً» وإلى مفعولين نحو «اتخذ فلاناً ولياً» قال الله تعالى: «أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ» [الأنبياء: ٢١] وقال: «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» [النساء: ١٢٥] فالقراءة الأولى من المتعدي لواحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء وزيدت «من» لتأكيد معنى النفي، والقراءة الثانية من المتعدي إلى المفعولين فالمفعول الأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء و«من» للتبعيض أي لانتخذ بعض أولياء لأن «من» لا تزداد في المفعول الثاني بل في الأول تقول: «ما اتخذت من أحد ولياً» ولا تقول: «ما اتخذت أحداً من ولي»<sup>(١٠)</sup> ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ﴾ بالأموال والأولاد. وطول العمر والسلامة من العذاب ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع ﴿وَكَانُوا﴾ عند الله ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي هلكت جمع بائر كعائذ وعود ثم يقال: للكفار بطريق الخطاب عدولاً عن الغيبة. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونظيرها: «يَا هَلْ كَذَّبْتُمْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ» إلى قوله: «فَقَدْ جَاءَكُمْ بِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ» [المائدة: ١٩] وقول القائل:

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله أم اتخذوا آلهة من الأرض، ذكر المصنف في سورة الأنبياء أن «من الأرض» صفة لآلهة، أو من لبيان النسبة كقولك فلان من المدينة أي مدني، فالمعنى أم اتخذوا آلهة أرضية أو من متعلق باتخذوا وهو لا ابتداء الغاية، وعلى الوجوه الثلاثة يكون الاتخاذ هنا متعدياً إلى مفعول واحد.

(١٠) قال الطيبي رحمه الله: أجاز ابن جني أن تزداد من في المفعول الثاني، وأبى الزجاج أن تزداد إلا في الأول، و صاحب النظم أن تزداد إلا في مفعول واحد، وبنى المصنف رحمه الله كلامه على كلام الزجاج. (خفاجي) قوله هلكتي، بفتح فسكون، مثل زمني ومرضى، جمع هالك. قوله رائعة أي معجبة.

قوله إلى قوله (فقد جاءكم) وقيله، بعد قوله «من الرسل» (أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ) [المائدة: ١٩]

قوله تعجب منهم. ذكر في سبحانك معينين. الأول أنه تعجب، لأنه كثيراً ما يستعمل فيه. والثاني أنه مستعمل في التنزيه، فهو على ظاهره، والمقصود تنزيهه تعالى عن الأنداد.

(٩) قوله أي ما كان يصح لنا - الخ - قال القرطبي رحمه الله: ما كان، وما ينبغي، ونحوه معناه الحظر والمنع، فيجيء لحظر الشيء والحكم بأنه لا يكون. وامتناعه إما عقلاً كقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) [النمل: ٦٠] أو شرعاً كقوله (ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) [آل عمران: ٧٩] وقوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) [الشورى: ٥١] وربما كان في المندوب كما تقول ما كان لك ترك التفل. اه. عناية القاضي، سورة النور، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٦٥ سورة الأحزاب.

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ..... ثم القفول فقد جئنا خراساناً ﴿يَمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم إنهم آلهة، والباء على هذا كقوله: (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) [ق:٥] والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل: فقد كذبوا بما تقولون. وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم: «سُبْحَتِكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ» [الفرقان: ١٨] والباء على هذا كقولك «كتبت بالقلم» ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ «فما يستطيعون» أي فما يستطيع ألهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم. وبالتالي حفص أي فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم. ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أي يشرك لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ١٧] ﴿لَقَمَانَ: ١٣﴾ ﴿نُذِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿فسر بالخلود في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق إلا على قول المعتزلة والخوارج.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كسرت «إن» لأجل اللام في الخبر والجملة بعد «إلا» صفة لموصوف محذوف، والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين، وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه «وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ» [الصفات: ١٦٤] «أَيَّ وَمَا مِنَّا أَحَدٌ». (١١) قيل: هو احتجاج على من قال: «مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق» وتسلية للنبي عليه الصلاة

#### مواد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

من المعتزلة والخوارج) وهو التوبة، و عندنا العفو أيضاً - اه - مختصراً.

(١١) العبارة من قوله «والجملة بعد إلا - إلى قوله - ما منا أحد عبارة الكشاف بعينها وعبارة البيضاوي: أي إلا رسلا إنهم - فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه، وأقيمت الصفة مقامه، كقوله تعالى ( وما منا إلا له مقام معلوم) - اه - وقال في سورة الصفات: والمعنى ما من أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه اه. مختصراً. قال الخفاجي: قوله رسلا، هو الموصوف المقدر، و صفته جملة إنهم، كما صرح به ، و في الكشاف أن هذه الجملة صفة ثانية لموصوف مقدر قيل قوله «من المرسلين» و عدل المصنف (أي البيضاوي) عما في الكشاف لأن فيه فصلاً بين الصفة والموصوف بإلا، و قد رده أكثر النحاة كما في المغني. فجعله صفة لمحذوف بعد إلا، هو بدل مما حذف قبله، و أقيمت صفته مقامه، =

قوله قالوا خراسان الخ - أقصى أي آخر حد، ثم القفول أي الرجوع، فقد جئنا أي قلنا فقد جئنا خراسان، فينبغي الرجوع. والبيت للعباس بن الأحنف.

قوله والجار والمجرور بدل من الضمير أي بدل اشتمال. لأن كذب يتعدى إلى مفعول واحد تارة بنفسه و تارة بالياء، و قد عدي هنا إلى «كم» بنفسه، فلا جرم أن يكون الجار والمجرور بدلاً منه. (خفاجي وإكليل)

قوله عن قنبل بالياء، هذه رواية أبي حيوة و ابن الصلت عنه كما في البحر المحيط، و ليست من قراءته المشهورة.

قوله كقولك كتبت - الخ - أي تكون الباء للاستعانة. قوله أي يشرك. هذا التفسير أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري، و ابن جريج رحمهما الله تعالى. أي أريد بالظلم فرده الكامل وهو الكفر والشرك. قال البيضاوي: والشرط و إن عم كل من كفر و فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيّد بعدم المزاحم وفاقاً (منا و

والسلام ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي محنة وابتلاء،<sup>(١٢)</sup> وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه في الأسواق يعني أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء ﴿اتَّصِرُونَ﴾ على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبروا فيزداد غمكم. وحكي أن بعض الصالحين تبرم بظنك عيشه فخرج ضجراً فرأى خصياً في مواكب ومراكب فخطر بباله شيء فإذا بمن يقرأ هذه الآية فقال: بلى فصبراً ربنا. أو جعلت فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنان لكنت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ عالماً بالصواب فيما يتبلى به أو بمن يصبر ويجزع. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يأملون<sup>(١٣)</sup> ﴿لِقَاءَنَا﴾ بالخير لأنهم كفرة

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله تبرم أي قلق و سئم - برم به (س) و تبرم به: سئمه. والظنك، بفتح فسكون: الضيق من كل شيء، الذكر و الأثني فيه سواء. والفعل من كرم (لسان العرب). ضجراً بفتح فكسر، صفة، في المصباح المنير: ضجر من الشيء ضجراً، فهو ضجر، من باب تعب: اغتم منه و قلق مع كلام منه، و تضجر منه كذلك. مواكب جمع موكب، في الأصل نوع من السير، والفعل من ضرب بمعنى مشى في تدرج، والموكب: الجماعة من الناس ركباناً و مشاة، والقوم الرُكوب للزينة والتنزه، و جماعة ركبان يسرون برفق. (لسان العرب) فصبراً ربناً، أي نصبر صبراً ياربناً، صبراً مفعول مطلق، والفعل محذوف. و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم "إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى من دونه في المال والجسم. (البغوي في المعالم بسنده)

(١٣) قوله لا يأملون، من أمل بالتخفيف بمعنى أمل بالتشديد، وهو أكثر من استعمال التخفيف كما في المصباح. والأمل ضد اليأس، وفي المصباح: أكثر ما يستعمل الأمل فيما يبعد حصوله، والطمع فيما قرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي يخاف أن لا يحصل مأموله، و لذا استعمل بمعنى الخوف، فإن قوي الخوف استعمل استعمال الأمل، كما يستعمل الأمل بمعنى الطمع - انتهى - علم منه أن العرب فرقته في الاستعمال بين الرجاء والأمل، و لذا قال كعب بن زهير: أرجو و أمل أن =

= فلم تفصل "إلا" بين الصفة والموصوف، بل بين البدل و المبدل منه، وهو جائز. اه. و قال في سورة الصافات تحت قول البيضاوي (فحذف الموصوف - الخ) تبع فيه الزمخشري، ثم رجح بعد بحث كلام أبي حيان أن التقدير (و ما أحد منا إلا له مقام معلوم) "أحد منا" مبتدأ و "له مقام معلوم" خبر، وهو مستثنى مفرغ، قال: والتفريع في الأخبار كثير فرأى أبي حيان أسلم - اه مختصراً. و جاز استثناء الجمع من "أحد" لأنه في معنى الجمع كما في قوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) [الحاقة: ٤٧] شيخ زاده.

(١٢) و في صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم "يقول الله تعالى: إنني مبتليك، و مبتلي بك" و في المسند (للإمام أحمد) عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم "لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب و الفضة" و في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختر أن يكون عبداً رسولاً (ابن كثير) و أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال "لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم. و لو شاء الله لجعلكم فقراء كلكم لا غني فيكم. و لكن ابتلي بعضكم ببعض" - الدر المنثور -

قوله بعض الصالحين. ذكر القرطبي: قاله المزمري وقد أخرجه الفاقه فرأى خصياً - الخ - والمزمري أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى تلميذ الإمام الشافعي و ناشر علمه في مصر و سورية (١٧٥هـ - ٢٦٤هـ)

لا يؤمنون بالبعث أو لا يخافون عقابنا إما لأن الراجي قلق فيما يريه كالحائف، أو لأن الرجاء في لغة تهامة الخوف ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةُ﴾ رسلاً دون البشر أو شهوداً على نبوته ودعوى رسالته ﴿أَوْ نُرِي رَبَّنَا﴾ جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي أضمرُوا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم ﴿وَعَتَوْا﴾ وتجاوزوا الحد في الظلم ﴿عَتَوْا كِبِيرًا﴾ وصف العتو<sup>(١٤)</sup> بالكبر فبالغ في إفراطه أي إنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو. واللام في «لقد» جواب قسم محذوف ﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَأِكَةَ﴾ أي يوم الموت أو يوم البعث و «يَوْم» منصوب بما دل عليه ﴿لَا بُشْرَى﴾ أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشري. وقوله: ﴿يَوْمَ يَمِيزُ﴾ مؤكّد لـ «يوم يرون» أو بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر فقال: لا بشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بـ «يرون» لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا بـ «بشرى» لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله، ولأن المنفي بلا لا يعمل فيما قبل «لا» ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ظاهر في موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الأسماء يتناول أكمل المسميات ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي الملائكة ﴿حَجْرًا فَحُجْرًا﴾ حراماً محرماً عليكم البشري أي جعل الله ذلك حراماً عليكم إنما البشري للمؤمنين. والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بلغاً أقصى مراتبه، حيث عاينوا المعجزات القاهرة، فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سُدَّتْ دُونَهُ مطامحُ النفوسِ القدسيّة - اه - و يحتمل أن يكون (استكبروا - و عتوا) لفًا ونشراً لقوله (لولا أنزل علينا الملائكة - أو نرى ربنا). (خفاجي) قوله أي الملائكة. هذا قول مجاهد، و عكرمة، والحسن، والضحاك، و قتادة، و عطية العوفي، و عطاء الخراساني، و خفيف، و غير واحد، و اختاره ابن جرير. (ابن كثير) و أخرج سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه (و يقولون حجراً محجوراً) قال: حراماً محرماً أن نبشركم بما نبشركم به المتقين - اه - (الدر المنثور) و قد حكى ابن جرير عن ابن جريح أنه قال ذلك من كلام المشركين (يوم يرون الملائكة) أي يتعدون من الملائكة، و ذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقول «حجراً محجوراً» - اه - و هذا القول وإن كان له مأخذ و وجه و لكنه بالنسبة إلى السياق بعيد، لا سيما وقد نصّ الجمهور على خلافه - (ابن كثير)

= تدنو مودتها. وكذا استعملت العرب كلاً منهما بمعنى الآخر - وقوله أو لا يخافون، فالرجاء بمعنى الخوف كما في قوله: إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لم يَرُجْ لَسَعَهَا. لأن الراجي لأمر يخاف فواته فاستعمل مجازاً فيه، و كون هذا لغة تهامة كما نقله الزمخشري - و هو ثقة - إما لأنهم لا يخصّونه بهذا المعنى، أو على أنه حقيقة عندهم. و قول الرضي وغيره «إن الترجي: الارتقاب لمكروه أو محبوب، لا يقضي عليه، مع أن الكلام هنا في لفظ «رجو» و كلام النحاة فيما يدل عليه، كلعل. فتأمل. (خفاجي)

(١٤) لقد استكبروا في أنفسهم أي في شأنها [يعني أنهم لتكبرهم استكبروا أنفسهم أي عدوها كبيرة لشأن و خصوصية لها، فنزل فيه الفعل المتعدي منزلة اللازم - خفاجي -] حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها [أي أرادوا روية الملك جهازاً معينا على صورته، التي تحصل لعظماء الأنبياء حين الوحي بالملائكة، لا بإلهام و منام و نحوهما] و أرادوا ما هو أعظم من ذلك [وهو روية الله تعالى عياناً] و عتوا عتوا كبيراً

وقرى بهما وهو من حجره إذا منعه، وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك إظهارها، و «مَحْجُورًا» لتأكيد معنى الحجر كما قالوا: «موت مائت».

﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿٢٥﴾ هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً. والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيهاً بالغبار، والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع. ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ تمييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحدثون ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٦﴾ مكاناً يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، ولانوم في الجنة ولكنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه. وروي: أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار<sup>(١٥)</sup>، وفي لفظ الأحسن تهكم بهم ﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ والأصل تتشقق فحذف التاء كوفي وأبو عمرو وغيرهم أدغمها في الشين ﴿بِالْغَمَامِ﴾ لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول: «شقت السنام بالشفرة فانشق بها»<sup>(١٦)</sup> ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ «ونزل الملائكة» مكي، «وتنزلاً» على هذا مصدر من غير لفظ الفعل. والمعنى أن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد.

﴿الْمَلِكُ﴾ مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه ﴿الْحَقُّ﴾ نعتة ومعناه الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ خبره ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿٢٨﴾ شديداً. يقال: عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين، ففي الحديث: «يهون يوم القيامة

مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قرى، بالكسر والقصر، وبالفتح والمد، والفعل من ضرب. إضافة الضيف.

(١٥) والحديث أخرجه الحاكم وصححه، وله طرق أخرى. (خفاجي)

قوله وغيرهم أي نافع، وابن كثير، وابن عامر، وكذا أبو جعفر ويعقوب تشقق.

(١٦) هذا يدل على أن الباء للالة، والغمام ليس آلة شق السماء لكن لما كان الانشقاق بسبب طلوعه لجعل كالألة.

قوله وقرى بهما، لكن في المشهورة هو الكسر، و قراءة الفتح حكاها، أبو البقاء كالمصنف، وذكر أبو حيان حُجراً بالضم قراءة الحسن والضحاك وأبي رجاء، وفيه ثلاث لغات قرى بها، وما عدا الكسر شاذ (عناية القاضي والبحر المحيط)

قوله موت مائت أي شديد. (تاج العروس، إكليل). ملهوف، حزين قد ذهب له مال، أو فجع بحميم. مظلوم ينادي ويستغيث. مكروب. (لسان العرب)

على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا». (١٧) ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكني عنه، واللام في «الظالم» للعهد وأريد به عقبة لما نبين أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار ﴿يَقُولُ لِيَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى النجاة والجنة وهو الإيمان ﴿يَوْمَلَيْتَنِي﴾ وقرئ «يا ويلتي» بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادي ويئته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا أوانك. وإنما قلبت الياء ألفاً كما في «صحاري» و«مداري» ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ فلان كناية عن الأعلام فإن أريد بالظالم عقبة لما روي (١٨) أنه اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبي بن خلف وهو خليله: وجهي من وجهك حرام إلا أن ترجع فارتد. فالمعنى يا ليتني لم أتخذ أياً خليلاً، فكنى عن اسمه. وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه. وقيل: هو كناية عن الشيطان ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي عن ذكر الله

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

على يديه“ الآية - أخرجه أبو نعيم في الدلائل من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فذكره مطولاً، لكن إلى قوله “فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبياً، ولم يقتل من الأسارى يوم بدر غيره، قتله ثابت بن أبي الأفلح. وروى الطبري من طريق مجاهد في قوله تعالى (و يوم يعض الظالم على يديه) قال “دعا عقبة بن أبي معيط النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى طعام صنعه - إلى قوله “فشهدت له والشهادة ليست في نفسي” و من طريق مقسم نحوه مختصراً، قال: “فقتل عقبة يوم بدر صبياً” و أما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال. وهما الذان أنزل الله تعالى فيهما (و يوم يعض الظالم على يديه) و ذكره الثعلبي ثم الواحدي من غير سند. (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف)

و ذكر في الدر المنثور طرقات عديدة للقصة ، مع بعض اختلاف، منها ما أخرجه ابن مردويه و أبو نعيم بسند صحيح عن ابن عباس. لكن القصة فيه غير قصة الدعوة إلى الطعام و الرجل أبو معيط، و اسم خليله ليس مذكوراً.

(١٧) أخرج نحوه الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعاً. (ابن كثير) قوله روادفها أي توابعها، و الفعل من سمع و نصر. قوله الروعة: الإعجاب و السرور هلكة، الهلكة، بفتح الحاء، مثل قصبته: الهلاك. مداري الألف بدل من الياء، و الواحد مدرئ و مدرأة و مدرية، شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط و أطول منه، يسرح به الشعر المتلبد، و يستعمله من لم يكن له مشط، يقال له “سرخاره” و يُشَبِّه قَرْنَ الثور به. (لسان العرب)

(١٨) قوله لما روي - الخ - قال العلامة ابن حجر: حديث أن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط صنع طعاماً ودعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأبى أن يأكل حتى ينطق بالشهادتين، و كان أبي بن خلف صديقه - الحديث بطوله - و فيه : فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم “لا أراك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فقتل يوم بدر، أمر علياً بقتله، و قيل بل قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، و طعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أياً بأحد فرجع مكة فمات، و فيهما نزل “يوم يعض الظالم

أو القرآن أو الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ من الله ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ أي خليفه سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضلّه الشيطان، أو إبليس لأنه الذي حمّله على مخالطة المضل ومخالفة الرسول ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ المطيع له ﴿حَدُّوْلاً﴾ هو مبالغة من الخذلان أي من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الظالم أو كلام الله.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾<sup>(١٩)</sup> أي محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا ﴿يُرَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً أي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثانٍ لـ«اتخذوا» في هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا. ثم أقبل عليه مسلياً ووعدته النصرة عليهم فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴿أي كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفأك بي هادياً إلى طريق قهرهم والانتصار منهم، وناصرراً لك عليهم. والعدو يجوز أن يكون واحداً وجمعاً والباء زائدة أي وكفى ربك هادياً وهو تمييز.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي قريش أو اليهود ﴿كَوْلًا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً﴾ حال من القرآن أي مجتمعاً ﴿وَاجِدَةً﴾ يعني هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة، وماله أنزل على التفاريق؟<sup>(٢٠)</sup> وهو فضول من القول وممارسة بما لا طائل تحته، لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقاً. و«نزل» هنا بمعنى أنزل وإلا لكان متدافعاً بدليل «جملة واحدة» وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالإتيان

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والزبور، دلّ على نزولها دفعة واحدة آثار وأحاديث كثيرة مروية عن السلف ذكرها في الإتيان وقال: «إنه كاد أن يكون إجماعاً» فلا عبرة بمن قال بخلاف ذلك. (خفاجي) وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة؟ ينزل عليه الآية والآيتين والسورة. فأنزل الله على نبيه جواب ما قالوا (وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة) إلى

(وأضل سيلاً). (الدر المنثور)

قوله ممارسة: مجادلة. لا طائل: لا فائدة. تحذوا: بضمين وتشديد الدال وضمها، ماض مجهول للغائبين، أصله تحذوا من التحذّي تقول: تحذيت =

قوله مُخَالَةً، مفاعلة من الخُلة، المُصَادَقة. قوله خِذْلَانٌ بكسر فسكون، والفعل خذل من نصر: ترك نصرته وعونه.

(١٩) عطف على قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) وما بينهما اعتراض، مسوق لاستعظام ما قالوه، وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال والخطوب. وإيراده صلى الله تعالى عليه وسلم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق، والردّ على نحورهم حيث كان ما حكى عنهم قدحاً في رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم - الخ - (أبو السعود)

قوله من الهجران، هذا مروى عن ابن زيد، ورجحه الطبري، وأخذه مجاهد وإبراهيم النخعي من الهجر بمعنى القول السيء. (جامع البيان)

(٢٠) قوله كما أنزلت الكتب الثلاثة هي التوراة والإنجيل

بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناسبة وفرعوا إلى المحاربة وبدلوا المهج وما مالوا إلى الحجج ﴿كذلك﴾ جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقاً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين و«ذلك» في «كذلك» إشارة إلى مدلول قوله: «لولا نزل عليه القرآن جملة» لأن معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقاً فأعلم أن ذلك ﴿لِنُثِّبَ بِهِ﴾ بتفريقه ﴿فَوَادَكَ﴾ حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه، أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لأن قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ﴿وَوَلَّيْنَاهُ تَرْبِيلاً﴾ معطوف على الفعل الذي تعلق به «كذلك» كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه أي قدرناه آية بعد آية ووقفه بعد وقفة، أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْبِيلاً﴾ [المزمل: ٤] أي اقرأه بترسل وتثبت أو بيناه تبييناً، والترتيل التبيين في ترسل وتثبت. (٢١) ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان ﴿إِلَّا جُنُكَ بِالْحَقِّ﴾ إلا أتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أي من سؤالهم. وإنما حذف من مثلهم لأن في الكلام دليلاً عليه كما لو قلت: «رأيت زيدا وعمراً وإن عمراً أحسن وجهاً» كان فيه دليل على أنك تريد من زيد. ولما كان التفسير هو التوكيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا: تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل: معناه كذا وكذا. أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا أن تعطاه وما هو أحسن توكيفاً لما

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فلاناً إذا بارئته في فعل و نازعته الغلبة. أبرزوا: أظهروا. الصفحة من الشيء جانبه و وجهه. المناسبة: إظهار الشر و الحرب. في لسان العرب: ناصبه الشر و الحرب والعداوة: أظهره له و نصبه. لاذبه و فزع إليه: لجأ. المهج: جمع مَهْجَة: دم القلب. الروح. خالص النفس. و مهجة كل شيء: خالصه. حتى تعيه و تحفظه، الوعي من باب وعد، و العطف للتفسير. الضجر بفتح الحاء، الاغتمام و القلق. ترسل: تمهل، أي تلبث و ترك عجلة. (٢١) التفسير الثالث مروى عن قتادة. و نسبه في المعالم إلى سيدنا ابن عباس، و الأول مروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن والنخعي و ابن جريج. والثاني ذكره في الكشاف بقوله: و يجوز أن يكون المعنى «و أمرنا بترتيل قراءته». اه. قوله: لا محيد عنه أي لا مفر منه. حاد عنه: مال و

عدل عنه.  
قوله: و بما هو أحسن، إشارة إلى أنه عطف على «الحق» في قوله «بالحق».  
قوله: أولاً يأتونك بحال - الخ - المثل يستعمل في شيء نادر و عجيب، فالتفسير الأول باعتبار المثل بمعنى سؤال عجيب، و اعتبار الحق بمعنى الجواب الحق، و التفسير بمعنى المؤدى و المعنى كما فصله. و التفسير الثاني بإرادة المثل بمعنى حال و صفة عجيبة، و إرادة الحق بمعنى ما يحق و يليق في الحكمة عطاؤه. و التفسير بمعنى كشف ما بُعث عليه.  
قوله: وهو من الإسناد المجازي، أي إسناد الضلال إلى السبيل، كما في قولك زيد أعلى بيتاً، و أكثر مالا أي بيته أعلى و ماله أكثر، و الضلال في الأصل و صف صاحب السبيل. أسند إلى السبيل للملابسة مبالغة.



بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيهه مفرقاً وتحديدهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها، أدخل في الإعجاز من أن ينزل كله جملة.

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ ۗ﴾ «الذين» مبتدأ و «أولئك» مبتدأ ثان و «شر» خبر «أولئك» و «أولئك» مع «شر» خبر «الذين» أو التقدير: هم الذين أو أعني الذين و «أولئك» مستأنف ﴿مَكَانًا﴾ أي مكانة ومنزلة أو مسكنًا ومنزلًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي وأخطأ طريقاً، وهو من الإسناد المجازي. والمعنى أن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزله، ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله، وفي طريقته قوله: «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَوْجُودَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ» [المائدة: ٦٠] الآية<sup>(٢٢)</sup>. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم» قيل: يا رسول الله، كيف يمشون على وجوههم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «الذي أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم».

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾<sup>(٢٣)</sup> التوراة كما آتينك القرآن ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ﴾ بدل أو

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

المصدوق صلى الله تعالى عليه وسلم "أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين، و فوج يمشون و يسعون، و فوج تسحبهم الملائكة على وجوههم. و في رواية عن معاوية بن حيدة رضي الله تعالى عنه "إنكم تحشرون رجالاً و ركباناً، أو تجزون على وجوهكم ههنا، و نحى بيده نحو الشام. (الدر المنثور - سورة الإسراء: ٩٧)

(٢٣) قال الفخر الرازي: و اعلم أنه تعالى بعد أن تكلم في التوحيد، و نفى الأنداد، و إثبات النبوة، و الجواب عن شبهات المنكرين لها. و في أحوال القيامة شرع في ذكر القصص على السنة المعلومة. (مفاتيح الغيب) قال أبو السعود: (و لقد آتينا موسى) جملة مستأنفة سقت لتأكيد ما مر من التسلية، و الوعد بالهداية و النصر في قوله تعالى (و كفى بربك هادياً و نصيراً) بحكاية ما جرى بين من ذكر من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - و بين قومهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود - و اللام جواب لقسم محذوف، أي و بالله لقد آتينا موسى - اهـ

(٢٢) العبارة من قوله "إن حاملكم - إلى -" و غضب عليه - الآية" من الكشاف بعينها سوى قوله: تضلون" فإنه في الكشاف تضلون بمعنى النسبة إلى الضلال. و في البيضاوي "إن حاملهم على هذه الأسولة تحقير مكانه و تضليل سبيله" و لفظ المدارك أظنه من تصحيف الناسخ. قوله: عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، أخرجه أبو داؤد، و الترمذي و حسنه، و ابن جرير، و ابن مردويه، و البيهقي في البعث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. و أخرج أحمد، و البخاري، و مسلم، و النسائي، و ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و الحاكم و أبو نعيم في المعرفة، و ابن مردويه، و البيهقي في الأسماء و الصفات عن أنس رضي الله تعالى عنه قال "قيل يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادرٌ أن يمشيهم على وجوههم. و أخرج أحمد، و النسائي، و الحاكم و صححه، و ابن مردويه، و البيهقي في البعث عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه تلا هذه الآية. (و نحشروهم يوم القيمة على وجوههم عمياً و بكماً و صمًا) - (الإسراء: ٩٧) فقال: حدّثني الصادق

عطف بيان ﴿وَزَيْرًا﴾ هو في اللغة من يرجع إليه من الوزر وهو الملجأ، والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ إلى فرعون وقومه وتقديره فذهبا إليهم وأنذرا فكذبوهما<sup>(٢٤)</sup> ﴿قَدَمَرْنَهُمْ تَدْمِيرًا﴾ التدمير الإهلاك بأمر عجيب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي ودمرنا قوم نوح ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ يعني نوحاً وإدريس وشيثاً أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكديباً للجميع ﴿أَغْرَقْنَهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم ﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عبرة يعتبرون بها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وهياناً ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه أراد تظليمهم فأظهر، أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي النار ﴿وَعَادًا﴾ دمرنا عاداً ﴿وَمُودًا﴾ حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما: وشموداً على تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر ﴿وَأَصْحَابِ الرَّسِّ﴾<sup>(٢٥)</sup> هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعيباً فبيناهم حول الرس وهي البئر غير مطوية انهارت بهم فخشف بهم وبديارهم، وقيل: الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا، أو هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود ﴿وَقُرُونًا﴾ وأهلكنا أمماً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَثِيرًا﴾ لا يعلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوهم فأهلكوا ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إذا بنيتها بالحجارة، وانهارت من الانهيار بمعنى انهدمت و غارت. وفي أصحاب الرس أقوال. ذكر المصنّف منها ثلاثة. الأول حكاة الثعلبي والبعوي عن وهب بن منبّه. والثاني مّاروي عن قتادة وغيره. والثالث اختاره ابن جرير بناء على أن الرس هو الحفرة، ولا تعرف أهل حفرة ذكرهم القرآن إلا أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، و أصحاب الأخدود: الحفرة المستطيلة. قال ابن كثير: أمّا أصحاب الرس فقال ابن جريج عن ابن عباس "هم أهل قرية من قرى ثمود" وقال ابن جريج قال عكرمة "أصحاب الرس بفلج، وهم أصحاب ريس (أي المذكورون في قوله "واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية") وقال قتادة "فلج من قرى اليمامة، و روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: بئر بأذربيجان. وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة: الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها- اه- وقيل غير ذلك.

قوله: من الوَزْرِ. بفتح الواو، والزاي. الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل. (مفردات) قوله: والوزارة لا تنافي - الخ - إشارة إلى أن قوله تعالى (و وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) [مریم: ٥٣] لا ينافي هذا. لأنه وإن كان نبياً فالشريعة لموسى عليه الصلاة والسلام، وهو تابع له فيها، كما أنّ الوزير متبع لسلطانه. (خفاجي) قوله يوازر أي يعاون. (٢٤) يشير إلى أن فيه إيجاز حذف، وأن الفاء في قوله "قدمرّنهم" فصيحة، لأن أمره مستلزم لامثالهما، و تدميرهم للتكذيب، فهو في قوّة المذكور، و لذا اختصر. (خفاجي)

(٢٥) قال ابن جرير: الرسّ في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك. (جامع البيان) وقال أبو عبيدة: الرسّ كل ركيّة [بئر ذات ماء] لم تُطوّ بالحجارة والأجر والخشب. (تفسير الثعلبي) قوله لم تُطوّ و قول المصنّف "غير مطوية" يقال طويت البئر

﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا﴾ أي أهلكنا إهلاكاً، «وَكَلَّا» الأول منصوب بما دل عليه «ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ» وهو أندرنأ أو حذرنا والثاني بـ«تبرنا» لأنه فارغ له.

﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا﴾ يعني أهل مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ سدوم وهي أعظم قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله أربعاً مع أهلها وبقيت واحدة ﴿الَّتِي أَطْرَطَ مَطَرُ السَّوِّءِ﴾ أي أمطر الله عليها الحجارة يعني أن قريشاً مروا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء، «ومطر السوء» مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطراً، أو مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْهَا﴾ أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكروا فيؤمنوا ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقَوْلَ﴾ بل كانوا قوماً كفرة بالبعث لا يخافون بعثاً فلا يؤمنون، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم ﴿وَلَا يَخْتَدِرُ اللَّامِ أَلَّا يُغْرِقَ﴾ اتخذ هزواً في معنى استهزاء به والأصل اتخذ هزواً موضع هزواً أو مهزواً به ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ محكي بعد القول المضممر وهذا استصغار واستهزاء أي قائلين أهذا الذي ﴿بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ والمحذوف حال والعائد إلى «الذي» محذوف أي بعثه. ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ الْهَيْتِ لِأَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْنَا﴾ «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساحهم بعبادة آلهتهم ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هو كالجواب عن قولهم: «إن كاد ليضلنا» لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال إذ لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه. ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول الله تعالى لرسوله: هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله سدوم، بفتح السين و دال مضمومة و واو ساكنة نقل الأزهرى عن أبي حاتم، وابن بَرِّي عن قتيبة أنها بالذال المعجمة، و صححه الأزهرى. قال ابن بَرِّي: والمشهور بالذال المهملة. (لسان العرب) و في أعلام المنجد: سدوم مدينة قديمة في فلسطين على شاطئ البحر الميت. ذكر الكتاب المقدس أن الله أمطرها ناراً قصاصاً على خطايا أهلها - اه -  
قوله أهلك الله أربعاً مع أهلها - بأن قُلبت، و جعل عليها أسفلها، و بقت واحدة وهي سدوم أهلك الله أهلها بحجارة من سجيل، و أبقى مكانها كما كان ليعتبر المعتبرون، و يتذكروا قصة أهلها، و يتعظوا بها.

قوله سدوم، بفتح السين و دال مضمومة و واو ساكنة نقل الأزهرى عن أبي حاتم، وابن بَرِّي عن قتيبة أنها بالذال المعجمة، و صححه الأزهرى. قال ابن بَرِّي: والمشهور بالذال المهملة. (لسان العرب) و في أعلام المنجد: سدوم مدينة قديمة في فلسطين على شاطئ البحر الميت. ذكر الكتاب المقدس أن الله أمطرها ناراً قصاصاً على خطايا أهلها - اه -  
قوله أهلك الله أربعاً مع أهلها - بأن قُلبت، و جعل عليها أسفلها، و بقت واحدة وهي سدوم أهلك الله أهلها بحجارة من سجيل، و أبقى مكانها كما كان ليعتبر المعتبرون، و يتذكروا قصة أهلها، و يتعظوا بها.

تدعوه إلى الهدى. يروى: أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مر بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني. وعن الحسن: هو في كل متبع هواه ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ أي حفيظاً تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه، أفأنت تكون عليه موكلاً فتصرفه عن الهوى إلى الهدى، عرفه أن إليه التبليغ فقط ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٢٧)</sup> «أم» منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها، وهي كونهم مسلوبى الأسماع والعقول؛ لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنًا ولا إلى تدبره عقلاً، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستدلال لتركهم الاستدلال، ثم هم أرجح ضلالة منها لأن الأنعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي، وقالوا: للملائكة روح وعقل، وللبهائم نفس وهوى، والأدمي مجمع الكل ابتلاء. فإن غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام، وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام. وإنما ذكر الأكثر لأن فيهم من لم يصدده عن الإسلام إلا حب الرياسة وكفى به داء عضالاً ولأن فيهم من آمن.

﴿الْمُتَرَالِي رَبِّكَ﴾<sup>(٢٨)</sup> ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أي بسطه فعم

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

مسلوبى الأسماع والعقول ، وهذا مستفاد من نفي "يسمعون أو يعقلون" لأن الاستفهام للإنكار. وقوله لأنهم - الخ - دليل عليه. فإن من لا يستعمل جوارحه فيما خلقت له فكأنه عار عنها. (٣) قوله مشبهين بالأنعام، مذكور في "إن هم إلا كالأنعام". (٤) قوله ثم هي أرجح ضلالة ، مذكور في "بل هم أضل" و قوله لأن الأنعام - الخ - شرح رجاحتهم ضلالة و دليل الحكم بها. (٥) وجه قوله تعالى "أكثرهم".

قوله الاستدلال، بالذال المعجمة بمعنى التذليل. المشرع (ف) مورد الشارحة. الهني والهنيء من هنأ (ض س ك) السائغ. الذي حصل بلا مشقة. العذب (ك) الحلو الطيب. الروي (س) التام المشبع. داء غضال، بضم العين: مرض شديد أعيب الأطباء دواؤه. (٢٨) اعلم أنه تعالى لما بين جهل المعرضين عن دلائل الله تعالى، وفساد طريقتهم في ذلك ذكر بعده أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع. (النوع الأول) =

= إليه مفعول ثان لاتخذ، قدّم على الأول للاعتناء به، و من توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل منه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة، أي رأيت من جعل هواه إليها لنفسه، و بنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجّة والبرهان. (أبو السعود)

قوله يُروى - الخ - رواه ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس. قوله و عن الحسن - الخ - أخرج ابن أبي شيبة، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عنه في تفسير الآية، قال: لا يهوى شيئاً إلا تبعه. وعن قتادة: كلما هوى شيئاً ركبته، و كلما اشتهى شيئاً أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى. و عن ابن عباس: ذاك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان. (الدر المنثور)

(٢٧) ذكر المصنف في شرح ما تضمنته الآية عدة أمور: (١) أم منقطعة تشتمل على معنى بل والهمزة، أي الإضراب والاستفهام. لم جاء الإضراب. (٢) كونهم

الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لأنه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة، وهو كما قال في ظل الجنة «وِظِلٌّ مُدَوِّدٌ» [الواقعة: ٣٠] إذ لا شمس معه ولا ظلمة ﴿وَلَوْ شَاءَ جَعَلْنَاهُ سَاكِنًا﴾ أي دائماً لا يزول ولا تذهب الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ على الظل ﴿دَلِيلًا﴾ لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل، فالأشياء تعرف بأضدادها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي أخذنا ذلك الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا﴾ إلى حيث أردنا ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ سهلاً غير عسير أو قليلاً قليلاً أي جزءاً فجزءاً بالشمس التي تأتي عليه. وجاء بـ«ثم» لتفاضل ما بين الأمور فكأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني، شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ جعل الظلام الساتر كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم، والسبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته. وقيل: السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] ويعضده<sup>(٢٩)</sup> ذكر النشور في مقابلته ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا﴾ إذ النشور انبعاث من النوم كشور الميت. أي: ينشر فيه الخلق للمعاش. وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية، وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر. وقال لقمان لابنه: كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بارتفاع الشمس والتدرج في القبض حسب تدرج الارتفاع أعظم من الثاني لدلالته على أن هذه التغيرات لا تكون إلا بصنع قادر حكيم فوجود الظل أولاً، ثم وقوع الشمس ثم انقباض الظل وانبساط الضوء شيئاً فشيئاً ينبه العقول، ويوجهها إلى خالق هذه التغيرات، وحكمته وتديره، وإلى ما وضع فيها من مصالح العالم. فهذا أعظم من الأولين. ويجوز أن تكون "ثم" للتراخي الزمني، فإن الظل الممدود يوجد بعد الإسفار قبل طلوع الشمس، ثم ضوء الشمس ثم ارتفاع الشمس وانقباض الظل لكن المصنف اختار الأول لأن الآية جاءت لتعريف العقول خالق الكون وهدايتها إلى معرفة قدرته ونعمته وربوبيته كما يدل عليه قوله "إلى ربك" فإنه ذكر هنا ذاته بعنوان الربوبية.

(٢٩) قوله: يعضده (ن) أي يؤيده، وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أصبح قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" (أحمد، بخاري، أبو داود، ترمذي، ابن حبان) فأعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه

= الاستدلال بحال الظل في زيادته و نقصانه، و تغييره من حال إلى حال. (النوع الثاني) الاستدلال بأحوال الليل والنهار، والنوم واليقظة. (النوع الثالث) الاستدلال بأحوال الرياح و إنزال المطر و منافع البلاد والأنعام والإنسان به. (النوع الرابع) الاستدلال بما تشتمل عليه مياه البحار. (النوع الخامس) الاستدلال بخلق الإنسان من الماء، و تقسيمه إلى الذكور والإناث. (مفاتيح الغيب بتلخيص) قوله جاء بـ«ثم» لتفاضل ما بين الأمور - يعني أن التراخي رتبي. ففيه استعارة تبعية، شبه تباعد الرتبة بالتباعد الزمني فاستعير له ما يدل عليه، وهو "ثم" الموضوع للتراخي الزمني. أما بيان التفاضل فهو أن خلق الظل دليل على الخالق، و نعمة عظيمة للرب. لكن العقول لم تهتد إلى معرفته لولا وجود الشمس، فإن الناظر إلى الجسم المملون وقت الظل لا يشاهد سوى الجسم واللون ولا يعرف الظل لكن إذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم يعرف أن الجسم كان عليه الظل، و زال ذلك بوقوع الشعاع فجعل الشمس دليلاً على الظل أعظم منه، ثم قبض الظل

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ «الريح» مكى والمراد به الجنس ﴿بُشْرًا﴾<sup>(٣٠)</sup> تخفيف بشر جمع بشور ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي قدام المطر لأنه ريح ثم سحب ثم مطر، وهذه استعارة مليحة ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿طَهُورًا﴾<sup>(٣١)</sup> بليغاً في طهارته. والظهور صفة كقولك: «ماء طهور» أي طاهر، واسم كقولك: لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار، ومصدر بمعنى التطهر كقولك: تطهرت طهوراً حسناً ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة إلا بطهور» أي بطهارة. وما حكي عن ثعلب: هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى إن كان هذا بيان زيادة الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى: «وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ» [الأنفال: ١١] وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء، وقياسه على ما هو مشتق من الأفعال المتعدية كقطع ومنوع غير سديد لأن بناء الفعول للمبالغة، فإن كان الفعل متعدياً فالفعول متعد وإن كان لازماً فلازم. ﴿لِيُخَيِّبَهُ﴾ بالمطر ﴿بَلَدَةً مَيْتًا﴾ ذكر «ميتاً»<sup>(٣١)</sup> على إرادة البلد أو المكان ﴿وَنَسَقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ أي ونسقي الماء البهائم والناس. و «مما خلقنا» حال من «أنعاماً وأناسي» أي أنعاماً وأناسي مما خلقنا. وسقى وأسقى لغتان. وقرأ المفضل والبرجمي «ونسقيه» والأناسي جمع

#### مواهب المليل لتجلية مدارك التنزيل

خفاجي، الأعراف: ٥٧، والفرقان: ٤٨) قوله: قدام المطر. قدام تفسير لبين يدي، والمطر تفسير للرحمة، لأنها استعيرت له ثم رُشحت، كقوله (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ) [التوبة: ٢١] وجعلها بين يديه تنمة لها، لأن البشير يتقدم المبشر به. ويجوز أن تكون تمثيلية، و بشراً من تنمة الاستعارة داخل في جملتها، و من قرأ نشرًا كان تجريدًا لها، لأن النشر يناسب السحاب. (خفاجي) قوله: من التفعيل في شيء، أي فعول بزنة المبالغة في معنى الفاعل لا يجيء من التفعيل، بل يجيء من الثلاثي المجرد. فظهور من طهر الثلاثي، وهو بمعنى الطهارة لا بمعنى التطهير. فلا يكون «ظهور» بمعنى المطهر. (٣١) قوله ذكر ميتاً - الخ - و قال أبو حيان: لأنه [بعد التخفيف] يماثل فعلاً من المصادر، كما وصف المذكر والمؤنث بالمصدر فكذلك بما أشبهه، بخلاف المشدد، فإنه يماثل فاعلاً من حيث قبوله للتاء إلا فيما خص المؤنث نحو طامث - اه - لكن قراءة أبي جعفر بالتشديد فما ذكر المصنف يتوجه على القرائتين. قوله مِمَّا خَلَقْنَا حال. قدمت لكون ذي الحال نكرة. قوله المفضل ابن محمد عن عاصم، والبرجمي بضم الباء الموحدة، و سكنون الراء، و ضم الجيم، نسبة إلى =

= عليه وسلم أن النوم موت، واليقظة حياة. و كذلك يكون الإحياء بعد الموت المعروف.

(٣٠) قوله: بُشْرًا - بضم الباء و سكنون الشين، قرأه عاصم - و نُشْرًا - بفتح النون و سكنون الشين، قرأه حمزة و علي- و نُشْرًا - بضم النون و سكنون الشين، قرأه ابن عامر- و نُشْرًا - بضم النون والشين، قرأه الباقون.

وُبَشْرًا - بضم فسكون تخفيف بُشْرٍ بضميتين بمعنى باشرات وهو إما جمع بشور - كما قال هنا - على زنة فَعُول بفتح الفاء، و فعول بمعنى فاعل يطرد جمعه عليه كصُبُور و صُبْر. و إما جمع بشير كما قال في الأعراف: ٥٧ - مثل نذير و نذر. و تسمية الرياح بها لأنها تُبَشِّرُ بالمطر. والكلمة تكون حالاً عن الرياح. و نُشْرًا بفتح فسكون. إما مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات، أو مفعول مطلق، فإن الإرسال و النشر متقاربان معني، و نُشْرًا بضم فسكون، تخفيف نُشْرٍ، بضميتين. و نُشْرًا بضميتين جمع نُشُور، بزنة بُشُور، بمعنى ناشرات للسحاب. و معنى نشرها للسحاب جمعها لها - من النشر بمعنى البعث، لأنها تجتمعها كأنها تحييها - لا من النشر بمعنى التفريق، لأنه غير مناسب، إلا أن يراد به السُّوق مجازاً. و الكلمة على القرائتين تكون حالاً. (بيضاوي و

إنسي على القياس ككرسي وكراسي، أو إنسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت. وقدم إحياء الأرض على سقي الأنعام والأناسي لأن حياتها سبب لحياتها، وتخصيص الأنعام من الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسي متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي الأنعام كالإنعام بسقيهم، وتنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار فيهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته، وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء. ولما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراماً لهم، وبيان أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط الإحياء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ «ليذكروا»<sup>(٣٢)</sup> حمزة وعلي، يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُهُمْ إِلَّا كُفْرَانَ النِّعْمَةِ وَجُحُودَهَا وَقَلَّةَ الْاِكْتِرَاتِ لَهَا. أَوْ صَرَفْنَا الْمَطَرَ بَيْنَهُمْ فِي الْبِلْدَانِ الْمَخْتَلِفَةِ وَالْأَوْقَاتِ الْمَتَغَايِرَةِ وَعَلَى الصِّفَاتِ الْمَتَفَاوِتَةِ مِنْ وَابِلٍ وَطَلٍّ وَجُودٍ وَرِذَاذٍ وَدِيمَةٍ، فَأَبَاؤُا إِلَّا الْكُفُورَ وَأَنْ يَقُولُوا مَطَرْنَا بِنُوءِ كَذَا وَلَا يَذَكِّرُوا صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَحْمَتَهُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ

#### مواليد الجليل لتجلية مدارك التنزيل

أقوى منه، سيأتي. قوله مُنيخون، اسم فاعل. من أناخ بالمكان: أقام فيه، و أناخ البعير: أركه. قوله و بقاياهم، عطف تفسير. قوله مظان، بتشديد النون جمع مظنة، بكسر الظاء مظنة الشيء: موضعه و ما لفه. (المصباح المنير) المراد ببلدة قطعة من الأرض عامرة كانت أو غامرة. (أبو السعود)

(٣٢) قوله ليذكروا، بسكون الذال، و تخفيف الكاف مضمومة حمزة و علي الكسائي، و الباقر بتشديد الذال و تشديد الكاف مفتوحين ليذكروا.

قوله قلة الاكترات لها، أي قلة المبالاة بها. وابل، المطر الشديد. ظل المطر الضعيف والندى. جود، بفتح فسكون، المطر الواسع الغزير. رذاذ بفتح الراء (كسحاب) المطر الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار. ديمة بكسر فسكون، مطر يدوم أياما. (إكليل وغيره)

قوله بنوء كذا، والنوء كما في أدب الكاتب سقوط النجم في المغرب مع الفجر و طلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق، من ناء بمعنى نهض، لأن الطالع =

= البراجم، وهي قبيلة من تميم، و اسمه عبد الحميد بن صالح يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رحمهم الله. نسقيه بفتح النون، و ليست من المشهورة. (إكليل)

قوله كسرحان، في المصباح: السرحان بالكسر الذئب والأسد، والجمع سراحين، و يقال للفجر الكاذب سرحان على التشبيه - اه - إكليل - وكون أناسي جمع إنسان، وأصله أناسين، مذهب سيبويه. وكونه جمع إنسي مذهب الفراء، والمبرد، والزجاج. وأورد عليه في الدر المصون: أن فعالي إنما يكون جمعا. لما فيه ياء مشددة إذا لم يكن للنسب، ككرسي و كراسي، و ما فيه ياء النسب يُجمع على أفاعلة، كأزرقي و أزارقة، فحقه أن يجمع على أناسية، و قال في التسهيل: إنه أكثرى، فلا يرد ما ذكر - اه - خفاجي.

قوله لأن عامة منافع - الخ - ولذا قدم سقيها على سقيهم. قوله ولأن أكثر الناس - الخ - وله وجه آخر

الله عنهما: ما من عام أقل مطراً من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية. وروي: أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد. وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي. ومن نسب الأمطار إلى الأنواء وجد أن تكون هي والأنواء من خلق الله تعالى كفر، وإن رأى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَكَعْنُنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ فَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ ﴿٣٣﴾ أي لو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة (٣٣) جميع القرى، ولبعثنا في كل قرية نبياً ينذرها، ولكن شئنا أن نجتمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم، ولذا خوطب بالجمع «يا أيها الرسل» فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم، وكما أثرتك على جميع الأنبياء فأثر رضائي على جميع الأهواء، وأريد بهذا تهيجهم وتهيج المؤمنين وتحريكهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعاً. (تخریج أحاديث الكشاف)

قوله لا يكفر، قال الخفاجي: و كذا سائر أحكام النجوم، و ظاهره أنه لا يأثم أيضاً، وقد صرح الإمام بأنه خطأ. اهـ. ولفظ الإمام في المفاتيح هكذا: و أما من قال: الصانع تعالى جَبَلَهَا على خواصّ و صفات تقتضي هذه الحوادث فلعله لا يبلغ "خطؤه" إلى حد الكفر - اه - و أرى فرقاً بين اعتقادها مجبولة على صفات تقتضي الحوادث و بين اعتقادها مخلوقة منصوبة كعلامات و دلالات و لعل في الأول خطأ، والثاني ليس من الخطأ في شيء.

(٣٣) قوله أعباء نذارة، أعباء جمع عبء بالكسر، الحِمْلُ والثَّقْلُ من أي شيء كان، والنِّذَارَةُ بالكسر اسم للإنذار، قال المجدد: وهذه عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه - اه - قاموس.

قوله و مداهنتهم، المداهنة أن ترى منكراً تقدر على دفعه ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه، أو جانب غيره، أو لقلّة مُبَالَاة الدين - اه - تعريفات السيد السند قدس سره - إكليل.

قوله تعالى وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، ذكر المصنّف في ضمير "به" ثلاثة وجوه، على الأولين الباء للاستعانة، و على الثالث للسببية.

= ينهض. وبعضهم يجعل النوء السقوط، فهو من الأضداد. و كانوا إذا سقط نجم و طلع آخر فكان عنده مطر، أو ريح، أو برد، أو حرّ نسبه إلى الساقط، إلى أن يسقط الذي بعده، فإن سقط ولم يكن مطر قيل خوى و أخوى - اه - خفاجي. و في المصباح: خَوَتْ النجوم من باب رمي: سقطت من غير مطر، و أخوت بالألف مثله - اه - إكليل.

و في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوماً على إثر سماء أصابتهم من الليل "أ تدرّون ماذا قال ربكم؟" قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: "قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مُطَرْنَا بفضل الله و رحمته فذاك مؤمن بي، كافر بالكوكب. و أما من قال مُطَرْنَا بنوء كذا و كذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب". (ابن كثير)

قوله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - الخ - أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و الحاكم و صحّحه، والبيهقي في سننه عنه رضي الله تعالى عنه موقوفاً. قال ابن حجر: و في الباب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. أخرجه العقيلي من رواية علي بن حميد عن شعبة عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عنه. و قال "لا يتابع على رفعه" ثم أخرجه موقوفاً من رواية عمر بن مرزوق عن شعبة و قال: هذا أولى - اه - و أورده ابن مردويه



أي بالله يعني بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣٤)</sup> عظيمًا موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق، ويجوز أن يرجع الضمير في «به» إلى ما دل عليه «وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا» من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرًا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له: وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادًا كبيرًا جامعًا لكل مجاهدة.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلاهما متجاورين متلاصقين. تقول: مرجت الدابة إذا خليتها ترعى، وسمى المائين الكثيرين الواسعين بحرين<sup>(٣٤)</sup> ﴿هُدَا﴾ أي أحدهما ﴿عَذْبُ فُرَاتٍ﴾ صفة لـ«عذب» أي شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ صفة لـ«ملح» أي شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حائلًا من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وسترًا ممنوعًا عن الأعين كقوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

إلا الأنهار العذاب، فإن دجلة تقع في البحر، فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر فلا تمر فيه، بينهما مثل الخيط الأبيض. فإذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر، والنيل يصب في البحر.... قال أبو جعفر (ابن جرير الطبري) و إنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله (و جعل بينهما برزخاً و حجراً محجوراً) دون القول الذي قاله من قال: معناه أنه جعل بينهما حاجزاً من الأرض أو اليبس، لأن الله تعالى أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين والملح الأجاج أرضاً أو يبساً لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما. وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن صاحبه فليس هناك مرج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبت عليه أهل الجهل به من الناس، و يدكرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيباً، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ - اه -

(٣٤) قوله سَمَى المائين.... بحرين، تأويل البحر بالماء الكثير لأن في البحار ليس ما يكون عذبا، فالمراد بالعذب النهر العظيم كدجلة والفرات والمراد بالملح البحر، وإطلاق البحر على النهر الواسع الكبير شائع حتى جعل حقيقة. قال البيضاوي: و ذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها. اه. وقال ابن جرير في جامع البيان يفسر الآية: و الله الذي خلط البحرين فأمرج أحدهما في الآخر وأفاضه فيه. و أصل المرج الخلط، ثم يقال للتخلية مرج، لأن الرجل إذا خلى الشيء حتى اختلط بغيره فكأنه قد مرجه.... ثم قال: يعني بالعذب الفرات مياه الأنهار والأمطار، و بالملح الأجاج مياه البحار. و إنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه، و عظيم سلطانه يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته و إفساده إياه بقضائه و قدره.... فقال جل ثناؤه: و جعل بينهما برزخاً، يعني حاجزاً يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر "و حجراً محجوراً" يقول و جعل كل واحد منهما حراماً محرماً على صاحبه أن يغيره و يفسده. و نقل ابن جرير عن ابن جريج قال: لم أجد بحراً عذبا

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ أي النطفة ﴿بَشَرًا﴾ إنساناً ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أراد تقسيم البشر قسمين: ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال: فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن<sup>(٣٥)</sup> كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة: ٣٩] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين ذكراً وأنثى. وقيل: فجعله «نسباً» أي قرابة و«صهراً» مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الأنساب لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾<sup>(٣٦)</sup> إن عبوده ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوه ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ﴾ على معصية ربه ﴿ظَهِيرًا﴾ معيناً ومظاهراً. وفعل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة، والمعنى أن الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا مَبَشِّرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿الْأَمْنُ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ والمراد إلا فعل من شاء. واستثناءه من الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه، فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته بصورة الثواب كأنه يقول: إن حفظت مالك اعتدّ حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المثاب بالثواب.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

شاء أن يتخذ - الخ - والوجه الذي ذكره المصنّف أولاً مبني على كون الاستثناء متصلاً، بتنزيل اتخاذ المدعو سبيلاً إلى ربه منزلة أجر الداعي مجازاً و ادعاء. و الوجه الذي ذكره آخراً أيضاً مبني على الاستثناء المتصل والأجر هنا على سبيل التحقيق، فإن الدال على الخير كفاعله، والمرء إذا اتخذ سبيلاً إلى ربه بطاعته يستحق الأجر، و من دعاه إلى ذلك هو أيضاً يستحق الأجر، فليس مطلوب الرسول شيء من الأجر، إلا الأجر الذي يناله على طاعة الإنسان بسبب دعوته وإرشاده إلى الطاعة.

والمصنّف ذكر التقرب بالصدقة والنفقة تحت الوجه الأول، ثم ذكر الإنفاق تحت الوجه الثاني أيضاً ذيل الاستثناء المنقطع، وغير المصنّف ذكره مستقلاً. والفرق يسير، فالمعنى بالنظر إلى الوجه الأول "لا أسألكم عليه أجرًا لكن من تصدق و أنفق في سبيل الخير و تقرب بذلك إلى الله أعتده أجرًا لي. والمعنى بالنظر إلى الوجه الثاني لا أسألكم عليه أجرًا. لكن من شاء فلينفق في سبيل الخير. طلباً لرضا الله تعالى. وليس ذلك من أجر الرسول في شيء، لكنّه وجه من =

(٣٥) قوله يصاهر بهن، المصاهرة: التزوّج أي يقع التزوّج بهن - إكليل.

قوله يعني الوصلة بالنكاح - الخ - أي كما تكون الوصلة بالأنساب تكون بالمصاهرة، لأن التواصل (أي صلة أحد بالآخر) يقع بها أي بالأنساب و يقع بالمصاهرة، لأن التوالد يكون بهما أي بالزوجين، و تكون للولد وصلة بالأبوين، و كذا يكون التواصل بين أسرة الزوج و أسرة الزوجة بسبب المصاهرة فهي كالأنساب في باب التواصل.

(٣٦) قوله تعالى: و يعبدون من دون الله - الخ - بعد شرح دلائل التوحيد والقدرة والنعمة عود إلى تقييح طريقة المشركين في عبادة الأوثان. و بيان لمنصب الرسول و مسؤوليته بدون أن يطلب على أداؤها أجرًا من الناس سوى أن يقبلوا دعوته، و يقوا أنفسهم الهلاك. قوله على التبليغ، المدلول عليه بكونه مبشراً و نذيراً. قوله جُعل، بضم فسكون، أجره العمل. قوله و استثناءه.... قول ذي شفقة أي كقول ذي شفقة. و ذهب أكثر المفسرين إلى أن الاستثناء هنا منقطع. و ذكر المصنّف فيما يأتي بقوله "وقيل: المراد لكن من

ولعمري إنه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصد. ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلاً تقربهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة. وقيل: المراد لكن من شاء أن يتخذ بالإنفاق إلى رضاء ربه سبيلاً فليفعل. وقيل: تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجراً إلا اتخاذ المدعو سبيلاً إلى ربه بطاعته فذلك أجري لأن الله يأجرني عليه. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ اتخذ من لا يموت وكيلاً لا يكلك إلى من يموت ذليلاً يعني ثق به وأسند أمرك إليه في استكفاء شروهم ولا تتكل على حي يموت. <sup>(٣٧)</sup> وقرأها بعض الصالحين فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق. والتوكل: الاعتماد عليه في كل أمر ﴿وَسَبِّحْ﴾ من لا يكل إلى غيره من توكل عليه ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بتوفيقه الذي يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه ﴿وَكَفَى بِهِ بَدُنُوبٍ عِبَادَةً خَيْرًا﴾ أي كفى الله خبيراً بذنوب عباده يعني أنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي في مدة مقدار هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ ليل ونهار. روي عن مجاهد: أو لها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليماً لخلق الرفق والتثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ أي هو الرحمن ف «الرحمن» خبره ﴿فَسَلِّ﴾ محذوف أو بدل من الضمير في «استوى» أو «الذي خلق» مبتدأ و «الرحمن» خبره ﴿فَسَلِّ﴾ بلا همزة مكى وعلي ﴿بِهِ﴾ صلة «سل» كقوله: «سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١» [المعارج: ١] كما

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله «من لا يكل» مفعول سبَّح، وقوله «من توكل» مفعول لا يكل. قال في مفاتيح الغيب «أما قوله (وسبَّح بحمده) فمنهم من حملة على نفس التسبيح بالقول، ومنهم من حملة على الصلاة، ومنهم من حملة على التنزيه لله تعالى عمّا لا يليق به في توحيده وعدله، وهذا هو الظاهر». اهـ - وما ذكر المصنّف من المعاني فالأخيران منها يشتملان على تفسير التسبيح والحمد كليهما، لكن الوجه الأول ليس فيه معنى التسبيح فلعله أخذ في الوجه الأول معنى الصلاة، و التسبيح جاء بمعنى الصلاة في القرآن كثيراً، وقوله بتوفيقه - الخ - يشير إلى أن الباء للسببية. وقوله في الوجه الأخير «بالثناء» يشير إلى أن الباء بمعنى المصاحبة.

قوله فسَلِّ بلا همزة أي بإلقاء حركة الهمزة على السين وحذفها، قرأه ابن كثير المكى و علي الكسائي، والباقون «فسَلِّ» بسكون السين والهمزة المفتوحة.

= بذل المال فذكر بطريق الاستثناء المنقطع. قوله ولعمري، على حذف المضاف أي لواهب عمري، وارتفاعه على الابتداء، وخبره «قسمي و يميني» محذوف، والواو فيه للاستيناف، واللام للابتداء، قال في المغرب: العمر بالضم والفتح: البقاء، إلا أن الفتح غلب في القسم حتى لا يجوز فيه الضم. إكليل. قوله بهذا الصد، أي بهذه الجهة. وفي لسان العرب: الصد: الناحية والصد ما استقبلك، وهذا صد هذا وصدده و على صدده أي قبالة، و الصد القرب. والصد: القصد - اهـ - إكليل.

(٣٧) قوله ولا تتكل على حي يموت. فيه إشارة إلى أنه يفيد الحصر، لأن أصله «توكل على الله» فلما عدل عنه إلى ما ذكر أفاد بفحواه أن من ليس كذلك لا يصح التوكل عليه، أو لأنه لترتب الحكم على وصف مناسب، وهو أن المتوكل عليه دائم باق معتمد عليه، فصَحَّ الحصر. (خفاجي)

تكون «عن» صلته في قوله تعالى: «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٥٩﴾» [التكاثر: ٨] فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه<sup>(٣٨)</sup> أو صلاة ﴿خَيْرًا﴾ ويكون «خيراً» مفعول «سل» أي فاسأل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته، أو فاسأل رجلاً خبيراً به وبرحمته، أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل: فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى يعرف من ينكره، ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ صلوا لله واخضعوا له ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ أي لا نعرف الرحمن فنسجد له، فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بـ«ما» أو عن معناه لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم ﴿اسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ للذي تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به. «يأمرنا» علي وحمزة كأن بعضهم قال لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو؟ فقد عاندوا لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن إعلان من أبنية المبالغة تقول: رجل عطشان إذا كان في نهاية العطش ﴿وَزَادَهُمْ﴾ قوله: «اسجدوا للرحمن» ﴿نُفُورًا﴾ تباعداً عن الإيمان.

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾<sup>(٣٩)</sup> هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

و خمسين سنة، و مولده قبل مولد عبد الله والد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. إكليل.  
قوله للذي تأمرنا... أو لأمرك - أي ما موصولة أو مصدرية. قوله يأمرنا بالياء علي و حمزة والباقون بالياء.  
(٣٩) لما حكى الله سبحانه عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن. (مفاتيح الغيب)  
قوله هي منازل الكواكب السيارة. أخرج الخطيب في كتاب النجوم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (تبرك الذي جعل في السماء بروجاً) قال: هي هذه الاثنا عشر برجاً. أولها الحمل، ثم الثور، ثم الجوزاء، ثم السرطان، ثم الأسد، ثم السنبلة، ثم الميزان، ثم العقرب، ثم القوس، ثم الجدي، ثم الدلو، ثم الحوت. (در منثور)  
قال ابن كثير: هي الكواكب العظام في =

(٣٨) قال البيضاوي : والسؤال كما يعدى بعن، لتضمنه معنى التفيتش، يُعدى بالياء لتضمنه معنى الاعتناء - اه - قال علقمة بن عبدة:  
وإن تسألوني بالنساء فإنني بصرير بأدواء النساء طيب وضمير "به" يرجع إلى الرحمن، والمراد به الموصوف بالرحمة البالغة أو المراد به اسم الرحمن كما ذكر المصنف أخيراً.  
قوله مسيلمة، الكذاب كان يدعي النبوة، جمع جموعاً كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب و قصد قتال الصحابة في إثر وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث إليه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الجيوش سنة إحدى عشرة من الهجرة وأميرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، فقاتلوه و قتلوه وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه، وكان عمر مسيلمة الكذاب لعنه الله يوم قُتل مائة

حاله فيهما. وللشمس بيت وللقمر بيت. فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج: فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها، واشتقاق البروج من التبرج لظهوره. وقال الحسن وقتادة ومجاهد: البروج هي النجوم الكبار لظهورها ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا ﴾ في السماء ﴿ سِرْجًا ﴾ يعني الشمس لتوقدها. «سرجا» حمزة وعلى أي نجومًا ﴿ وَقَبْرًا مُنِيرًا ﴾ مضيئًا بالليل.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر، والمعنى جعلهما ذوي خلفه<sup>(٤٠)</sup> يخلف أحدهما الآخر عند مضيئه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد ﴿ لَئِنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّكُرَ ﴾ يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما. «يذكر» حمزة وخلف أي يذكر الله أو المنسي فيقضي ﴿ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ أي يشكر نعمة ربه عليه فيهما.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾ أو أولئك يجزون «والذين يمشون» وما بعدهما صفة والإضافة إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل<sup>(٤١)</sup>. وصف أولياءه بعدما وصف

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

وأخرج مسلم، و أبو داود، و الترمذي، والدارمي، وابن ماجه، وابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : من نام عن حربه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر و صلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل.

قوله (لمن أراد) الظاهر أن اللام صلة جعل، ولما كان ظهور فائدة ذلك لمن يتذكر أو يشكر كانا كأنهما لم يجعل خلفا لغيرهما. ويجوز أن يكون للتعليل. قوله يذكر، بسكون الدال وضم الكاف مخففة حمزة وخلف، والباقيون يتشديدهما مفتوحتين، أصله يتذكر فأبدلت التاء ذالا وأدغمت فيها.

(٤١) قوله للتخصيص والتفضيل، أي لأن تفيد لهم خصوصية و شرفاً، و تفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات و لإفآلخلق كلهم عباد الله. (شيخ زاده)

= قول مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، والحسن، وقتادة — وقيل: هي قصور في السماء للحرس. و يُروى هذا عن علي، وابن عباس، ومحمد بن كعب، وإبراهيم النخعي، وسليمان بن مهران الأعمش، وهو رواية عن أبي صالح أيضاً. والقول الأول الأظهر. اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس، فيجتمع القولان. اهـ.

(٤٠) قوله ذوي خلفه، ذوي بفتح الواو تثنية ذي، قوله أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد بكسر الواو: الوظيفة من قراءة و نحو ذلك، و جمعه أو راد، كحمل و أحمال. (خفاجي) أخرج الطيالسي و ابن أبي حاتم عن الحسن: أن عمر أطال صلاة الضحى فقبل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: إنه بقي علي من وردي شيء و أحببت أن أتمه - أو قال: أقضيه، و تلا هذه الآية (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) - (در منشور)

أعداءه ﴿عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشياً هيناً. والهون: الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً ولذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق ولقوله: «ويمشون في الأسواق» ﴿وَأِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أي السفهاء بما يكرهون ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإفك أو تسليماً منكم نتارككم ولا نجاهلكم فأقيم السلام مقام التسلم. وقيل: نسختها آية القتال. ولا حاجة إلى ذلك فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعاً ومروءة. هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَامًا﴾ جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم. وقالوا: من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً. وقيل: هما الركعتان بعد

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله: وصف أولياءه. وصفهم بتسعة أنواع من الصفات: (١) مشيهم على الأرض هوناً (٢) قولهم سلاماً إذا خاطبهم الجهلاء (٣) بيتوتهم سجداً وقياماً (٤) دعاؤهم صرف العذاب عنهم (٥) اقتصادهم في الإنفاق (٦) مجانبتهم الشرك، و قتل النفس بدون حق، والزنا (٧) مجانبتهم الزور، و مرورهم باللغو مر الكرام (٨) عدم سقوطهم صماً وعمياناً حين التذكير بالآيات (٩) دعاؤهم عطاء قرّة الأعين من الأزواج والأولاد. (مفاتيح الغيب بتلخيص).

قوله هينين أو مشياً هيناً، أي المصدر بمعنى الصفة، وفي وضع المصدر موضع الصفة مبالغة. قوله بسكينة، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة، وابن النجار عن ابن عباس قالاً: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن" (الدر المنثور)

قوله مرح، بفتحيتين، وهو شدة الفرح والنشاط، والصفة مرح، بكسر الراء واختيال أي إعجاب بالنفس. لا يخفقون (ض) خفق النعل: صوت. أشراً و بطراً، كلاهما من سمع بمعنى شدة المرح، و بمعنى كفران النعمة وترك الشكر.

قوله سداداً، بفتح السين، أي صواباً من القول. فعلى هذا الوجه يكون سلاماً إشارة إلى ما قالوه من حيث المعنى، ولا يكون سلاماً عين عبارتهم. (شيخ زاده وإكليل) قوله من الإيذاء والإفك، الإفك هو الافتراء والكذب، وفي نسخة "من الإيذاء والإثم" كما في الكشاف و البيضاوي.

قوله أو تسليماً منكم، يعني أن سلاماً منصوب على أنه مصدر فعل محذوف، والأصل تتسلم منكم تسليماً، فأقيم السلام مقام التسليم، فالمعنى: إذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى و كلام قبيح قالوا: تتسلم منكم تسليماً، أي لا نجاهلكم ولا نتلبس بشيء من أموركم وهو الجهل وما يبتني على خفة العقل. (شيخ زاده)

وأخرج الإمام أحمد عن النعمان بن مقرن المزني: أن رجلاً سب رجلاً عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل الرجل المسبوب يقول: عليك السلام. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم "أما إن ملكاً بينكما يذب عنك، كلما شتمك هذا قال له: بل أنت، وأنت أحق به، وإذا قلت له: عليك السلام قال: لا. بل لك، أنت أحق به". قال ابن كثير إسناد حسن و لم يخرجوه. و أخرج أبو نعيم عن محمد بن علي الباقر قال: سلاح اللثام قبيح الكلام (الدر المنثور) قيل: نسختها - الخ - نسب الزمخشري هذا القول إلى أبي العالية.

قوله فالإغضاء من الإفعال. أغضى الرجل عينه: قارب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم، فقيل: أغضى على القذى، إذا أمسك عفوا عنه. (المصباح المنير)

قوله الظلول، في المصباح المنير: ظل يفعل كذا، يظل من باب تعب ظلولاً، إذا فعله نهاراً، قال الخليل: لا تقول العرب ظل إلا لعمل يكون بالنهار.

قوله من قرأ شيئاً من القرآن. روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله

المغرب والركعتان بعد العشاء. والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ هلاكاً لازماً ومنه الغريم<sup>(٤٢)</sup> لملازمته. وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذاناً بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون إلى الله في صرف العذاب عنهم ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي إن جهنم. و«سأت» في حكم «بئست» وفيها ضمير مبهم يفسره «مستقراً» والمخصوص بالذم محذوف معناه سأت مستقراً ومقاماً هي، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم «إن» وجعلها خبراً لها، أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم «إن» و«مستقراً» حال أو تمييز، ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم. ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴾ لم يجاوزوا الحد في النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

في تفسيره. (٤٢) قوله منه الغريم، وهو من له الدين أو من عليه الدين والمراد هنا الأول أي العذاب لازم كما يلزم الدائن المديون. قال محمد بن كعب: طالبهم الله بضمن النعيم في الدنيا فلم يأتوا به، فأغرمهم ثمنها بإدخالهم النار. (قرطبي) قوله و يصح أن يكون التعليلان جاء إن عذابها كان غراماً بالفصل فهو جواب سائل سأل لم طلبوا صرف العذاب فكان علة لذلك الدعاء وكذا جاء «إنها سأت» بالفصل فهو علة كونها غراماً، أو الجملةتان علتان لدعاء صرف العذاب، فعلى الأول هما تعليلان متداخلان، وعلى الثاني تعليلان مترادفان. وقال أبو حيان في البحر المحيط: والظاهر أن التعليلين غير مترادفين، ذكر أولاً لزوم عذابها، و ثانياً مساءة مكانها، و هما متغايران، و إن كان يلزم من لزوم العذاب في مكان ذم ذلك المكان. وقيل: هما مترادفان. والظاهر أنه من كلام الداعين وحكاية لقولهم. وقيل هو من كلام الله. و يظهر أن قوله «و مقاماً» معطوف على سبيل التوكيد، لأن الاستقرار والإقامة كأنهما مترادفان، وقيل: المستقر للعصاة من أهل الإيمان، فإنهم يستقرون فيها ولا يقيمون، والإقامة للكفار. اهـ.

= تعالى عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، و من قام بمائة آية كتب من القانتين، و من قام بألف آية كتب من المقنطرين [أي المكثرين من الأجر] و حكى الثعلبي عن ابن عباس قال: من صلى بالليل ركعتين أو أكثر من ذلك، فقد بات لله سبحانه و تعالى ساجداً وقائماً، وقال الكلبي: الركعتان بعد المغرب، وأربع بعد العشاء. (الكشف والبيان للثعلبي المتوفى ٤٢٧هـ) و عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: عليكم بقيام الليل فإنه داب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم إلى ربكم، و مكفرة للسيئات، و منهةة عن الإثم. رواه الترمذي، و عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، و باطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام، و أطعم الطعام، و تابع الصيام، و صلى بالليل و الناس نيام. رواه البيهقي في شعب الإيمان، و روى الترمذي عن علي نحوه، و في روايته لمن أطاب الكلام. (مشكاة المصابيح، باب التحريض على قيام الليل) و عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، و من صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله. رواه البغوي بسنده

للتصلف. (٤٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم ينفقوا في المعاصي فالإسراف مجاوزة القدر. وسمع رجل رجلاً يقول: لا خير في الإسراف. فقال: لا إسراف في الخير، وقال عليه الصلاة والسلام: من منع حقاً فقد قتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بضم التاء كوفي، وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي، وبفتح الياء وكسر التاء مكّي وبصري. والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ أي عدلاً بينهما فالقوام العدل بين الشيين والمنصوبان أي «بين ذلك قواماً» خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير، وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ» الآية [الإسراء: ٢٩] وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال: الحسنة بين السيئتين. فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية. وقيل: أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعاماً للتعم واللذة، ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

تبسطها كل البسط فتقع ملومًا محسورًا“ لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أثنى على أبي بكر ببذله جميع ماله في سبيل الله فالتحقيق أن العامة لهم حكم القصد والتوسط أما المتوكلون صدقًا والمتبتلون حقًا فلهم شأن عظيم، ولذا أنكر على بلال رضي الله تعالى عنه جمعه كثيرًا من التمر، وقال له: ما رزقت فلا تخبأ و ما سئلت فلا تمنع قال: كيف استطيع ذلك؟ قال: هو ذاك أو النار، رواه الطبراني في الكبير ، و أبو الشيخ في الثواب، والحاكم وقال صحيح الإسناد، وقال له: انفق بلالا، ولا تخش من ذي العرش إقلالا، رواه البزار عن بلال، و أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، والطبراني في الكبير كالبزار عن ابن مسعود، رضي الله تعالى عنهم بأسانيد حسان. انتهى مختصرًا. (الفتاوى الرضوية ج ١، ص ١٨١، الطبعة الأولى)

قوله من منع حقًا - الخ - لم أفق على من أخرجه مرفوعا. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب في قوله (لم يسرفوا، ولم يقتروا) قال: لا ينفقه في باطل، ولا يمنعه من حق. (در منثور) قوله قيل أولئك - الخ - أخرجه ابن أبي حاتم و ابن جرير عن يزيد بن حبيب.

(٤٣) قوله التصلف: التمدح بما ليس عندك والادعاء فوق ذلك تكبرًا (فاموس) جمع الإمام أحمد رضا القادري البريلوي رحمه الله تعالى (١٢٧٢هـ - ١٣٤٠هـ) في المجلد الأول من فتاواه في رسالة سماها “بركات السماء في حكم إسراف الماء” (١٣٢٧هـ) أحد عشر قولاً في تعريف الإسراف، و تكلم على كل واحد منها ثم قال: أجمعها، وأنفعها ، وأوضحها تعريف سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه رواه عنه الفريابي، وسعيد بن منصور، وأبو بكر بن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وأبناء جرير والمنذر وأبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان - واللفظ لابن جرير - في قوله تعالى: ولا تبذر تبذيرًا. قال: التبذير في غير الحق، وهو الإسراف. وأخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبًا في طاعة الله لم يكن إسرافًا، ولو أنفقت صاعًا في معصية الله كان إسرافًا - اه - قال أحد لحاتم الطائي نظرا إلى كثرة بذله: لا خير في سرف فقال: لا سرف في خير. أقول: لم يكن إنفاق حاتم لله بل كان للسمعة وشيوع الذكر كما نص عليه في الحديث، فكل عطاءه كان إسرافًا لكن الشرع المطهر يأمر بالقصد في الإنفاق في الخير أيضًا قال الله تعالى: “ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا



ودفع الحر والقر. وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا أكله. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي لا يشركون ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي حرماً لها<sup>(٤٤)</sup> يعني حرم قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعي في الأرض بالفساد، وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بـ «لا يقتلون» ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونفي هذه الكبائر عن عبادة الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كأنه قيل: والذين طهرهم الله مما أنتم عليه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي المذكور ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزاء الإثم ﴿يُضَعَفُ﴾ بدل من «يلق» لأنهما في معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هي لقاء الأثام كقوله: متى تأتانا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله قال عمر - الخ - أخرجه عبد الرزاق عنه رضي الله تعالى عنه ولفظه: كفى سرفاً أن الرجل لا يشتهي شيئاً إلا اشتراه فأكله. (در منشور) وأخرج أحمد عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: من فقه الرجل قصده في معيشته. (ابن كثير) قوله الجوع - بفتح الجيم المرة الواحدة، والجوع بالضم مصدر جاع يجوع ضد الشبع، القر بالفتح مصدر، وبالضم اسم البرد. (المصباح المنير) (٤٤) قوله حرماً - بيان للعائد المحذوف في الصلة، فإن الصلة لا بد فيها من عائد إلى الموصول، ويجوز حذفه إذا كان مفضلة. قوله يعني حرم قتلها لأن الحل والحرمة من صفات أفعال المكلفين، وليس من صفات الأعيان. قوله بقود، بفتحين: القصاص، ذكر ما يحق به القتل. قوله متعلق بالقتل المحذوف أي في قوله حرم الله قتلها، أي حرم الله قتلها بجميع الأسباب إلا بسبب حق، أو متعلق بلا يقتلون أي لا يقتلون بسبب من الأسباب إلا بالحق، وقد جوز فيه أن يكون صفة مصدر محذوف أي قتلاً ملتبساً بالحق، أو حالاً أي ملتبساً بالحق. (خفاجي و شيخ زاده) قوله نفي هذه الكبائر - الخ - كأنه جواب عما يقال: ما الفائدة في نفي هذه الكبائر، فإن عباد الرحمن الموصوفين بالخصال السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا يتوهم أحد ثبوتها لهم حتى يورد نفيها عنهم وحاصل الجواب أن هذا النفي تعريض بما كان عليه أعداؤهم، ويحسن النفي تعريضا وإن لم يكن المنفي

عنه مظنة لثبوت المنفي له مثل أن تقول لعابد صنم: لسئ بعابد حجر لا يعقل، تريد التعريض بسفاهته. هذا، وقد روى البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قد قتلوا فأكثروا، وزنوا ثم أتوا محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر....) ونزلت (قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم....) [الزمر: ٥٣] قوله متى تأتانا - الخ - البيت المذكور استشهد به النحاة على الإبدال من الشرط، فتلمم بمعنى تنزل، و"بنا" متعلق به بدل من "تأتانا" والاستشهاد به لمجرد الإبدال من الشرط، وليس "تلمم" جواب الشرط لعدم الفائدة فيه. والحطب الجزل: اليابس الكثير، و"تأججا" يحتمل أن يكون بضمير التثنية والتذكير لتغليب الحطب، أو الألف للإشباع، وفيه ضمير النار لتأويله بمذكر كشهاب أو جمر، أو الألف بدل من نون التأكيد الخفيفة، أصله تتأججن، ودخلت نون التأكيد في تأججن مع خلوه عن معنى الطلب للضرورة. قال سيبويه: يجوز في الضرورة أنت تغلن. والأجيج تلهب النار، يقال أجت النار توجج أجيجاً إذا تلهمت. (شيخ زاده و خفاجي)

فجزم «تلمم» لأنه بمعنى «تأثنا» إذ الإتيان هو الإلمام. «يضعف» مكى ويزيد ويعقوب. «يضعف» شامي «يضاعف» أبو بكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي يعذب على مرور الأيام في الآخرة عذاباً على عذاب. وقيل: إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعاً فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه ﴿وَيَخْلُدُ﴾ جزمه جازم «يضاعف» ورفع رافعه لأنه معطوف عليه ﴿فِيهِ﴾ في العذاب «فيهي» مكى وحفص بالإشباع. وإنما خص حفص بالإشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد. والعرب تمد للمبالغة مع أن الأصل في هاء الكناية الإشباع ﴿مُهَانًا﴾ حال أي ذليلاً ﴿الْأَمِنْ تَابَ﴾ عن الشرك وهو استثناء من الجنس<sup>(٤٥)</sup> في موضع النصب ﴿وَأَمِنْ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ بعد توبته ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة، ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا. «يبدل» مخففاً البرجمي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يبدل، مخففاً من الإبدال، قرأه البرجمي، هو عبد الحميد بن صالح البرجمي بضم الباء الموحدة، وسكون الراء، وضم الجيم، هذه النسبة إلى البراجم، وهي قبيلة من تميم، وعبد الحميد بن صالح يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رحمهم الله. (إكليل)

قال ابن كثير: في معنى قوله (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قولان: أحدهما: أنهم بدلوا عمل السيئات بعمل الحسنات، هذا روي عن ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وهو قول أبي العالية وقاتدة وجماعة آخرين والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات. وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع، واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده مكتوباً عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك، وصحت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم - الخ - ونقل فيه أحاديث منها حديث رواه مسلم منفرداً عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً.

قوله مرضياً - الخ - هو مستفاد من تعظيم التنكير يندفع به ما يتوهم من اتحاد الشرط والجزاء في قوله: "من تاب... فإنه يتوب إلى الله متاباً" فإن الشرط هو الرجوع مطلقاً، والجزاء رجوع خاص. (خفاجي و شيخ زاده)

قوله يُضَعَّفُ، بتشديد العين وفتحها، وبالجزم قرأه ابن كثير المكى، ومن العشرة أبو جعفر يزيد، ويعقوب وقرأه بالرفع ابن عامر الشامي، ويضاعف - من المفاعلة مبنياً للمفعول - بالرفع قرأه أبو بكر شعبة، والباقون بالجزم، ويخلد - بفتح الياء وسكون الخاء وضم اللام وبالرفع قرأه ابن عامر وشعبة، والباقون بالجزم.

(٤٥) قوله وهو استثناء من الجنس - قال أبو حيان: استثناء متصل من الجنس ولا يظهر، لأن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير: إلا من تاب و آمن وعمل صالحاً، فلا يضاعف له العذاب، ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف. فالأولى عندي أن يكون استثناء منقطعاً: أي لكن من تاب و آمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، إذا كان كذلك فلا يلقي عذاباً البتة. (البحر المحيط) لكن المشهور بين المفسرين أنه استثناء متصل من الجنس، وأجيب عن قول أبي حيان أنه غير لازم إذ المقصود الإخبار بأن من فعل كذا فإنه يحل به ما ذكر إلا أن يتوب. وأما إصابة أصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية. اهـ. (شيخ زاده) - وقال الخفاجي: قوله فأولئك - الخ - احتراص، لأن الاستثناء من مضاعفة العذاب ربما يوهم ثبوت أصله. ومن لم ينتبه له اعترض به. فتنبه - اهـ.

يكفر السيئات ﴿رَجِيمًا﴾<sup>(٤٦)</sup> يبدلها بالحسنات.

﴿وَمَنْ تَابَ وَكَمَلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك إلى الله تعالى متاباً مرضياً عنده مكفراً للخطايا محصلاً للثواب ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله إذ مشاهدة الباطل شركة فيه، وكذلك النظارة<sup>(٤٦)</sup> إلى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا، وسبب وجود الزيادة فيه. وفي مواعظ عيسى عليه السلام: إياكم ومجالسة الخاطئين. أو لا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف. وعن قتادة: المراد مجالس الباطل. وعن ابن الحنفية: لا يشهدون اللغو والغناء. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ بالفحش وكل ما ينبغي أن يلغى ويطرح، والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(٤٧)</sup> معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وعن الباقر رضي الله عنه: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن ﴿كَمْ يَخِرُّوْنَ عَلَيْهَا صُمًّا وَوَمِيمًا﴾<sup>(٤٨)</sup> هذا ليس بنفي الخور بل هو إثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه «لا يلتقاني زيد مسلماً» هو نفي للسلام لا للقاء يعني أنهم إذا ذكروا بها خروا سجداً وبكياً

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله أو لا يشهدون شهادة الزور، وهي الكذب متممداً على غيره كما في الصحيحين عن أبي بكره قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الشرك بالله و عقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا و قول الزور» ألا و شهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. والأظهر من السياق أن المراد لا يشهدون الزور، أي لا يحضرونه و لهذا قال تعالى: (و إذا مروا باللغو مروا كراماً) أي لا يحضرون الزور، و إذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء، و لهذا قال: (مروا كراماً) - ابن كثير -

قوله هذا ليس بنفي الخور - الخ - فإن النفي إذا دخل المقيد كان القيد هو محط النفي ، كما في قوله تعالى: و ما خلقنا السموات والأرض لاعبين. قوله الصمم ، بفتحيتين : ثقل السمع أو ذهابه. والعمى: ذهاب البصر.

(٤٦) قوله النظارة، مشدداً: القوم ينظرون إلى شيء.. (مختار الصحاح) أصلها فرقة أو جماعة نظارة. و جاء في تفسير الزور أقوال. (١) الشرك و عبادة الأصنام (٢) الكذب والفسق والكفر (٣) اللغو والباطل (٤) اللغو والغناء (٥) أعياد المشركين (٦) مجالس السوء والخنا (٧) شرب الخمر.

قال أبو جعفر الطبري: و أصل الزور تحسين الشيء و وصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به. والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حق. وهو باطل، و يدخل فيه الغناء ، لأنه أيضاً ممّا يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك ممّا يدخل في معنى الزور فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً، ولا غناءً، ولا كذباً، ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور.

(جامع البيان)

سامعين بأذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هَدَيْتَنَا وَاجْتَبَيْتَنَا إِذَا تُلِي عَلَيْهِمُ آيَةُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مریم: ٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ «من» للبيان كأنه قيل: هب لنا قرّة أعين. ثم بينت القرّة وفسرت بقوله: «من أزواجنا» ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾ ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين وهو من قولهم: «رأيت منك أسداً» أي أنت أسد، أو للابتداء<sup>(٤٧)</sup> على معنى هب لنا من جهتهم ما تقربه عيوننا من طاعة وصلاح «وذريتنا» أبو عمرو وكوفي غير حفص لإرادة الجنس وغيرهم «ذرياتنا» ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ وإنما نكر لأجل تنكير القرّة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وإنما قيل: «أعين» على القلة دون «عيون» لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] ويجوز أن يقال في تنكير «أعين» إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين، والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأقرباً عمالاً لله تعالى يسرون بمكانهم وتقربهم عيونهم. وقيل: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الولد إذا رآه يكتب الفقه<sup>(٤٨)</sup> ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي أئمة يقتدون بنا في الدين فاكتمى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس، أو واجعل كل واحد منا إماماً. قيل: في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها. ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ أي الغرفات وهي العلالية في الجنة فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس دليله قوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ آمُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا﴾ «ويلقون» كوفي غير حفص ﴿تَحِيَّةً﴾ دعاء بالتعمير ﴿وَسَلَامًا﴾

## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

والجمع بأن يقال «و اجعلنا أئمة» لدلالته على الجنس الشامل للقليل والكثير ولعدم اللبس أي الالتباس، بكون المراد واحداً، لأن القرينة قائمة على أن المراد هو الجمع. قوله العلالية جمع عُجْلِيَّة بكسر العين وضمها، و تشديد اللام والياء. المسكن الأعلى. قوله بصبرهم. ما مصدرية، والباء للسببية أو المقابلة أي بدل صبرهم. قوله يلقون، بفتح الياء وسكون اللام، وتخفيف القاف من لقي يلقي مبنياً للفاعل، معدى لواحد - وهو تحية - كوفي غير حفص، أي أبو بكر وحمزة، والكسائي و=

قوله واعية، وعي الحديث وعياً من باب وعد: حفظه وتدبره. راعية، رعى الأمر: حفظه. (٤٧) قوله أو للابتداء، أي من ابتدائية متعلقة بهب، أو بيانية متعلقة بمقدر، وهذا بناء على جواز تقدم المبين على المبين، وقوله رأيت منك أسداً تجريد. و من التجريدية تحتلهمها. (خفاجي) (٤٨) حكاها عنه الزمخشري في الكشاف، و روى عنه ابن جرير وابن المنذر قال: يعنون من يعمل بالطاعة فتقربه أعيننا في الدنيا والآخرة. (الدر المنثور) قوله فاكتمى بالواحد، مع أنه مفعول ثان لقوله «و اجعلنا» فينبغي أن يطابق المفعول الأول في الأفراد

ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه ﴿خُلِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿حَسَنَتْ﴾ أي الغرفة ﴿مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا﴾ موضع قرار وإقامة وهي في مقابلة «ساعت مستقرا ومقاما».

﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ «ما» متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل نصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو لولا عبادتكم له أي أنه خلقكم لعبادته كقوله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾» [الذاريات: ٥٦] أي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم. أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، وهو كقوله تعالى: «مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَايِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ» [النساء: ١٤٧] ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ رسولي يا أهل مكة ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾ أي ذا لزام أو ملازماً وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل، وقال الضحّاك: ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه إلهاً آخر.

#### مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

بدأت تحشية تفسير سورة الكهف في أواخر شعبان من سنة ١٤٢٣ هـ ولم يجز العمل إلا في العطلات من شعبان ورمضان غالباً. ولذا امتدّ العمل سنوات حتى تمت الحواشي على تفسير سورة الفرقان ١٦ / محرم سنة ١٤٢٩ هـ المصادف ٢٦ / يناير ٢٠٠٨ م يوم السبت على الساعة الرابعة نهاراً و هذا آخر ما أردت، والحمد لله سبحانه وتعالى. والصلاة والسلام على رسوله أفضل المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد أحمد المصباحي

رئيس المدرّسين بالجامعة الأشرفية

مباركفور - أعظم جره - الهند

= خلف والباقون بضم الباء، وفتح اللام، وتشديد القاف من المزيد مبنياً للمفعول معدى لاثنين أحدهما ناب عن الفاعل فارتفع وهو الواو، والثاني تحية. قوله لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. فالدعاء بمعنى الدعوة، والمصدر مضاف إلى المفعول، وفاعله مقدر، والمعنى الثاني: لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة، والمصدر مضاف إلى الفاعل، والمفعول ضمير مقدر راجع إلى "ربي" والمعنى الثالث ما يصنع بعذابكم - الخ - بحذف المضاف في "بكم" وتقدير مفعول الدعاء "آلهة" ويقاربه ما نقل عن الضحّاك: "ما يبالي بمغفرتكم بتقدير المغفرة المضافة إلى ضمير الخطاب، وتقدير مفعول الدعاء "إلهاً آخر".

## صاحب مدارك التنزيل و حقائق التأويل

ذكره عدة من المصنّفين في كتبهم، و أنقل هنا ما ذكره الكفوي في الطبقات، و ما زاد عليه الشيخ أبو الحسنات في الفوائد البهية، و أزيد عليها حواشي ملتقطاً من الفوائد البهية.

قال محمود بن سليمان الكفوي (المتوفى ٩٩٠هـ) في كتائب أعلام الأخيار في طبقات فقهاء مذهب النعمان المختار:

**عبد الله بن أحمد بن محمود**: أبو البركات، حافظ الدين النسفي، نسبة إلى نسف بفتحين، من بلاد السغد في ما وراء النهر، و قيل بكسر السين، و في النسبة تفتح.

كان إماماً كاملاً عديم النظير في زمانه، رأساً في الفقه و الأصول، بارعاً في الحديث و معانيه، تفقه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي (٥٩٩هـ - ٦٤٢هـ)، و على حميد الدين الضيرير<sup>(١)</sup> و بدر الدين خواهرزاده<sup>(٢)</sup>.

وله تصانيف معتبرة: منها (١) الوافي، متن لطيف في الفروع (٢) و شرحه: الكافي (٣) و كنز الدقائق، متن مشهور في الفقه (٤) و المصنّف شرح المنظومة النسفية<sup>(٣)</sup> (٥) و المستصفي شرح الفقه النافع (٦) و المنار، متن في الأصول، (٧) و شرحه: كشف الأسرار (٨) و الاعتماد شرح العمدة.

دخل بغداد سنة عشر و سبع مائة و وفاته في هذه السنة.

قال الجامع (أبو الحسنات مولانا عبد الحي بن عبد الحلیم الفرنجي محلي ١٢٦٤هـ - ١٣٠٤هـ): قد انتفعت من تصانيفه: الوافي، والكافي، والمستصفي، وهو الذي قد يسمى بالمنافع، والمنار، و شرحه: الكشف، و غير ذلك. و كل تصانيفه نافعة معتبرة عند الفقهاء، مطرحة لأنظار العلماء.

(١) هو علي بن محمد بن علي، نجم العلماء حميد الدين الضيرير، الرامشي البخاري، توفي سنة ٦٦٧هـ سبع و ستين و ست مائة.

(٢) هو محمد بن محمود بن عبد الكريم الكردي، بدر الدين خواهرزاده، ابن أخت محمد بن عبد الستار الكردي رباه خاله أحسن تربية، و نشأ عنده و بلغ رتبة الكمال. و توفي سلخ ذي القعدة سنة إحدى و خمسين و ست مائة.

(٣) هو أول كتاب نظم في الفقه، ناظمه مفتي الثقلين عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، نجم الدين، أبو حفص النسفي. تولد بنسّف سنة ٤٦١هـ، و توفي بسمرقند سنة ٥٣٧هـ.

و قد أرخ القاري<sup>(١)</sup> وفاته سنة إحدى و سبع مائة، و ذكر أن من تصانيفه (٩) المدارك في التفسير و (١٠-١١) شرحان على منتخب الأخصيكتي<sup>(٢)</sup>، و (١٢) شرحان على المنار، أحدهما الكشف، و الثاني ألطف منه. انتهى.  
و قال قاسم بن قطلوبغا<sup>(٣)</sup> في رسالته "الأصل في بيان الوصل والفصل" أن موت النسفي بعد العشر و سبع مائة. انتهى.  
و في الجواهر المضيئة<sup>(٤)</sup>: حافظ الدين لقب إمامين: أحدهما محمد بن محمد بن نصر البخاري،<sup>(٥)</sup> سمع منه أبو العلاء. و الآخر عبد الله بن محمود، أبو البركات صاحب التصانيف المفيدة في الفقه، سمع منه السَّغْنَقِي<sup>(٦)</sup> و كلاهما تفقها على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي. انتهى.  
و فيه أيضاً في حرف العين: عبد الله بن أحمد، حافظ الدين النسفي تفقه على الكردي، و روى الزيادات عن أحمد بن محمد العتّابي<sup>(٧)</sup>. انتهى. و تبعه في هذا القاري.

وقال الكفوي في ترجمة العتّابي: قد نصّ في الجواهر أن العتّابي مات سنة ست و ثمانين و خمس مائة، و أنّي تصح رواية شخص مات سنة عشر و سبع مائة عن شخص مات سنة ست و ثمانين و خمس مائة؟. انتهى.  
و في كشف الظنون<sup>(٨)</sup> عند ذكر الهداية و حواشيتها: و شرح الهداية الإمام حافظ

- (١) هو علي بن سلطان محمد الهروي نزيل مكة، المعروف بالقاري الحنفي، أحد صدور العلم و فرد عصره، وفاته بمكة في شوال سنة ١٠١٤ هـ. كذا في خلاصة الأثر.
- (٢) هو محمد بن محمد بن عمر، حسام الدين الأخصيكتي، له المختصر في أصول الفقه المعروف بـ "المنتخب الحسامي" نسبة إلى "أخسيكت" بلدة من بلاد فرغانة، ذكره السمعاني، مات يوم الاثنين و العشرين من ذي القعدة سنة ٦٤٤ هـ.
- (٣) قاسم بن قطلوبغا الحنفي، ولد سنة ٨٠٢ هـ بالقاهرة، و توفي بحارة الديلم رابع الربيع الآخر سنة ٨٧٩ هـ كذا ذكره تلميذه السخاوي في الضوء اللامع.
- (٤) صنفها عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله، أبو محمد القرشي، ولد سنة ست و سبعين و ست مائة، و توفي سنة خمس و سبعين و سبع مائة.
- (٥) تولد ببخارا سنة خمس عشرة و ست مائة، و توفي في النصف الثاني من شعبان سنة ثلاث و تسعين و ست مائة ببخارا، و دفن بكلاباد.
- (٦) هو حسين (أو حسن) بن علي بن حجاج، حسام الدين، السَّغْنَقِي (بكسر السين المهملة و سكون الغين المعجمة، نسبة إلى بلدة في تركستان) شرح الهداية و سماه النهاية فرغ عنه في الربيع الأول سنة سبع مائة. و له شرح التمهيد في قواعد التوحيد لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي المكحولي. توفي سنة ٧١٠ هـ.
- (٧) أحمد بن محمد بن عمر، زاهد الدين، أبو نصر العتّابي، نسبة إلى عتّابية (بفتح العين المهملة، و تشديد التاء المثناة الفوقية) محلة ببخارا.
- (٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، هو كتاب جامع لأخبار الكتب المصنفة في الإسلام و قبله، و

الدين، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ.  
و في طبقات تقي الدين من خطّ ابن الشحنة<sup>(١)</sup> أنه لا يعرف له شرح على الهداية.  
و في هوامش الجواهر: أنه دخل بغداد، و شرح الهداية سنة ٧٠٠هـ.  
و فيه عند ذكر الوافي: ذكر الإتقاني<sup>(٢)</sup> في غاية البيان أن النسفي لما نوى أن  
يشرح الهداية سمع به تاج الشريعة<sup>٣</sup> وهو من أكابر عصره، فقال: لا يليق بشانه، فرجع  
عمّا نواه، و شرع في أن يصنّف كتابًا مثل الهداية، فألّف الوافي، ثم شرحه وسماه  
بالكافي، فكأنه شرح الهداية، وهو إمام كامل فاضل محرر مدقق. انتهى.  
(الفوائد البهية في تراجم الحنفية للعلامة عبد الحي الفرنجي محلي. ص ٤٣،  
نشرة مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، مبارك فور، ١٤٢٢هـ صورة المطبوعة  
بالمطبع المصطفائي سنة ١٢٩٣هـ في عصر المؤلف)

## محمد أحمد المصباحي



أحوال مصنفها، و وفياتهم، لم يصنّف مثله في بابه، مؤلفه مشهور بـ "كاتب چلبی" و اسمه مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (أي الأستنبولي) مولدا و منشا، و يشتهر بـ "حاجي خلیفة" أيضا. توفي سنة ١٠٦٧هـ.

(١) هو محب الدين، أبو الوليد محمد بن محمد، الشهير بابن الشحنة (٧٤٩هـ — ٨١٥هـ) و ابنه محمد يعرف بابن الشحنة الصغير (٨٠٤هـ — ٨٩٠هـ)

(٢) هو : أمير كاتب العميد بن أمير عمر بن أمير غازي، قوام الدين، المكنى بأبي حنيفة، الإتقاني الفارابي، نسبة إلى "فاراب" ناحية وراء نهر سيحون، و "إتقان" قصبة، (بكسر الألف و سكون التاء) ولد سنة ٦٨٥هـ و توفي في شوال سنة ٧٥٨هـ. له شرح المنتخب الحسامي و سماء التبيين، و شرح الهداية، و سماه غاية البيان و نادرة الأقران.

(٣) هو محمود بن أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم، تاج الشريعة المحبوبي، أخذ العلم عن أبيه صدر الشريعة أحمد، له تصانيف جليلة، منها الوقاية، انتخبها من الهداية، صنّفها لأجل حفظ ابن ابنه صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن محمود، و الفتاوى، و الواقعات، و شرح الهداية.



## الكلام على التفسير

بعد التعريف بالعلامة النسفي ينبغي الكلام على درجة تفسيره، لكن قبل ذلك أريد أن أكتب شيئاً حول التفاسير التي استفاد بها العلامة النسفي كثيراً، وهي الكشاف، و مفاتيح الغيب، و أنوار التنزيل.

### الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل:

صنّفه محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم ولد في "زمخشر" (قرية كبيرة من قرى خوارزم) و سافر إلى مكة، فجاور بها زمناً فلُقّب بـ"جار الله" و تنقل في البلدان، ثم عاد إلى "جرجانية" فتوفي فيها، و جرجانية: قسبة خوارزم وهي على شاطئ جيحون كما ذكر ياقوت الحموي في كتاب "البلدان".

قال ابن خلكان فيه ما نصّه: الإمام الكبير في التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، و علم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، تُشدّ إليه الرحال في فنونه (وفيات الأعيان و أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٠٨ هـ - ٦٨١ هـ، ج ٥، ص ١٦٨، دار الثقافة، بيروت، مطبعة دار القلم بيروت، ١٩٧١ م)

أشهر كتبه (١) الكشاف في تفسير القرآن (٢) أساس البلاغة (٣) المفصل في النحو و له كتب أخرى.

كان معتزليّ المذهب، مجاهرًا، شديد الإنكار على الصوفية الكرام، سيّئ الطعن على علماء أهل السنة، أكثر من التشنيع عليهم و على الأولياء الكرام في الكشاف وغيره.

### مكانة تفسيره:

تفسيره يتسم و يمتاز بما يأتي:

① العناية بوجوه البلاغة، و علمي المعاني والبيان، و إبداء محاسن القرآن و وجوه الإعجاز من وجهة الأدب اللساني، والاهتمام بإبانة نظم عال عجز عنه فرسان الكلام و سلاطين البيان.

② بيان الاشتقاق، و ذكر عدة معاني محتملة في كلمات القرآن أحياناً، ثم تفهيمها مع إظهار الموافقة مع السياق والسباق، و كذا إيضاح ما يشكل من الإعراب.

٣ ذكر الأخبار و الآثار لتنوير مطالب التنزيل، و لكن بدون إسناد أو عزو إلى من خرّجها، فأتى بالصحيح و الحسان و الضعاف، و ما لا أصل له، و ما هو موضوع قطعاً. و إذا يتضح بما صنّفه العلامة ابن حجر العسقلاني حول الكشاف أعني كتابه “الكافي الشاف لتخريج أحاديث الكشاف”.

٤ توضيح آيات الأحكام، وهو من مشايخ الحنفية، فيذكر ما هو عند الحنفية، و قد يذكر غيره من المذاهب، و حيناً يميل إلى خاصة رايه.

٥ ذكر القراءات المتواترة و الشاذة. و توضيحها لغة و صرفاً و نحواً، إن دعت الحاجة إليه، لكنّه كثيراً ما يذكر القراءات مختلطة، و لا يميز بين ما هو متواتر منها و بين ما هو شاذ.

٦ إيراد النكات و المسائل بطريق السؤال و الجواب بلفظ فإن قلت ... قلت ...  
 ٧ تأييد مذهب الاعتزال، و صرف نظم القرآن عما توارث عن السلف، و تقرر عند أهل الحق إلى ما يوافق مذهبه الاعتزالي، و على الأقل إلى ما لا يتنافى مع عقيدته.

### من أصول المعتزلة:

١ صاحب الكبيرة ليس بمؤمن و لا كافر.  
 ٢ و إن مات بلا توبة فلا يجوز أن تقبل فيه شفاعته، و لا يجوز أن يعفو الله عنه بفضله.

٣ وهو مخلد في العذاب إن مات بلا توبة.  
 ٤ العباد خالقون لأفعالهم، و يتفرع عليه أن الهدى والضلال ليسا بمخلوقين لله تعالى و كذا الحسنات و السيئات.

٥ يجب على الله ما هو الأصلح لعباده.  
 ٦ يجب عليه ثواب المطيع و عقاب العاصي.  
 ٧ و الله تعالى رويته مستحيلة.

٨ القِدَمُ أخصُّ وصفه تعالى، لا يشاركه فيه ذات ولا صفات، و ينفون الصفات الزائدة على الذات. و أهل السنة يثبتون الصفات القديمة، و يخصّون الوجوب الذاتي لذات الله تعالى بدون اشتراك الصفات فيه.

٩ كلامه تعالى مخلوق محدث مركب من الحروف و الأصوات، و عند أهل السنة القرآن و كلامه تعالى غير مخلوق.

هذه أصول اتفقت عليها المعتزلة، ثم تشعبت إلى فرق كثيرة، يخالف بعضها بعضها، ذكرتها مفصلة في كتابي “حدوث الفتن و جهاد أعيان السنن” (١٤٢١هـ) أخذاً ممّا في المواقف و شرحها والملل والنحل للشهرستاني.

يرى الناظر في الكشاف أن مؤلفه يصرف جميع قواه لإثبات هذه الأصول، و كلما مرّ على آية تُناقض مذهب الاعتزال، يبذل غاية جهده ليصرفها عن معناها إلى ما يوافق و هواه. و على الأقلّ إلى ما لا يتنافى مع عقيدته. و قد يدسّ في عبارته الاعتزال بحيث لا يتنبّه عليه إلا الأذكياء النبهاء من العلماء.

و ذكر ابن خلدون أن العلامة شرف الدين الطيّبيّ من أهل توريث من عراق العجم شرح كتاب الزمخشري هذا، و تتبع ألفاظه، و تعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيّفها، و تبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، و فوق كل ذي علم عليم. (مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٨—مؤسسة جمال للطبع والنشر، بيروت، لبنان) والطيّبي اسمه الحسين بن عبد الله بن محمد كما ذكر نفسه في أول شرح مشكاة المصابيح، و اسم شرحه للكشاف "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب" في أربعة مجلدات ضخمة. توفي سنة ٧٤٣هـ.

و كتب العلامة أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي (٦٢٠هـ - ٦٨٣هـ) "الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال" فأوضح دسائس الاعتزال، و ردّها عليها شديدا. و الكتاب مطبوع مع الكشاف في ذيله.

### مفاتيح الغيب - و يشتهر بالتفسير الكبير

صنّفه الإمام المفسر محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، أوحد زمانه في المعقول و المنقول و علوم الأوائل، و هو قرشي النسب، أصله من طبرستان و مولده في الريّ سنة ٥٤٤هـ، و إليها نسبه، و يقال له "ابن خطيب الري" رحل إلى خوارزم و ماوراء النهر و خراسان، و توفي في "هراة" يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، قال السبكي: و كانت له يد طولى في الوعظ باللسان العربي و الفارسي، و كان من أهل الدين و التصوف، وله يد فيه، و تفسيره ينبىء عن ذلك. اهـ. (طبقات الشافعية الكبرى لشيخ الإسلام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي، ج ٥، ص ٣٨، دار المعرفة، بيروت)

من تصانيفه: ١- مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم ٢- لوازم البينات في شرح أسماء الله تعالى و الصفات ٣- معالم أصول الدين ٤- محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء و المتكلمين ٥- المسائل الخمسون في أصول الكلام ٦-

المحصول في علم الأصول ٧- الأربعون في أصول الدين ٨- نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز- البلاغة- ٩- شرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا ١٠- لباب الإشارات، تهذيب الشرح المذكور. و له غير ذلك من كتب نفيسة.

**تفسيره و مزاياه:** يتجلى في تفسيره علمه الباهر، فإنه يتكلم من نواحي شتى، و يدخل في فنون عديدة، و يفيد الدارس إفادات جميلة. و أسطر هنا بإجمال عددا من مزاياه الجلية.

- ① يعتني بذكر المناسبات في الآي و السور، وله يد طولى في هذا المجال.
- ② يشبع الكلام على الآيات الكونية، و يتكلم عليها بما يرشد القارئ إلى جلالة صنع الله، و دلالة آياته المنتصبة في الأفاق على مبدعها و عظيم فضله و إنعامه على خلقه المفتقر إلى جوده و إكرامه.
- ③ يؤيد أصول الدين التي أجمع عليها أهل الإسلام، و حاد عنها أهل الكفر والشرك والإلحاد و أهل الملل المنسوخة بما يتجلى به الأدلة التي أوردها القرآن و يقتنع به أهل العقل والإنصاف.
- ④ يذكر شبهات الفرق المبتدعة بتقرير منتظم مُسَبِّك يعجز عن مثله الخصم نفسه لو أراد. ثم يردّ عليها و يجيب عنها بما يؤيد مذهب أهل السنة. لكن أخذ عليه أنه يورد شبهات الخصم بقوة و نشاط و يدفعها بضعف و فتور، واعتذر عنه أنه يصرف جميع قواه لتقرير دليل الخصم و حسن ترتيبه و تنظيمه ، و إذا جاء على ردها تفتت قوته و يذهب نشاطه.
- ⑤ يهتمّ بآيات الأحكام، و إيانة ما يُستنبط منها من الأحكام، و يذكر الأقوال و المذاهب والأدلة، و يؤيد مذهبه الشافعي.
- ⑥ قد يسطر على موضوع هامّ مقالاً مبسوطاً حتى يتشكّل رسالة جامعة ، أنظر كلامه في فضل العلم (سورة البقرة، الآية: ٣١) و في الحسد (البقرة ، الآية: ١٠٩) و في كرامات الأولياء (الكهف، الآية: ١٢) و نحو ذلك.
- ⑦ يناقش ما ذكر من الإسرائيليات المصادمة للحق، و يرد عليها أشدّ رد، أنظر كلامه في هاروت و ماروت و في قصة الغرانيق.
- ⑧ يتحدث عن وجوه الإعجاز ، و بلاغة نظم القرآن، و روعة البيان.
- ⑨ يذكر القراءات، لكنه لا يلتزم ذكر المشهورات فقط، فيذكر الشواذ أيضاً.
- ⑩ يشرح غريب القرآن، و يبحث عن الإعراب و الاشتقاق و نحو ذلك، و كثيراً ما ينقل كلام الكشاف بهذا الصدد.
- ⑪ يورد الأحاديث، و أقوال السلف لشرح القرآن و تفسيره، و لأجل الترغيب والترهيب، و ما إلى ذلك. و هذا يدلّ أن تفسيره ليس بمقصود على الراي و المعقول

فقط، بل يجمع المعقول و المأثور معاً، و لم يُصب من قال: فيه كل شيء إلا التفسير.

## أنوار التنزيل و أسرار التأويل

صنّفه القاضي عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، ناصر الدين البيضاوي قال السبكي : كان إماماً، مبرّزاً، نظّاراً، خيرًا، صالحًا، متعبداً. ولد في “البيضاء” (مدينة بفارس، قرب شيراز) و ولي قضاء شيراز مدة، و صرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة خمس و ثمانين و ست مائة. و قيل سنة إحدى و تسعين و ست مائة.

من تصانيفه: (١) أنوار التنزيل و أسرار التأويل، و يعرف بتفسير البيضاوي. (٢) طوابع الأنوار في أصول الدين (٣) منهاج الوصول إلى علم الأصول، هذه أشهر تصانيفه ، و له كتب غير ذلك.

تفسيره: يمتاز تفسير القاضي البيضاوي بوجازة العبارة، و دقة الإشارة، لا يكاد القاري يقف على مغزاه إلا بإمعان النظر، و دراسة عميقة، و بحث دقيق، مُعظم تفسيره مأخوذ ممن سبقه لكن نبوغه يتجلى في جودة التحرير، و دقة التنقيح، و براعة التلخيص، ووضاحة الاختصار، و روعة التعبير، و رشاقة الجمع و الضبط.

### و من محتويات هذا التفسير:

١- شرح الكلمات، و بيان الاشتقاق، و إبانة الإعراب.  
٢- إيضاح وجوه البيان و أنواع البلاغة التي يشتمل عليها نظم القرآن.  
٣- إتمام الكلام بذكر أسباب النزول، و الوقائع، و القصص باختصار.  
٤- ذكر ما هو المختار عنده أولاً و ذكر المرجوح عنده بلفظ “قيل” ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً.

٥- الكلام على الحقائق الكونية، و الأفكار الطبيعية أخذاً مما في مفاتيح الغيب أو زيادة من عند نفسه.

٦- تأييد أهل السنة، و الردّ على المبتدعة و خاصة على المعتزلة و توهين تمسكات الكشاف لدعم مذهبه الاعتزالي.

٧- تأييد مذهبه الشافعي فيما يتعلق بالأحكام.

٨- ذكر القراءات المتواترة و الشاذة ، و التوسع في إيضاح إعرابها أحياناً.

٩- نقل الأخبار والآثار ، و أقوال السلف بدون أسانيد أو العزو إلى مخرجيها، و التقليل من إيراد الإسرائيليات، لكنه لم يتنزه، عمّا أورد الزمخشري من الموضوعات

في فضائل السور.

قال الجلال السيوطي رحمه الله في حاشيته على تفسير البيضاوي المسمّاة بـ"نواهد الأبيكار و شوارد الأفكار":

"و إن القاضي ناصر الدين البيضاوي لخص هذا الكتاب فأجاد، و أتى بكل مستجد، ماز فيه أماكن الاعتزال، و طرح مواضع الدسائس و أزال، و حرر مهمات، و استدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكة نُضار، و اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار". (المدخل المنير للشيخ مخلوف ٤١-التفسير و المفسرون ١:٣٠١)

و قال الكاتب الجليلي حاجي خليفه في كتابه "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون":

وتفسيره: هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات. وضم إليه: ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشك عن السريرة وزاد في العلم بسطة وبصيرة". (كشف الظنون ج١/ ص ١٨٧ - دار إحياء التراث العربي، بيروت)

### مدارك التنزيل و حقائق التأويل

- استفاد العلامة النسفي في تفسيره من الكشاف و مفاتيح الغيب للإمام الرازي ، و تفسير القاضي البيضاوي، وغيرها. و غالب مأخذه الكشاف، وكثيراً ما نقل عبارته بتلخيص و اختصار و تغيير يسير ، و يمتاز عنه بأمور:
- ١- ترك طريق السؤال والجواب بلفظ "إن قلت..... قلت....." وضم حاصل الجواب إلى تفسيره كنكته أو تنبيه و توضيح. ولم يذكر السؤال إلا نادراً.
  - ٢- ترك ما فيه من نزعات الضلال و شطحات الاعتزال، و سوء المقال في الأولياء والاجترأ حيناً بحضرة سيد الأنبياء عليه و عليهم السلام.
  - ٣- ترك ما فيه من الموضوعات.
  - ٤- ترك ذكر القراءات الشواذ والاقتصار على المتواترات (إلا شاذاً ذكر بعض الشواذ) و تمييز القراءات بذكر أصحابها.
  - ٥- تأييد مذهب أهل السنة و لكن بدون توسع في البحث والمناقشة.
  - ٦- إيضاح مذهب الحنفية، و ذكر بعض المراجع حيناً.
  - ٧- التقليل من الإسرائيليات، و الرد على ما يصادم الحق، والاقتصار من القصص

- على قدر ما ينكشف به الأمر، و يتضح النظم.
- ٨- ذكر المناسبات، و حل ما يشكل من الإعراب، و تبين وجوه البلاغة و توضيح التمثيلات، والاستعارات بالاختصار.
- ٩- ذكر الأقوال في التفسير، و إيراد الأخبار والآثار و لكن بقله و بدون عَزْوٍ إلى من خرَّجها كمثل الكشاف.
- ١٠- الخلو عن السخریات والسقطات التي وقع فيها الزمخشري، لا يتكلم العلامة النسفي في مناظريه من المبتدعة أيضاً إلا بوقار العلم، و رزانة العلماء، و متانة الدليل و رصانة الحججة.
- و أذكر هنا نماذج من الكشاف و المدارك، و نموذجاً من مفاتيح الغيب، و أنوار التنزيل، ليطلع الدارس على طريقة كلٍّ منها مباشرة، والله الموفق و الميسر للصعاب.

## نماذج

### سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ○

أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۗ مَا كُنَّ فِيهِ أَبْدَانٌ ۗ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ - الآية -

**الكشاف:** سورة الكهف مكية، و هي مائة و إحدى عشرة آية.

لكن الله عباده وفقههم كيف يشنون عليه و يحمده على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، و ما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم و فوزهم (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) ولم يجعل له شيئاً من العوج قط، و العوج في المعاني كالعوج في الأعيان، و المراد نفي الاختلاف و التناقض عن معانيه، و خروج شيء منه من الحكمة و الإصابة فيه. فإن قلت: بم انتصب (قَيِّمًا)؟ قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأن قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ) معطوف على أنزل، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال و ذي الحال ببعض الصلة، و تقديره: ولم يجعل له عوجاً جعله قَيِّمًا؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج و إثبات الاستقامة، و في أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا

يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح. وقيل: قِيمًا على سائر الكتب مصداقاً لها، شاهداً بصحتها. وقيل: قِيمًا بمصالح العباد وما لا بدّ لهم منه من الشرائع. وقرئ قِيمًا. «أنذر» متعدّ إلى مفعولين، كقوله: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا) فاقصر على أحدهما، وأصله (لِيُنذِرَ) الذين كفروا (بِأَسْأَشَدِّدًا) والبأس من قوله: (بِعَذَابٍ يَبِيسٍ) وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأساً وبأسة (مِنْ لُدُنُهُ) صادراً من عنده. وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون (وَيَبِّشُرُ) بالتخفيف والتثقيل. فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر؟ قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق إليه، فوجب الاقتصار عليه. والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله (وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله: (أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) استغناء بتقدم ذكره. والأجر الحسن: الجنة (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أي بالولد أو باتخاذ، يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء، وقد استملته آباؤهم من الشيطان وتسويله. فإن قلت: اتخذ الله ولداً في نفسه محال، فكيف قيل: ما لهم به من علم؟ قلت: معناه ما لهم به من علم؛ لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به. -اه-

**تفسير النسفي:** سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية بصري و عشر آيات كوفي.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن، لقن الله عباده وفقههم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أي: شيئاً من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، يقال: في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة ﴿قِيمًا﴾ مستقيماً وانتصابه بمضمر وتقديره، جعله قِيمًا لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غني عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قِيمًا على سائر الكتب مصداقاً لها شاهداً بصحتها ﴿لِيُنذِرَ﴾ أنذر متعدّ إلى مفعولين كقوله: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا). فاقصر على أحدهما، وأصله لينذر الذين كفروا ﴿بِأَسْأَشَدِّدًا﴾ عذاباً ﴿شَدِيدًا﴾ وإنما اقتصر على أحد مفعولي أنذر لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقصر عليه ﴿مِنْ لُدُنُهُ﴾ صادراً من عنده ﴿وَيَبِّشُرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي: بأن لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي: الجنة، ويبشر حمزة وعلي.



﴿مَآئِينَ﴾ حال من هم في لهم ﴿فِيهِ﴾ في الأجر وهو الجنة ﴿أَبَدًا\* وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفطر فإن قلت : إتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم. قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه أو لأنه في نفسه محال. - اه -

**ملاحظة:** أخذ أكثر العبارة من الكشاف، و حذف (فإن قلت ..... قلت) و ضم الجواب إلى عبارته، و غير عبارة الكشاف: "قد جعل المنذر به ..... فوجب ..... " بقوله: "المنذر به هو المسوق إليه، فاقصر عليه"، و ترك القراءة الشاذة "قيماً" ونسب المتواترة إلى قرائها.

**تفسير الإمام الرازي:** سورة الكهف مائة وإحدى عشرة آية مكية.

قال ابن عباس إنها مكية غير آيتين منها فيهما ذكر عيينة بن حصن الفزاري و عن قتادة أنها مكية و عن رسول الله ﷺ: قال: "ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت؟ هي سورة الكهف".

في الآية مسائل :

**المسألة الأولى:** أما الكلام في حقائق قولنا : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد سبق ، والذي أقوله ههنا أن التسبيح أينما جاء فإنما جاء مقدماً على التحميد ، ألا ترى أنه يقال : سبحان الله والحمد لله إذا عرفت هذا فنقول : إنه جل جلاله ذكر التسبيح عندما أخبر أنه أسرى بمحمد ﷺ فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [ الإسراء : ١ ] وذكر التحميد عندما ذكر أنه أنزل الكتاب على محمد ﷺ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ وفيه فوائد :

**الفائدة الأولى:** أن التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي وهو إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته والتحميد عبارة عن كونه مكماً لغيره ، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته . ونهاية الأمر كونه مكماً لغيره . فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا ﴿سبحان الله﴾ ثم ذكر بعده ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تنبيهاً على أن مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية . إذا عرفت هذا فنقول : ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح وعند إنزال الكتاب لفظ التحميد . وهذا تنبيه على أن الإسراء به أول درجات كماله وإنزال الكتاب غاية درجات كماله ، والأمر في الحقيقة كذلك لأن الإسراء به إلى المعراج يقتضي حصول الكمال له ، وإنزال الكتاب عليه يقتضي كونه مكماً للأرواح البشرية وناقلاً لها

من حضيض البهيمية إلى أعلى درجات الملكية، ولا شك أن هذا الثاني أكمل . وهذا تنبيه على أن أعلى مقامات العباد مقام أن يصير [العبد] عالماً في ذاته معلماً لغيره ولهذا روي في الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال : “من تعلم وعلم فذاك يدعى عظيماً في السموات” .

**الفائدة الثانية:** أن الإسراء عبارة عن رفع ذاته من تحت إلى فوق وإنزال الكتاب عليه عبارة عن إنزال نور الوحي عليه من فوق إلى تحت ، ولا شك أن هذا الثاني أكمل .  
**الفائدة الثالثة:** أن منافع الإسراء به كانت مقصورة عليه ألا ترى أنه تعالى قال هنالك : ﴿لَنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ﴾ [الإسراء : ١] ومنافع إنزال الكتاب عليه متعددة ، ألا ترى أنه قال : ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِّدُنَّةِهِ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والفوائد المتعددة أفضل من القاصرة .

**المسألة الثانية:** المشبهة استدلوا بلفظ الإسراء في السورة المتقدمة وبلفظ الإنزال في هذه السورة على أنه تعالى مختص بجهة فوق . والجواب عنه مذكور بالتمام في سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

**المسألة الثالثة:** إنزال الكتاب نعمة عليه ونعمة علينا ، أما كونه نعمة عليه فلأنه تعالى أطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والإكرام وأسرار أحوال الملائكة والأنبياء وأحوال القضاء والقدر ، وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي ، وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا ، وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب ، وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات ، وتصيير النفس كالمرآة التي يتجلى فيها عالم الملكوت وينكشف فيها قدس اللاهوت فلا شك أن ذلك من أعظم النعم ، وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلأنه مشتمل على التكليف والأحكام والوعد والوعيد والثواب والعقاب ، وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل واحد ينتفع به بمقدار طاقته وفهمه فلما كان كذلك وجب على الرسول وعلى جميع أمته أن يحمدوا الله عليه فعلمهم الله تعالى كيفية ذلك التحميد فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ .

ثم إنه تعالى وصف الكتاب بوصفين فقال : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا﴾ وفيه أبحاث :  
**البحث الأول:** أنا قد ذكرنا أن الشيء يجب أن يكون كاملاً في ذاته ثم يكون مكماً لغيره ويجب أن يكون تاماً في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن يفيض عليه كمال الغير [لعل الصواب: بأن يفيض على غيره الكمال] إذا عرفت هذا فنقول في قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته وقوله : ﴿قِيمًا﴾ إشارة إلى كونه مكماً

لغيره لأن القيم عبارة عن القائم بمصالح الغير ونظيره قوله في أول سورة البقرة في صفة الكتاب : ﴿لَارَبِّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] فقوله : ﴿لَارَبِّ فِيهِ﴾ إشارة إلى كونه في نفسه بالغاً في الصحة وعدم الإخلال إلى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إشارة إلى كونه سبباً لهداية الخلق وإكمال حالهم فقوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ قائم مقام قوله : ﴿لَارَبِّ فِيهِ﴾ وقوله : ﴿قِيَمًا﴾ قائم مقام قوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهذه أسرار لطيفة .

**البحث الثاني:** قال أهل اللغة العوج في المعاني كالعوج في الأعيان ، والمراد منه وجوه : أحدها: نفي التناقض عن آياته كما قال : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢] . وثانيها: أن كل ما ذكر الله من التوحيد والنبوة والأحكام والتكاليف فهو حق وصدق ولا خلل في شيء منها ألبتة . وثالثها: أن الإنسان كأنه خرج من عالم الغيب متوجهاً إلى عالم الآخرة وإلى حضرة جلال الله وهذه الدنيا كأنها رباط بني على طريق عالم القيامة حتى أن المسافر إذا نزل فيه اشتغل بالمهمات التي يجب رعايتها في هذا السفر ثم يرتحل منه متوجهاً إلى عالم الآخرة فكل ما دعاه في الدنيا إلى الآخرة ومن الجسمانيات إلى الروحانيات ومن الخلق إلى الحق ومن اللذات الشهوانية الجسدانية إلى الاستنارة بالأنوار الصمدانية فثبت أنه مبرأ عن العوج والانحراف والباطل فلهذا قال تعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ . الصفة الثانية : للكتاب وهي قوله : ﴿قِيَمًا﴾ قال ابن عباس: يريد مستقيماً وهذا عندي مشكل لأنه لا معنى لنفي الإعوجاج إلا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار وإنه باطل ، بل الحق ما ذكرناه وأن المراد من كونه : ﴿قِيَمًا﴾ أنه سبب لهداية الخلق وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال ، فالأرواح البشرية كالأطفال ، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم .

**البحث الثالث:** قال الواحدي: جميع أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير، والتقدير : أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً. وأقول: قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام لأننا بينا أن قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ يدل على كونه كاملاً في ذاته ، وقوله : ﴿قِيَمًا﴾ يدل على كونه مكملاً لغيره وكونه كاملاً في ذاته متقدماً بالطبع على كونه مكملاً لغيره فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى وهو قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا﴾ فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه .

**البحث الرابع:** اختلف النحويون في انتصاب قوله : ﴿ قِيمًا ﴾ وذكروا فيه وجوهاً .  
**الأول:** قال صاحب "الكشاف" لا يجوز جعله حالاً من ﴿ الكتاب ﴾ لأن قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ معطوف على قوله : ﴿ أَنْزَلَ ﴾ فهو داخل في حيز الصلة فجعله حالاً من ﴿ الكتاب ﴾ يوجب الفصل بين الحال وذوي الحال ببعض الصلة ، وأنه لا يجوز . قال : ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير : ولم يجعل له عوجاً وجعله قيماً .  
**الوجه الثاني:** قال الأصفهاني الذي نرى فيه أن يقال قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ حال وقوله : ﴿ قِيمًا ﴾ حال أخرى وهما حالان متواليان والتقدير أنزل على عبده الكتاب غير مجعول له عوجاً قيماً . **الوجه الثالث:** قال السيد صاحب "حل العقد" يمكن أن يكون قوله : ﴿ قِيمًا ﴾ بدلاً من قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ لأن معنى : ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ أنه جعله مستقيماً فكانه قيل : أنزل على عبده الكتاب وجعله قيماً . **الوجه الرابع:** أن يكون حالاً من الضمير في قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ أي حال كونه قائماً بمصالح العباد وأحكام الدين .

واعلم أنه تعالى لما ذكر أنه : أنزل على عبده الكتاب الموصوف بهذه الصفات المذكورة أردفه ببيان ما لأجله أنزله فقال : ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ وأنذر متعد إلى مفعولين كقوله : ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [النبأ:٤٠] إلا أنه اقتصر ههنا على أحدهما وأصله ﴿ لِيُنذِرَ ﴾ الذين كفروا ﴿ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ كما قال في ضده : ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ والبأس مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ [الأعراف:١٦٥] وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأساً وبأسة وقوله : ﴿ مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ أي صادراً من عنده قال الزجاج: وفي لذن لغات يقال لذن ولدي ولد والمعنى واحد ، قال: وهي لا تتمكن تمكن عند لأنك تقول: هذا القول صواب عندي ولا تقول صواب لذي وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك ولذي لما يليك لا غير وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بسكون الدال مع إشماع الضم وكسر النون والهاء وهي لغة بني كلاب ثم قال تعالى : ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ واعلم أن المقصود من إرسال الرسل إنذار المذنبين وبشارة المطيعين ، ولما كان دفع الضرر أهم عند [ذوي] العقول من إيصال النفع لا جرم قدم الإنذار على التبشير في اللفظ ، قال صاحب "الكشاف" وقرئ ﴿ وَيُبَشِّرَ ﴾ بالتخفيف والتثقيب وقوله : ﴿ مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ يعني خالدين وهو حال للمؤمنين من قوله : ﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا ﴾ ، قال القاضي : الآية دالة على صحة قولنا في مسائل ، أحدها : أن القرآن مخلوق وبيانه من وجوه . الأول : أنه تعالى وصفه بالإنزال والنزول وذلك من صفات

المحدثات فإن القديم لا يجوز عليه التغير . الثاني : وصفه بكونه كتاباً والكتب هو الجَمْع وهو سمي كتاباً لكونه مجموعاً من الحروف والكلمات وما صح فيه التركيب والتأليف فهو محدث . الثالث : أنه تعالى أثبت الحمد لنفسه على إنزال الكتاب والحمد إنما يستحق على النعمة والنعمة محدثة مخلوقة . الرابع : أنه وصف الكتاب بأنه غير معوج وبأنه مستقيم والقديم لا يمكن وصفه بذلك فثبت أنه محدث مخلوق . وثانيها : مسألة خلق الأعمال فإن هذه الآيات تدل على قولنا في هذه المسألة من وجوه . الأول : نفس الأمر بالحمد لأنه لو لم يكن للعبد فعل لم ينتفع بالكتاب إذ الانتفاع به إنما يحصل إذا قدر على أن يفعل ما دل الكتاب على أنه يجب فعله ويترك ما دل الكتاب على أنه يجب تركه وهو إنما يفعل ذلك لو كان مستقلاً بنفسه ، أما إذا لم يكن مستقلاً بنفسه لم يكن لعوج الكتاب أثر في اعوجاج فعله ولم يكن لكون الكتاب قيماً أثر في استقامة فعله ، أما إذا كان العبد قادراً على الفعل مختاراً فيه بقي لعوج الكتاب واستقامته أثر في فعله . والثاني : أنه تعالى لو كان أنزل بعض الكتاب ليكون سبباً لكفر البعض وأنزل الباقي ليؤمن البعض الآخر فمن أين أن الكتاب قيم لا عوج فيه؟ لأنه لو كان فيه عوج لما زاد على ذلك . والثالث : قوله : ﴿لِيُنذِرَ﴾ وفيه دلالة على أنه تعالى أراد منه إنذار الكل وتبشير الكل وبتقدير أنه يكون خالق الكفر والإيمان هو الله تعالى لم يبق للإنذار والتبشير معنى لأنه تعالى إذا خلق الإيمان فيه حصل شاء أو لم يشأ وإذا خلق الكفر فيه حصل شاء أو لم يشأ فبقي الإنذار والتبشير على الكفر والإيمان جارياً مجرى الإنذار والتبشير على كونه طويلاً قصيراً وأسود وأبيض مما لا قدرة له عليه . والرابع : وصفه المؤمنين بأنهم يعملون الصالحات فإن كان ما وقع خلق الله تعالى فلا عمل لهم ألبتة . الخامس : إيجابه لهم الأجر الحسن على ما عملوا فإن كان الله تعالى يخلق ذلك فيهم فلا إيجاب ولا استحقاق .

**المسألة الرابعة:** قال قوله: ﴿لِيُنذِرَ﴾ يدل على أنه تعالى إنما يفعل أفعاله لأغراض صحيحة وذلك يبطل قول من يقول إن فعله غير معلل بالغرض، واعلم أن هذه الكلمات قد تكررت في هذا الكتاب فلا فائدة في الإعادة . - اه -

✽ هذا نموذج من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ومنه يعلم طريق بحثه، وبسطه، والتوسّع في كل كلام.

تفسير البيضاوي:**سورة الكهف مكة**

وقيل إلا قوله : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) وهي مائة و إحدى عشرة آية. (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) يعني القرآن ، رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهاً على أنه أعظم نعمائه، وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد. (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) شيئاً من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى، أو انحراف من الدعوة إلى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان. (قِيَمًا) مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط ، أو قِيَمًا بمصالح العباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال ، أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها ، وانتصابه بمضمرة تقديره جعله قِيَمًا أو على الحال من الضمير في “لَهُ” ، أو من “الكتاب” على أن الواو في “وَلَمْ يَجْعَلْ” للحال دون العطف ، إذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلاً بين أبعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير و قرئ “قِيَمًا”. (لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) أي لينذر الذين كفروا عذاباً شديداً ، فحذف المفعول الأول اكتفاءً بدلالة القرينة واقتصاراً على الغرض المسوق إليه. (مَنْ لَدُنْهُ) صادراً من عنده، وقرأ أبو بكر بإسكان الدال إسكان الباء من سبع مع الإشمام ليدل على أصله، وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع. (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) هو الجنة . (مَّا كُنِينَ فِيهِ) في الأجر. (أَبَدًا) بلا انقطاع .

(وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقاً بهم استعظاماً لكفرهم، وإنما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره .

(مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول، والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب، أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به، فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر . أو بالله إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه . - اه -

**ملاحظة:** هذا نموذج من أنوار التنزيل و أسرار التأويل للقاضي البيضاوي، و منه يعلم طريق تلخيصه، و حسن تحريره، و دقته في الأخذ و الترك.

**سورة مريم**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَاتٍ ۚ ذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۗ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ

الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۖ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ

**الكشاف:** سورة مريم مكية ، وهي تسعون وثمان أو تسع آيات.

(كَهَيْعَصَ) قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذَكَرَ رَحْمَةً رَبِّكَ أَي : هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك. وقرىء : ذكر على الأمر . راعى سنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص، وعن الحسن : نداء لا رياء فيه، أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة. أو أسره من مواليه الذين خافهم . أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ : صوته خفات وسمعه تارات. و اختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل : ستون، وخمس وستون، وسبعون، وخمس وسبعون، وخمس وثمانون. قرىء “وهن” بالحركات الثلاث. وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن . ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها. (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا). إدغام السين في الشين عن أبي عمرو . شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ؛ ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس . وأخرج الشيب مميزا ولم يضيف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة . توصل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة . وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال : أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا. فقال : مرحبا بمن توصل بنا إلينا وقضى حاجته. كان مواليه - وهم عصبته إخوته وبنو عمه - شرار بني إسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه : (من وراءى) بعد موتي . وقرأ ابن كثير : “من وراي” بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بـ “خفت” لفساد المعنى ولكن بمحذوف. أو بمعنى الولاية في الموالي أي: خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي. أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي. وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم (خَفَّتِ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي)

وهذا على معنيين أحدهما : أن يكون "وراءى" بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي: قلووا وعجزوا عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه . والثاني: أن يكون بمعنى قدامي فيتعلق بـ"خفت" ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد "من لدنك" تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا إلى الله تعالى وصادرا من عنده وإلا - فهب لي وليا يرثني - كاف أو أراد اختراعا منك بلا سبب لأني وامراتي لا نصلح للولادة. - اه -

### تفسير النسفي:

سورة مريم مكية. وهي ثمان و تسعون آية، مدني و شامي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ○

﴿كَهَيْعَصَ﴾ قال السدي : هو اسم الله الأعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما ﴿ذُكِّرْ رَحْمَةً رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ أي: هذا ذكر ﴿عَبْدَةٌ﴾ مفعول الرحمة ﴿زَكْرِيَّا﴾ بالقصر حمزة وعلي وحفص وهو بدل من عبده ﴿إِذْ﴾ ظرف للرحمة ﴿تَأَذَى رَبِّهِ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبير لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة ﴿قَالَ رَبِّ﴾ هذا تفسير الدعاء، وأصله: يا ربي فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصاراً ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضعف. وخص العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أو وهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ تمييز أي: فشا في رأسي الشيب واشتعلت النار إذا تفرقت في إلتهابها وصارت شعلاً فشبهه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار.

ولا ترى كلاماً أفصح من هذا ألا ترى أن أصل الكلام "يا رب قد شخت" إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما، وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل ، وأقوى منه وهنت عظام بدني ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية فهي أبلغ منه، وأقوى منه وأنا وهنت عظام بدني، وأقوى



منه إني وهنت عظام بدني، وأقوى منه إني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريقي الإجمال والتفصيل، وأقوى منه إني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن، وأقوى منه إني وهنت العظام مني لشمول الوهن العظام فرداً فرداً باعتبار ترك جمع العظم إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي إلى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيباً لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس إذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيباً وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي ناراً، والفرق نير ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيباً لما مروأبلغ منه واشتعل الرأس شيباً ففيه اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا بقريئة العطف على وهن العظم.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيداً به غير شقي فيه، يقال: سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها. وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال: أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقت حاجته وقضى حاجته. ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ هم عصبته إخوته وبنو عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقباً صالحاً من صلبه يقتدي به في إحياء الدين ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي وبالقصر وفتح الياء كهداي مكّي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي: خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي ﴿وَكَانَتْ أَمْرًا نِيَّافًا﴾ عقيماً لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ اختراعاً منك بلا سبب لأن امرأتي لا تصلح للولادة ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً يلي أمرك بعدي. - اه -

## سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ٥٠ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٥ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَنْ يَخْشَى ٥ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ٥ الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ٥

الكشاف: سورة طه مكية، وهي مائة وأربع و ثلاثون آية.

(طه) أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء. وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الأصل. والباقون أمالوهما. وعن الحسن رضي الله عنه : طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجله فأمراً بأن يطأ الأرض بقدميه معا وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا في يطأ فيمن قال : لا هناك المرتع، ثم بنى عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن يكتب بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال : إن "طاها" في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عك تصرفوا في "يا هذا" كأنهم في لغتهم قلبون الياء طاء فقالوا في "يا" : "طا" واختصروا هذا فاختصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به :

إن السفاهة طاها في خلائكم لا قدس الله أخلاق الملاعين  
والأقوال الثلاثة في الفواتح : أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الألباء المتقنون (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ) إن جعلت "طه" تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام. وإن جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ و (الْقُرْآن) ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم . وقرىء " ما نزل عليك القرآن" (لِتَشْقَى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى : "لَعَلَّكَ بِأَعْيُنِنَا" والشقاء يجيء في معنى التعب . ومنه المثل : أشقى من رائض مهر أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة . وقيل : إن أبا جهل والنضر بن الحرث قالوا له : إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في ذلك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها . وروي : أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام : أبق على نفسك فإن لها عليك حقا . أي : ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرا علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط . فإن قلت : أما يجوز أن تقول : ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى . "أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ" [الحجرات:٢] قلت: بلى ولكنها نصفة طارئة كالنصفة في واختار موسى قومه وأما

النسبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين غيرها . فإن قلت : هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقي ؟ قلت : لا لاختلاف الجنسيتين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى لكن . ويحتمل أن يكون المعنى : إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة . وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (لِمَنْ يَخْشَى) لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبذل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية . في نصب (تَنْزِيلًا) وجوه : أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا لا إذا كان مفعولا له ؛ لأن الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بـ "نزل" مضمرا وأن ينصب بـ "أنزلنا" ؛ لأن معنى : ما أنزلناه إلا تذكرة : أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بـ "يخشى" مفعولا به . أي : أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين . وقرىء تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف . ما بعد تنزيلا إلى قوله : له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له وإما محذوفا فيقع صفة له . فان قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب ؟ قلت: غير واحدة، منها: عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة . ومنها: أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة . ومنها: أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين . ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه . وصف السموات بالعلی، دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها.

قرىء (الرَّحْمَن) مجرورا صفة لمن خلق والرفع أحسن ، لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير : هو الرحمن ، وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق . فإن قلت : الجملة التي هي (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ) ما محلها - إذا جررت الرحمن أو رفعت على المدح؟ قلت : إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ. لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك ، جعلوه كناية عن الملك فقالوا : استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة ، وقالوه أيضا لشهرته في ذلك

المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر . ونحوه قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة ، بمعنى أنه جواد أو بخيل ، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت . حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأساً قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم : هو جواد . ومنه قول الله عز وجل : ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدِ اللَّهُ مَغْلُولَةٌ ) [المائدة : ٦٤] أي هو بخيل ، ( بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ) [المائدة : ٦٤] أي هو جواد ، من غير تصور يد ولا غل ولا بسط ، والتفسير بالنعمة والتمحل للثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام . - اه -

## تفسير النسفي:

### سورة طه

مكية و هي مائة و خمس و ثلاثون آية كوفي.

﴿ طه ﴾ فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو. وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر، وفخمهما على الأصل غيرهم. وما روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يا رجل فإن صح فظاهر وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ إن جعلت "طه" تعديداً لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام ، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ ، و "الْقُرْآنَ" ظاهر أوقع موقع المضمرة لأنها قرآن وأن يكون جواباً لها وهي قسم ﴿ لِيَتَّقَى ﴾ لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا ، أو بقيام الليل فإنه روي أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل : أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة ﴿ الْآتِذْكَرَةَ ﴾ استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أو حال ﴿ لِمَنْ يَخْشَى ﴾ لمن يخاف الله أو لمن يتوكل أمره إلى الخشية. ﴿ تَنْزِيلًا ﴾ بدل من "تَذْكَرَةً" إذا جعل حالاً ويجوز أن ينتصب بـ "نزل" مضمراً أو على المدح أو بـ "يَخْشَى" مفعولاً أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ﴿ مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ "من" يتعلق بـ "تنزيلاً" صلة له ﴿ الْعُلَى ﴾ جمع العليا تأتي الأعلی ووصف السماوات بالعلی دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ رفع على المدح أي: هو الرحمن ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ﴿ اسْتَوَى ﴾ استولى، عن الزجاج. ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره. وقيل : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك

جعلوه كناية عن الملك فقال استوى فلان على العرش أي ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك: "يد فلان مبسوطه" أي: جواد وإن لم يكن له يد رأساً ، والمذهب قول علي رضي الله عنه : الاستواء غير مجهول والتكليف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان. - اه -

### من آيات الأحكام:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

[سورة النور، الآيات: ٥٨، ٥٩]

الكشاف:

أمر بأن يستأذن العبيد. وقيل : العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار" ثلاث مرات" في اليوم والليله: قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة . وبالظهيرة : لأنها وقت وضع الثياب للقائلة . وبعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة ؛ لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها. والعورة : الخلل . ومنها : أعور الفارس وأعور المكان والأعور : المختل العين . ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله : (طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ) يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم بالخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام ؛ فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى إلى الحرج . وروي : أن مدلج بن عمرو : وكان غلاماً أنصاريأ أرسله رسول الله صلى الله عليه و سلم وقت الظهر إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر : لوددت أن الله عز و جل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه و سلم . فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله تعالى عنه. وقيل : نزلت في أسماء بنت أبي مرشد قالت : إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد . وقيل : دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأنت رسول

الله صلى الله عليه و سلم فقالت : إن خدمنا و غلماننا يدخلون علينا في حال نكرها  
وعن أبي عمرو : “الحلم” بالسكون و قرئ : “ ثلاث عورات ” بالنصب بدلا عن ثلاث  
مرات أي : أوقات ثلاث عورات . وعن الأعمش : عورات على لغة هذيل . فإن قلت :  
ما محل ليس عليكم ؟ قلت : إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على  
الوصف . والمعنى : هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان و إذا نصبت : لم يكن له  
محل وكان كلاما مقررا للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة : فإن قلت : بم ارتفع  
“بعضكم” ؟ قلت : بالابتداء و خبره “على بعض” على معنى : طائف على بعض ، وحذف  
لأن طوائفون يدل عليه . ويجوز أن يرتفع بـ “يُطَوَّفُ” مضمرا لتلك الدلالة (الأطفال منكم) أي  
من الأحرار دون المماليك (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يريد: الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال.  
أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا) - الآية -  
[النور : ٢٧] والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث  
فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتملوا أو يبلغوا السن التي  
يحكم فيها عليهم بالبلوغ و جب أن يفطموا عن تلك العادة و يحملوا على أن يستأذنوا  
في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن، وهذا  
مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة. وعن ابن عباس : آية لا يؤمن  
بها أكثر الناس آية الإذن و إنني لأمر جارتي أن تستأذن علي. وسأله عطاء : أأستأذن على  
أختي ؟ قال : نعم وإن كانت في حجرك تمونها، وتلا هذه الآية. وعنه: ثلاث آيات  
جحدهن الناس ، الإذن كله. وقوله: “إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ” [الحجرات : ١٣] فقال ناس:  
أعظمكم بيتا . وقوله : “وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ” [النساء : ٨]. وعن ابن مسعود : عليكم أن تستأذنوا  
على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم . وعن الشعبي : ليست منسوخة فليل له : إن الناس لا  
يعملون بها فقال الله المستعان . وعن سعيد بن جبير : يقولون هي منسوخة، ولا والله  
ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها . فإن قلت : ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ ؟  
قلت : قال أبو حنيفة: ثمانى عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية . وعامة  
العلماء على خمس عشرة فيهما . وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة و يقدره  
بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله :

ما زال مذ عقدت يده إزاره      فسمأ فأدرك خمسة الأشبار

واعتر غيره الإنبات. وعن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن غلام فقال : هل

اخضر إزاره ؟ - اه -

## تفسير النسفي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الِّسْتَأْذِنُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أمر بأن يستأذن العبيد والإماء ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ أي: الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ، وقريء بسكون اللام تخفيفاً ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في اليوم والليله وهي ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ﴾ وهي نصف النهار في القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقبولة ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ أي هي أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدأ والمضاف . وبالنصب: كوفي غير حفص بدلاً من "ثلاث مرات" أي: أوقات ثلاث عورات . وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها ، والعورة : الخلل ومنها الأعور المختل العين . دخل غلام من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه : وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بالإذن ، فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية. ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ أي لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن . ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الأوقات بقوله: ﴿طَوُفُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هم طوافون بحوائج البيت ﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة "طوافون" عليه ، ويجوز أن تكون الجملة بدلاً من التي قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعني: أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام ، فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ في بيان مراده. ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ أي: الأحرار دون المماليك ﴿الْحُلُمَ﴾ أي: الاحتلام أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال ، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ الآية [النور: ٢٧]. والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا

اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفظموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن ، والناس عن هذا غافلون ، وعن ابن عباس رضي الله عنه : ثلاث آيات جحدن الناس : الإذن كله وقوله : ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ) [الحجرات:١٣] (وَأَذْخَرَ الْقِسْمَةَ) [النساء : ٨] . وعن سعيد بن جبير: يقولون: هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة. وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح الأنام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يبين من الأحكام. -هـ-  
 ﴿ هذه نماذج من الكشاف و تفسير العلامة النسفي “مدارك التنزيل و حقائق التأويل” :

١- أول سورة الكهف

٢- أول سورة مريم

٣- أول سورة طه

٤- آيتان في الأحكام من سورة النور.

يمكن الدارس بعد النظر فيها مدى الفرق بين الكشاف و المدارك، و طريق الأخذ، والترك، والزيادة فيما كتبه العلامة النسفي رحمه الله تعالى. و إليكم بعد ذلك نموذجين مما يتعلق بمذهب الاعتزال، و طريق الكشاف و المدارك فيه.

## (١) مما يتعلق بالاعتزال

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [سورة البقرة،

الآية:٧]

### الكشاف:

فإن قلت : فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علواً كبيراً لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه . وقد نص على تنزيه ذاته بقوله : “وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ” - “وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ” - “إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ” . ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل.

قلت : القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها . وأما إسناد الختم إلى الله عز و جل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقى غير



العرضي . ألا ترى إلى قولهم : فلان مجبول على كذا ومفطور عليه : يريدون أنه بليغ في الثبات عليه . وكيف تتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم . ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا، كقولهم : سال به الوادي: إذا هلك. وطارت به العنقاء: إذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عزوجل فعل في تجافياها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك. ويجوز ان يستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز. وهو لغيره حقيقة . تفسير هذا : أن للفعل ملابسات شتى يلبس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جراته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به : عيشة راضية وماء دافق . وفي عكسه : سيل مفعم . وفي المصدر : شعر شاعر وذيل ذائل . وفي الزمان نهاره صائم ، وليله قائم . وفي المكان : طريق سائر ونهر جار . وأهل مكة يقولون : صلى المقام . وفي المسبب : بنى الأمير المدينة وناقاة صبوث وحلوب . وقال : إذا رد عافي القدر من يستعيرها\* فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب . ووجه رابع: وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولا تجدى عليهم الألفاظ المحصلة ولا المقربة إن أعطوها . لم يبق - بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا - طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامي أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي . ووجه

خامس: وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم في: "قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ". ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ" - اهـ -

هذا ما كتبه الزمخشري في التلخيص عما يرد على مذهب الاعتزال أن الختم على القلب والسمع، و سدّ البصر عن النظر منع لها عن قبول الحق، و ذلك قبيح والله جلّ جلاله متعال عن القبيح.

و العلامة النسفي كتب هنا ما يتضح به مذهب أهل السنة، و ما هو عند المعتزلة، و لم يتوسّع في الردّ و إليك نصه:

### تفسير النسفي:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال الزجاج : الختم التغطية لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه . وقال ابن عباس : طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير، يعني: أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان . وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه . وعند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير. وقال بعضهم : إن إسناد الختم إلى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر ، إلا أنه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى السبب فيقال : بنى الأمير المدينة ، لأن للفعل ملابسات شتى يلبس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له ، فإسناده إلى الفاعل حقيقة . وقد يسند إلى هذه الأشياء مجازاً لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جرأته فيستعار له إسمه وهذا فرع مسألة خلق الأفعال ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ و حد السمع كما وحد البطن في قوله : كلوا من بعض بطنكم تعفوا، لأن اللبس ولأن السمع مصدر في أصله يقال : سمعت الشيء سمعاً وسماعاً ، والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية والجمع فلمح الأصل . وقيل : المضاف محذوف أي وعلى مواضع سمعهم وقرىء "وعلى أسماعهم" . ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ بالرفع خبر ومبتدأ، والبصر: نور العين وهو ما يبصر به الرائي، كما أن البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستبصار. والغشاوة: الغطاء فعالة من غشاها إذا غطاها، وهذا البناء لما يشتمل

على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة . والأسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغطية لقوله : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] ، ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم . ونصب المفضل وحده غشاوة بإضمار "جعل" وتكرير الجار في قوله: "وعلى سمعهم" دليل على شدة الختم في الموضوعين . قال الشيخ الإمام أبو منصور بن علي رحمه الله : الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أنه لا بد من صانع ، جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة ، وإن لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة في حكم التغطية . والآية حجة لنا على المعتزلة في الأصلح فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك الختم أصلح لهم . - اه -

هذا ما أوضح به العلامة النسفي، و لم يورد جميع تاويلات الزمخشري، و لم يرُدّ عليه ردًّا مفصلاً، والعلامة أحمد بن محمد بن المنير المالكي الإسكندري كتب هنا في "الإنصاف عما في الكشاف من الاعتزال" ما ردّ به على مبدء المعتزلة في خلق الأفعال، أي على قولهم: "إن العباد خالقون لأفعالهم" و إليك نصّه:

**قال محمود:** (فإن قلت كيف أسند الختم إلى الله تعالى الخ) **قال أحمد:** هذا أوّل عشواء خبطها في مهواة من الأهواء هبطها حيث نزل من منصة النص إلى حضيض تأويله ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة، فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدّها و أردّها: **الأولى:** مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى و مقتضاه أنه لا حادث إلا بقدره الله تعالى لا شريك له، والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث، فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة التعلق بالكائنات والممكنات. **الثانية:** مخالفة دليل النقل المضاهي للدليل العقل كأمثال قوله تعالى: "الله خالق كل شيء" "هل من خالق غير الله" و هذه الآية أيضاً، فإن الختم فيها مسند إلى الله تعالى نصّاً والزمخشري لا يأبى ذلك و لكنه يدعى الالتجاء إلى تأويلها لدليل قام عنده عليه، فإذا ثبت أن الدليل العقلي على وفق ما دلت عليه و جب إبقاؤها على ظاهره، بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهراً لوجب تأويلها بالدليل جمعاً بين العقل و النقل. **الثالثة:** الفرار من نسبة ما اعتقده قبيحاً إلى الله تعالى **تنزيهاً** على زعمه إلى الإشراف به في اعتقاد أن الشيطان هو الذي يخلق الختم والكافر يخلقه لنفسه بقدرة على خلاف مراد ربه فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب، و ورد من حميم البدعة موارد العذاب. **الرابعة:** الغلط باعتقاد أن ما يقبح شاهداً يقبح غائباً ، فلما كان المنع من قبول الحق قبيحاً في الشاهد و جب على زعمه أن يكون قبيحاً من الغائب، وهذه قاعدة

قد فرغ من بطلانها في منها. الخامسة: اعتقاد أن ذلك لو فرض وجوده بقدره الله تعالى كان ظلماً، والله تعالى منزّه عن الظلم بقوله تعالى: "وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ" و من الظلم البين جهل حقيقة الظلم، فإنه التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فكيف يتصور ثبوت حقيقته لله تعالى، و كل مفروض محصور بسور ملكه عزّ و جل "الملك لله الواحد القهار". السادسة: أنه فرّ من اعتقاد نسبة الظلم إلى الله تعالى فتورط فيه إلى عنقه، لأنه قد جزم بأن المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلماً فيقال له، و قد قام البرهان على أنه من فعل الله تعالى، فيلزمك أن يكون ظلماً، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً و الخيال الذي يدندن حوله هؤلاء أن أفعال العبد لو كانت مخلوقة لله تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم، وهذا الشبه قد أجراها في أدراج كلامه المتقدم فيقال لهم: لم قلت إنها لو كانت مخلوقة لله لما نعاها على عباده، فإن أسندوا هذه الملازمة - وكذلك يفعلون - إلى قاعدة التحسين و التقيح و قالوا: معاقبة الإنسان بعمل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما إذا كانت المعاقبة من الفاعل فيلزم طرد ذلك غائباً، قيل لهم و يقبح في الشاهد أيضاً أن يمكن الإنسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه و مسمع، ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على رده و رده من الأوّل عنها. و أنتم معاشر القدرية تزعمون أن القدرة التي بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة لله تعالى على علم منه عزّوجلّ أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك. فهو بمثابة إعطاء سيف بائر لفاجر يعلم أنه يقطع به السبيل و يسبى به الحريم، و ذلك في الشاهد قبيح جزماً فسيقولون: أجل إنه لقبيح في الشاهد، و لكن هناك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب، فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شيء و لم يحسن ذلك في الشاهد، و في هذا الموطن تتزلزل أقدامهم و تنتكس أعلامهم إذا لاحت لهم قواطع اليقين و بوارق البراهين، فيقال لهم: ما المانع أن تكون تلك الأفعال مخلوقة لله تعالى و يعاقب العبد عليها لمصلحة و حكمة استأثر الله بها كما فرغتم منه الآن سواء، فلم لا يسلك أحدكم الطريق الأعدل وينظر عاقبة هذا الأمر فيصير آخر أوّل، و ليفوض من الابتداء إلى خالقه، و يتلقّى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم، و يسلك مهتدياً بنور العقل و مقتدياً بدليل الشرع الصراط المستقيم، فإن نازعت النفس و حادثته الهواجس و رغب في مستند من حيث النظر يأنس به من مفاوز الفكر، فليخطر بباله ما ذكر عند كل عاقل من التمييز بين الحركة الاختيارية والقسرية، فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريباً، فإذا استشعر ذلك فليتنبه فقد لطف به إلى أن انحرف عن مضايق الجبر فأراً أن يلوح به شيطان الضلال إلى مهامه الاعتزال، فليمسك نفسه دونها

بزماء دليل الوجدانية، على أن لا فاعل ولا خالق إلا الله تعالى، فإذا وقف لم يقف إلا وهو على الصراط المستقيم و الطريقة المثلى، ماراً عليها في أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف، فليتمل الناظر هذا الفصل و يتخذ وزره في قاعدة الأفعال يقف على الحق إن شاء الله تعالى. -هـ-

## (٢) مما يتعلق بالاعتزال

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ۖ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۗ

و إسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب : لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم . وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوب قد أخذ بمال عليه وقيد فقال : يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود، فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال : لمن هذه السلة فقال : لي، فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة، فقال مالك : هذه وضعت القيود على رجلك . وقرأ زيد بن علي : "يضل به كثير" وكذلك : "ما يضل به إلا الفاسقون" . والفسق : الخروج عن القصد . قال رؤبة : "فواسقا عن قصدها جواررا" . والفساق في الشريعة: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين أي: بين منزلة المؤمن والكافر، وقالوا : إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله تعالى عنه وعن أشياعه، وكونه بين بين : أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين، وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة . ومذهب مالك بن أنس والزيدية : أن الصلاة لا تجزئ خلفه . ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة. وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله: "يُسَّ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ" [الحجرات: ١١]. يريد اللمز والتنازع "إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" ١٤ .

## تفسير النسفي:

قال النسفي رحمه الله تعالى هنا: و الإضلال: خلق فعل الضلال في العبد، و الهداية خلق فعل الاهتداء. هذا هو الحقيقة عند أهل السنة. اهـ . لم يزد على ذلك، و قال أحمد بن محمد ابن المنير رحمه الله:

قال محمود : ( و نسبة الإضلال إلى الله تعالى من إسناد الفعل إلى السبب الخ) قال أحمد: جرى على سنة السببية في اعتقاد أن الإضلال بالهـ وأن الإضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد مخلوقاته عزوجل بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة،

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. و انظر إلى ضيق الخناق فغلبه الحكايات لإطلاقات المشايخ فرتب عليها حقائق العقائد ، و هذا من ارتكاب الهوى و اقتحام الهلكة، و ما أشنع تصريحه بأن الله سبب الإضلال لا خالقه ، كما أن السلة سبب في وضع القيود في رجلي المحبوس و إسناد الفعل لله عزّ و جل مجاز لا حقيقة، كما أن إسناد الفعل إلى البلد كذلك ياله في تمثيل صار به مثله و تنظير صار به حائداً عن النظر الصحيح مردود على التفصيل والجملة، نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة، وهو ولي التوفيق.

و قال العلامة النسفي رحمه الله تعالى في الفسق : والفسق: الخروج عن الأمر بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين أي: بين منزلة المؤمن و الكافر عند المعتزلة، و سيمر عليك ما يبطله إن شاء الله. اهـ.

ويظهر منه أن النسفي رحمه الله لم يذهب في الخلافات بين أهل السنة و المعتزلة إلى البسط و التفصيل، و اكتفى بذكر ما تقرر عند أهل المذهبين. و فوض البحث و المناقشة إلى الكتب الكلامية.

محمد أحمد المصباحي



## مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

٩ ٢ ٤ ١ هـ

هذه حاشية تزيد تفسير النسفي رحمه الله تعالى قدرًا، و وضوحًا، و تشتمل على إبانة مآخذ المصنف، و نسبة الأقوال و التفاسير إلى أهلها، و تخريج الآثار و تحقيقها، و تأييد التفسير المذكور بالماثور، و غير ذلك من الأبحاث و الفوائد، أذكرها فيما يأتي مع شيء من شواهدا من الحاشية.

### ① ذكر التناسب بين الآي و السور

قال جلال الدين السيوطي : علم المناسبة علم شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته، و ممن أكثر فيه الإمام فخر الدين، و أفردته بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه "البرهان في مناسبة ترتيب القرآن" و من أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي (هو إبراهيم بن عمر، منسوب إلى البقاع، من بلاد سوريا، توفي سنة ٨٨٥هـ - البدر الطالع ١ : ١٩) في كتاب سماه "نظم الدرر في تناسب الآي و السور" [و قد طبع من الدائرة العثمانية ، بحيدرآباد ، الدكن] و كتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور و الآيات، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز و أساليب البلاغة، و قد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف، سميته "تناسق الدرر في تناسب السور".

وقال الشيخ ولي الدين الملوّي: قد وهم من قال: لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفرّقة، و فصل الخطاب أنها على حسب الوقائع المفرّقة تنزيلاً، و على حسب الحكمة ترتيباً و تأصيلاً، إلخ .

و قال الإمام الرازي : أكثر لطائف القرآن مودّعة في الترتيبات و الروابط.

(الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ٣ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون ذكر تاريخ النشر)

وقد ذكر الإمام النسفي المناسبات في كثير من المواضع ، و ترك في كثير، فزيد عليه في المواهب، حين دعت الحاجة إلى إبداء المناسبة، و غالب ذلك منقول عن مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الرازي، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لخاتمة المفسرين أبي السعود رحمهما الله تعالى.

الشواهد: (١) انظر مواهب الجليل ، سورة الكهف، حاشية رقم ٢٠. نصّها:

ووجه ربط هاتين الآيتين بما قبلهما كما ذكره العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادي في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" أن قوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ) يبعث الرسول عليه السلام على الحذر والاشفاق من شدة الوجد على إعراضهم، وقوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) استئناف وتعليل لما في "لعل" من معنى الإشفاق وقوله تعالى: (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) لتكميل ما في السابقة من التعليل، وحاصل المعنى لا تحزن بما عانيت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب، فإننا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة لها، لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها، وإِنَّا لَمَفْعُونَ (اسم فاعل للجمع من الإفناء) جميع ذلك عن قريب، و مُجَازُونَ لَهُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ. -ه-

(٢) قال تعالى: وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۖ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۗ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ ۝ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ ۝ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ - الآية -  
لا يظهر ارتباط قوله : وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ ..... بما قبله..... فكتبت:

وجه المناسبة أن اليهود دلت المشركين على الأسئلة الثلاثة، و قالت إن أجاب صاحبكم عنها فهو نبي، ومنها خبر أصحاب الكهف، فلما كان الإخبار بالغيب دليل النبوة، وقد أخبر عنه ثبت أنه نبي صادق، والإيمان به واجب، مع ذلك إن لم يؤمنوا و سألوا تعنتاً أن يأتيهم بقرآن غير هذا، أو اقترحوا تكبراً أن يطرد أصحابه الفقراء، فليس على الرسول إلا البلاغ، والمداومة على تلاوة ما أوحى إليه من الكتاب، والصبر على مجالسة من آمن به، و ترك الالتفات إلى من تعاضم و استكبر و أصرّ على الكفر متبعاً هواه فقال تعالى: وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ ..... (مواهب الجليل، الكهف، حاشية رقم ١٠٦)

(٣) قال تعالى: طه ١٠١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ (إلى قوله) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝ [طه: ١- ٨] ثم قال: وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا - الآيات.

يتشوق القاري إلى علم مناسبة الآية التاسعة و ما بعدها بما قبلها، فذكرت:  
قال الإمام: اعلم أنه تعالى لما عظم حال القرآن ، و حال الرسول فيما كلفه أتبع ذلك بما يُقوي قلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكر أحوال الأنبياء



عليهم السلام ، تقويةً لقلبه في الإبلاغ، كقوله: (وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) و بدأ بموسى عليه السلام؛ لأن المحنة و الفتنة الحاصلة له كانت أعظم، ليسلي قلب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، و يصبره على تحمل المكاره - مفاتيح الغيب - (مواهب الجليل - سورة، طه، حاشية رقم ٨)

## ② حل الكلمات الغريبة أو الصعبة

وهذا كثير، ولا يخلو شرح أو حاشية عنه، فلا يليق بالذكر هنا إلا ما فيه شيء من البحث و التنقير.

(١) قال تعالى: وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ① [الكهف: ٢٨] نصّ الحاشية: الفرط بضمّتين: الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحد - قاموس - و في المفردات للراغب: فرس فُرُطٌ: يسبق الخيل - اه - فأخذ منه معنى التقدم والمجاورة عن الحد، كما في المفاتيح. (٢) قال تعالى حكاية عن عيسى على نبينا و عليه السلام: وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ② - [مريم: ٣٣]

قال في المدارك: و إن كان [حرف التعريف في قوله: السلام] للجنس فالمعنى: و جنس السلام على، و فيه تعريض باللعنة على أعداء مريم و ابنها، لأنه إذا قال: و جنس السلام عليّ، فقد عرض بأن ضده عليكم، إذ المقام مقام منكرة و عناد، فكان "مئة" لمثل هذا التعريض. اه .

مواهب الجليل، حاشية رقم ٢٢ : قوله مئة، بفتح الميم، و كسر الهمزة، و تشديد النون، إنه لمئة من كذا أي خليق، و أتاه على مئة ذلك، أي حينه، و قال دُكين: "مئة من قلت النفوس" أي مكان من هلاك النفوس ، و هذا المعنى على أنه بمنزلة مَظِنَّة (بمعنى الموضع، أي محلّ يُظَنُّ وجوده فيه) والمئة: العلامة، و في حديث ابن مسعود : إن طول الصلاة و قصر الخطبة مئة من فقه الرجل، أي أن ذلك مما يُعرف به فقه الرجل، قال ابن الأثير : و حقيقتها أنها مفعلة من معنى "إن" التي للتحقيق والتأكيد ، غير مشتقة من لفظها، لأن الحروف لا يُشتق منها، و إنها ضُمَّتْ حروفها دلالة على أن معناها فيها، قال: و لو قيل إنها اشتقت من لفظها بعد ما جعلت اسما لكان قولاً، قال الأصمعي : سألتني شعبة عن هذا، فقلت: مئة أي علامة لذلك ، و خليق لذلك (لسان العرب)

فتحصل لهذا اللفظ من مواضع استعماله و تفسير علماء اللغة معان:  
(١) العلامة (٢) الوقت (٣) الخليق والجدير (٤) المظِنَّة والمحلّ، وهنا يصح

المعنيان الأخيران، أي: جدير لمثل هذا التعريض، أو محلّ لمثل هذا التعريض. قال الإمام الرازي هنا ناقلاً لمعنى كلام الكشاف: وكان المقام مقام اللجاج والعناد، و “يليق به” مثل هذا التعريض - انتهى نصّ المواهب -

(٣) قال تعالى: طه ١ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ [طه: ٢] لتعب لفرط تأسفك عليهم..... أو بقيام الليل . (مدارك التنزيل)

**الحاشية:** قال الراغب: الشقاوة خلاف السعادة، والسعادة في الأصل ضربان: سعادة أخروية و سعادة دنيوية، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية، و بدنية، و خارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضراب. و في الشقاوة الأخروية قال: (فلا يضل ولا يشقى) و في الدنيوية (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) قال بعضهم: قد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيتُ في كذا، وكل شقاوة تعب، وليس كل تعب شقاوة، فالتعب أعم من الشقاء. اهـ.

وفي مجمع البحار في شرح درك الشقاء: الشقاء: الشدة، و ابن منظور ذكر في معناه الشدة والعسرة أيضاً و منه شاقيته أي صابرته، و شاقيت ذلك الأمر بمعنى عانيته (لسان العرب) فالشقاء: العناء وهو التعب والمشقة. قال الزمخشري: والشقاء يجيء في معنى التعب، و منه المثل: أشقى من رائضٍ مُهرٍ. (كشاف) انتهى، (مواهب الجليل - سورة طه ، حاشية رقم ٥)

(٤) قال تعالى: مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ [طه: ١٠٠]

**مدارك التنزيل:** عقوبة ثقيلة، سماها “وزراً” تشبيهاً في ثقلها على المعاقب و صعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي يُنْقِضُ ظهره، و يلقي عليه بُهْرَهُ.”

**الحاشية:** قوله: “الذي يُنْقِضُ ظهره و يلقي عليه بُهْرَهُ” أي: الذي يُثْقِلُ ظهره و يُوقِع عليه تتابعَ نَفْسِهِ لشدة الثقل. في لسان العرب: أنقض الحِمْلَ ظهره: أثقله و جعله يُنْقِضُ من ثقله أي: يُصَوِّت. والأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحِمْلُ سُمِعَ له نقيض أي صوت خفي - والبُهرُ بالضم تتابع النفس من الإعياء، و بالفتح المصدر، بَهْرَهُ الحِمْلُ بِيَهْرَهُ بَهْرًا أي: أوقع عليه البُهرُ، فانبهر أي تتابع نفسه، و في الحديث: وقع عليه البُهرُ، وهو بالضم، ما يعترى الإنسان عند السعي الشديد و العَدُو من النهيغ و تتابع النفس. اهـ. والنهيغ هو تواتر النفس من شدة الحركة - اهـ - (مواهب الجليل ، سورة طه، حاشية رقم ٥٩)

### ٣) إيضاح بعض ما يتعلق بالنحو

(١) قال تعالى: **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا** [الكهف: ١٢]  
 قال في المدارك: أحصى فعل ماضٍ .... و من قال: أحصى أفعل من الإحصاء وهو العدّ فقد زلّ، لأنّ بناء ه من غير الثلاثيّ المجرد ليس بقياس اهـ.  
 يتشوّق الناظر إلى علم من قال: "أحصى أفعل من الإحصاء" فذكرت:  
 اختاره الزجاج والتبريزي، لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة، نحو (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)، (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) و بناء أفعل التفضيل من غير الثلاثي المجرد عند بعض النحاة جائز مطلقاً وهو ظاهر كلام سيوييه، و رده أبو عليّ الزمخشري، و في الكشف: أن قول الزجاج ليس بذلك المردود، إلاّ أن ما آثره الزمخشري أحق بالإيثار لفظاً و معنيّاً. (خفاجي) لكن الموافقة للآيات الأخرى تُرَجِّح هنا ما اختاره الزجاج و التبريزي -اه- (مواهب الجليل، الكهف، حاشية رقم ٣١)

(٢) قال تعالى: **وَكَلَّبْنَاهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ بِلُؤْلُؤِهِ** [الكهف: ١٨]  
**مدارك التنزيل**: حكاية حال ماضية، لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى الماضي -اه-

**مواهب الجليل**: و عند الكسائي، و هشام، و أبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقاً. (الكهف حاشية رقم ٦٦)

(٣) قال تعالى: **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا** [الكهف: ٢٣، ٢٤]  
**مدارك التنزيل**: قال الزجاج معناه: و لا تقولنّ إنني أفعل ذلك إلاّ بمشيئة الله تعالى، لأن قول القائل: أنا أفعل ذلك إن شاء الله، معناه: لا أفعله إلاّ بمشيئة الله -اه-  
**مواهب الجليل**: أمّا قول الزجاج فالظاهر أنه أراد تعليقه بـ"فاعل ذلك غداً" لكن لا يصح هذا، قال البيضاوي: ولا يجوز تعليقه بفاعل، لأن استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد، و استثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي. اهـ.

فإن المعنى على الوجه الأول: إنني فاعل ذلك إلاّ أن يشاء الله ذلك الفعل، أي: إن يشأ ذلك الفعل فلا أفعله، فساد هذا غني عن البيان، ولولا النهي لما قال النبي عليه السلام ذلك. والمعنى على الوجه الثاني: إنني فاعل ذلك إلاّ أن تعترض مشية الله دونه، أي: فلا أقدر على فعله، و هذا الكلام سديد فلا وجه للنهي عن مثل هذا القول.  
 ..... لا أفعله إلاّ بمشيئة الله سديد، و أفعله إلاّ بمشيئة الله، مع تعلق النهي "أي لا تقولنّ أفعله إلاّ بمشيئة الله" لا وجه لسداده كما ذكرت مفصلاً. اهـ. (الكهف

حاشية رقم ٩٤، ٩٥)

(٤) قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ [الحج: ١٧٣]  
**مدارك التنزيل:** "ولو اجتمعوا له" محله النصب على الحال، كأنه قيل: مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه و تعاونهم عليه-ه-  
**مواهب الجليل:** للنحاة في مثل هذا التركيب المشتمل على الواو الداخلة على "لو" و "إن" الوصلتين ثلاثة أقوال: (١) الواو عاطفة، والتقدير هكذا: لن يخلقوا ذباباً لو لم يجتمعوا ولو اجتمعوا، فالحاصل لن يخلقوا بكل حال. واختاره أبو حيان، كما صرح في تفسيره "البحر المحيط". (٢) الواو حالية، وجواب حرف الشرط مقدر، والتقدير لن يخلقوا ذباباً والحال أنهم لو اجتمعوا فلن يخلقوا (فكيف إذا انفردوا؟) واختاره البيضاوي هنا. (٣) الواو حالية، وحرف الشرط هنا لا يحتاج إلى تقدير أصلاً، لأنه انسلخ عن معنى الشرطية، و تمحّض للدلالة على الفرض و التقدير، والمعنى مفروضاً اجتماعهم. واختار المصنف هذا، كما يظهر من كلامه. الخ.

### ④ إيضاح القراءات

ذكر المصنف القراءات السبع غالباً، و اعتنى بإيضاحها الشيخ عبد الحق الإله آبادي المكي رحمه الله في الإكليل، فما اشتغلت به إلا يسيراً، حين رأيت الحاجة ماسة إليه، نحو ما يأتي :

(١) قال تعالى: وَاتَّخِذُوا الْبَيْتَ وَمَا أُنزِرُوا هُزُوًا ۗ [الكهف: ٥٦]

**مدارك التنزيل:** ... بسكون الزاي والهمزة حمزة، و بإبدال الهمزة واواً كحفص، و بضم الزاي والهمزة غيرهما.

**مواهب الجليل:** ..... أما القراءات في هزوا فقال العلامة على النوري الصفاقسي في كتابه غيث النفع في القراءات السبع: قرأ حمزة بإسكان الزاي، والباقون بالضم. و حفص بالواو، والباقون بالهمزة، إلا أن حمزة في الوقف يبدلها واواً كحفص، وله أيضاً نقل حركة الهمزة إلى الزاي و حذفها-ه-

فالقراءات خمس هكذا: ..... الخ - (الكهف، حاشية رقم: ١٧٩)

② قال تعالى: ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۗ [الحج: ٢٩]

ليراجع هنا المدارك و المواهب.

③ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ ..... [النور: ٥٢]

**المدارك:** و يتقه، بسكون الهاء أبو عمرو و أبو بكر بنية الوقف ، و بسكون القاف

و بكسر الهاء مختلصة حفص، و بكسر القاف والهاء غيرهم. اه.  
المواهب: قال سيدي علي النوري الصفاقسي في "غيث النفع في القراءات السبع":

قرأ قالون، و حفص، و هشام - بخُلف عنه - بكسر الهاء من غير إشباع، إلا أن حفصاً يسكن القاف قبلها. والبصري، و شعبة، و خلاد - بخُلف عنه - بإسكان الهاء. و ورش، و المكي، و ابن ذكوان و خُلف، و علي بإشباع كسرة الهاء. وهو الطريق الثاني، لهشام و خلاد - اه- فالقراءات هكذا ..... الخ -

### ٥) نسبة الأقوال و التفاسير إلى أهلها و إبانة مصادر تفسير المصنف

هذه قد عُنيت بها في حاشيتي، و سيجدها الدارس كثيراً، نحو ما يلي:

① قال تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ [الأنبياء: ١٠]

المدارك: "فيه ذكركم" شرفكم إن عملتم به، أو لأنه بلسانكم، أو فيه موعظتكم، أو فيه ذكر دينكم و دنياكم. اه.

المواهب: قوله تعالى: "فيه ذكركم" جاء في تفسيره كلمات:

(١) عن ابن عباس: فيه شرفكم، رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) عن مجاهد: فيه حديثكم، رواه ابن أبي شيبة و عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) عن الحسن البصري: فيه دينكم، رواه ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) عن السدي: فيه ذكر ما تُعنون به، و أمر آخرتكم و دنياكم. رواه ابن أبي حاتم. (الدر المنثور)

و للذكر معان عند أهل اللغة. منها جري الشيء على لسانك، والصيت والثناء، والتذكير، والشرف والفخر، والمصنّف فسّر الشرف بشرط العمل وهو الشرف الديني، و العزّ الأخروي، و قوله: "أو لأنه بلسانكم" ناظر إلى شرف الدنيا والصيت فيها، وقوله "موعظتكم" راجع إلى كون الذكر بمعنى التذكير، و قوله الآخر راجع إلى كون الذكر بمعنى الحديث و الإخبار عن شيء. اه.

② قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا [الأنبياء: ٣٠]

مدارك التنزيل: قيل: كانت السماء لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما أي

فصلنا بينهما بالهواء، و قيل: كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى و جعلها سبع سموات ، وكذلك الأرض.... و قيل: كانت السماء رتقا لا تمطر، والأرض رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات. اهـ.

**مواهب الجليل:** القول الأول مروى عن الحسن، و قتادة . والثاني عن مجاهد، و أبي صالح ، والسُّدي، و الثالث عن عكرمة، و عطية، و ابن زيد، و ابن عباس رضي الله تعالى عنهم. و اختاره ابن جرير، و رجّحه الجمهور - الخ - (ابن كثير، الدر المنثور)

❸ قال تعالى: قُلْنَا يَا نُؤُكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٩]

**ذكر في المدارك أنهم جمعوا أصناف الخشب و أشعلوا ناراً عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموا به فيها وهو يقول: حسبي الله و نعم الوكيل. و قال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، قال: فسل ربك، قال: حسبي من سوالي علمه بحالي، و ما أحرقت النار إلا وثاقه، و عن ابن عباس: إنّما نجا بقوله: حسبي الله و نعم الوكيل. اهـ.**

**مواهب الجليل:** مكالمته عليه السلام جبريل عليه السلام إلى قوله: "أمّا إليك فلا" أخرج ابن جرير عن معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه، و عدم إحراق النار إلا وثاقه الذي رُبط به مروى عن كعب الأحمبار عند عبد الرزاق ، و عبد بن حميد، و ابن جرير و ابن أبي شيبه و ابن المنذر و عن ابن جريج عند ابن المنذر.

و قوله حين الإلقاء في النار: "حسبي الله و نعم الوكيل" مروى عن سليمان بن صرد - وكان قد أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم - عند عبد بن حميد، و أخرج ابن أبي شيبه في المصنّف، و ابن المنذر عن ابن عمرو، قال: أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقى في النار "حسبنا الله و نعم الوكيل" - الخ - (الأنبياء - حاشية رقم ٤٠)

❹ قال تعالى: فَلْيَخْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

[النور: ٦٣]

**مدارك التنزيل:** (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) محنة في الدنيا، أو قتل ، أو زلازل و أهوال، أو تسليط سلطان جائر، أو قسوة القلب عن معرفة الربّ، أو إسباغ النعم في الدنيا - اهـ -

**مواهب الجليل:** هذه ستة أقوال: الأوّل عن مجاهد، و الثاني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، و الثالث عن عطاء، و الرابع عن جعفر بن محمد، و الخامس عن الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى، و السادس عن الجراح، و السابع الطبع على القلوب مروى عن الضحاك و عبد الرحمن بن زيد، (الكشف للثعلبي، الكشاف، البحر

المحيط، ابن أبي حاتم، ابن جرير) قال أبو حيان: و هذه الأقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر-هـ-(النور، حاشية رقم، ٥٦)

## ٦ حل الإشكال

له نظائر كثيرة، و لا أذكر هنا إلا ثلاثة.

① قال تعالى: فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا (إلى قوله) فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا الْقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ط [الكهف: ٧١ - ٧٤]

**مدارك التنزيل:** و إنما قال: “فقتله” بالفاء، وقال: “خرقها” بغير فاء، لأن “خرقها” جعل جزاء للشرط وجعل “قتله” من جملة الشرط معطوفاً عليه والجزاء “قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا”، وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام-هـ-

**مواهب الجليل:** يردُّ عليه أن الحديث الصحيح خير شاهد على أن الخرق تعقب الركوب، فقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعاً: فلما ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها - الخ -

وقال البيضاوي في وجه تغير النظم: و لعلّ تغيير النظم بأن جعل “خرقها” جزاءً، واعتراض موسى عليه السلام مستأنفاً، و في الثانية “قتله” من جملة الشرط، واعتراضه جزاءً، لأن القتل أقبح ، والاعتراض عليه أدخل، فكان جديراً بأن يجعل عمدة الكلام -

وذكر أبو السعود في تفسيره “إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم” وجهاً آخر، حاصله أن الخضر عليه السلام أكد نفي الصبر عن موسى، وعلله بأنه يرتكب أموراً غريبة لا يتمالك الرجل الصالح معها الصبر، فالسامع تشوقت نفسه إلى علم ما يرتكب من الغرائب فاعتنى به التنزيل و قصّ أنهما لما ركبا في السفينة خرقها الخضر، مع أن الإنسان يهتم بصيانة مثلها إذا ركبها، و ذكر بعد ذلك اعتراض موسى عليه السلام ثم جواب الخضر و وعد موسى المؤكّد، فالسامع تحقق عنده أن الخضر لا محيد له عن ارتكاب الغرائب والخوارق، ولكن نشأ ترقبه وانصرفت نفسه إلى أن موسى هل يثبت على وعده أم يفقد صبره، فاهتم التنزيل ببيان حال موسى عليه السلام بأن جعل ما وقع منه عمدة و جزاء، و ما وقع من الخضر وضعه موضع ما يجري عادة، و جعله جزء من الشرط فقال : فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية

بغير نفس - الآية - (الكهف، حاشية رقم ٢١٣)

② قال تعالى: الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا [الكهف: ١٠١] المدارك: "في غطاء عن ذكرى" عن آياتي التي ينظر إليها، أو عن القرآن، فأذكره بالتعظيم، أو عن القرآن و تأمل معانيه-اه- عن آياتي .... أو عن القرآن ..... أو عن القرآن ..... التنويع و التقسيم مضطرب، فكتبت هنا:

في الكشف: عن آياتي التي يُنظر إليها فأذكر بالتعظيم، أو عن القرآن و تأمل معانيه و تبصرها. اه. و هذا يدلّ على أن في عبارة المدارك خطأ في النسخ، و هو زيادة (أو عن القرآن) أوّلاً، و زيادة هاء الضمير في (فأذكره) ثانيًا و عبارة الكشف واضحة، فإنه بين مناسبة غطاء العين بالذكر، فإن الذكر يُسمع و يقتضي أن يقال كانت أسماعهم مسدودة عن ذكرى، فأوضح أن المراد بالأعين إمّا العيون الحسيّة، والمراد بالذكر، الآيات المشاهدة التي تؤدّي إلى ذكر الله جلّ و علا، فأريد السبب بذكر المسبّب، و إمّا البصائر القلبية، والمراد بالذكر، القرآن، والمعني أن عيون قلوبهم كانت في غطاء عن القرآن و تأمل معانيه. (وانظر البيضاوي و حاشية الخفاجي). (مواهب الجليل ، الكهف، حاشية رقم ٢٤٩)

③ قال تعالى: وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ ④ [الانباء: ٨٨]

المدارك "نُجِّي" شامي و أبو بكر، بإدغام النون في الجيم عند البعض ، لأن النون لا تدغم في الجيم -الخ-

المواهب: قال سيدي على النوري الصفاقسي في "غيث النفع في القراءات السبع": قرأ الشامي و شعبة بنون واحدة مضمومة و تشديد الجيم (نُجِّي) والباقون بضم النون الأولي و إسكان الثانية و تخفيف الجيم (نُجِّي) من أنجي مسنداً إلى الله عزّ و جلّ بنون العظمة ، ونصب المومنين به وهي قراءة ظاهرة واضحة. واختار القراءة الأولى أبو عبيد لموافقتها المصاحف، لأنها في الإمام و مصاحف الأمصار بنون واحدة، و جعلها بعض النحويين لحناً، وليس الأمر كما ذكر، فإنها قراءة صحيحة ثابتة عن إمامين كبيرين. و وجهها كما قال جماعة من الأئمة و أشار إليه ابن هشام في باب الإدغام من توضيحه أن الأصل نُجِّي بفتح النون الثانية مضارع نُجِّي، فحذفت النون الثانية تخفيفاً، أو نُجِّي بسكونها مضارع أنجي، و أدغمت النون في الجيم لاشتراكهما في الجهر، والاستفال، والانفتاح، والتوسط بين القوة والضعف، كما



أدغمت في إجاصة و إجانة بتشديد الجيم فيهما، والأصل إنجاصة و إنجانة، فأدغمت النون فيهما - الخ - (الأنبياء - حاشية رقم ٤٩)

## ④ تخريج الآثار و تحقيقها

كان القدامى من المفسرين يذكرون الآثار و الأخبار بأسانيدها، و يتمكن الناظر بذلك معرفة درجتها في الثبوت، ثم جاء زمان يذكر فيه المفسرون الآثار بدون الأسانيد ، فدخلت في كتب التفسير أخبار و آثار لا أصل لها، وقد تُذكر مرفوعة و ليست بمرفوعة، فمست الحاجة إلى البحث والتنقيب و التمييز ، و قد قام بها جهابذة من أهل العلم بالحديث و التفسير، و أذكر لذلك أمثلة من المدارك.

① ذكر المصنف في تسمية ذي القرنين أقوالاً و أسباباً ، منها ما ذكر المصنف بما نصّه: و قال عليه السلام: "سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا" يعني جانبيها شرقها و غربها - اهـ. (سورة الكهف، ذيل تفسير الآية ٨٣)

قال ابن حجر في كتابه "الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف": لم أجده مرفوعاً، و إنما رواه الدارقطني في الموتلف من رواية عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري، قال: إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها، و قرن الشمس من مطلعها. اهـ.

و ذكره في الدر المنثور عن الزهري بتخريج ابن عبد الحكم في فتوح مصر، و أخرج نحوه ابن المنذر و أبو الشيخ عن أبي العالية- اهـ- (مواهب الجليل، ذيل حواشي رقم ٢٣٤)

② كذا قول المصنف في تفسير الآية ٨٦ من سورة الكهف: قال صلى الله تعالى عليه وسلم: "بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد، فجعل يسير في طلبها، و الخضر وزيره و ابن خالته، فظفر فشرب، ولم يظفر ذو القرنين. اهـ.

**مواهب الجليل:** والحديث الذي ذكره المصنف بعد هذا في شرب الخضر من عين الحياة و حرمان ذي القرنين عنه لم أجده له مأخذاً حتى الذين قالوا بحياة الخضر لم يذكروا هذا الحديث، مع أنه من أعظم دليل لمذهبهم على تقدير وجوده ولو بطريق ضعيف. و مضمون العبارة المذكور في قصة طويلة أخرجها ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، والظاهر أنه أخذها من علماء أهل الكتاب. اهـ. (سورة الكهف، حاشية رقم ٢٣٦)

❷ **مدارك التنزيل**، تحت قوله تعالى: "قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا" (٣٧). [مريم: ٢٤]:  
 و سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن السري فقال: "هو الجدول" - اهـ.  
**مواهب الجليل**: أخرجه الطبراني في الصغير، و ابن عدي من رواية أبي سنان  
 سعيد بن سنان عن أبي إسحق عن البراء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله  
 تعالى (قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا) قال: السري: النهر.  
 قال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحق إلا أبو سنان، رواه عنه معاوية بن يحيى  
 وهو ضعيف.

وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي إسحق عن البراء موقوفاً، و كذا ذكره  
 البخاري تعليقاً عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق، و رواه ابن مردويه من طريق آدم  
 عن إسرائيل كذلك، و أخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحق موقوفاً. و في الباب  
 عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن السري الذي قال الله تعالى لمريم نهر  
 أخرجه الله لتشرب منه. أخرجه الطبراني و أبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن  
 ابن عمر، و رواية عن أيوب بن نهيك، ضعفه أبو حاتم و أبوزرعة - تخريج أحاديث  
 الكشاف - (سورة مريم، حاشية رقم ١٥)

هذه أمثلة، أما التخريج أي نسبة الأحاديث المذكورة إلى من رواها من المحدثين  
 في كتب الحديث فلا حاجة إلى إيراد مثال منه، فإن القاري سيراه تحت كل حديث  
 ذكره المصنّف في المدارك، إلا ما لم أجد له مصدراً بقصور نظري و قلة بحثي، و هو  
 قليل معدود.

أما البحث عن رجال الأسانيد فما عرجت عليه، إلا في موضع، قال المصنّف في  
 قوله تعالى: "طه": روي عن مجاهد، و الحسن، و الضحاک، و عطاء وغيرهم أن معناه  
 يا رجل، فإن صحّ فظاهر، و إلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة - اهـ.

كتبت تحت قوله "فإن صحّ فظاهر": صحّت روايته إلى ابن عباس. قال ابن أبي  
 حاتم: حدثنا الحسين بن محمد بن شنبّة الواسطي، حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري -  
 أنبأنا إسرائيل، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: طه يا رجل  
 (ابن كثير)

الزبيري محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي: ثقة من رجال الستة. و سالم بن  
 عجلان الأفطس: ثقة من رجال البخاري و أبي داؤد و النسائي و ابن ماجه. و سعيد بن  
 جبير الأسدي مولاهم: ثقة ثبت فقيه من رجال الستة و كبار التابعين. و شيخ ابن أبي

حاتم ، الحسين بن محمد بن شنبه الواسطي: صدوق - محمد أحمد المصباحي .  
(مواهب الجليل، سورة طه، حاشية رقم ٣)

ذكرت مراجع ما كتب المصنف من أسباب النزول، و رجّحت بعض التفاسير بذكر الأحاديث و الآثار، و قصدت بذلك أن يكون تفسير النسفي رحمه الله تعالى معضداً مؤيداً بذكر مصادر رواياته و بإيراد ما لم يورده ، فسيري الناظر تفسيره مع حاشيتي “مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل” تفسيراً جامعاً بين المعقول و المنقول، مزيئاً بذكر المصادر و الأصول.

و كذا ألممت بتفصيل بعض القصص حين رأيت الحاجة تمسّ إليه و ذكرت في مواضع اختلاف أئمة الفقه، و أوضحت مسائل الفقه، كما عنيت في مواضع كثيرة بإبانه وجوه البلاغة.

و لا أريد إطالة الكلام بذكر الشواهد، و أخشى أن يملّ الناظر مما ذكرت فيما سبق ، و لكنني قصدت أن يقف القراء على وجهات أنظاري ، و مدي ما بذلت من مجهودي في تحشية المدارك و تجليتها . و ليس ذلك شيئاً إلا أن يضعه المولي الكريم المنان في ناحية من ساحة قبوله، وهو ذو الفضل العظيم. و صلى ربنا و بارك و سلم على مالكننا و مالك الأرض و رقاب الأمم سيدنا و مولانا محمد النبي الأمي الأعلّم الأكرم ، وعلى آله و صحبه و دعاة دينه و هداة سبيله و كرام أساتذتي و مشايخي أولي الفيض و الجود و العطاء و الكرم.

محمد أحمد المصباحي

رئيس المدرسين بالجامعة الاشرفيه مبارك فور  
و مدير مجلس البركات

١٩ / ٥ / ١٤٣١ هـ  
٥ / ٥ / ٢٠١٠ م

## المحشي في سطور

### اسمه:

محمد أحمد، و"المصباحي" نسبة إلى دار العلوم الأشرفية "مصباح العلوم" مبارك فور، لتخرجه منها.

### أبوه:

محمد صابر بن عبد الكريم بن محمد إسحق.

### مولده:

بقرية عتيقة تسمى "بهيره" BHEERA، كان بها علماء و أولياء كبار من القرن العاشر إلى أوائل الرابع عشر، ذكر بعضهم المولوي رحمن علي في تذكرة علماء الهند. مكتب البريد لها: وليد فور، بقرب مدينة صغيرة تسمى "محمدآباد جوهنه" مديرية: أعظم جره، سابقاً و مديرية "مئو" MAU حالياً، مقاطعة أترابرديش، الهند.

### تاريخ الميلاد:

حسب مذكرة لأبيه: ١٨، من ذي الحجة سنة ١٣٧١ هـ (إحدى و سبعين و ثلث مائة و ألف) المصادف ٩، سبتمبر سنة ١٩٥٢ م. و التاريخ في الشهادات: ٨، مارس سنة ١٩٥٢ م.

### دراسته:

تعلم الصفوف الابتدائية بقريته في المدرسة الإسلامية الرحيمية، ثم التحق بالمدرسة الأشرفية ضياء العلوم، خيرآباد، مديرية مئو و درس هناك من سنة ١٩٦٢ م إلى سنة ١٩٦٦ م.

ثم التحق بدار العلوم الأشرفية مصباح العلوم، مبارك فور، و درس فيها من ١٠، شوال سنة ١٣٨٦ هـ - إلى - ١٠، شعبان ١٣٨٩ هـ المصادف ٢٢، يناير سنة ١٩٦٧ م - إلى - ٢٣، أكتوبر سنة ١٩٦٩ م.

و تخرج منها حائزاً شهادة الفضيلة في ١٠، شعبان ١٣٨٩ هـ ثم استمر في الدرس و التعلم بأمر أستاذه حافظ الملة من شوال ١٣٨٩ هـ إلى الربيع الآخر ١٣٩٠ هـ المصادف ديسمبر ١٩٦٩ م إلى يونيو ١٩٧٠ م.

أساتذته: في المدرسة الأشرفية ضياء العلوم خيرآباد

- ١- الأستاذ محمد عمر الخيرآبادي ٢- الأستاذ محمد حنيف المصباحي المبارك فوري ٣- الأستاذ محمد سلطان الرضوى الأدروري ٤- الأستاذ غلام محمد البهيروي المصباحي ٥- الحافظ المقري نثار أحمد المبارك فوري ٦- ماجستير أسرار أحمد خان الأدروري. ٧- ماجستير محمد رفيق المبارك فوري.

في دار العلوم الأشرفية مصباح العلوم ، مبارك فور

- ١- حافظ الملة العلامة عبد العزيز المحدث المرادآبادي قدس سره (١٣١٢ هـ - ١٣٩٦ هـ) شيخ الحديث و رئيس المدرسين بالدار.
- ٢- العلامة عبد الرؤوف البليايوي رحمه الله تعالى (المتوفى ١٣٩١ هـ) نائب رئيس المدرسين بالدار

٣- بحر العلوم المفتى عبد المنان المبارك فوري حفظه الله تعالى.

٤- الشيخ مظفر حسن، ظفر أدبي (المتوفى )

٥- الشيخ محمد شفيع المبارك فوري (المتوفى جمادى الآخرة ١٤١١ هـ)

٦- الشيخ السيد حامد أشرف الكجهوجوهوي (المتوفى ١٨/ صفر المظفر ١٤٢٥ هـ)

٧- الشيخ المقري محمد يحيى المبارك فوري (المتوفى ٢٦/ ذي الحجة ١٤١٦ هـ)

٨- الشيخ أسرار أحمد المصباحي اللّهزايوي حفظه الله تعالى.

المؤسسات التي قام بالتدريس فيها:

١- دار العلوم الفيضية النظامية، باراهان، مديرية بهاكل فور-

من يونيو سنة ١٩٧٠م - إلى - نوفمبر سنة ١٩٧١م

٢- مدرسة فيض العلوم، جمشيد فور .

من ديسمبر ١٩٧١م - إلى - أكتوبر ١٩٧٦م

٣- دار العلوم نداء حق ، جلال فور، مديرية فيض آباد.

من ديسمبر ١٩٧٦م - إلى - سبتمبر ١٩٧٨م

٤- مدرسة فيض العلوم ، محمدآباد جوهنه، مديرية متو حالاً، و أعظم جره

سابقاً.

من ١٨/ سبتمبر ١٩٧٨م - إلى - ١٦/ يونيو ١٩٨٦م.

٥- الجامعة الأشرفية (المسمّاة سابقاً "دار العلوم الأشرفية مصباح العلوم"

من ٩/شوال ١٤٠٦هـ / ١٧ يونيو ١٩٨٦م.

و يستمر بها تدريسه إلى الآن، و فوض إليه الشيخ عبد الحفيظ المصباحي حفظه الله (ابن حافظ الملة رحمه الله) رئيس إدارة الجامعة الأشرفية منصب رئاسة المدرسين بإصرار من أول أغسطس سنة ٢٠٠١م.

### البيعة:

بايع على يد المفتي الأعظم بالهند العلامة الشيخ مصطفى رضا القادري ابن الإمام أحمد رضا القادري البريلوي رحمهما الله تعالى في ٢٦/صفر ١٣٩٣هـ المصادف أول إبريل ١٩٧٣م بدار الإفتاء الرضوية، بريلي الشريفة في السلسلة القادرية البركاتية ، ثم تشرف بطلب السلسلة القادرية المنورية المعمرية من حافظ الملة المحدث المرادآبادي في الربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ. بمبارك فور، و نال إجازة دلائل الخيرات و جميع الأوراد و الأشغال من مجاهد الملة العلامة حبيب الرحمن القادري الأريسيوي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٥هـ. بمدرسة فيض العلوم جمشيد فور حين قدومه الميمون.

### الكتابة والتصنيف:

له شغف بالتحريرو والتصنيف، و تدريب الطلاب عليهما، و اشتغاله بهذا الجانب

على أنواع:

(١) تصنيف كتاب أو رسالة أو تحرير مقال على موضوع خاص.

(٢) تحقيق كتاب لكاتب إسلامي عظيم.

(٣) ترجمة كتاب أو رسالة بالعربية أو بالأردية.

(٤) تسهيل كتاب، و تزيينه بالتعليق والحواشي.

(٥) تقديم كتاب لأحد من إخوانه المعاصرين أو أكابره الماضين.

(٦) تصويب و إصلاح لما كتبه بعض من يتصل به.

و للبسطة مقام آخر، فيذكر هنا ما رقمه من الكتب و طبعت:

١- تدوين قرآن (أردية) ٢- معين العروض و القوافي (أردية)

٣- الإمام أحمد رضا و التصوف (أردية) ٤- محاسبة نقد روايات المعجزات

(أردية)

- ٥- الازدواج في المنظور الاسلامي (أردية) ٦- الخلفاء الراشدون ونظام الأخلاق الإسلامي (أردية)
- ٧- فقاهاة الإمام أحمد رضا بضوء حاشيته جد الممتار على رد المحتار. (أردية و عربية)
- ٨- حدوث الفتن و جهاد أعيان السنن (١٤٢١هـ) (عربية).
- ٩- واجبات و آداب للمتعلّم و المعلم (أردية) ١٠- التصوف و أعداء التصوف (أردية)
- ١١- سواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل (١٤٢٩هـ) عربية.

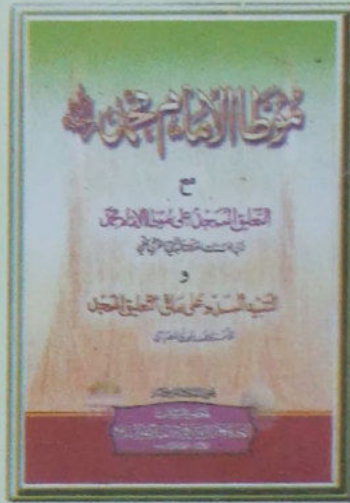
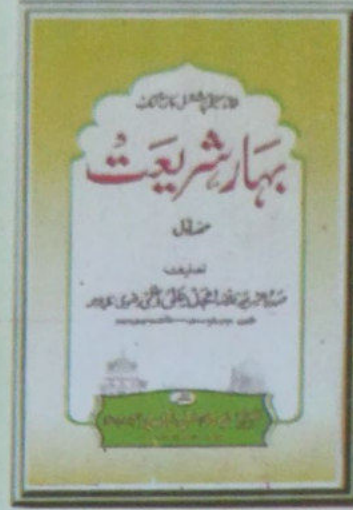
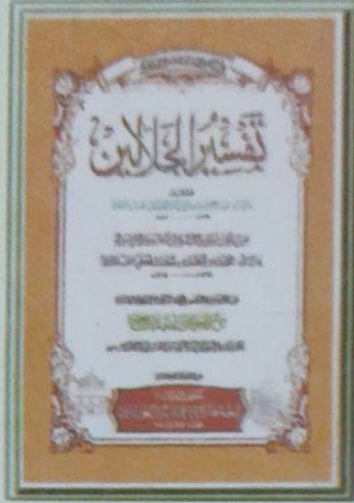
محمد أحمد المصباحي

١٩ / ٥ / ١٤٣١ هـ

١٥ / ٥ / ٢٠١٠ م







## **MAJLIS-E-BARAKAT JAMIA ASHRAFIA**

**MUBARAKPUR, DISTT. AZAMGARH (U.P.) 276404**

**Ph: (05462) 250092, 250148, 250149, Fax: 251448**

<http://www.al-jamiatulashrafia.org>  
E-mail: [aljamiatul\\_ashrafia@rediffmail.com](mailto:aljamiatul_ashrafia@rediffmail.com)